

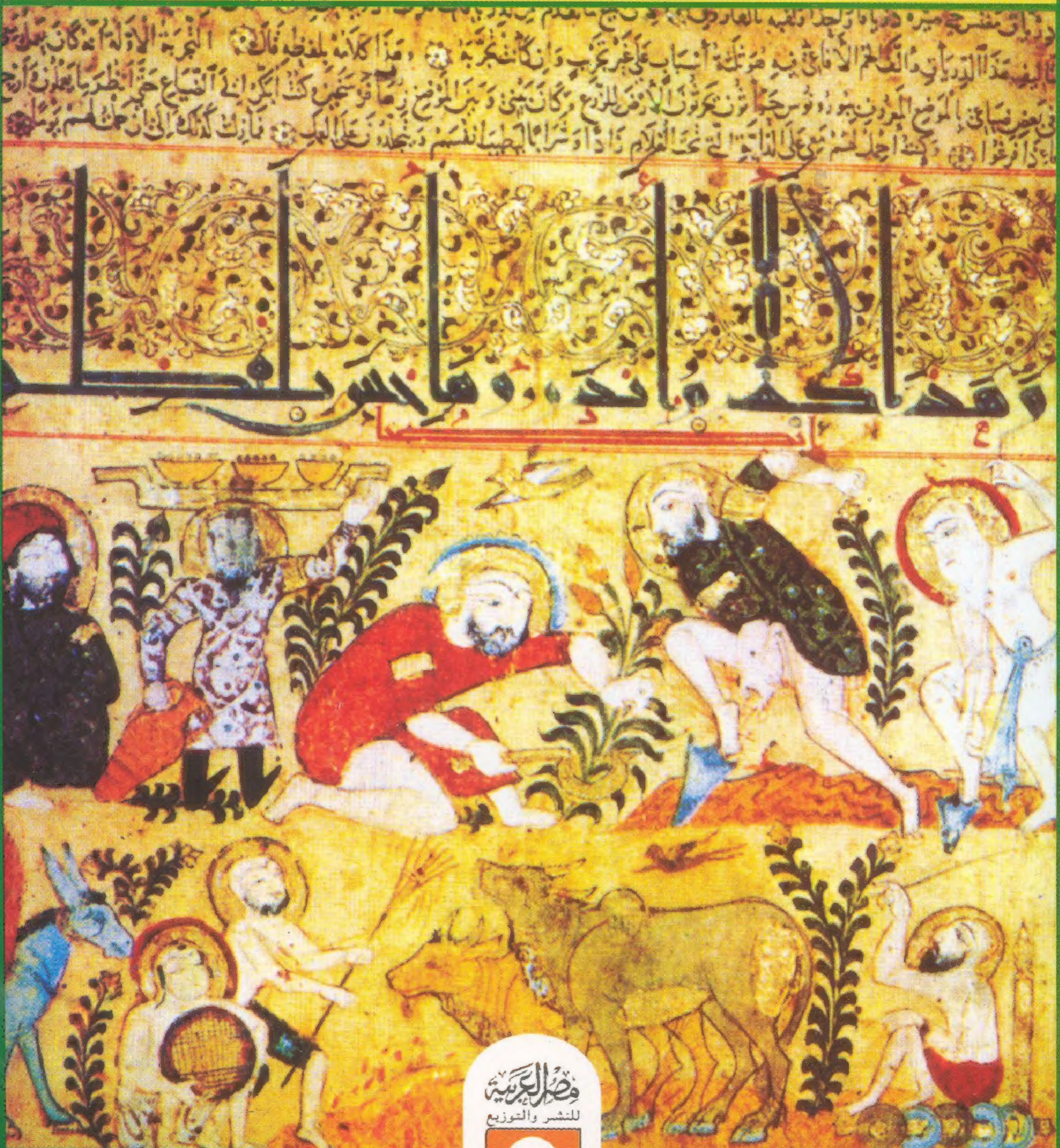
حَوْلِيَّة

المجلد الثالث

٢٠٠٣

النسخ الإسلامي والوسيط

دورية سنوية مُحَكَّمة تعنى بالدراسات التاريخية الإسلامية والبيزنطية وأوروبا العصر الوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط - جامعة عين شمس



مركز الدراسات
للتنشيط والتوزيع



حولية التاريخ الإسلامى والوسيط

دورية سنوية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية الإسلامية والبيزنطية

المجلد الثالث

٢٠٠٣ م

يصدرها

سمنار التاريخ الإسلامى والوسيط

جامعة عين شمس

عدد خاص يصدر على شرف ا.د. على الغمراوى

الناشر

مصر العربية للنشر والتوزيع

١٣ أ شارع إسلام-حمامات القبة-القاهرة

حولية التاريخ الإسلامى والوسيط

دورية علمية سنوية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية الإسلامية والبيزنطية
يصدرها

سمنار التاريخ الإسلامى والوسيط ، جامعة عين شمس

المشرف العام : ا.د. / اسحق عبيد

رئيس التحرير : ا.د. / محمود إسماعيل

نائب رئيس التحرير: د. / طارق منصور

الأعضاء : ا.د. / أحمد رمضان أحمد

ا.د. / علية الجنزورى

ا.د. / فتحى أبو سيف

سكرتير الحولية: ا. / عبد العزيز رمضان

- ترسل المراسلات والطلبات باسم هيئة تحرير الحولية أو باسم د. طارق منصور وكذلك البحوث على العنوان التالى كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ، مصر. ص.ب. ١١٥٦٦ ، فاكس: (٢٠٢٠٠) ٦٨٥١٤٣٢ بريد اليكترونى tm_jmih@hotmail.com ، شريطة ألا تكون قد سبق نشرها فى مكان آخر من قبل، وأن تكون مكتوبة على الحاسب الآلى IBM ، Word 2000 ، حسب المواصفات التالية:

١- البحوث المكتوبة باللغة العربية:

العنوان الرئيسى فونت ١٤ أسود ، العنوان الفرعى فونت ١٣ أسود

الخط Simplified Arabic ، فونت ١٣

الهوامش فونت ١١

المسافة بين السطور مفرد للنص وكذلك للهوامش

مواصفات الصفحة ١٢,٥ X ١٩,٥ ؛ هامش علوى ٥,١ ، سفلى ٥,١ ، يسار ٤,٢ ،

يمين ٤,٣ سم

٢ - البحوث المكتوبة بلغة أجنبية:

العنوان الرئيسى فونت ١٣ أسود ، العنوان الفرعى فونت ١٢ أسود

الخط Times New Roman ، فونت ١٢

المسافة بين السطور متعدد single للنص ، exact للهوامش

مواصفات الصفحة ١٢,٥ X ١٩,٥ ؛ هامش علوى ٥,١ ، سفلى ٥,١ ، يسار ٤,٢ ،

يمين ٤,٣ سم

- يرسل البحث من نسختين بالإضافة إلى القرص المرن الخاص به مقاس ٣,٥ .

- تقبل البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية.

- آخر موعد لتلقى البحوث شهر أكتوبر من كل عام .

- يكتب اسم الباحث ووظيفته أسفل العنوان الرئيسى للبحث مباشرة .

المحتويات

أولاً: القسم العربي

أ: الدراسات والبحوث

المشاركون في العدد	ز
تقديم	ط-ل
محمد مؤنس عوض، من مؤرخي مصر الرواد لمرحلة العصور الوسطى:	
أ.د. علي الغمراوي ١٩٢٦-١٩٩٣	٩-١
رأفت عبد الحميد، التاريخ بين الرواية الشفهية والوثنية التاريخية	٢٠ - ١١
زينب عبد المجيد، جامعة أكسفورد في العصور الوسطى	٧٤ - ٢١
عبد العزيز رمضان، مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة	
الإنترنت	١٠٣ - ٧٥
محاسن الوقاد، الحجابة زمن سلاطين المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ -	
١٥١٧م	٢٦٤ - ١٠٥
محمد مؤنس عوض، أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية	
في القرنين ١٢ - ١٣م / ٦ - ٧هـ	٢٧٧ - ٢٦٥
وفاء عبد الله مزروع، الفيكنج وإغارتهم على الإمبراطورية الكارولنجية	٢٩٤ - ٢٧٩

ب: عرض الكتب

جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامي: خرافة أن حقيقة؟ ترجمة/ د. قاسم	
عبد قاسم، القاهرة، ٢٠٠١، ٢١٤ ص. J. Esposito, The Islamic Threat:	
Myth or Realty, Oxford, 1999. عرض حاتم الطحاوي	٣٠١ - ٢٩٧

ثانياً: القسم الأجنبي

أ: أولاً البحوث والدراسات

Contributors	VII
-Frankopan, P., Some notes on Byzantine foreign policy in the 9 th -	
11 th centuries: was there really such a thing as steppe	1-11
diplomacy?	

-Monferrer Sala, J. P., From Greek into Arabic; some notes about translation and exegesis in a 13 th cent. Christian Arabic work.....	13-24
-Mohammad, T. M., Ibn Manglī between the Arab and Byzantine worlds: New Evidences.....	25-43
-Vdovichenko, I., La musique dans la vie des barbares et des Grecs qui habitaient le littoral septentrional de la mer noire.....	45-60

B: Book Review

'Αναστασίου Γιαννουλάτου, Αρχιεπισκόπου Τιράνων και 'πάσης Αλβανίας, Ισλάμ. Θρησκευολογική επισκόπησης, (Islam. A General Survey), 1 st edition 1975, (Athens, 2001). 339 pages.....by Maria Vaiou	62 - 65
--	---------

المشاركون في العدد*

ايرينا فدوفتشينكو	مدرس التاريخ والآثار البيزنطية- جامعة تاوريدا الوطنية - أوكرانيا.
بيتر فرانكوبان	مدرس التاريخ البيزنطي، جامعة اكسفورد، إنجلترا.
جوان مونفيرر سالا	أستاذ الدراسات السامية، جامعة قرطبة، أسبانيا.
حاتم الطحاوي	مدرس تاريخ العصور الوسطى، جامعة الزقازيق، مصر.
رأفت عبد الحميد	أستاذ تاريخ العصور الوسطى - جامعة عين شمس- مصر.
زينب عبد المجيد	مدرس تاريخ العصور الوسطى- جامعة الزقازيق - مصر.
طارق منصور	مدرس تاريخ العصور الوسطى- جامعة عين شمس- مصر.
عبد العزيز رمضان	مدرس مساعد تاريخ العصور الوسطى- جامعة عين شمس مصر.
ماريا فايوو	مدرس التاريخ البيزنطي، جامعة اكسفورد، إنجلترا.
محاسن الوقاد	مدرس التاريخ الإسلامي - جامعة عين شمس - مصر.
محمد مؤنس عوض	أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد - جامعة عين شمس- مصر.
وفاء عبد الله مزروع	مدرس تاريخ العصور الوسطى، المملكة العربية السعودية.

*هذه الأسماء مرتبة ترتيباً هجائياً.

تقديم

يسعد هيئة تحرير حولية التاريخ الإسلامى والوسيط أن تقدم للقارئ عامة والباحث بصفة خاصة العدد الثالث، الذى يحوى بين جنباته، وكعادة المجلة، مجموعة طيبة ومتميزة من الدراسات والبحوث المكتوبة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية؛ وجميعها تتسم بالعمق والجدية والأصالة التاريخية.

وقد رأت هيئة التحرير أن تصدر العدد الثالث على شرف عالم جليل يشار إليه بالبنان، كواحد من أبرز مؤرخى مصر لتاريخ العصور الوسطى، وهو العالم الجليل المرحوم أ.د. على الغمراوى، الذى تمر عشر سنوات على وفاة سيادته جسداً، بينما لا تزال روحه تتعلق بها أفئدة كل من صافحه أو جالسه يوماً ما. وقد تفضل الدكتور محمد مؤنس بكتابة ورقة عن سيادته يحصى فيها أعماله وإسهاماته في شتى المجالات العلمية والأدبية.

أما عن هذا العدد فنقدم فيه دراسة تتسم بالجدية والطرافة للمرحوم أ.د. رأفت عبد الحميد، عن " التاريخ بين الرواية الشفهية والوثيقة التاريخية"، وهى من البحوث التى ألقاها سيادته ولم يسعه الوقت لنشرها. وقد استطاع تلميذه الـ د. طارق منصور، أن يحصل على نسخة من مخطوطة المقالة ليتضمنها هذا العدد، لتزیده ثراءً. وفى هذه المقالة يناقش أ.د. رأفت عبد الحميد أهمية الوثيقة التاريخية والفارق بينها وبين الرواية الشفهية وأثر ذلك على التدوين التاريخى.

ويسأتى بعد ذلك بحث السيدة الدكتورة/ زينب عبد الحميد، عن جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى، وهو بحث يتسم بالعمق والجدية وحدثاته الموضوع، وقد تمكنت سيادتها من تغطية تاريخ نشأة جامعة أكسفورد وتطورها التاريخى من شتى الجوانب، بحس تاريخى عال يحسب لها.

أما السيد/ عبد العزيز رمضان، فيقدم فى ورقته الشيقة مدخلاً للباحثين فى العصور الوسطى إلى مواقع الانترنت التى تعنى بالدراسات البيزنطية بصفة خاصة، ويعكس هذا عنوان ورقته "مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على الانترنت"، والتى يجل فيها خبرته فى هذا المجال حتى يهتدى بها الباحثين وكل من يسعى إلى السير فى دروب بيزنطة.

وتأتى دراسة السيدة د/ محاسن محمد على الرقاد المطولة عن "الحجابه زمن سلاطين المماليك" لتزید من ثراء العدد. حيث حرصت هيئة التحرير على نشر هذه الدراسة فى عدد واحد، بدلاً من اقتسامها على عديدين، حتى تتم الفائدة للقارئ. والدراسة التى تقدمها سيادتها عن الحجابه زمن سلاطين المماليك، تمكنت فيها من الإمام بشتى جوانب الموضوع، بالإضافة إلى تحملها عبء إعداد عدد كبير من الإحصائيات والجداول التاريخية التى أثرت

الدراسة، وأضافت إليها الكثير. ومن ثم فهي دراسة تتشرف هيئة التحرير بتقديمها إلى القراء الأعزاء بكل فخر وتقدير.

وتأتى بعد ذلك ورقة الدكتور/ محمد مؤنس عوض، عن "أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢ - ١٣م" والتي يمكن القول أنها دراسة مميزة في حقل الصليبيات ومنهج الكتابة التاريخية فيها.

أما آخر البحوث العربية فهو بحث الدكتورة/ وفاء مزروع من المملكة العربية السعودية، وهو بعنوان "الفيكنج وإغارتهم على الإمبراطورية الكارولنجية"، وهو بحث طيب. حاولت الباحثة فيه أن تقدم صورة تاريخية لغارات الفيكنج على مملكة الفرنجة في العصور الوسطى سواء في عهد شارلمان أو خلفاءه.

ونأتى إلى عروض الكتب العربية حيث يقدم الدكتور/ حاتم الطحاوى عرضاً لكتاب المؤرخ الأمريكى جون اسبوزيتو عن "التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟".

ونأتى إلى قسم البحوث الأجنبية حيث شارك فيه عدد من الأساتذة من إنجلترا وأسبانيا ومصر وأوكرانيا، حيث يقوم الدكتور/ بيتر فرانكوبان وهو أستاذ للدراسات البيزنطية بجامعة أكسفورد، دراسة بعنوان "Some notes on Byzantine foreign policy in the 9th - 11th centuries: was there really such a thing as steppe diplomacy?" ليست ببعيدة عن الدبلوماسية البيزنطية في منطقة الأستبس.

أما أ.د. مونفيرر سالا، الأستاذ بقسم الدراسات السامية بجامعة قرطبة، فيقدم بحثاً بعنوان "From Greek into Arabic; some notes about translation and exegesis in a 13th cent. Christian Arabic work عن نص عربى من التراث المسيحى في العصور الوسطى.

ويأتى بحث الدكتور/ طارق منصور وهى بعنوان "Ibn Manglī between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences" ليقدم فيه دراسة مقارنة بين مؤلف مملوكى، ابن منجلى، وليو السادس الحكيم ليثبت فيها أن الأول نقل كثيراً من النصوص الواردة في تكتيكا ليو الحكيم إلى العربية، محاولاً الإجابة على عدد من الأسئلة المهمة في هذه الدراسة المقارنة؛ والتي كانت ورقة ألقاها في المؤتمر الدولى للدراسات اليونانية والشرقية، الذى عقد باليونان في عام ٢٠٠٠م.

أخيراً تقدم السيدة الدكتورة/ إيرينا فوفتشنكو، من جامعة تاوريدا بأوكرانيا بحثاً بعنوان "La musique dans la vie des barbares et des Grecs qui habitaient le littoral septentional de la mer noire

أما عن عروض الكتب الأجنبية فتقدم الدكتورة/ ماريا فايوو، مدرسة التاريخ البيزنطي بجامعة أكسفورد، بإنجلترا، عرضاً لكتاب باليونانية عن الإسلام عنوانه " ' Αναστασίου Γιαννουλάτου, ' Αρχιεπισκόπου Τιράνων και ' πάσης Αλβανίας, ' Ισλάμ. Θρησκευολογική επισκόπησις, (Islam. A General Survey), 1st edition 1975, (Athens, 2001). ولا يسع هيئة تحرير الحولية في نهاية هذه الكلمة إلا أن تشكر الدكتور/ طارق منصور، نائب رئيس تحرير الحولية، على الجهد الكبير الذي قام به في متابعة أعمال "السمنار" ودأبه وصدق عمله وتفانيه في جمع هذه المادة العلمية التي ضمها هذا العدد من الحولية، ومباشرة أمور الطباعة بدقة بالغة، فله من إدارة السمنار وهيئة تحرير الحولية كل الشكر والتقدير ودوام التوفيق.

وانه مما يسعد أمانة السمنار وهيئة تحرير الحولية بالغ السعادة أن تتلقي كل الملاحظات والمقترحات التي تتناول الحولية بالنقد العلمي الهادف وصولاً بها إلى مكانة علمية مرموقة ترتجىها وإليها نسعي.

هيئة تحرير الحولية



الأستاذ الدكتور علي محمد الغزالي

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

١٩٢٦-١٩٩٣م

أولاً. القسم العربي
أ: البحوث والدراسات

من مؤرخى مصر الرواد لمرحلة العصور الوسطى

أ.د. على الغمراوى (١٩٢٦ - ١٩٩٣م)

د. محمد مؤنس عوض*

مصر

فى الصفحات التالية أتناول بالعرض سيرة حياة مؤرخنا الراحل أ.د. على الغمراوى؛ أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة عين شمس سابقاً، كذلك أتعرض لمؤلفاته سواء الكتب أو البحوث؛ لإلقاء الضوء على أثار ذلك المؤرخ البارز الذى رحل جسداً ولا تزال روحه العلمية متوهجة فى عقول تلاميذه.

ولد أ.د. على محمد محمود الغمراوى فى ٢٦ يناير عام ١٩٢٦م بالمنيا بصعيد مصر وفيما بعد انتقلت عائلته إلى القاهرة، وتلقى تعليمه فى مدارس بنبا قادن الابتدائية ثم مدرسة الأمير فاروق الابتدائية، وكذلك مدرسة الأمير فاروق الثانوية، ثم التحق بجامعة القاهرة (التي كانت تعرف باسم جامعة فؤاد الأول) فى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية، وحصل على درجة الليسانس من القسم المذكور عام ١٩٤٦م، ثم اتجه إلى دراسة القانون فالتحق بكلية الحقوق بالجامعة المذكورة فى المدة من ١٩٤٦م إلى ١٩٥٠م، وعمل بالمحاماة على مدى ثلاث سنوات من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٣م، وفى العام الأخير ثم تعيينه معيداً فى كلية الآداب - جامعة عين شمس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية. ومن بعد ذلك غادر أرض الكنانة فى بعثة عام ١٩٥٤م خلال شهور الصيف للإطلاع على مكتبات باريس، ولندن، وذلك بتوجيه من أستاذه الراحل أ.د. سليم سالم أستاذ اللغة اللاتينية بكلية الآداب - جامعة عين شمس، وبعد أربعة أعوام أى فى عام ١٩٥٨م تم إيفاده إلى إيطاليا لدراسة المخطوطات اللاتينية فى مكتبات روما، وفلورنسا، وميلانو، وفينيسيا.

على أية حال، تكلفت جهوده بالنجاح عندما حصل فى العام المذكور وأعنى به عام ١٩٥٨م على درجة الماجستير فى مجال النقد اللاتينى من كلية الآداب - جامعة عين شمس وكان موضوع الرسالة هو: خطبة شيشيرون فى الدفاع عن الممثل الكوميدي روسكيوس وعنوانها:

Cicero's Oration pro Q. Roscio Comoedo, Editing the text with commentary.

وقد قام بنشر النص والتعليق عليه. وهى لا تزال توجد فى مكتبة كلية الآداب - جامعة عين شمس، وكان الحدث المحورى فى حياة ذلك المدرس المساعد بالقسم المذكور حينذاك؛ إيفاده عام ١٩٥٩م فى إجازة دراسية من جانب جامعة عين شمس للدراسة فى ألمانيا الغربية (حينذاك) للحصول على الدكتوراه من جامعة ميونخ München وقد أكد لى شخصياً، أنه على الرغم من حصوله على الماجستير من مصر إلا أنه أدرك بعد فترة وجيزة كأنه لا يعلم

* أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد - كلية الآداب - جامعة عين شمس.

شييناً عن الدراسات اليونانية، واللاتينية بالمقارنة بعلم الباحثين الألمان المتخصصين في دراسة اللغة اللاتينية وخاصة فقه تلك اللغة philology.

ويلاحظ أنه خلال دراسته للدكتوراه، وفي عام ١٩٦٥م عمل باحثاً في مهمة علمية خاصة في لجنة معجم تراث العصور الوسطى بأكاديمية العلوم البافارية في ميونيخ من أجل إصلاح الأغلاط المطبعية في مجموعة معالم ألمانيا التاريخية قبل إدراج مفرداتها في المعجم، وهي مجموعة للمصادر اللاتينية لتاريخ أوروبا في العصور الوسطى.

وفي عام ١٩٦٧م حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونيخ بعد حوالي ثماني سنوات من البحث المضمن هناك. وكان تخصصه الرئيسي الدراسات الهندوجرمانية (الهند أوروبية). أما التخصص الفرعي الأول دراسات العصور الوسطى (في الغرب الأوربي). أما التخصص الفرعي الثاني الدراسات الحديثة.

ويلاحظ أن موضوع رسالته للدكتوراه التي تقدم بها لجامعة ميونيخ هو:

دراسات معجمية لأسماء النباتات اللاتينية عند ديسقوريدس وابوليوس المنحول، وهي باللغة الألمانية - وقد نشرت في ميونيخ عام ١٩٦٧م، وعنوانها بالألمانية هو:

Lexikographische studien über die lateinischen pflanzennamen bei Dioskurides und pseudo - Apuleeius, München 1967.

ويلاحظ أنه لم يتم بترجمتها إلى اللغة العربية، وظلت حتى أخريات أيامه باللغة

الألمانية، وأن سعى إلى الإفادة منها في مجال دراسة الطب في أوروبا العصور الوسطى.

مهما يكن من أمر؛ عين مؤرخاً مدرساً في قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب - جامعة عين شمس وذلك عام ١٩٦٧م، ثم نقل ليعمل مدرساً لتاريخ العصور الوسطى بقسم التاريخ بنفس الكلية على يدى أ.د. حسن حبشي، أ.د. عزت عبد الكريم، ثم أعير إلى جامعة الكويت خلال المرحلة الواقعة بين عامي ١٩٧١، ١٩٧٥، وخلال وجوده هناك تمت ترقيته أستاذاً مساعداً لتاريخ العصور الوسطى، وفي عام ١٩٧٨م رقى أستاذاً، وبعد ذلك بعامين ١٩٨٠م أعير للتدريس بكلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية وأشرف على عدد من الباحثين السعوديين في دراساتهم العليا، وقد تنقل بين ثلاثة مدن في المملكة أولها أبها حيث عمل في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ثم انتقل إلى الرياض، ومن بعدها عمل في معهد الدعوة بالمدينة المنورة الذي كان يتبع الجامعة المذكورة التي ظل يعمل بها حتى عام ١٩٩٢م تقريباً وقد وافته المنية - رحمه الله تعالى - في يوم ٥ يولييه ١٩٩٣م.

أما مؤلفات الأستاذ الدكتور على الغمراوي فيمكن إجمالها على النحو التالي:

أولاً: الكتب:

- موضوعات في الثقافة الأوروبية في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

- ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م.
- مدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي للوسيط، ط. القاهرة ١٩٧٥م.
- البحوث النقدية الحديثة في تاريخ العصور الوسطى الجزء الأول، بحوث القرنين السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين، ط. القاهرة ١٩٧٨م.
- الأصول المعجمية مع شواهد من كتاب الحشائش والسموم نقل اصطفان بن باسيل عن كتاب ديسقوريدس في هيولى الطب De Materia Medica (دراسة في المنهج التطبيقي لتاريخ الطب العربى).
- المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأولى في العصور الوسطى وأطوار البحث التاريخي من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، ط. القاهرة ١٩٩٣م.
- ثانياً: البحوث والمقالات:
- المصادر الهيجيوغرافية قبل النهضة الكارولنجية مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت العدد (٢)، عام ١٩٧٢م.
- "مبحث في دراسة البطريرسطقا" المجلة التاريخية المصرية عدد عام ١٩٧٣م.
- "نظرات هستوغرافية في التاريخ الأوربي في العصور الوسطى فيما قبل القرن العاشر الميلادى"، مجلة كلية الآداب والتربية جامعة الكويت، العددان (٣)، (٤)، عام ١٩٧٣م.
- "المؤلفات الدينية في أدب الفقهاء اللاتين من القرن السادس الميلادى حتى القرن الثامن الميلادى" مجلة كلية الآداب - جامعة الكويت، العدد (٦)، عام ١٩٧٤م.
- "محاضرة الأستاذية" ألقاها بمناسبة حصوله على الأستاذية عام ١٩٧٨م، ونشرت مع محاضرات أخرى لأساتذة آخرين في كتاب تذكارى من جانب جامعة عين شمس.
- "أهمية كتاب الحشائش عن الأطباء والعلماء اليونانيين والمسلمين المفردة عند ابن سينا وابن البيطار"، مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٦) عام ١٩٨٢م.
- "تقرير بيليوغرافى عن بحوث فرنسا ونشراتها في القرن الثامن عشر الميلادى الخاصة بالتاريخ الأوربي الوسيط" مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع عام ١٩٨٣م.
- "معالم ألمانيا التاريخية Monumenta Germaniae Historia (مجموعة مصادر التاريخ والتراث الألمانى في العصور الوسطى) مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السنة (١)، عام ١٩٨٦م.
- "أثر الثقافة الإسلامية في الفكر الأوربي". محاضرة في كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض عام ١٤٠٣هـ.

- فهرسة دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية نشر في مجلة معهد الدعوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة.

كتب وبحوث لم تنشر بعد:

- إنجيل برنابا وأنجيل الكنيسة (كتاب في الرد على البصاري).
 - تفسير كتاب ديسقوريدس لابن البيطار مخطوطة بكلية الحرم المكي الشريف، رقم ١٣٦ طب، نشر وتحقيق (من أقع الأصل اليوناني لكتاب ديسقوريدس في هيولى الطب، المعروف بكتاب الحشائش).
- ثالثاً: الترجمة:

- نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، بالاشتراك مع أ.د. قاسم عبده قاسم، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة الزقازيق. وهو العمل الوحيد الذى ساهم فيه بأمر الترجمة.

تلك هي المؤلفات التى ألفها الراحل أ.د. على الغمراوي على مدى رحلته العلمية بين إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والمملكة العربية السعودية، والكويت، ومصر، طالباً للعلم، وباحثاً، ومؤلفاً.

وواقع الأمر؛ أن الراحل الفاضل يوصف وبحق بأنه موسوعى الثقافة ومظهر ذلك إجادته للغات الآتية: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، واليونانية، واللاتينية، ثم الاطلاع على التراث الكلاسيكي اليوناني واللاتيني، بصورة جعلته يوصف بالوصف السالف الذكر.

ونظراً لدراساته الكلاسيكية؛ فقد تحمس شديداً لذلك التراث، ولذلك نصح تلاميذه بدراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، كمقدمة ومدخل إلى اللغات الأوربية الحديثة التى أتقنها بل أمتد به الأمر إلى تعلم اللغة السواحيلية التى قطع فيها هي الأخرى شوطاً.

وحيث أن تخصصه اللغوى في مجال فقه اللغة اللاتينية؛ فقد اتسم بالعمق، والبحث من أصول المفردات وكذلك الظواهر التاريخية، وهي سمة اتسم بها الراحل الفاضل ولاحظها كل من تعامل معه وناقشه في العديد من القضايا التاريخية وأحسب نفسى من هؤلاء على مدى أعوام طويلة منذ عام ١٩٧٨ إلى عام وفاته عام ١٩٩٣م.

ومن سمات فكر أ.د. على الغمراوي، ما يوصف "بالتشعيب" بمعنى أن يأتى إليه المرء كى يسأله عن موضوع يتصور أنه محدد أو صغير، ومع المناقشة يتم توسيع نطاق النقاش إلى زوايا أبعد وأعمق بصورة كانت تدعو المرء إلى الدهشة.

وكان المنطق دوماً وراء كل استنتاجاته، ونلاحظ دائماً أنه كان يعلى من شأن العقل بصورة كبيرة، كذلك لجأ إلى أسلوب الحوار، والنقاش مع تلاميذه في مرحلة دبلوم الدراسات العليا للوصول ذاتياً إلى الأفكار التى أراد لنا التوصل إليها، ولذلك فالدارسة معه تحولت إلى

نوع ما من "المتعة العلمية"، وأتذكر كيف أنه طرح على طلابه عام ١٩٧٩م في مرحلة دبلوم الدراسات العليا فرع التاريخ الإسلامى والوسيط موضوع نظرية هنرى بيرين Henri Pirenne التى عرضها فى كتابه محمد وشارلمان Mohamed and Charlemagne والتى أظهر فيها أن المسلمين يتحملون مسئولية تحطيم الوحدة القديمة للبحر المتوسط. وطلب من تلاميذه البحث فى مؤلفات ذلك المؤرخ الاقتصادي البلجيكي ونقده، وبذلك قدم لنا فرصة ذهبية لتعلم أصول النقد التاريخي مع التحلى بروح الموضوعية الواجبة. وطلب من تلاميذه الاسترشاد بكتابه المدخل إلى دراسة التاريخ الأوربي الوسيط، الذى صدر فى القاهرة عام ١٩٧٥م وهو أهم كتبه على الإطلاق، ومن خلال الدراسة معه أدركنا كيف أثرت دراسته للقانون على فكره، فقد كان منطقياً وقوى الحجة، ويتناول الفكرة التى يريد تنفيذها فيحلها ويفكها ويظهر ما فيها من القصور ولا يتركها إلا بعد أن يكون قد درسها بعمق بصورة كما - أسلفت - تدعو إلى الدهشة والتأمل.

وأود أن ألفت نظر القارئ إلى أن الدراسة اللغوية والقانونية والتاريخية للراحل الفاضل جعلته بالفعل يملك العديد من الزوايا التى أثرت عقول تلاميذه من طلاب الدراسات العليا خاصة خلال دبلوم تاريخ العصور الوسطى واليوم أدرك جيداً كيف كانت محاضراته حينذاك تجارب علمية فى البنيونة أو التفكيكية قبل أن ندرسها نظرياً من خلال مؤلفات ميشيل فوكو.

من ناحية أخرى؛ تحمس الراحل الفاضل لدراسة الغرب الأوربي دراسة عربية تماماً بعيداً عن اتصاله بالشرق، وكثيراً ما ردد أن العلاقات مع الشرق تخرج عن نطاق تاريخ العصور الوسطى، غير أنه فيما بعد طور فكرته، وأشاد بتاريخ تلك المرحلة بل واشرف فى المملكة العربية السعودية على عدة رسائل فى مجال تلك الظاهرة التاريخية الكبرى فى القرون الوسطى. بل تناول المصادر الأوربية لتاريخ الحروب الصليبية فى كتابه البالغ القيمة المعنون بـ: المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأوربي فى العصور الوسطى وأطوار البحث التاريخي من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، ط. القاهرة ١٩٩٣م، وبعد تناوله فى هذا الشأن من أهم الدراسات البيبلوغرافية المصدريّة بالعربية عن مرحلة الحروب الصليبية.

وإذا كان إبتعاث أ.د. على الغمراوي إلى ألمانيا قد أدى إلى حصوله على درجة الدكتوراه فى فقه اللغة اللاتينية التى كان دائماً يفتخر بأنه العربى الوحيد الذى حصل على الدكتوراه من هناك فى ذلك التخصص النادر؛ فإن سفره إلى هناك ترك أثراً لا يمحي فى شخصيته إذ أدرك المرء بعد التعامل معه لعدة أعوام أنه امتلك صفتين رئيسيتين أولهما الدقة الشديدة ثم الصرامة العلمية، وهو أمر أدركه طلاب الدراسات العليا خلال السنة التمهيدية عام ١٩٧٩ - ١٩٨٠م خاصة فى قاعة البحث فى العصور الوسطى وكذلك فى مادة اللغة اللاتينية،

ولم يكن يتسامح البتة في أى خطأ علمي في نطق كلمة من الكلمات، أو عنوان كتاب من الكتب بأى لغة أوروبية.

ولقد ظلت اللغة الألمانية لديه اللغة المفضلة بعد العربية واللاتينية واليونانية، وحافظ بعد عودته من ألمانيا على درجة إتقانه لها، ولذلك، فعندما زار قسم التاريخ عام ١٩٨٠م وفد من جامعة هامبورج الألمانية، ألقى سيادته كلمة ترحيبية به لقيت استحساناً من أعضاء ذلك الوفد.

أما المملكة العربية السعودية؛ فكان لها تأثير كبير على أ.د. علي الغمراوي خاصة خلال سنوات عمره الأخيرة، حيث تعمق لديه الشعور الديني خاصة من خلال مجاورته للحبيب المصطفى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، حيث عمل هناك في معهد الدعوة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهناك اهتم بقضايا الاستشراق، والمستشرقين، وموقفهم من الإسلام في مختلف القضايا، كذلك اهتم بإنجازات الحضارة الإسلامية خاصة في موضوعات الطب وتأثيره على أوروبا العصور الوسطى، كذلك ألف واحداً من أهم مؤلفاته في مجال مقارنة الأديان وهو "إنجيل برنابا وأنجيل الكنيسة"، وقد طالعته مع أحد الورثة وللأسف الشديد لم يظهر للنور بعد!!!.

يضاف إلى ذلك؛ أنه في تلك المرحلة أشرف أ.د. علي الغمراوي على عدة رسائل عن الحروب الصليبية وبلاد الشام خلالها وظاهرة الجهاد الإسلامي أثناء تلك الأحداث العاصفة التي شهدتها تلك المنطقة، ولا ريب في أن "المرحلة السعودية" أثرت فكر أستاذي بصورة كبيرة.

ومن زاوية أخرى؛ اهتم مؤرخنا الفاضل بالنباتات والأعشاب الطبية، وكتب الطب العربي في هذا الشأن وما ساهم به المسلمون من ترجمة لمؤلفات يونانية تتعلق بالأعشاب خاصة كتاب ديسقوريدس عن الحشائش والذي أفاد منه كافة الأطباء المسلمين الكبار في العصور الوسطى خاصة من خلال ترجمة أصطفان بن باسيل. وكثيراً ما أشار أ.د. علي الغمراوي إلى الدقة الكبيرة التي اتسم بها المترجمون العرب مثل حنين بن إسحاق، وابنه اسحق، وأصطفان بن باسيل وغيرهم في الترجمة من اليونانية إلى السريانية ومن الأخيرة إلى لغة الضاد، ويلاحظ أن اتجاهه نحو التراث الطب العربي توافر لديه أصلاً خلال دراساته في ألمانيا.

على أية حال؛ بعد عودته إلى مصر حرص على إيجاد مجموعة من الباحثين تهتم بدراسة الطب العربي والترجمات العربية للمؤلفات الطبية اليونانية. ووجد باحثة مهمة بذلك المجال في صورة عليه حنفى (أ.د. عليه حنفى رئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية بآداب عين شمس فيما بعد) فحصلت تحت إشرافه على درجة الماجستير في الحقل العلمي المذكور.

وبصفة عامة؛ كان أ.د. على الغمراوي متشددًا في ضرورة معرفة الباحث المتصدي للكتابة التاريخية لعدد من اللغات الأوربية، ورأى أن من يعرف لغة واحدة كمن لديه نافذة واحدة في بيته، وكلما عرفت لغات أكثر كلما زادت معارفك بالعالم المحيط بك قديماً وحديثاً، ودائماً أظهر سخطه من الباحث الذي يأتي إليه طالباً منه ترجمة أحد النصوص التاريخية بلغة أوربية إلى اللغة العربية. بل وجدته يرفض ذلك عدة مرات، حفاظاً على وقته، وإظهاراً لعدم تقديره لمن يطلب منه ذلك.

من زاوية أخرى؛ مازلت أتذكر لذلك العالم الفاضل مقولته لى بأنه من المستحيل التوصل إلى الحقيقة التاريخية التي لا يعرفها إلا الله تعالى وحده، وكافة جهود المؤرخين هي عبارة عن محاولات للاقتراب منها دون إمكانية معرفتها بصورة كاملة أو هي قريبة من الاكتمال، كذلك دائماً كان يردد أن أفضل مادة لكتابة التاريخ ما لم يكتب بقصد أن يكون تاريخاً بمعنى أن يكون هناك نص عبارة عن رسالة مرسله من أحد الأشخاص إلى صديق من مدينة أخرى وتم اكتشاف هذه الرسالة فتكون بذلك مصدراً تاريخياً عظيم القيمة على اعتبار أنها بعيدة عن الرسمية أو تعتمد كتاباتها لتكون مصدراً من مصادر الكتابة التاريخية.

زد على ذلك؛ أفدت من أ.د. على الغمراوي من خلال منهجه القائم على النقاش، والمحاوَر للتوصل إلى ما هو أقرب إلى الحقيقة التاريخية، وذلك من خلال جهد جماعي، وطول ممارسة، وعدم الكلال أو الملل من المناقشة. وحرصه الشديد على جذب تلاميذه إليه من خلال طرح عناصر جديدة في المناقشة تجذبهم، وبانتهاء الجلسة معه، يدرك المرء أن شيئاً ما في تفكيره تغير للأفضل، وبعد انتهاء العام المخصص للسنة التمهيدية للماجستير أدركت كيف أثر ذلك المؤرخ الكبير في عقول تلاميذه وفي كاتب هذه السطور شخصياً.

من ناحية أخرى؛ أمتلك مؤرخنا صفة "الكارزما Charisma" الأثرة على نحو يصعب الفكاك من تأثيرها الكبير، وارتبط بتلاميذه وارتبطوا به وظل محافظاً عليهم من خلال صداقة قوية، لم تتغير يوماً أو تتبدل إلا إلى الأفضل.

وأود أن أوضح للقارئ، أن مؤرخنا يوصف بالفعل بأنه عبق تخلصه العلمي، ولذلك رفض أية مناصب إدارية فلم يتول رئاسة قسم أو منصب وكيل أو عميد كلية الآداب - جامعة عين شمس، وتعليل ذلك، اعتقاده الكامل بأن الباحث العاشق لعلمه؛ عليه التفرغ تماماً لواجبه العلمي، وأن يتعامل مع الورق والقلم تأليفاً أو ترجمة أو تحقيقاً وأن مثل تلك المناصب من شأنها إبعاده عن رسالته العلمية التي من أجلها خلقه الله تعالى، وذلك تصوره الشخصي بطبيعة الحال الذي التزم به طوال حياته ولم يناقض نفسه حيال ذلك البتة.

ولا أغفل؛ اتساع دائرة علاقاته الإنسانية مع الجميع فلم يكن يتعامل مع الآخرين من خلال كونه أستاذاً جامعياً بل مجرد إنسان يشارك الآخرين أفراحهم وأحزانهم، وهكذا ففي كل مكان عمل فيه ترك ذكرى طيبة حتى من الناس البسطاء الذين تعاملوا معه، وقد لاحظت ذلك

عندما عملت في مدينة أبها بجنوب غربى المملكة العربية السعودية فوجدت العديدين يذكرونه ذكراً جميلاً، وكذلك عندما سافر زملائي إلى المدينة المنورة لاحظوا نفس الملاحظة مما عكس تعلقه بالآخرين وتعلقهم به على المستوى الإنسانى وهو المستوى الباقى بعد رحيل الأشخاص وأود تقديم مقتطفات من إسهامات مؤرخنا من أجل الاقتراب قدر المستطاع من أسلوبه فى الكتابة التاريخية، وقد ذكر فى كتابه ملحمة البطولة الجرمانية، شغلت أوروبا وعالم البحر المتوسط منذ القرن الخامس حتى مطلع القرن الثامن غزوات مغولية وجرمانية وإسلامية نجم عنها تغير فى نظام الحكم والمجتمع، وكان للجرمان على خلاف المغول والمسلمين أكبر الشأن فى تقرير مصير القارة الأوربية، ولذلك آثار منشأهم حماسة كثير من المؤرخين وبخاصة فى ألمانيا حيث ألهمت دراسة هجرات الشعوب Voelkerwanderungen شعور الألمان القومى، كما أصبحت نظم الجرمان السياسية والقانونية والاجتماعية كذلك موضع اهتمام الدارسين بسبب المؤثرات التى أحدثتها فى الحضارة الأوربية الوسيطة.

كان المعتقد فى الثلاثينات الأولى من القرن العشرين أن الحياة الجرمانية شابته فى مختلف النواحي حياة العالم الرومانى وأن استمرار النظم الرومانية فى القرنين الخامس والسادس كان نتيجة لفضالة تأثير الغزوات الجرمانية على المجتمع الأوربى، وقد أيد وجهة النظر هذه العالم النمساوى الفونس دوبس Alphonse Dopsch فى كتابه الأسس الاقتصادية والاجتماعية للحضارة الغربية، ووصل إلى التقارب فى المستويات الثقافية والاقتصادية بين الرومان والشعوب الجرمانية، وكذلك مؤرخ الاقتصاد البلجيكى هنرى بيرين Henri Pirenne الذى أكد أن الغزوات الجرمانية لم تشكل فى الحقيقة انهياراً جانباً فى التطور الاقتصادى والاجتماعى لأوروبا، ومنذ الحرب العالمية الثانية وإلى حد كبير بفضل دراسات العلماء الفرنسيين ضعف تفسير دوبس وبيرين لحضارة الجرمان، ورأينا رجوعاً إلى وجهة النظر القديمة عن العواقب المشئومة للغزوات الجرمانية، فقدم سالان Salin دليلاً أثرياً معارضاً للفرضية التى ذهب إليها دوبس، كما ناقش كورسيل Courcelle فى كتابه "التاريخ الأدبى للغزوات الجرمانية" بطريقة حاول أن يجعلها مقنعة وجود الاهتمام بوجهات نظر المعاصرين الكئيبة عن دلالات الغزوات^١.

ومن الجلى البين؛ من خلال السطور السابقة كيف أن أسلوبه فى الكتابة التاريخية عبر عن منهجية تهتم بالأبعاد السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية دون إغفال التراث الشعبى وكل ذلك ضمن إطار من التحليل والبحث فى أصول حركات التاريخ فى أوروبا العصور الوسطى.

^١ على الغمراوى، ملحمة البطولة الجرمانية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص ٣.

مهما يكن من أمر، ينبغي ألا تغفل - عند دراستنا لسيرة ذلك المؤرخ الرائد -
الجوانب المأساوية التي واجهته في حياته والتي انتهت بوفاته².
تلك صفحات قليلة عن مؤرخ رائد من مؤرخي مصر لمرحلة العصور الوسطى في
صورة أ.د. علي الغمراوي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

² في الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياة مؤرخنا لكب عدة لكبات متلاحقة؛ إذ توفيت ابنته الوحيدة "فادية"، ومن
بعدها بعام توفيت زوجته حزناً على رحيلها، ثم أصيب هو شخصياً بمرض السرطان، وكان منكباً على كتابة
كتابه "المجموعات الحديثة لمصادر تاريخ الغرب الأوربي في العصور الوسطى" على الحاسوب، وقد طالعت
مخطوطة الكتاب مع سيادته قبل رحيله وقد أوصى بضرورة طباعته لما فيه فائدة كبيرة للباحثين وبالفعل تمت
طباعته بعد وفاته ومن الانصاف القول بأن أ.د. فتحي أبو سيف قام بدور فعال في ظهور الكتاب للنور بالاشتراك
مع إدارة كلية الآداب - جامعة عين شمس في عهد عميدها أ.د. محمد حسن وهبه.

التاريخ

بين الرواية الشفهية والوثيقة التاريخية

د. رأفت عبد الحميد

مصر

قال الراوى... يا سادة يا كرام "

عبارة تبتدىء بها كل سيرة وصلت إلى أيدينا من السير الشعبية المعروفة، "سيرة عنتر بن شداد" و "سيرة الملك سيف بن ذى يزن ملك اليمن"، و "سيرة حمزة العرب الأمير حمزة البهلوان" ؛ و "السيرة الهلالية" أو قصة "الزير سالم أبو ليلى المهلهل" و "تغريبة بنى هلال" و "سيرة الأميرة ذات الهمة" و "سيرة الظاهر بيبرس" وغير ذلك، على حين تستفتح شهر زاد كل ليلة من لياليها عند حكيها لحكاية جديدة أو استمرارها في واحدة كانت قد بدأتها بالفعل من قبل، بقولها الشهير "بلغنى أيها الملك السعيد" وكلمة "بلغنى" هي شكل آخر من أشكال "قال الراوى" فالدلالة واحدة.

وقد ينص أحياناً في بداية السيرة على اسم واحد من هؤلاء الرواة، قد يكون آخرهم، وقد لا يأتى ذكر لأحد منهم على الإطلاق، ففي "سيرة الملك سيف ملك اليمن"، نجد مثلاً لذلك حين يقال: "قال الراوى أبو المعالى رواى سيرة أبى الأمصار وسائل النيل من أرض الحبشة إلى هذه الديار"،^١ مع العلم أن "أبا المعالى" لقب للراوى وليست اسماً لعلم، بينما يأتى الاسم منسباً في سيرة "الظاهر بيبرس" عندما نصادف في أولها عبارة "قال الراوى وهو الدينارى رحمه الله تعالى"،^٢ على حين تتفرد "سيرة الأميرة ذات الهمة" بإيراد أسماء عشرة من الرواة تقدمهم على هذا النحو: "... وإن من روى هذه السيرة العجيبة، وما فيها من الأحاديث المطرفة الغريبة، هو على بن موسى المقانبى، وابن بكر المازنى، وصالح الجعفرى، ويزيد بن عمار المزنى، وعبد الله بن وهب اليمانى، وعوف بن فهد الفرازى، وسعد بن مالك التميمى، وأحمد الشمشاطى، وصابر المرعشى، ونجد بن هشام العامرى، قالوا جميعاً والله أعلم...".^٣

وتفصح هذه السير، أو ان شئت الدقة فقل هذه الروايات الشفوية المتواترة في مجموعها، عن الهدف الأساسى من وضعها، وهى كلها تتفق عليه وإن اختلفت عباراتها، مثل "... وهذه قصة غريبة الوجود، والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود، الذى جعل سير الأولين عبرة للقوم الآخرين، وأخبار الأمم الماضين (هكذا) اعتباراً للباقيين".^٤ أو "... أن سير الأولين

^١ سيرة فارسى اليمن الملك سيف بن ذى يزن، بيروت ١٩٨٥، ج١، ص٣.

^٢ سيرة لظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، للمجلد الأول، ص١١.

^٣ سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب، بيروت ١٩٨١، المجلد الأول ص٥.

^٤ سيرة فارسى اليمن الملك سيف بن ذى يزن، بيروت ١٩٨٥، ج١ ص٣.

صارت عبرة للآخرين لكي يرى الإنسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر، ويطالع حديث الأمم السابقة وما جرى لهم فينزر (هكذا)، فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين...^٥ أو "... ان الله سبحانه وتعالى جعل سير الأولين عبرة للآخرين، وموعظة للجاهلين، وتنبهاً للغافلين، يتعظم بها أصحاب العقول الكاملين".^٦

ولا أظن أن هذا الهدف الذي تسعى إليه الرواية الشفهية التي تصبح بمقتضى التقدم موروثة شعبيًا، يبعد كثيراً عن الهدف الذي تضعه الدراسات التاريخية نصب أعينها، وإن اختلفت الفكر والمضامين والمصادر، ولننظر مثلاً إلى ذلك العمل التاريخي الرائع الذي وضعه المؤرخ الأشهر تقي الدين المقرئى تحت عنوان "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، وهى دراسة إطارها المحيط هو التاريخ، ولكنها فى جوهرها تضم عدداً من ميادين الدراسات الإنسانية المختلفة، كالجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والعمارة والفنون والآداب والتخطيط، أو بعبارة أخرى ننقلها عن أستاذنا محمد عبد الله عنان^٧ متمثلة في قوله: "... فهذا الأثر فوق كونه عرضاً مستفيضاً لجغرافية مصر والقاهرة والنيل القديمة، وسيرها منذ الفتح الإسلامى، هو مجمع فريد من صور العمرانية والاجتماعية والفنية فى العصور الوسطى، ومعرض بديع لتاريخ مصر الاجتماعى، وأحوال المجتمع المصرى، وظواهره النفسية والأخلاقية، وحياته العامة.. وهذا التراث العمرانى والفنى الخالد، تراث المدينة الإسلامية فى مصر، يعرضه لنا المقرئى فى صور قوية باهرة ممتعة، وهو يتتبع فيما يكتب شجون الحديث. فإذا ملك أو أمير كبير يقترب اسمه بذكر هذه الصروح والآثار الخالدة أو تلك، وإذا حدث أو واقعة أو نادرة ترتبط بسيرتها، فإنه يستقصى كل ما يتعلق به أو بها من الأخبار، فينتقل بقارئه من المسجد والقصر إلى الأمير، ومن الأمير إلى الحرب، ومن هذه إلى المآدب والرياض، وهو خلال ذلك كله يعنى بعرض صور هامة من تاريخ مصر السياسى والاجتماعى والاقتصادى والفكرى، ويقدم إلينا المجتمع القاهرى فى أثوابه المختلفة ذاهية وقائمة، ويعنى بشرح النظم السياسية والإدارية والاقتصادية التى توالى على مصر، ورسوم البلاط القاهرى فى عصوره المختلفة، وأحوال الخلفاء والسلاطين فى الحياة العامة والخاصة، ومواكبهم ومآدبهم وأخلاقهم وأطوارهم، وأحوال المنشآت العامة كالثكنات والسجون والمعاهد والمدارس والمساجد والزوايا والنكاي وغيرها، وحياة الشعب الخاصة، وعادات الأفراد وتقاليدهم وأحوالهم فى المعاملات والملبس والمآكل والأفراح والأنراح والجد والهزل".

هذه المساحة المعرفية الواسعة المتعددة الجوانب، عنوانها المقرئى بـ "المواعظ والاعتبار"، ومن ثم فليس هناك اختلاف فى الهدف - كما أشرنا منذ قليل - بين الدراسات

^٥ ألف ليلة وليلة، بيرت بدون تاريخ، ج ١ ص ٥.

^٦ سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول ص ١٠.

^٧ مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة ١٩٩٣، ص ٥٠ - ٥١.

التاريخية الوثائقية والروايات الشفهية أو الموروث الشعبي، والمقريزي نفسه يعبر عن ذلك بقلمه الخاص حين يقول: "علم التاريخ من أجل العلوم قدراً، وأشرفها عند العقلاء مكانه وخطراً، لما يحويه من المواعظ، والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذا الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقبض بها، واستعلام مدام الفعال ليرغب عنها أولو النهى، لا جرم إن كانت الأنفس الفاضلة به رامية، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة".^٨ وهذه العبارات التي أوردها المقريزي لا تبتعد كثيراً عما أورثه السير الشعبية التي تعد النموذج الحي المتجسد للرواية الشفهية، عن الهدف المبتغى من وراء سردها أو قصها على مسامع العامة.

غير أن هذا لا ينجو بنا بعيداً عن الجانب الوثائقي في الدراسات التاريخية، وهو عصبها، فكما أسلفنا من القول إن "الراوى" يبتدىء روايته بالقول عن أخذ: "قال الراوى"، فإن المؤرخ يدعم دراسته وتاريخه بقوله "تحدثنا الوثيقة" أو "تخبرنا المصادر"، والباحث المدقق يفتح مطالعته لأى كتاب في التاريخ، بالصفحات الأخيرة من الكتاب، بحثاً عن المصادر والوثائق التاريخية التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه، وتحدد القيمة العلمية تبعاً لمدى أصالة تلك الوثائق والمصادر، ومن البديهي أن أى باحث أو مؤرخ لا يمكن مطلقاً أن يقف فوق جسر الصدق ما لم تكن الوثيقة مصدر بحثه وركيزة دراسته، شريطة أن تكون الوثيقة نفسها صادقة لم تمسها يد التزييف، تلك قضية أخرى.

وقد وقف مؤرخنا الأشهر "ابن خلدون" على هذه الناحية وحدثنا عنها بكل الدقة عندما كتب في "مقدمته" يقول: "... والتاريخ في باطنه نظراً وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخطوها المتطفلون بدسائس في الباطل وهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقرها ووضعوها".^٩

وابن خلدون هنا كما هو ظاهر في عبارته، يفصل بين المؤرخ بكل ما تعنيه الكلمة في منزلة القضاء.. وكاتب التاريخ المتطفل على كتابته بكل ما تفصله كلماته من بعد عن الانتقاء.

ولنكمل حديث ابن خلدون لنرى إلى حد بعيد البعد عن الوثيقة في الدراسة التاريخية ضرباً من العبث، والعبث نفسه في عدم تمحيص كل ما يكتب، والتغاضي عن الدقة في كل ما يقال ويدون، وتلك آفة نفر ليس بالقليل ممن يتصدون لكتابة التاريخ، ومن ثم فإنه يمكننا القول قياساً على شهادة العلامة ابن خلدون، "كثيرون يكتبون التاريخ، وقليل منهم المؤرخون"، فالمؤرخ بالدرجة الأول قاض وليس قاصاً ولا مجرد ناقل، يقول العلامة مكمل حديثه الذى

^٨ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للقاهرة بدون تاريخ، الجزء الأول، ص ٢.

^٩ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المقدمة، بيروت بدون تاريخ، ص ٤.

توقفنا عنده منذ قليل: "... واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا نزهاة الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب قليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملأ وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل".^{١٠}

واضح تماماً أن ابن خلدون يقف موقفاً جاداً من أولئك الذين يكتبون التاريخ بأيديهم ويقولون إنما قال بهذا الأسلاف، ونحن على آثارهم مقتدون، دون تمحيص وتدقيق، ومناقشة، وتحليل، ونقد بعد كل ذلك عميق وأصيل. هؤلاء نفر لا يعدون من المؤرخين وإن حسبوا أنفسهم كذلك وإن عدهم أناس هكذا.

والذي يلفت النظر ويدل على فراسة العرب وسبقهم في العديد من ميادين المعرفة الإنسانية، أن ابن خلدون فصل في صدر مقدمته بين الرواية والتاريخ، أو بتعبير أكثر دقة بين التاريخ المروى أو الرواية الشفهية والتاريخ الوثائقي، وميدان هذا وذاك، وما يحتاجه عامة الناس والجمهور، وما يسعى إليه خاصة الدارسين وأعيانهم، وهذا بيت القصيد في بحثنا هذا، يقول: "... فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأفيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال، وتطرف بها الأنديّة إذا غصها الاحتفال، وتؤدى لنا شأن الخليفة كيف تقلب بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمرها الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزوال، وفي باطنه ...".^{١١}

وهذه العبارات الأخيرة تنصرف دون مناقشة إلى الرواية الشفهية أو التاريخ المروى، الذي تنمو فيه الأقوال "بزيادة الروايات جيلاً بعد جيل، يضيف إليها راو بعد راو، ومحدث بعد آخر، ويتفنن كل منهم في إضافة قصة على هامش الرواية، أو طرفة لطيفة، أو مثل جرت به الألسنة مع الزمان، ويضيف إليها من عندياته ما يشوق السامعين، وتلك براعة في فن الإلقاء، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقوله "وتطرف بها الأنديّة إذا غصها الاحتفال"، حيث يتحلق الناس حول هذا الراوى أو ذاك في إصغاء عجيب.

وإذا كنا قد فصلنا بحزم بين من يكتبون التاريخ والمؤرخين، وأكدنا على أن المؤرخ هو الذي يضع الوثيقة نصب عينيه، مخضعاً إياها للتحليل والمناقشة والمقارنة والتمحيص

^{١٠} ابن خلدون، المقدمة، ص ٤.

^{١١} المصدر نفسه، ص ٣ - ٤.

والنقد، فإن هذا يدفعنا مباشرة إلى إثارة هذا السؤال الجوهرى.. أين موضع الرواية الشفهية من الكتابة التاريخية؟

لا يستطيع أحد أن ينكر أن التاريخ كان في أصل نشأته روايات شفهية جرت بها السنة الناس، أو تناقلها الرواة جيلاً بعد جيل، وتمثلت عند العرب في أشعارهم، حتى عد الشعر ديوان العرب، فسجلوا بالقريض أفراحهم وأتراحهم، ومجالس سمرهم، وحلهم وترحالهم، وأيامهم في الجاهلية والإسلام، وساعدت ملكة الحفظ لديهم في نقل هذا التاريخ والاحتفاظ به لفترة زمنية طويلة، والعرب هنا لم يبتعدوا عن الأصل التاريخي لكلمة Istoria اليونانية، والتي كان يقصد منها في بلد الإغريق قديماً البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة، وهي معرفة البلاد والعادات والمؤسسات السياسية المعاصرة أو الماضية، ثم تطورت الكلمة لتتضم إلى ذلك معرفة الأحداث التي رافقت نمو هذه الظواهر.^{١٢}

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن هذه المفاهيم لم تكن واردة في أول الأمر، بالمعنى الذى نقصده، لدى هؤلاء الشعراء العرب الذين تركوا شعرهم ودونوا فيه تلك الأحداث التي عايشوها أو حدثوا عنها فيما بعد تمجيذاً وافتخاراً، فأيام العرب، ترجع في أصلها إلى الأدب أكثر مما ترجع إلى التاريخ، فقد كانت تروى بالدرجة الأولى لإيناس السامعين وإمتاعهم؛ حقاً لقد كانت تحتوى على عناصر تاريخية من حيث أنها سجلت أحداث كبرى (كحرب البسوس، وداحس الغبراء، وغير ذلك)، ومن حيث أنها اعتبرت مثل تلك الأحداث متصلة بنواح معنوية معينة،^{١٣} وقد لعبت فنون وأشكال هذه "الأيام" و"القصائد" التي خلقتها، دوراً هاماً في تشكيل علم التاريخ عند المسلمين.

فمن الأمور التي لا يتطرق إليها الشك أن التاريخ الإسلامى نشأ في أول أمره معتمداً اعتماداً كاملاً على الرواية الشفهية، حتى عرف المشتغلون به بادية ذى بدء بالرواية أو الإخباريين، ولم يكن هناك آنذاك ما ينتقص من قدر هذه الرواية لأن ملكة الحفظ العربية كانت لها السيادة على الكتابة أو التدوين إبان العصور الجاهلية وصدر الإسلام، وإن نظرة سريعة إلى كتب السيرة النبوية والمغازي نجدها كلها تورد أخبارها بقول مؤلفها: حدثنا فلان عن فلان، وحول هذا يقول الأستاذ أحمد أمين^{١٤} "... لو تتبعنا في ابن جرير الطبرى سلسلة رواياته وجدت أن الرواية الثالثة أو الأربعة الذين يتصلون به وبحياته كانوا في العصر العباسى، وهؤلاء يروون عن قبلهم ممن كانوا في عهد الأمويين أو الخلفاء الراشدين، نعى بذلك أن الحوادث التي دونت كانت معروفة في العصر الذى يؤرخ له، وابن اسحق وأمثاله إنما دووا ما كان معروفاً وجمعوه".

^{١٢} روزنتال (ب)، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلى، بيروت ١٩٨٣ ص ١٦.

^{١٣} للمرجع السابق، ص ٣٢.

^{١٤} فجر الإسلام، القاهرة ١٩٦١ ص ١٥٦.

من هنا كان أول ما دون في التاريخ الإسلامى - بطبيعة الحال - يعتمد على الذاكرة الإنسانية، أو بتعبير آخر، الرواية الشفهية، ولعل من يقرأ ما دون من الذاكرة يتجلى له أن أغلب التاريخ العربى الإسلامى الأول مستمد من السمع والمشاهدة، ومن ثم جاء تدوين المؤرخين الأوائل لما استوعبته الذاكرة بالنقل من فلان عن فلان من الحفاظ الموثوق بهم، وهو ما عرف بـ "الإسناد" بمعنى دفع الخبر إلى قائله، وهكذا كان الحفاظ هم الوسطاء بين الخبر والمؤرخ.^{١٥}

وهذه السلسلة الطويلة من "العنقة" التى نشهدها مثلاً عند ابن هشام في السيرة النبوية، والواقدي في المغازي، والطبرى في تاريخ الرسل والملوك، تؤكد أمرين أساسيين على قدر كبير من الأهمية، أولهما: الدور الكبير الذى لعبته الرواية الشفهية في تدوين التاريخ الإسلامى خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة على الأقل، والثانى: دور الرواة أو الحفاظ على هذه الروايات ونقلها جيلاً بعد جيل، مع محاولة التيقن الكامل من عدم انقطاع ثبت السند أو العنقة حتى لا تسمى الرواية ضعيفة الإسناد فلا يؤخذ بها.

لا غرو إذن أن ينشأ علم التاريخ عند المسلمين في أحضان علم الحديث، لأن هذه الطريقة عينها هى التى اتبعت في جمع الأحاديث النبوية، ولما كان تحرى الدقة والأمانة حتماً مقضياً عند جمع هذه الأحاديث، فقد انسحب ذلك بالتالى على الروايات الشفهية التى تتصل بحياة الرسول وصحبه مكونة سيرته ومغازيه صلى الله عليه وسلم، ولما كان المسلمون حريصين في الناحيتين على التزام جادة الصدق والضبط في جمع مادتي الحديث والسيرة، فقد أصبح منهاج "الجرح والتعديل" ميزان الحقيقة في كل من هذه وتلك، وابن خلدون يشير إلى مثل هذه الناحية ويؤكد على ضرورة "البحث والروية" والبعد عن "الغفلة وضعف النظر"^{١٦} ويشاركه في هذا رأى "السخاوى".^{١٧}

وقد حرص كثير من الخلفاء المسلمين على أن يكون إلى جوارهم دوماً من "يقص" عليهم أو "يروى" لهم أخبار الأمم السالفة التى سبقت الدعوة الإسلامية، وشيئاً عن أحوال ملوكهم وساداتهم، حتى أن الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان، كان كما يحدث عنه المسعودى 'يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياستها لرهيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة... ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر من يواصل له الروايات الخاصة بسير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فتمر بسنة كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات".

^{١٥} عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

^{١٦} ابن خلدون، المقدمة، ص ٣١.

^{١٧} للسخاوى، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة/ صالح أحمد لعل، بيروت بدون تاريخ، ص ٩٢ - ٩٣.

والموروثات الشعبية تحمل رؤية الشعب لتاريخه وتفسيره لمسيرته الحضارية، كما تشي بكل ما كان يحركه من قيم أو مثل عليا والنظام الأخلاقي الذي حكم حركته في الزمان والمكان.

والموروثات الشعبية تتضمن الأسطورة، السيرة الشعبية، والحكايات والألغاز، والأمثال والأغاني والنكات، وغيرها مما يعبر به الناس عن أنفسهم بشكل تلقائي.

ولعل الفرق الجوهرى بين التسجيل الرسمى للتاريخ والتسجيل الشعبى هو أن الأول قصد به أن يكون تاريخاً، أى أنه مقصود أن يصل للأجيال التالية على النحو الذى تمت به كتابته، أما التسجيل الشعبى فهو تسجيل شفاهى تراثى تتناقله الأجيال وتزيد عليه، وتعديل في مضمونه بما يخدم أهداف الجماعة الإنسانية، دون أن يقصد به أن يكون تاريخاً يقرأه الناس في الأجيال التالية، ذلك أن الموروثات الشعبية تعبير تلقائى عن الناس في حياتهم اليومية، وعن رأيهم في أحداث تاريخهم ورؤيتهم له، وإذا كنا نستطيع من خلال المصادر التاريخية التقليدية، أن نستعيد صورة الحدث التاريخى من ذمة الماضى، فإن هذه الصورة تظل باهتة لا حياة فيها ما لم نفهم أهل العصر الذى ندرسه من خلال عاطفتهم ووجدانهم وقيمهم الأخلاقية، ومثلهم العليا التى حركتهم آنذاك، والموروثات الشعبية مصدر هام للمؤرخ الذى يدرس التاريخ الاجتماعى، أو النتاج الثقافى لأمة من الأمم.^{١٨}

ولعل أروع تعبير يمكن أن يؤتى به الآن، هو ما جرى على لسان طجورج ماكولى تريفيليان "G.M.Trivilian عندما قال: "لا تتألف روح الشعر في تدوين التاريخ من خيال يطوف في الفضاء، ولكنها تتألف من خيال يقتفى أثر الحقيقة ويلتصق بها، وبالنظر على أن الحقيقة قد وقعت فعلاً فإنها تجمع حولها سر الحياة والموت والزمن الذى لا يسير غوره، فعلم المؤرخ وبحثه وجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان مدلولها.^{١٩}

ويصل الائتلاف بين الرواية الشفهية والموروث الشعبى ذروته ويصبحان شيئاً واحداً في السير أو الملاحم التى أشرنا إليها في صدر بحثنا هذا، وهى خاصة بالتراث العربى، ويقابلها في أوروبا أيضاً الكثير مثلاً ويسبقها بعضها أحياناً، فالموروث الشعبى يجد ضالته في شخصية محورية تاريخية حقيقية فعلاً، لعبت دوراً معيناً في مسيرة التاريخ الإنسانى، وتتسج حوله خيوط روايات تكون "ملحمة" شعبية، ولا يخفى على أحد أن المشاعر الشعبية تبحث عن شخصية البطل الذى ترتجيه في حاضرها ولا تجده ماثلاً بين ظهرانيها، فتستدعيه من ذاكرة التاريخ الرسمى، وتصنع منه البطل الذى تتطلع إليه ليخرج بها بقوته الحارقة وذكائه المتقد وحيله البارة وشخصيته الجذابة، من هذا الواقع الذى تحياه، وتتلقى به، إلى آفاق أخرى تؤملها أكثر إشراقاً وسعادة.

^{١٨} قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٦ - ١٧.

^{١٩} إيمرى نف، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، بيروت بدون تاريخ، ص ٢.

وكان نظم الشعر كما يقول "جوردون شايلد" - من العوامل المساعدة في تذكر الأحداث حين كانت الكتابة غير مستعملة، وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى ظهور ملاحم البطولة والقصص الشعبية، ونمت تلك التقاليد الشعرية لازدياد تواتر الرواية المنقولة عنها، وكانت المبالغة مستحبة في الإشادة بالمفاخر والأمجاد لإثارة حواس المستمع وانتباهه، ومن الأمثلة الشائعة على ذلك ما جاء في التوراة مثل سفر القضاة مثلاً^{٢٠}.

وأجدني هنا ملزماً بأن أقلم لـ "إيمري نف Emery Neff"^{٢١} أيلقي الضوء على ما قدمناه تواتراً فيقول: "إن الروايات المختلفة الكثيرة في نص الإلياذة والأوديسة التي جاءت في الشروح الهامشية القديمة، على مخطوط بالبنديقية نشره العالم الفرنسي سنة ١٧٨٨، واقتباسات قدامى المؤلفين من شعر هوميروس ومنهم أفلاطون وأرسطو وفرجيل، وهي اقتباسات لم ترد في مخطوطاتنا، أقنعت 'ولف' Wolf (الذي كتب تقديمًا لدراسة أعمال هوميروس عام ١٧٩٥) بأن فن الكتابة لم يكن معروفًا عند الإغريق في عصر هوميروس، وأعتقد 'ولف' أن هوميروس جمع معظم الملحمتين شفويًا معتمداً على القصص الأسطورية القومية، إلا أن المنشدين قد أضافوا إلى جمعه وغيروا فيه طيلة أربعة قرون تقريباً، ونقلوه بطريق الحفظ حتى دون كتابة في أثينا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، بل إن النص قد تناوله بعد ذلك النحويون والناشرون بالتعديل، وهذا يؤكد الحقيقة الداعية لقائله بأن الشعب الإغريقي كان حقيقة لا مجازاً هو الشاعر العظيم هوميروس!! وقد أكد المؤرخون في جملتهم أن الملاحم الهومرية ألقت وانتقلت بطريق الرواية الشفوية، بل إن قوة الذاكرة الخارقة عند الشعوب الأمية الحديثة، أثبتت إمكان هذا النقل الشفوي واحتماله، حتى يقال إن الشيوخ في جزر "هبريديس" يحفظون من الشعر الغالي ما يفوق الإلياذة طويلاً، وبالرغم من أن العلماء قد عجزوا حتى الآن عن الاتفاق على ما إذا كان للقصائد الهومرية مؤلف واحد أو أكثر، فإنه أصبح من الواضح أن القصائد المنسوبة إلى هوميروس أشبه بالملاحم الشعبية إلى حد كبير منها بالإنشاء المقصود الذي يقوم به شاعر واحد، كما هو الشأن في "إنيادة" "فرجيليوس". وينقل "إيمري نف" عن "نيبور" Neibuhr قوله: "من المشكلات التي قد تستعصى على الحل إنشاء ملحمة شعرية لا تعتمد على موضوع عاش قروناً في الأغاني والقصص الشعبية باعتباره ملكاً شائعاً للأمة"^{٢٢}.

ويأخذ "هرنشو"^{٢٣} Hearnshaw مع بحثه الرائع ليؤكد لنا هذا المعنى بقوله: "إن التاريخ من حيث هو سجل العصور الغابرة وديوانها الحافظ لأخبارها، قديم قدم اهتداء

^{٢٠} شايلد (ج)، التاريخ، ترجمة عدلى برسوم عبد الملك، القاهرة بدون تاريخ، ص ٥٢ - ٥٣.

^{٢١} المؤرخون وروح الشعر، ص ١٢١ - ١٢٢.

^{٢٢} إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ص ١٢٢.

^{٢٣} هرنشو (ف)، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة ١٩٤٤، ص ١٥.

نحن هنا إذن أمام كم هائل من الروايات الشفهية تنقلها حفاظ العرب أمة بعد أمة، شعرا كان أو نثراً، وإن كان الشعر هو الغالب لسهولة حفظه، وقد وجد المؤرخون المسلمون الأوائل أمامهم كل هذه الروايات الشفهية فجمعوها، وزاد الأمر كثرة دخول الشعوب المختلفة ذات التاريخ في الإسلام مثل الفرس وجماعات من الروم والمصريين ونفر من بنى يهود، وهؤلاء جميعاً رووا تواريخهم، وحدثوا المسلمين بها وبتاريخ الأمم الأخرى، ويكفي نظرة واحدة إلى تاريخ الأمم والملوك للأمام الطبرى، وقد قدمته هنا بلفظ "الأمام" لأن الرجل كان مفسراً ومؤرخاً، وهذا ما أسلفنا عنه الحديث منذ قليل عند القول بأن المؤرخين المسلمين الأوائل كانوا رواة ومحدثين أو مفسرين، نقول إن نظرة واحدة إلى تاريخ الطبرى تكفى للوقوف على هذا الكم الهائل من الروايات الشفهية التى يوردها هؤلاء المؤرخون الأوائل بعد أن سمعوها وجمعوها، وهو حريص في الوقت ذاته على أن يرويها بسندها، فنراه يذكر مثلاً "... حدثنى ابن أبى سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال: "أو" أو "حدثنا شعيب عن سيف عن الربيع وأبى المجالد وأبى عثمان وأبى حارثة، قالوا: وهكذا.

ورغم أن ابن خلدون يهاجم في مقدمته نفراً من المؤرخين الأوائل ويذكرهم بأسمائهم، لاعتمادهم على مجرد النقل لما سمعوا أو رأوا وتدوينهم لذلك دون تمحيص، إلا أن هذا لا يلغى مطلقاً الأهمية الكبيرة التى كانت عليها هذه الروايات الشفهية الذائعة والمنتشرة وفى الوقت نفسه المحفوظة شعراً بصفة خاصة أو نثراً، في كتابه التاريخ الإسلامى في أول الأمر. غير أن المسلمين لم يقفوا بتواريخهم عند هذه المرحلة، بل تجاوزوها بمراحل متعددة، ودخل التاريخ من بعد عندهم في مجال العلوم، بل اعتبروه - على حد قول السخاوى - من أحسن العلوم واشدها، نذر السخاوى نفسه للدفاع عنه وذب من ذمه، وتبيان أهميته وأبعاده وأهدافه، في كتابه الذائع "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، وافرد له بن خلدون الصفحات الطوال في مقدمته الرائعة.

وتشكل الرواية الشفهية الركيزة الأساسية في الموروث الشعبى الذى يحكى مسيرة الشعوب نفسها، وطموحاتها وآلامها، ونبض الحياة الاجتماعية بكل جوانبها، والحياة الاقتصادية من حيث ممارسة الناس لها وتعايشهم في كنفها، بعيداً عن سيرة الحاكم سلطانه، ومن هذا المنطلق يلتف الموروث الشعبى حول جوهره، ويشكل الاثنان معاً - كما حدث في كثير من الأزمان وعند كثير من الشعوب، الأسطورة وهى التى خرج من رحمها التاريخ منذ البداية. وفى العصور الوسطى بصفة خاصة في الشرق الإسلامى أو الغرب المسيحى على السواء، يجد المؤرخ نفسه مدفوعاً إلى الاعتماد أحياناً على بعض هذه الروايات أو الموروث الشعبى أو الأسطورة، ليكمل بأى منها ما نقص في المصادر أو الوثيقة التاريخية. ومن ثم فليس غريباً القول إن الرواية الشفهية تعد ضرورة أحياناً لتفسير ما غمض أو صعب فهمه في بعض جوانب الوثيقة التاريخية.

الإنسان إلى صناعة الكتابة، بل لقد كان الناس قبل ذلك العهد البعيد يتذكرون قصة الأزمنة القديمة، ويتناقلونها ابناً عن أب على شكل روايات شفوية، وكان الغرض الذي من أجله تتحدر تلك القصة من جيل إلى جيل رواية شفوية، هو من غير نفس الغرض الذي ندري من أجله اليوم التاريخ ونكتبه" وهذا ما أشرنا عليه من قبل في صدر هذا البحث.

وتتسم الروايات الشفهية التي تكون الموروث الشعبي بالتلقائية والبساطة من ناحية، كما أنها تدور حول أمور تتعلق بثقافة المجتمع وتقاليده وعاداته وأخلاقه من ناحية أخرى، ويتم ذلك كله بأسلوب متقل بالخيال والرموز الشعبية التي تخدم الأغراض والغابات الاجتماعية الثقافية للمجتمع، والموروث الشعبي يحمل أفكاراً ثابتة حقاً تمثل المنحى الثقافي للجماعة.

جامعة أكسفورد في العصور الوسطى

د. زينب عبد المجيد عبد القوى*

مصر

فوق المراعى المائية Water-meadows على ضفاف نهر التيمز Thames ونهر أيزيس Isis عند نقطة الالتقاء بنهر شيرويل Cherwell تقع مدينة أكسفورد،^١ على بعد خمسين ميلاً شمال غرب لندن بحذاء المنطقة العليا اليابسة لشبه جزيرة منخفضة بين مجرى نهر شيرويل وأعلى التيمز من ناحية الشرق والغرب ، بينما من جهة الجنوب يؤدي انحدار إلى ممر من المراعى الرخوة التى تؤدي إلى جسر المدينة . وهى المنطقة التى يضيق عندها نهر التيمز قبل أن يتسع مجراه ويصبح عميقاً بعد اتصاله برافده شيرويل ، وهذه المنطقة كانت فى الأصل عبارة عن مخاضة كان رعاها الثيران من الأنجلوسكسون الغربيين يعبرون النهر بقطعانهم عندها ، متجهين إلى الحقول الرخوة الواقعة على حافة المنحدر ، الذى يشكل لساناً أرضياً بين نهر التيمز ورافده شيرويل . نشأت مدينة أكسفورد فوق هذا المكان التى يعنى اسمها "مخاضة الثيران" عند هذه النقطة التى تعتبر ملتقى ثلاثة طرق أحدها قادم من الشمال ، والآخر من الشرق ، والثالث من الغرب . وعلى الرغم من أن نهر التيمز كان الطريق المائى الذى تتصل لندن من خلاله بقلب إنجلترا ، فلم ينشأ على مجراه سوى مدينة أكسفورد.^٢

وفى ضوء الغموض الذى يحيط بالتاريخ الباكر لنشأة مدينة أكسفورد التى لم يرد لها ذكر فى المصادر التاريخية المعاصرة قبل عام ٩١٢م . حيث وردت أول إشارة بأنه فى هذا العام قام الملك الأنجلوسكسونى إدوارد الكبير (٨٩٩-٩٢٤م) أثناء الصراع بين الممالك الأنجلوسكسونية بالاستيلاء على لندن وأكسفورد ، وجميع الأراضى التى أزعنت له بالطاعة

* مدرس تاريخ العصور الوسطى ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق.

^١ تظهر مدينة أكسفورد فى الوثائق الملكية والمصادر المعاصرة لتاريخ إنجلترا فى العصور الوسطى باسم :

Oxoniensis, Oxoniensis, Oxoniam, Oxoniae, Oxineford; Oxeneforda,

ويدل أصل الاسم Oxen فى اللغة الانجليزية الحديثة على معنى الثيران ، وفى ضوء الطبيعة الجغرافية للمكان الذى شهد

ميلاد المدينة فى الحقبة الأنجلوسكسونية على أن هذا الاسم يعنى "مخاضة الثيران" انظر :

Historical letters of the Reign of Henry III, ed. by Shirley in (Rolles Series) London, 1866, Vol. II 1236-1273, pp. 251, 301; Roberti Grosseteste, Epistolae, ed. By Luard in (Rolles Series) London, 1861, p. 346; Stubbs, Select Charters and Other Illustrations of English : From the Earliest times to the Reign of Edward the First (Oxford, Ninth Edition, 1913) pp. 106, 199; The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, ed. By Stubbs in (Rolles Series) London, 1965, vol. I, pp. 35, 76, 332.

^٢ Mallet, History of the University of Oxford, London, 1968, vol. I, pp. 1, 2; Green, "Oxford in the Middle Ages", (ed.) in English Historians Selected Passages, Oxford, 1957, pp. 141-144; A Short History of the English People, London, 1960, Vol. I, p. 124;

ابراهيم الجزيرى ، مظاهر الحضارة فى إنجلترا الأنجلوسكسونية خلال عصر الملك ألفريد العظيم ٨٧١-٨٩٩م . رسالة

دكتوراه غير منشورة ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، عام ٢٠٠١ ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، حاشية رقم (٨٠) .

والولاء^١ . وقبل ذلك التاريخ ووفقاً لتخمين المؤرخ باركر Parker كانت المدينة مجرد مكان حصين في قلعة هيل Castle Hill الأثر الوحيد الباقي من أكسفورد في القرن العاشر^٢ .

وقلما نسمع عن أكسفورد حتى القرن الحادى عشر . بيد أنه بدءاً من هذا القرن غدت المدينة هى المكان المفضل لانتقاد مجلس الواتانجيموت Witenagemot ، أى مجلس الرجال الحكماء، أثناء حقبة الملكية الانجلوسكسونية (٤٥٠-١٠٦٦م) ، ومقراً لإقامة عدد من الملوك الانجلوسكسون مثل ايدموند الحديدى Edmund Ironside الذى لم يحكم سوى بضعة شهور من عام ١٠١٦م ، وكانيت Canute (١٠١٦-١٠٣٥م) . وهاولاد عام ١٠٦٦م .

وغداة الغزو النورمانى لانجلترا عام ١٠٦٦م . ومن منطلق رغبة وليم الفاتح فى إحكام قبضته القوية على انجلترا . قام بتعيين البارون النورمانى روبرت دى أولى Robert d'ailly رئيساً لشركة أكسفورد ، حيث قام بإنشاء القلعة الشهيرة للمدينة عام ١٠٧١م . والتي صممت للأغراض الحربية والكنسية على السواء . حيث قام هذا البارون مع بارون نورمانى آخر يدعى روجرايفرى Roger d'Ivri ببناء كنيسة تعليمية Collegiate Church تكريساً للقديس جورج داخل القلعة عام ١٠٧٤م . ولم يلبث ابن أخيه أن أسس ديراً مهيباً فى أوسنى Oseney بين جزر نهر التيمز عام ١١٢٩م^٣.

فى ضوء ذلك نقول أن المدينة لم تحظ على المستوى الكنسى بأية هيبة تاريخية مثل كاتدرائيتى كانتربرى ويورك . ولم ترق إلى المرتبة الأسقفية التى من الممكن أن تضفى عليها هالة من القداسة والشهرة . وليس بها كنيسة كاتدرائية أو ديراً لأحد كبار القديسين ، باستثناء دير راهبات القديسة فريدازوايد St. Frideswide الذى تم تأسيسه عام ٧٢١م^٤.

علاوة على عدد من الكنائس الأبروشية مثل كنيسة القديس مارتن التى تعد من أوائل الكنائس الأبروشية فى أكسفورد ؛ وكنيستها بالطبع هى كنيسة المدينة، وكنيسة القديسة مالدريد St. Mildred التى أقيمت تكريماً للقديسة من مملكة مرشيا Mercia أثناء الحقبة

^١ Roger Wendover, Flores Historiarum, ed. H.G.Hewlett, in Rolles Series, London, 1886-89, vol. I, p. 237; Rashdall, The Universities of Europe in the Middle Ages, Oxford, 1936, Vol. III, pp. 6, 7.

^٢ Rashdall, op. cit., p. 7.

^٣ Lyte, A History of the University of Oxford: From the Earliest Times to the Year 1530, London, 1886, p. 3; Mallet, op. cit., p. 17; Rashdall, op. cit., p. 7.

^٤ يذكر المؤرخين رشدال وماليت اعتماداً على حوايات دير القديسة فريدازوايد أسطورة فحواها أن فريدازوايد أخته الملك ديدانيوس Didanus الذى حكم عام ٧٢٦م قد لاذت بالفرار من العاشق الذى طاردها ، يقال أنه ملك Leicesler لشرب ، حتى حصن فى غابة بيبينسى Binsey . حيث سألت منها الدماء . واستجابة لصلواتها . تفجر ينبوع من الماء فى هذا المكان ، وأصيب هذا الملك الجائر بالعمى . لتشهد المعجزات على مكانتها السماوية ، وندماً على خطيئة تم تأسيس هذا الدير فوق هذه البقعة . والهدف من رواية هذه الأسطورة كما يذكر رشدال فى حديثه عن الوجود التاريخى لمدينة أكسفورد أن تأسيس هذا الدير يكون بمثابة إشارة باكراً بأن المدينة وجدت بعد ذلك ، انظر :

Rashdall , op.cit., Vol. III, p. 6; Mallet, op. cit., vol. I, p. 17.

الانجلوسكسونية، وكنيسة القديس بطرس في الشرق ، وكنيسة القديسة مريم المجدلية خارج أسوار المدينة؛ ودير كنيسة القديس أوغسطين؛ وكنيسة القديس ميخائيل عند البوابة الشمالية للمدينة، ودير أبجدون الذي امتدت ممتلكاته إلى هينكسي Hinksey ، ويتهام Wytham ، وغابة بيجلي Bagley^١ . وكان رئيس هذا الدير ، الذي يعتبر مؤسسة كبيرة وثرية ، يفرض على أصحاب القوارب في أكسفورد ضريبة مرور تقدر بحوالي مائة من سمك الرنجة عن كل قارب يمر في أيام الصوم الكبير^٢ .

على أية حال ، ففي داخل أروقة المدارس الملحقة بتلك المؤسسات الدينية يمكن أن نميز المراكز الأصلية للتعليم^٣ . ففي أيام القديس بندكت النورسي نفسه St. Benedict of Nursia (ت. سنة ٥٤٣م) صور العالم الأرستقراطي الروماني كاسيودوروس Cassiodorus الأديرة باعتبارها أكثر الأماكن ملائمة للتعليم ، وأنها المراكز الأدبية في المجتمع الجديد^٤ ، وقد تمكنت هذه المؤسسات من جذب العديد من الدارسين الفقراء من جميع أنحاء إنجلترا ، إن المدارس القديمة ليس في إنجلترا فقط ، بل في جميع أنحاء أوروبا كانت ملحقة بالأديرة أو الكاتدرائيات ، ونظراً لعدم وجود دليل مضاد فإن التناظر يرغمنا على حد تعبير المؤرخ الأنجليزي بودريك Brodrick على اعتبار الكنيسة الأم المرضعة للجامعة^٥ .

ففي الوقت الذي قدر لجامعات شمال أوروبا أن تنمو في صلب المدارس المرتبطة بالمؤسسات الدينية سواء أكانت كاتدرائية أو ديرية أو كنسية في ضوء ما اصطلح على تسميته بالمدرسة العامة Studium Generale . والتي تطورت فيما بعد إلى جامعة والتي تمثل المرحلة الأولى من تاريخ نشأة الجامعات^٦ . مع الأخذ في الاعتبار أن لفظ أو مصطلح الجامعة أو الجماعة Universilas لم يستخدم في هذه الفترة الباكرة على الإطلاق . وإنما التعبير الذي شاع استخدامه في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ، وعلى غرار نقابات التجار والصناع ومجالس المدن هو جماعة الدارسين Universitas

^١ Mallet, op. cit., vol. I, p. 18, Lyte, p. 2.

^٢ Mallet, op. cit., p. 17.

^٣ Brodrick, A History of the University of Oxford, London, 1894, p. 2 ; Green, op. cit., p. 125.

^٤ كاستور ، التاريخ الوسيط (ت. قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٧ ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

^٥ Brodrick, op. cit., p. 2; Rashdall, op. cit., p. 9.

^٦ Mallet, op. cit., p. 3; Lyte, p. 4 ; Brodrick, op. cit., p. 2 ; Willson, A History of England (2nd. London, 1972) p. 121;

جوزيف نسيم يوسف ، نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها في النهضة الفكرية بأوروبا في العصر الوسيط ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، قسم التاريخ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٧ .

وفى ضوء استقرار الواقع التاريخي للحياة الأكاديمية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر والأصل التاريخي لكلمة جامعة ، التى كانت تستخدم آنذاك بمعنى الجماعة للدلالة على جماعة الدارسين سواء كانوا أساتذة أو طلاب؛ وليس بمعنى المكان الذى يقيم فيه هؤلاء أو حتى المدارس التى تجمعهم؛ أى ليس ثمة ضرورة أن تكون الجامعة مرتبطة بالمدارس . وفى هذا الصدد يذكر المؤرخ راشدال Rashdall أنه ليس من الضرورى فى الأساس الربط بين المؤسسة التى يشار إليها بكلمة الجامعة ، وتلك التى يشار إليها بمعنى المدرسة العامة لأن جماعات الأساتذة والدارسين قد وجدت بالفعل قبل أن يخرج مصطلح المدرسة العامة إلى حيز الاستخدام^٢ . وتوجد بالفعل أمثلة قليلة تدل على وجود هذه مثل الجماعات أو الهيئات فى المدارس التى لم تصبح مدرسة عامة Studia generalia . وعلى أية حال فقد كانت الجامعة فى الأساس عبارة عن نقابة تعليمية سواء من الأساتذة أو الدارسين، ومثل هذه النقابات خرجت إلى حيز الوجود مثل النقابات الأخرى ، بدون أى تفويض واضح من الملك ، البابا ، الأمير ، أو رجل الدين . فقد جاء ظهورها عفويًا وتلقائيًا مثل الموج الهادر الذى اكتسح مدن أوروبا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر^٣.

وفى ضوء ذلك كان مصطلح الجامعة ينطبق بشكل خاص على جموع الأشخاص الذين يرتادون مراكز الدراسة الكبرى، ويستخدم بالفعل كمرادف لكلمة مدرسة Studium للدلالة على المؤسسة نفسها^٤.

وبالفعل فإن كلمة جامعة فى الفكر الانجليزى فى العصور الوسطى تدل على مؤسسة تعليمية بمعنى المدرسة العامة ، ليس للدلالة على المكان الذى تدرس فيه جميع المواد، ولكن المكان الذى يتلاقى فيه الدارسون من جميع الجهات . وهذا الاستخدام للفظ يبدو أنه انجليزى الأصل ، لأن جامعة أكسفورد قد ذكرت بالفعل بمعنى المدرسة أو المدارس فى كل المراسيم الملكية التى صدرت فى أعوام ١٢٣٨ ، ١٢٤٠ ، ١٢٥٣م . بينما كان المقر الأكبر للتعليم على ضفاف نهر السين حتى عام ١٢٦٣م يسمى فى المصادر المعاصرة باسم جماعة الأساتذة والدارسين^٥ .

^١ Knowles, The Evolution of Medieval Thought, London, 1970, p. 153; Rashdall, op. cit., vol. I, pp. 5, 6; Lyte, op. cit., p. 4, Willson, op. cit., p. 121.

^٢ Lyte, op. cit., p. 5; Rashdall, op. cit., vol. I, pp. 5, 15.

^٣ Lyte, op. cit., p. I; Rashdall, op. cit., p. 15.

^٤ Lyte, op. cit., p. 4.

^٥ Lyte, op. cit., p. 4; Rashdall, op. cit., vol. I, p. 15.

سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج٢ ، النظم والحضارة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ١٧٥ .

وبالرغم من وجود شبه إجماع بين المؤرخين الإنجليز المحدثين على ارتباط أصل مدارس أكسفورد بالكنائس الديرية ، فإن المؤرخ الإنجليزي رشدال Rashdall في ثانياً حديثة عن الأصل التاريخي لجامعة أكسفورد يؤكد بأنه جاء منفرداً ، بمعنى أنها انفردت عن سائر جامعات شمال أوروبا بأنها لم ترتبط في تطورها بأية كنيسة كاتدرائية أو ديرية ، لاسيما وأن المدينة لم يوجد بها كنيسة كاتدرائية كما سبق الإشارة ، ولكن يمكن تبرير وجهة نظر هؤلاء المؤرخين الإنجليز من وجهة نظر المؤرخ رشدال بأن الأساتذة والدارسين في مدارس أكسفورد كانوا تحت إشراف عضو ينتمي إلى المؤسسة الديرية ، على غرار أساتذة باريس الذين كانوا تحت سلطة ما اصطلح على تسميته باسم مستشار كاتدرائية نوتردام Chancellor of Notre Dame وأن المدارس التي تأسست في البداية قد وجدت في المناطق المتاخمة لدير القديسة ماري ، وهي كنيسة أبروشية استخدمت بواسطة الجامعة من أجل اجتماعاتها، مما يعني أن هذه المدارس لم توجد حتى في المناطق المجاورة لدير القديسة فريديزوايد، والذي تأسست المدينة في ظله ، وبمجرد أن استكملت الجامعة تكوينها كان الأساتذة والطلاب تحت سلطة مستشار Cancellarius or Chancellor ، ينتخب رسمياً بواسطة الأساتذة ، بيد أنه يستمد سلطته وصلاحيته من أسقف لنكولن Lincolniensis or Lincoln الذي تتبعه المدينة كنسياً.^١

وفي ضوء الاستقراء التاريخي للتاريخ الباكر لجامعة أكسفورد فإن الباحث يتفق مع وجهة نظر المؤرخ رشدال ، وأكد على أن اصطلاح المدرسة العامة ليس المقصود به اعتبار أن جامعة أكسفورد كانت في الأصل مدرسة ديرية ، ذلك أن المدارس الديرية الكثيرة في أكسفورد ، والتي سبق الإشارة إليها في مقدمة هذه الدراسة ، شأن قرباناتها في شمال غرب أوروبا ، والتي اقتصررت الدراسة فيها على ما يسمى الفنون السبعة الحرة بمجموعتها الثلاثية Trivium وتشمل النحو والبلاغة والمنطق ، والرابعة Quadrivium وتشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى . وكان التعليم داخل أروقة هذه المدارس الديرية منصّباً على الإنجيل واللاهوت ، ولا يستهدف غرضاً إلا إعداد النشئ ليصبحوا من رجال الدين.^٢

وفي محاولة لفض الاشتباك بصدد اعتبار جامعة أكسفورد في الأصل مدرسة ديرية، إنما ينطوي من وجهة نظر الباحث في ضوء هذه الدراسة على خطأ فادح ، لأن ارتباطها بالأديرة إنما جاء من خلال أن الجامعة في تاريخها الباكر لم يكن لها أبنية خاصة بها ، فاستخدمت في إلقاء المحاضرات الغرف والقاعات الملحقة بالكنائس والأديرة ، والتي كانت خاضعة بدورها للإشراف الكنسي لأسقف لنكولن . ومن ثم فإن القول بأن جامعة أكسفورد قد

^١ Rashdall, op. cit., vol. III, pp. 9-11.

^٢ Mallet, op. cit., pp. 5-6.

جوزيف نسيم يوسف ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، كانتور ، المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٨٧ .

خرجت من عباءة المدرسة العامة الملحقة بالأديرة أو الكنيسة ، ينبغي تفسيره وفهمه في ضوء هذه الخلف.

ونتساءل هنا لماذا اتخذت أكسفورد من بين جميع المدن والأماكن في المملكة لتقام بها أول وأعرق جامعة قومية ؟

لا مرء أن مدارس أكسفورد المبكرة ، والتي تتوارى خلف ضباب كثيف من الغموض ، إنما تدين بشهرتها إلى الموقع الاستراتيجي للمدينة على ضفاف نهر التيمز ، وعلى الحدود بين مقاطعتي وسكس Wessex ومرشيا Mercia ، وبفضل هذا الموقع غدت أكسفورد ، أثناء فترة الصراع بين الممالك الانجلوسكسونية ، مدينة رئيسية يتبارى للاستيلاء عليها ملوك مقاطعتي وسكس ومرشيا ، اللتين كانتا أكبر مقاطعات الشطر الجنوبي من المملكة، حيث النصف الأكثر أهمية وحضارة في المملكة^١؛ كما يمكن الوصول إليها بسهولة من لندن . وبالتالي يكون موقعها ملائماً كمدينة جنوبية للدارسين القادمين من أقصى الشمال والغرب ، إن الأهمية الاستراتيجية الناتجة عن هذا الموقع هي التي أدت في عهد وليم الفاتح إلى بناء برج القلعة ، في الغرب من المدينة ، والتي تعد واحدة من أفخم وأروع القلاع الانجليزية؛ علاوة على إقامة الأزل داخل قلعتها، والزيارات المتكررة للملوك الانجليز في القرن الثاني عشر ، فقد قام هنري الأول (١١٠٠-١١٣٥م) آخر ملوك الحقبة النورمانية ببناء قصر بالقرب من ضفة نهر التيمز عند بيمونت Beaumont ، الأمر الذي يعكس إيثار السلطة الملكية لهذه المدينة، التي تبوأ مكانتها كواحدة من المراكز الرئيسية للحياة السياسية في جنوب إنجلترا، حيث أمست المكان الملائم لاجتماعات المجلس الكبير الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بالبرلمان، وأيضاً المجامع الكنسية ، وإضافة لهذا الثقل السياسي للمدينة ، فإن الزيادة المطردة في الأهمية التجارية للمدينة ، وانفرادها بوجود تجمع لعدد من أكثر اليهود الانجليز ثراء في قلب المدينة، مما يشير إلى ازدهار تجارتها^٢ . وفي هذا الصدد كان برجوازية المدينة فخورين لمتعهم بحرية مماثلة لتلك التي حظيت بها مدينة لندن^٣ . وأخيراً تعتبر أكسفورد أفضل مدينة تعطي مثلاً للتغير الذي طرأ على أرضها على أيدي النورمان ، حيث شهدت المدينة طفرة هائلة في العمل الصناعي والتجاري ، وعالم المال والثروة .

^١ Rashdall, op. cit., p. 7; Mallet, op. cit., p. 15; Green, op. cit., p. 124.

^٢ Rashdall, op. cit., p. 8; Mallet, op. cit., p. 16; Green, op. cit., p. 124-125.

^٣ يقصد بذلك العهد أو الامتياز الذي ظفرت به أكسفورد في عهد الملك هنري الثاني (١١٥٤-١١٨٩م) . والذي تضمن منح مواطني أكسفورد حرية التجارة بجميع اعفائها والرسوم المألوفة على الحقول والغابات والمراعي والممتلكات الأخرى . واعفاءهم من المكوس الجمركية في جميع أنحاء إنجلترا ولورماندي ، في البر والبحر ، وعدم مقاضاة أحد ممن بقاضهم خارج مدينة أكسفورد ، لمزيد من التفاصيل عن هذا العهد انظر :

Charter of Henry II to Oxford A.D., 1155-1162, Stubbs (ed.) op. cit., pp. 198-199.

وفى ضوء هذه المقومات فإن العقل لا يقبل فكرة أن تقام أولى الجامعات الانجليزية وأكثرها أهمية فى أى مكان آخر غير مدينة أكسفورد التى يحق لها أن تشعر بالرضا والزهو لهذا المركز الأكاديمى الذى جاء مطابقاً وموقعها الملائم^١ ، الذى هياً لها أن تكون واحدة من أكثر المدن ملائمة لإيواء وإطعام الآلاف من الغرباء واحتضان تلك الجموع الهائلة من الدارسين.^٢

إن الجامعات الباكورة فى أوروبا لم تكن تنتمى إلى مؤسسين أشخاص ، ولا تواريخ مؤكدة لتأسيسها ، وحيث يقيم الأساتذة المشهورون يكون الارتحال إليهم من المناطق الموحشة والنائية وسط المخاطر اليومية للحياة فى العصور الوسطى. وتهفوا إليهم عقول وأفئدة الدارسين الذين يرتادون أماكنهم بحماس هائل وأعداد كبيرة ، وبالتالي ظهور ما اصطلح على تسميته "المدرسة العامة" حيث يجتمع الدارسون من جميع الجهات.^٣

ومن المؤكد وجود مدارس فى أكسفورد أثناء حكم الملك هنرى الأول ، إذ يستدل من الرسائل الخمسة Epistolae لثيوبالدستامبس Theobaldus Stampensis ، وتحديداً رسالتيه الموجهتين إلى كل من فاريتوس Pharitus رئيس دير أبندون Habendonensis or Abinagdon فى انجلترا (١١٠١-١١١٧م)، وروسيلينوس Roscellinus أحد رجال الدين فى انجلترا، الذى اضطر للفرار منها تحت وطأة معارضة من رجال اللاهوت ، يذكر

Rashdall, op. cit., p. 9.

Rashdall, op. cit., p. 8.

Mallet, op. cit., p. 2.

^٤ أولى هذه الرسائل المنسوبة إلى ثيوبالد كانت موجهة إلى أسقف لنكون ، وتتضمن تقنين لاهوتى لاذع لهؤلاء الذين يشكون فى الكتب المقدسة . والثانية إلى فاريتوس رئيس دير أبندون فى انجلترا بعنوان "الأطفال غير المعمدين لا يمكن أن يسألوا للسعادة الأبدية" إذ يقول فيها " ... الأطفال غير المعمدين هم بلا شك من الهالكين ، أما المعمدون فإذا انتقلوا على الفور ، فهم بالتاكيد من الخالسين . فإذا ما أراد أعداء الحقيقة أن ينجحوا ضد هذا الرأى للكاتوليكي ، فأنا على استعداد لانتقادهم كتابة وشفهياً كخطاة آثمين وكلاب لنيمة .." أما الرسالة الثانية التى يذكر نفسه فيها كأستاذ فى جاين بفرنسا فقد كتبها إلى مرجريت ملكة اسكتلندا التى توفيت عام ١٠٩٣م . مجدداً فيها سخائها إذ يقول : " .. إذا ما بدرت مقصراً فى تسجيل مديحي لكى ، فلا ترجعين ذلك قط إلى جفائي وكسلى ، لأنه لو تحولت جميع أعضائى إلى أسنة ، ما استطاعت إزاء كل ما لديك من أمور تستحق الإفادة أن توفيها حقها من المديح .." ويختتم رسالته بأن يكون له شرف الانضمام إلى كهنتها ، وأن يكون لها بمثابة ملاك المشورة لكى تتفقه الأمور القويمة" والرسالة الرابعة إلى صديقه فيليب Philipp معزياً إياه لما يلقاه من إهانات قائلاً : " .. قال أحد الحكماء أفضل أن يعتبرنى الناس كئيباً لنائب يسير أقتربه علناً ، على أن يعتبرونى باراً ، مع ذنب جسيم أقتربه أمام الله .." وفى هذه الرسالة يقدم نفسه باحترابه أستاذ فى جاين . أما الرسالة الخامسة والأخيرة عبارة عن تقنين لادعاءات روسليوس ويلومه بشدة لقوله أن أبناء الكهنة الذين جامعوا نتيجة خطيئة الجسد غير صالحين للكهنة . إذ يقول فى رسالته : " .. إذا كنا مولودين من أب واحد ، ومن أحشاء كنيسة مقدسة واحدة " ، لا مكان لكل الاتهامات ، ولا داعى لتكبر هذا على ذاك .. إن الرب مخلصنا ، إنما تجسد فى صورة البشر وخدم الحر والعبد ، ليقدم المكافأة الساموية بتساوى المجد والكرامة لجميع الذين يؤمنون به .." ، لمزيد من التفاصيل انظر النص الكامل لهذه الرسائل الخمسة فى :

Theobaldus Stampensis, Epistolae, in Patrologia Latina, (ed.) Migne, Paris, 1854, Tome, CLXIII, pp. 759-770.

أنه كان استاذ في أكسفورد "Magister Oxenefordiae"؛ في حين يذكر نفسه في رسالتين آخرتين بأنه كان استاذ في جاين Gadumensis or Gaen¹. ويستدل من مضمون رسائله بأنه رجل لاهوت شهير وليس راهباً ، وأنه فرنسي أو نورماني ، وقام بالتدريس في أكسفورد في فترة ما قبل عام ١١١٧م ، تحت رعاية قساوسة دير القديسة فريدزاويد ، لعدد يتراوح بين ستين أو مائة دارس تقريباً ، ويعتبر بالفعل أول الأساتذة الذين وردت أسمائهم في السجلات الباكراة لمدارس أكسفورد.²

ولم تلبث مدارس أكسفورد عام ١١٣٣م أن اجتذبت عالم لاهوت شهير من أساتذة باريس يدعى روبرت بوللوس أو بوللين Robert Pullus or pullen ، حيث مكث في أكسفورد زهاء خمس سنوات محاضراً في الكتاب المقدس؛ وجلس جون السالزبوري John of Salisbury أمامه كدارس.³

وبعد سنوات قليلة من رحيل روبرت بوللين ، جاء إلى إنجلترا عالم القانون اللمباردي الشهير فاكاريوس Vacarius⁴ . ووفقاً لرواية كل من جيرفاس راهب كاتدرائية كانتر بري Gervasii Cantuariensis ، وروبرت تورين Roberti de Torugnon ،

Loc. cit.

Rashdall, op. cit., pp. 17, 18; Mallet, op. cit., pp. 20, 20

² كان روبرت بوللين إنجليزياً من مقاطعة استر Exter ، من نتاج المدارس الفرنسية ، ومؤلف لكتاب ثمانية كتب في الأحكام Sententiarum Libre Octis . وعرض عليه هنري بوكليرك Henry Beaucherc أحد رجال بلاط هنري الثاني ، الذي كان تواقاً لخدمة هذا العالم المبجل ، وظيفة الأسقف ، بيد أنه "اكتفاء بالطعام والملبس" لم يبد قبولاً لأية وظيفة عليا أكثر من وظيفة رئيس شماسة روشيستر Rochester ، وبعد فترة من عودته إلى باريس توجه إلى روما ، حيث تم تعيينه عام ١١٥٤ مستشاراً للبلاط البابوي ، لمزيد من التفاصيل انظر :

Lyte, op. cit., p. 10; Bordrick, op. cit., p. 5; Mallet, op. cit., p. 21; Rashdall, op. cit., p. 18.

⁴ ولد فاكاريوس الذي يعنى اسمه "راعى البقر" عام ١١١٥ أو ١١٢٠م ، في إقليم لمبارديا . درس القانون في مدرسة بافيا Pavea التى تأسست لدراسة القانون عام ١١٢٠م . ومن المؤكد أنه جاء إلى إنجلترا قبل عام ١١٤٩م ببضعة سنوات تلبية لرغبة ثيوبالد رئيس أساقفة كانتربري ، لمساندته في تسوية نزاعه مع هنري بلوا Henry of Blois أسقف وينشستر ، الذى كان يرغب فى استرداد وظيفة ممثل البابوية فى إنجلترا ، بيد أن المؤرخ ليبرمان Liebrmann يحض ما ذكره جيرفاس فى روايته بأن فاكاريوس جاء إلى إنجلترا كمحامى للتقاضى والبت بين اثنين من رجال الكنيسة هما هنري ورئيس الأساقفة حيث كان الاثنان من وجهة نظر ليبرمان بحاجة إلى سلاح القانون الكنسى فقط . الذى كان يدرس على يد رجال الدين الانجلو نورمان قبل مجئ فاكاريوس بوقت طويل . وعاش فاكاريوس فترة من الوقت فى مدينة كانتربري ، حيث للمدارس مزدهرة ، وحيث اعتاد رجال القانون الإيطاليين أمثال فاكاريوس مساعدة الأساقفة فى مراسلاتهم للبلاط البابوي فى الدعاوى القانونية . وقد تملك الذعر الشديد الملك ستيفن الذى لم يستطع أن يتجاهل التقدم السريع فى مجال دراسة علم ينذر بتهديد الأسس الإقطاعية للملكية الانجلونورمانية ومن ثم يجب تفسير السياسة العدائية للملك ستيفن تجاه فاكاريوس فى ضوء الغريزة السياسية للملكية الانجليزية . وليس من مطلق الكراهية الشخصية لفاكاريوس ، لذا فقد طالبه الملك بالامتناع كلية عن إلقاء محاضراته ، كما صدر مرسوماً ملكياً يمنع الانجليز من امتلاك أية كتب عن القانون الأجنبى ، وتم إحراق عدد كبير من المخطوطات ، ولم تفلح هذه السياسة القمعية ورغم أنه لم يرتق أية وظيفة كنسية مهمة ، فقد حظى فى أخريات أيامه باحترام البابا ، ففى عام ١١٩٨ فرضه البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) للدعوة لحملة صليبية فى مقاطعة بورك بإنجلترا ، لمزيد من التفاصيل انظر :

Liebrmann, "Magister Vacarius" in E.H.R. April, 1896, pp. 305-314.

الذين عاشوا حياة هذا العالم القادم من جامعة بولونيا بإيطاليا، فقد قام بالتدريس في أكسفورد معلماً للقانون المدني ، تحت رعاية ثيوبالد Theobald رئيس أساقفة كانتربري عام ١١٤٩م، أثناء حكم الملك ستيفن (١١٣٥-١١٤٥م)^١ . ويعتبر بدون منازع أول معلم للقانون المدني في إنجلترا . لذا ليس ثمة غرابة أن يرتاده أعداد كبيرة من الدارسين في أكسفورد ، واستجابة للدارسين الفقراء قام بعمل ملخص دقيق في تسعة كتب عرف باسم "كتاب الفقراء" Liber Pauperum، عبارة عن موجز لمجموعة القانون المدني للإمبراطور جستنيان ، احتل مكانة بارزة في المواد الدراسية وحظى بالشعبية بعد تصنيفه ضمن الكتب المدرسية في أكسفورد في نهاية القرن الثاني عشر.^٢

ومن الجدير بالذكر أنه بدون تشجيع التاج والكنيسة على السواء ما كان من الممكن أن تحقق مدارس أكسفورد الشهرة التي حظيت بها قبل نهاية القرن الثاني عشر.^٣ لاسيما بعد أن شهدت أروقتها قيام واحد من أبرز العلماء البولونيين - فاكاريوس - بالتدريس منذ أربعينيات هذا القرن ، وأن كثيرين مما عملوا في الجهاز الإداري الملكي ، في الشطر الأخير من عهد هنري الأول تلقوا تعليمهم في فرنسا وإيطاليا ، ويذكر في هذا الصدد أن الملك هنري الأول أجر لمدارس أكسفورد مزرعة المدينة مقابل إيجار سنوي قدره ثلاثة وستون جنيهاً ، وتآلق مدارس أكسفورد بعد إنشاء دير أوسني Oseney عام ١١٢٩م ، وضم كنيسة القديس جورج التعليمية إلى داخل القلعة واستخدامها في إيواء الدارسين الشبان ، مما ساهم في زيادة عدد طلبة أكسفورد^٤ .

وفي عهد هنري الثاني (١١٥٤-١١٨٩م) ووفقاً لما تذكر المصادر المعاصرة ، فقد بدا قصره وكان هناك مدرسة كل يوم ، واقتداء بخطى أبيه جيوفرى بلانتجن كونت انجو Anjou جمع حوله أبرز المؤرخين ودارسي القانون ورجال الكنيسة من أشهر الرجال المتعلمين في عصره ، مثل جون السالزبوري ، وارتقاء أحد تلاميذ دير القديس البانس St. Albans نيقولاس برسكبير الكرسي الرسولي في روما تحت اسم البابا أدريان الرابع

^١ Gervasii Cantuariensis, Actus Pontificum, ed. By William Stubbs, in the Hist, Wrks of Gervase of Canterbury, vol. II (Rolles Series) 1965, pp. 384, 385; Chronica Roberti de Torigneio, ed. by Richard Howlett, in the Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II and Richard I, vol. IV (Rolles Series) London, 1964, pp. 158-159; Rashdall, op. cit., p. 19; Lyte, op. cit., p. 10; Mallet, op. cit., p. 21, Bordricke, op. cit., p. 4; Davis, England Under the Normans and Angevins, 1066-1270, London, 1930, pp. 191, 192; Green, op. cit., p. 124.
^٢ Chronica Roberti de Torigneio, p. 159; Liebrmann, op. cit., p. 309; Davis, op. cit., p. 192, Rashdall, op. cit., p. 21; Lyte, op. cit., p. 10; Mallet, op. cit., p. 21.
^٣ Bordrick, op. cit., p. 6.
^٤ Loc. cit;

Adrian IV (1154-1159م) . وكانت تلك هي المرة الوحيدة في التاريخ التي أدار فيها الشئون البابوية رجلاً إنجليزياً.^١

وغدا مقر رئيس أساقفة كانتربري بمثابة مركز أدبي وعلمي زائع الصيت ، استحق أن يُنعت باسم "معسكر الرب وبوابة السماء". وأطلق على إنجلترا في عهد هنري الثاني "فردوس الدارسين" دليلاً وبرهاناً على وجود نشاط تعليمي حقيقي علاوة على ذلك فقد ساهم التواجد الدائم للملك في أكسفورد في زيادة أهمية المدينة.^٢

وفي هذا التوهج العلمي وفي ثنايا النزاع بين هنري الثاني وتوماس بيكيت رئيس أساقفة كاتدرائية كانتربري على مدى الفترة من ١١٦٤-١١٧٢ . والذي اضطّر في أثناءه رئيس الأساقفة للإقامة في أحد الأديرة التابعة لطائفة السيسترشيان في بونتجني Pontigny بفرنسا . وأيضاً النزاع السياسي بين هنري الثاني والملك الفرنسي لويس السابع . فإن تاريخ جامعة أكسفورد يجب أن يؤرخ من عهد هنري الثاني^٣ ، فمن بين سلسلة المراسيم التي أصدرها الملك الإنجليزي ضد توماس بيكيت وأتباعه ، المرسوم الذي تضمن فقرة تنص على "من الآن فصاعداً لا يسمح لأي شخص بالعبور من إنجلترا إلى القارة ، أو من القارة إلى إنجلترا ، بدون إذن صريح من التاج ، ومن يخالف ذلك يقبض عليه ويسجن ، واستدعاء جميع رجال الدين الذين يمتلكون إيرادات في إنجلترا ، من خلال حكام المقاطعات ، للعودة في غضون ثلاثة أشهر ، إذا كانوا حريصين على أملاكهم وإيراداتهم ، وإذا لم يحضروا في الوقت المحدد توضع أموالهم وممتلكاتهم في قبضة الملك^٤ ، وقد أسفر ذلك عن عودة عدد كبير من الأساتذة والدارسين معظمهم من رجال الدين إلى إنجلترا إذعائاً للأمر الملكي عام ١١٦٧م، حيث أصبح من المتعذر على الدارسين الإنجليز الاستمرار في دراستهم بفرنسا^٥ .

ويوجد شبه اجماع بين المؤرخين الإنجليز المحدثين على أن تاريخ ميلاد جامعة أكسفورد باعتبارها "مدرسة عامة" يبدأ بهذه العودة الاضطرارية التي حدثت عام ١١٦٧ نتيجة للنزاع الكنسي والسياسي آنذاك . بيد أن الباحث يضيف إلى ذلك أن جامعة أكسفورد إنما تدين

Mallet, op. cit., p. 19;

كانثور ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

Mallet, op. cit., p. 19.

Rashdall, op. cit., p. 23; Mallet, op. cit., p. 22.

^٤ من الجدير بالذكر أن الفقرة الخاصة بعودة الدارسين ورجال الدين من فرنسا ، عبارة عن دمج للبند الثاني والثامن من هذا المرسوم الملكي الذي يتضمن عشرة بنود . انظر النص اللاتيني لهذا المرسوم في :

Willelmo Cantuariensi, Vita S. Thome, in, Materials for the History of Thomas Becket, vol. I, (ed.) Robertson, (Rolles Series), London, 1965, pp. 53-55;

ولمزيد من التفاصيل عن النزاع بين هنري الثاني وتوماس بيكيت انظر :

Knowles, Thomas Becket, Stanford, 1970, pp. 1-183.

Rashdall, op. cit., p. 24;

سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

بنشأتها بل ووجدوها أيضاً إلى المدارس القديمة الملحقة بالأديرة أكثر من هذه الهجرة المفاجئة التي حدثت بعد مرسوم الملك هنري الثاني مع الأخذ في الاعتبار أن أصل جامعة أكسفورد كمدرسة عامة ملحقة بالأديرة لا يعنى أبداً كونها مدرسة ديرية كما سبق ذكره .

على أية حال ، فقد تطلع هؤلاء الأساتذة والدارسين العائدين للبحث عن مركز جديد للتعليم ، وتنظيم مقاعدهم في مكان آخر ، ووجدوا في أكسفورد المرفأ الملائم ، ومن ذلك الحين فصاعداً كثرت الأدلة والإشارات التاريخية بأن أكسفورد قد أصبحت بالفعل مكاناً للدراسة أي مدرسة عامة في ضوء اصطلاح العصر ، تذخر بالأساتذة والدارسين والتخصصات من جميع الجهات ، وأحد مراكز التعليم الكبرى في السنوات الأخيرة من حكم هنري الثاني راعى الحركة الفكرية في إنجلترا آنذاك^١ .

إن أول إشارة عن مدارس أكسفورد بعد عام ١١٦٧ إنما وجدت في ثنايا الوصف الشيق الذي تم سرده من قبل الرحالة والمؤرخ الويلزي جيرالد باري Gerald de Barri ، الذي اشتهر بالاسم اللاتيني جيرالد كامبرنسيس Geraldus Cambrensis والذي يتحدث عن زيارته لأكسفورد عام ١١٨٦^٢ . عندما قرأ كتابه الرصين "طبوغرافية أيرلندا" أمام الأساتذة والدارسين المجتمعين في أكسفورد على مدى ثلاثة أيام ، ووفقاً لراويته حيث يتحدث عن نفسه بضمير الغائب قائلاً : "عندما حان الوقت ، وتم انجاز العمل ، لم يرغب في إخفاء علمه ومعرفته ، ويأبى أن يخفى شبعته تحت غطاء ، بل يود أن يضعها في شمعدان ليشتع ضوئها على الجميع ، لذا قرر قراءة كتابه علناً أمام جمع ضخم في أكسفورد ، حيث يوجد بها أشهر رجال الاكليروس الإنجليز علماً ، وأمام هذا الحشد الكبير قسم عمله إلى ثلاثة أقسام ، كل قسم استغرق يوماً ، واستغرقت القراءة ثلاثة أيام متتالية ، ففي اليوم الأول استقبل في مقر إقامته الطلبة الفقراء من المدينة؛ وفي اليوم الثاني جميع الأساتذة والبارزين من تلاميذهم في التخصصات Faculties المختلفة؛ وفي اليوم الثالث باقى الدارسين ، بالإضافة إلى الكثير من

^١ Mallet, op. cit., p. 23.

^٢ ولد جيرالد في ويلز عام ١١٤٧ ، ورحل إلى باريس للدراسة ، ثم أصبح محاضراً مشهوراً في المجموعة الثلاثية Trivium من الفنون السبعة الحرة ، وفي ضوء روايته عن نميزه كما ذكر في حواشيه ، أنه عندما كان أساتذة الآداب يرغبون في اختيار نموذج للدارسين الممتازين ، كان الاختيار يقع عليه . وعندما عاد إلى موطنه الأصلي إنجلترا ، أرتقى ملصب رئيس شماسة بريسون Brecon . بيد أنه لم يتمكن من ارتقاء ملصب أسقف كنيسة القديس ديفيد ، ولم يترك مدارس باريس إلا بعد أن أتم دراسته في القانون الكنسي واللاهوت ، وفي عام ١١٨٤م تم تعيينه واحداً من قساوسة لملك هنري الثاني ، وبعدئذ أرسله الملك مرافقاً لابنه الأمير جون إلى أيرلندا ، وأسفرت هذه الرحلة عن كتابة اثنين من أهم أعماله هما وصف طبوغرافية أيرلندا ، والفتح الإنجليزي لجزيرة أيرلندا . لمزيد من التفاصيل انظر :

Giraldus Cambrensis, Opera, (ed.) Brewer, vol. I, (Rolles Series) London, 1861, pp. 72-73; Rashdall, op. cit., p. 25; Lyte, op. cit., pp. 12, 13; Bordrick, op. cit., p. 6; Mallet, op. cit., p. 23.

الفرسان وسكان المدينة . وكان هذا عملاً نفيساً ونبيلاً ، يحتاج إلى شعراء العالم القديم لتمجيده وتخليده ، حيث لم يحدث ذلك من قبل في إنجلترا^١ .

لا مرء أن هذا الوصف إنما يزيح النقاب عن تأكيد راسخ لوجود مؤسسة علمية أكبر من مجرد مدرسة عادية سواء كانت كاتدرائية أو ديرية . وفي ثنايا هذا الوصف تتراءى أيضاً السمات المميزة للمؤسسة العلمية من خلال المدرسة العامة Studium generale . وهو الاصطلاح الذي أطلق في العصور الوسطى وفي إنجلترا تحديداً على ما نعرفه اليوم باسم الجامعة . والتي يتطلب قيامها اجتماع الأساتذة والدارسين في العديد من التخصصات في مكان ما . وهذا ينطبق على هؤلاء المستمعين لقراءة جيرالد^٢ . علاوة على ذلك ووفقاً لراوية المؤرخ رشدال أنه من بين الأشخاص الذين تم شفانهم بزيارة القديس توماس بيكييت ، شخص يدعى روبرت ، والذي تولى رئاسة دير القديسة فرايدزوايد في أكسفورد عام ١١٤١م. حيث سمح له بمقعد للوعظ في حضور الدارسين من مختلف أنحاء إنجلترا . وكان أول من سمح له باستخدام مقعد عندما يقوم بالوعظ^٣ .

وختاماً لهذا السيل المتدفق من الأدلة التاريخية التي تعكس اجماع المؤرخين المحدثين بأن البداية الحقيقية لظهور مؤسسة علمية في أكسفورد ، إنما يرجع إلى الأحداث التي أسفرت عن الرحيل الجماعي للدارسين الإنجليز في باريس بمقتضى المرسوم الملكي عام ١١٦٨م، وبالتالي الحرمان من حرية المرور إلى مركز كبير للتعليم الأوروبي . فمن الطبيعي أن تتذبذب أعداد الزائرين إلى مدارس أكسفورد وتتأرجح مع كل تغيير يطرأ على العلاقات السياسية بين فرنسا وإنجلترا، لاسيما في الفترة من ١١٧٥-١١٨٥م؛ حيث شهدت هذه الفترة سلسلة متتالية من المنازعات بين المملكتين^٤ . ولعل أبرز مثال على ذلك ما حدث للمؤرخ والرحالة جيرالد ويلز ، الذي منع نتيجة لهذا النزاع من الذهاب إلى باريس لدراسة اللاهوت عام ١١٩٢م^٥ .

^١ Giraldus Cambrensis, op. cit., p. 73; Lyte, op. cit., pp. 13-14, B ordricke, op. cit., pp. 6,7; Mallet, op. cit., p. 24;

كان كتاب "طبوغرافية أيرلندا" بمثابة تجربة جديدة وفريدة ، بيد أنه لم يحظ بالقبول من جانب معاصريه ، من مطلق كيف يتسلى لرئيس شماسه أن يبدد وقته في تسجيل حياة الأيرلنديين المتصلبين في الرأي ، ووصف للمناظر الطبيعية وجمع Lyte, op. cit., p. 13. التراث لبلد بربرى خام ، وأن ذلك مضبوطة للوقت لا تليق برئيس الشماسه ، انظر :

Lyte, op. cit., p. 13.

Rashdall, op. cit., p. 25.

Ibid, p. 28, Knowles, Thomas Becket, p. 23.

Rashdall, op. cit., p. 30;

ولمزيد من التفاصيل عن النزاع والعلاقات السياسية بين إنجلترا وفرنسا في عهد هنري الثاني انظر :

زينب عبد المجيد ، الانجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١ ، حين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

Giraldus Cambrensis, op. cit., Tome, I, p. 93.

على أية حال ، بدأت مدارس أكسفورد التي أصبحت تذر بالتخصصات والأساتذة والدارسين من جميع الجهات تحظى باهتمام السلطة الملكية ، وفي العامين السابع والثامن من عهد الملك ريتشارد الأول (١١٨٩-١١٩٩م) تميّط السجلات الملكية للثام عن الأموال التي كانت تمنح لإعالة الدارسين في مدارس أكسفورد من المنح والهيئات الملكية . فقد منح ريتشارد الذي ولد في قصر بيمونت Beaumont بأكسفورد مكافأة مالية أسبوعية تقدر بنصف مارك لدعم دارس في أكسفورد من هنغاريا Hungary (المجر) يدعى نيقولاس Nicholas . وقد يبدو غريباً للوهلة الأولى أن أول دارس حفظت السجلات اسمه كان أجنبياً . بيد أنه يجب تفسير ذلك في ضوء حقيقة أن جامعات العصور الوسطى بصفة عامة كانت تنقسم بطابع عالمي وليس قومي^١ . ويشير المؤرخ ريتشارد ديفز Richard of Devizes في حوليته عن الملك ريتشارد الأول لكثرة أعداد الدارسين في أكسفورد ، وأن المدينة كانت تستطيع بالكاد إطعامهم^٢ . وفي عام ١١٩٧ استضاف سامسون Samson رئيس القديس إدموند St. Edmund في بيوري^٣ ، عدداً كبيراً من أساتذة أكسفورد عند زيارتهم للمدينة . وفي هذا العام أيضاً قام توماس ماربرج Thomas de Morleberge رئيس دير إيفهام Evesham بتعليم القانون الكنسي والمدني في أكسفورد^٤ . ويؤكد الكسندر نيكام Alexander Neckam الذي كتب عام ١٢٠٠م تقارب واتصال مدارس أكسفورد بكل من سالرنو Salerno وبولونيا بإيطاليا، ومونبلييه Montpellier وباريس، وأدرك نتيجة لذلك أن نبوءة مرلين Merlin "بازدهار الحكمة والمعرفة في أكسفورد" قد تحققت الآن^٥ .

^١ يؤكد الطابع العالمي لجامعات العصور الوسطى المرسوم الهام الذي أصدره الإمبراطور الألماني فريدريك بربروسا (١١٥٢-١١٩٠م) في مجمع رونكاجليا Diet of Roncaglia عام ١١٥٨م . والذي نص صراحة على الإدارة الأمية ، وحماية الدارسين الأجانب الذين ينتقلون أو يسافرون عبر أراضيه ، انظر :

Lyte, op. cit., p. 14; Mallet, op. cit., p. 14.

^٢ Richard of Devizes, De Rebus Gestis Richari Primi, in the Chronicles of Stephen, Henry II, and Richard I, vol., III, p. 437.

^٣ بعد دير القديس إدموند واحداً من أعظم الأديرة في إنجلترا في العصور الوسطى ، ويستدل من مقدمة الحولية الخاصة بهذا الدير ، والتي كتبت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر . أن الملك كانوت Canute (١٠١٣-١٠٣٦م) قام بتأسيسه تخلصاً لذكرى القديس إدموند ملك شرق إنجلترا Anglia ، الذي قتل أثناء محاربة الدانين في العشرين من نوفمبر عام ٨٧٠م . انظر تفاصيل ذلك في :

The Chronicle of Bury St. Edmunds, pp. 1212-1310, (ed.) by Antonia Granseden, London, 1964, p. XI; Rashdall, op. cit., p. 32.

Loc. Cit.

^٥ يحتل الكسندر نيكام مكانة بارزة في التاريخ الفكري لانجلترا في نهاية القرن الثاني عشر ، وأمضى سنوات كثيرة مدرساً في أكسفورد ، وفس في دير جيرنيسستر Girencester . ووفقاً لما ورد في حوليته فقد ولد في نفس الليلة التي شهدت ميلاد ريتشارد الأول ملك إنجلترا ، في الثالث عشر من سبتمبر عام ١١٥٧م وأمضى فترة حداثة وتلقى تعليمه الباكر في دير القديس الباس St. Albans . وأمضى بعدئذ سنوات عديدة للدراسة في باريس . وباعتباره من قسوسة دير القديس أغسطس في جيرنيسستر فقد خدم كل من الملك والبابا ، ففي الثلاثين من أغسطس عام ١٢١٣ وأثناء وقوع المملكة تحت طائلة عقوبة اللعنة الكنسية ، أمره الملك جون (١١٩٩-١٢١٦م) بمرافقة جون هاستنجز John Hastings رئيس شرطة

لا مرء أن جامعة أكسفورد في أقدم مراحلها تدين بالكثير لجامعة باريس ، التي لم تستخذ صفتها الرسمية كجامعة إلا في أوائل القرن الثالث عشر تحديداً عام ١٢٠٠م . ففي ضوء الروابط التي كانت تربط بين إنجلترا وفرنسا من خلال الممتلكات الإنجليزية في فرنسا ممثلة في دوقيات نورماندى ، بريتانى Brittany ، أكويتين Aquitaine ، وكونتيات مين Maine ، أنجو Anjou ، لو مارش Le March وبواتو Poitou . وعلاوة على السيادة الفكرية لباريس في أوروبا الغربية ، كان يتوجه إليها أكثر الشباب الإنجليز طموحاً في القرن الثاني عشر مثل جون السالزبورى ، توماس بيكيت ، ستيفن لانجتون ، روبرت جروستيت ، روجر بيكون وغيرهم . وكان حتماً مقضياً أن يجلبوا معهم عند عودتهم إلى وطنهم أفكاراً مستمدة من تجربتهم في باريس، والتي غدت نموذجاً للتنظيم الأكاديمي في أكسفورد . لذا فن الطبيعي أن تكون الكثير من النظم واللوائح الداخلية لجامعة أكسفورد مستقاة من ذلك المصدر . فعلى غرار نظام الأروقة الأربعة في جامعة باريس في ضوء تقسيم الطلبة إلى مجموعات أربعة تمثل البلاد التي ينتمون إليها، وهى رواق الفرنسيين ، رواق الشماليين ، رواق البيكارديين (الشمال والشمال الشرقي من فرنسا وهولندا) ورواق الإنجليز، تحول إلى رواق للدارسين الألمان ، بعد انقطاع العلاقات السياسية والثقافية بين إنجلترا وفرنسا غداة حرب المائة عام (١٣٣٧-١٤٥٣م)، قامت جامعة أو بمعنى أدق مدارس أكسفورد على أساس نظام الأروقة الأربعة . بيد أن هذا التقسيم جاء قصير الأجل وسرعان ما اقتصر التقسيم على أساس أبناء الشمال Northermeris الذى يضم الدارسين القادمين من اسكتلندا . أما أبناء الجنوب Southermers فهم الطلاب القادمون من ويلز وأيرلندا^١ .

كل رواق من هؤلاء أى رواق أبناء الشمال ورواق أبناء الجنوب يقوم باختيار مراقب Proctor . بيد أن هذين المراقبين كان يتم اختيارهما من بين الأساتذة وتحديداً أساتذة الآداب وليس الدارسين . وهؤلاء المراقبين ورد ذكرهم لأول مرة عام ١٢٤٨م عند مثولهم أمام الملك هنرى الثالث (١٢١٦-١٢٧١م) لتقديم شكاوى الجامعة ضد انتهاكات اليهود

نيلورث Kenilworth للتحري بصدد الحقوق الملكية في دير نيلورث . وفي نفس العام أى ١٢١٣م تولى رئاسة دير جبرنيستر . وفي عام ١٢١٥م كان ضمن الحاشية الملكية التي تتأهب لحضور المجمع للاتيرانى الرابع الذى دعى إليه البابا أرمست الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) وعقد بمدينة روما عام ١٢١٥م . لمزيد من التفاصيل انظر الدراسة لقيمة قلى قام بها :

Russell, "Alexander Neckam in England", in E.H.R., vol. XLVIII, January, 1932, pp. 260-268; Rashdall, op. cit., p. 28.

Lyte, op. cit., p. 15; Brodricke, op. cit., p. 7, 8; Mallet, op. cit., p. 40; Rashdall, op. cit., pp. 56, 57; Traill and Mann, Social England, Oxford, 1975, vol. I, pp. 613, 614; Willson, op. cit., p. 122.

نظير سعدوى ، تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى ، دار النهضة العربية ١٩٦٨ ، ص ١١٧ . ولمزيد من التفاصيل عن الهيكل التنظيمى للدارسين في جامعة باريس انظر ، ياسر عبد المعبود ، المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٦٥ .

وسكان مدينة أكسفورد^١ . ويتضح أيضاً من بنود اتفاق السلام الذى أبرم عام ١٢٧٤م بعد اندلاع واحدة من منازعات الشغب بين الدارسين من أبناء الشمال والجنوب ، والذى نص على ضرورة دمج هؤلاء الدارسين فى جماعة واحدة ، والتصويت أيضاً باعتبارهم أبناء أمة واحدة . وبهذا يتلاشى مبكراً التصنيف العرقى الذى شهدته أولى الجامعات الإنجليزية ، رمزاً وتأكيداً لإتمام الوحدة القومية التى كانت انجلترا أسبق الممالك الأوروبية فى تحقيقها^٢ .

وفى أواخر عام ١٢٠٨م شهدت مدينة أكسفورد حادثة كان لها أكبر الأثر على مسيرة تطور الجامعة ، وفى الوقت الذى كان فيه النزاع بين الملك جون (١١٩٩-١٢١٦م) والبابا أنوسنت الثالث قد بلغ أوج ذروته، قتلت امرأة شابة فى بيت عرف فيما بعد وتخليداً لهذه الحادثة باسم قاعة العذراء "Maiden Hall" على يد أحد الدارسين فى أكسفورد مما أسفر عن اندلاع ثورة من الغضب العام من جانب سكان المدينة؛ حيث ألقى القبض على العديد من الدارسين . وعندما يأس السكان من العثور على الطالب القاتل ، قبضوا على

^١ جاء أول ظهور للمراقبين Proctors فى طيات أحداث الشغب الذى اندلع فى مدينة أكسفورد فى مايو عام ١٢٤٨م . حيث تعرض دارس اسكتلدى مرموق وحسن الخلق أثناء مروره بكنيسة القديس مارتن فى كارفاكس Carfax للهجوم من جانب أبناء المدينة ، وعند فراره إلى وسط المدينة فى الشارع الرئيسى إنهار عليه رابل من الحجارة وفضلات القمامة من جرابيت الجزارين . ولم يلبث أن سقط صريعاً متأثراً بالجراح التى لحقت به نتيجة الضرب المتكرر من مطارديه . ونظراً لعدم اكتراث المسؤولين بالمدينة بهذا الأمر ، توقف أساتذة الجامعة عن إلقاء المحاضرات ، وأقسموا على مغادرة جميع الدارسين لمدينة أكسفورد إذا لم يتم القصاص . وعدم دفن جثة الطالب لحين تلقى ردوداً ملائمة ومرضية من الملك وأسقف لنكولن . ولم يتوان روبرت جروسست Robert Grossetest أسقف لنكولن (١٢٣٥-١٢٥٣م) لحظة واحدة فى إعلان عقوبة الحرمان الكنسى عن القتل ، والبحث عنهم بمساعدة أبناء المدينة . بيد أن أساتذة الجامعة لم يقتنعوا بإنهاء المسألة عند هذا الحد والإصرار على ضرورة الحصول على ضمان بعدم تكرار منازعات مماثلة . ومن ثم أرسلوا مراقبين ممثلين عنهم لعرض شكاوهم أمام الملك فى وودستوك Woodstock . ولم يتردد الملك فى منح عهد يتضمن امتيازات للجامعة ، أمر فيه بضرورة أن يتم التحقيق فى أى أخطاء أو أضرار تقترب فى حق الدارسين فى أكسفورد ، بواسطة محلفين من أبناء المدينة ، وأشخاص محايدين من المناطق المجاورة . وفى حالة تعرض أى دارس للقتل أو الإصابة الخطيرة من جانب أبناء المدينة ، تعرض غرامة على كل السكان . وعقاب النواب المحليين بشكل منفصل إذا ثبت تقصيرهم فى أداء واجباتهم . وأمر بضرورة أن يقسم كل عمدة Mayer ونائب Bailiff فى أكسفورد على تولى مهام مناصبهم على احترام حريات الجامعة وتقليدها الراسخة ، وأن يدعى مستشار الجامعة دائماً لسماع أداء هذا القسم . وبهدف التغلب على أحد الأسباب الرئيسية للنزاع بين الجامعة والمدينة منع اليهود من تقاضى أكثر من ثلاثة وأربعين فى المائة كفسائدة على القروض المقدمة للدارسين ، وأمر الملك أيضاً بضرورة الحضور الشخصى لكل من المستشار والمراقبين أو من خلال مندوبيهم عند توزيع الخبز والبيرة . ولمزيد من التفاصيل بهذا الشأن انظر :

Lyte, op. cit., pp. 43-44; Rashdall, op. cit., p. 57.

^٢ شهدت الفترة من ١٢٧٦-١٢٨٤ تكريس الاهتمام الرئيسى للملك إدوارد الأول (١٢٧٢-١٣٠٧م) لإخضاع ويلز . وفى عام ١٢٨٤م أصدر قانوناً يقضى بضمها إلى التاج الانجليزى ، وتطبيق القوانين الانجليزية . وفى عام ١٣٠١ أضفى على أكبر أبنائه لقب أمير ويلز . وهو اللقب الذى لازم ولى العهد فى انجلترا حتى يومنا هذا . وجاءت جهوده فى هذا الصدد استجابة لجهود أسلافه الرامية لتوحيد الجزر البريطانية ويلز ، إيرلندا ، اسكتلندا فى مملكة واحدة ، لمزيد من التفاصيل انظر :

Chronicle of Reigns of Edward I and Edward II, vol. I (ed.) W. Stubbs in Rolles Series, London, 1881, p. 89; Rashdall, op. cit., p. 33-35.

زينب عبد المجيد ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

طالبين أبرياء كانا يقيمان معه بدلاً منه، وتم ايداعهما السجن، وشنقهما بعد ذلك . ولم يكن مفاجأة من الملك الواقع تحت طائلة عقوبة الحرمان الكنسى والتهديد بالعزل من جانب البابا ، وفى محاولة لتهدة غضب الجموع الثائرة أن يبدى موافقته على إعدام اثنين من الدارسين وحبس ثلاثة . ولم يتردد البابا فى وضع المدينة تحت طائلة عقوبة اللعنة وأعلن منع التدريس فى أكسفورد . وأغلقت معظم مدارس أكسفورد^١ وعلى حد تعبير المؤرخ ماكسويل لوت Maxwell Lyte "بدا لفترة من الوقت كما لو أن التعليم الانجليزى سوف يضطر للرحيل عن أكسفورد لمكان آخر أكثر هدوءاً"^٢ . وبالفعل ذهب بعض الدارسين لمواصلة دراساتهم فى باريس ، وتوجه البعض الآخر إلى ريدينج Reading ، وميدستون Maidstone ، وكمبريدج Cambridge . بحيث لم يبق دارس واحد فى أكسفورد^٣ .

وفى عام ١٢١٤م الذى شهد إذعان الملك جون للبابوية ، صدر أول مرسوم بابوى يتسم بكونه عهداً بالامتياز حق لجامعة أكسفورد أن تتباهى به ونص على :

".. تمتع الدارسين فى مدارس أكسفورد لمدة عشر سنوات بالإعفاء التام من إيجارات البيوت التى يقيمون بها . وأن يقيم سكان المدينة مآدبة عشاء لمائة من الدارسين الفقراء كل عام فى عيد القديس نيقولاس Nicholas راعى الدارسين وأن تدفع المدينة مبلغاً سنوياً يقدر بحوالى اثنين وخمسين شلناً توزع على الدارسين الفقراء، وأن تدفع هذه الأموال إلى رئيس دير أوزنى Oseney ، ورئيس دير القديسة فرايدزوايد، وأن يكون توزيعها من اختصاص أسقف لنكولن أو مستشاره . وأن يقسم سكان المدينة على تزويد الدارسين فى المستقبل بالمون بأسعار ملائمة . وفى حالة القبض على أى دارس فى المستقبل ينبغى تسليمه إلى أسقف لنكولن ، أو إلى رئيس شماسه أكسفورد أو نائبه أو إلى المستشار المعين من قبل الأسقف للإشراف على الدارسين ، أو لى مندوب آخر معتمد من السلطة الأسقفية . وكل الأساتذة الذين استمروا فى التدريس بعد انسحاب الطلاب بعد إحداث شغب ١٢٠٨م ، وفى تحد سافر للسلطة الكنسية والأكاديمية ، بمنعوا بمقتضى الأمر البابوى من التدريس لمدة ثلاث سنوات ، وحرية كل الأساتذة والدارسين فى العودة واستئناف محاضراتهم"^٤ .

^١ Lyte, op. cit., p. 17; Brodricke, op. cit., p. 9; Rashdall, op. cit., p. 33.

^٢ Lyte, op. cit., p. 16.

^٣ Brodricke, op. cit., p. 9, Lyte, op. cit., p. 18.

^٤ فى ثنائيا أحداث عام ١٢٠٨م شرعت السلطات الكنسية فى أكسفورد فى وضع المدينة تحت طائلة حرمان كنسى أكثر صرامة من ذلك الحرمان الذى فرضه البابا أنوسنت الثالث على المملكة ، مما أدى إلى معاناة سكان المدينة روحياً ومادياً . فقد ترتب على رحيل الدارسين عن المدينة ، ترك البيوت والقاعات التى يقيمون بها بلا مستأجرين . وركود النشاط التجارى بالمدينة . واستمر هذا الحال لأكثر من أربع سنوات ، حتى مجئ المبعوث البابوى نيكولاس Nicholas أسقف تuskulum إلى إنجلترا عام ١٢١٣م . وتقدم سكان المدينة إليه بالتماس مناشدين إياه بالمفر والحماية والتعهد بالالتزام بقراره . وبناء على أمره وتكثيراً عن أحداث عام ١٢٠٨م ، على سكان المدينة المتهمين بالمشاركة فى هذه الأحداث الحضور حفاة الأقدام ، عراة الأجساد ، حاملين الأسواط فى أيديهم ، إلى مقابر الطلاب القتلى ، وإعادة دفنهم فى

وفى ضوء هذا المرسوم البابوى الذى جاء تأكيداً وتتويجاً لاعتراف البابوية بحقوق الدارسين فى أكسفورد ، وتكفيراً عن الاعتداء الذى تعرض له الدارسون من قبل سكان المدينة عام ١٢٠٨م، يذكر المؤرخ الانجليزى ماليت Mallet أن كل الجامعات فى العصور الوسطى كانت تبتهج بالحصول على الحماية البابوية ، ودعم حقوقها بالتأييد البابوى . ومن ثم وعلى غرار جامعة باريس التى تدين للبابوية بأول اعتراف بوجودها كمؤسسة علمية، تدين جامعة أكسفورد للبابوية بأول عهد امتياز ، وبداية هذه الحصانات القوية التى جعلت جماعة الأساتذة والدارسين هى الأسمى تقريباً داخل أسوار المدينة^١ .

وتتراءى أهمية المرسوم البابوى عام ١٢١٤م فى أنه تضمن أول إشارة عن منصب المستشار Cancellarius or Chancellor، وأن تعيينه كان من اختصاص أسقف لنكولن . بسيد أن مستشار الجامعة المشار إليه فى المرسوم كان موجوداً بالفعل تحت اسم رئيس المدارس Magister Scholarum or Head of the Schools . ويرى المؤرخ الانجليزى رشدال أن هذا النائب المعين من قبل أسقف لنكولن إن لم يكن ينتخب بواسطة الأساتذة أنفسهم ، كان على الأقل يتم اختياره من بينهم . لذا فقد بدا مركز المستشار فى أكسفورد من الناحية العملية مغايراً تماماً لمستشار جامعة باريس المقيم فى كاتدرائية نوتردام . ونظراً لأن مدينة أكسفورد تبعد عن أسقفية لنكولن بمسافة تناهز مائة وعشرين ميلاً، فقد وجد أساقفة لنكولن من الملائم والضرورى تعيين مستشار مستقل فى أكسفورد للإشراف وحماية رجال الدين الدارسين بها . ونظراً لعدم وجود كنيسة كاتدرائية أو أسقفية فى مدينة أكسفورد ، فإن الأسباب التى من الممكن أن تدفع المستشار للإصطدام مع الجامعة غير قائمة . وعلى النقيض من جامعة باريس لم يكن مستشار جامعة أكسفورد عضواً معادياً للجامعة ، وإنما يدين بوجوده للجامعة؛ لاسيما وأن أسقف لنكولن الذى يستمد منه سلطته وصلاحيته يقطن بعيداً متقللاً بأعباء أسقفية الكبيرة الممتدة جنوباً حتى نهر التيمز . ومن ثم لم يكثر كثيراً بتفاصيل الإدارة فى مدارس أكسفورد . لتبدو مدارس أو جامعة أكسفورد من البداية أكثر استقلالاً ، وبمناى عن قيود الجو الأسقفى الذى خيم بظلاله على جامعة باريس . وبالتالي ليس ثمة ضرورة لأن تلهث مدارس أكسفورد وراء استجداء التأييد البابوى للتحرر من نير السلطة الأسقفية، لينتقل مستشار جامعة أكسفورد تدريجياً إلى مركز مدير أو رئيس الجامعة، والحصول بالتالى على مركز فى جماعة الأساتذة Universitas Magistorium . وهو المركز الذى ظل مستشار كاتدرائية نوتردام فى باريس غيوراً دائماً للحرمان منه . وتظفر

مكان يتم اختياره بعناية . والتهديد بتجديد عقوبة الحرمان الكنسى بواسطة أسقف لنكولن فى حالة التقصير عن تنفيذ ذلك . وفور الإذعان لذلك تم رفع عقوبة الحرمان الكنسى وعودة الدارسين واستئناف المحاضرات فى أكسفورد ، انظر ذلك فى: Lyte, op. cit., pp. 18, 19; Mallet, op. cit., p. 28; Brodricke, op. cit., pp. 9, 10; Rashdall, op. cit., pp. 34-35. Mallet, op. cit., p. 25.

الجامعة فى النهاية بالسلطات القضائية التى يتمتع بها المستشار والبت فى أى قضية يكون أحد الطلاب طرفاً فيها^١.

على أية حال ، فإن مستشار الجامعة الذى تم الإشارة إليه لأول مرة فى المرسوم السبابوى عام ١٢١٤م ، كان فى البداية يعين من قبل أسقف لنكولن الذى يستمد منه سلطته وصلاحيته بيد أنه من البداية كان يتم اختياره من بين الأساتذة باعتباره أستاذاً فى اللاهوت أو القانون الكنسى . الأمر الذى جعل اعتماده على الأسقف - كما سنرى - يكاد يتضاءل ويتوارى والسلطات القضائية التى ظفر بها من الأسقف آلت إلى الجامعة^٢.

ويذكر المؤرخ الانجليزى بودريك Brodrick أن الجدل لا يزال قائماً بصدد التاريخ الذى غدت فيه مدارس أكسفورد جامعة لها مستشار خاص بها بالمعنى القانونى ، رغم وجود ختم يرجع تاريخه إلى عام ١٢٠٠م ويحمل عبارة Sigillum Cancellariet Universitatis Oxoniensis . ولم يتقرر على وجه اليقين ما إذا كان المستشارون الأوائل قد استمدوا سلطتهم أساساً من أسقف لنكولن باعتباره أسقف الأبروشيه، أو كانوا مديرين منتخبين Elective Rectors للمدارس يتم اقرار انتخابهم بواسطة أسقف لنكولن . بيد أنه من المؤكد أن الرئيس الفعلى للجامعة أصبح يسمى مستشاراً Cancellarius وليس رئيس المدارس^٣ . ويضيف إلى ذلك المؤرخ الانجليزى لوت Lyte بأنه حتى أوائل القرن الثالث عشر كان مستشارو المدارس فى أكسفورد يعملون ببساطة بصفتهم مندوبين عن الأسقف . ولكن خلفائهم - كما سنرى - بدأوا يذوبون تدريجياً فى الهيئة الأكاديمية وفى النهاية أصبحوا مستقلين تماماً عن السلطة الأسقفية^٤.

وبدءاً من منتصف القرن الثالث عشر كان المستشار يعامل باعتباره ممثلاً مستقلاً للجامعة ، بينما لم يكن النائب الرسمى للأسقف فى الجامعة هو المستشار بل رئيس شماسية Archdeacon أكسفورد ، الذى يمثل أعلى سلطة كنسية مقيمة بالمدينة . وتبدأ القائمة الرسمية للمستشارين فى أكسفورد فى عام ١٢٢٠ عندما يذكر أسماء ثلاثة أشخاص شغلوا ذلك المنصب . وبدءاً من هذه الفترة يمكن أن نحدد تاريخ انتخاب المستشار . وفى عام ١٣٢٢ أصبح ارتقاء منصب المستشار يتم بالانتخاب من خلال اجتماع كنسى ، رغم أنه ظل خاضعاً لفترة طويلة لإقرار تعيينه من جانب الأسقف^٥.

^١ Ibid, p. 27; Lyte, op. cit., p. 19; Brodricke, op. cit., pp. 9, 11; Rashdall, op. cit., p. 52.

^٢ Rashdall, op. cit., pp. 81, 82; Mallet, op. cit., p. 27.

^٣ Brodrick, op. cit., pp. 11-12.

^٤ Lyte, op. cit., p. 19.

^٥ Brodrick, op. cit., p. 12.

وبدء من منتصف القرن الثالث عشر بدأت الجامعة فى تسجيل قوانينها . ولعل من أهم القوانين فى تلك الفترة رفض منح درجة اللاهوت لأى دارس إلا بعد الحصول على درجة الآداب أولاً^١ . ولهذا التشريع قصة!

فقد قدر للعقد الثانى من القرن الثالث عشر، وعلى حد تعبير المؤرخ ماليت Mallet، أن يشهد حدثاً سعيداً للروح والفكر فى أكسفورد . وفى العام الذى شهد اغتيال توماس بيكيت فى كاتدرائية كانتربرى عام ١١٧٠م ولد القديس دومنيك St. Dominic فى أسبانيا . وبعد ذلك بإحدى أو اثنى عشر عاماً ولد فى أسيس Assis بإيطاليا ورع آخر هو القديس فرانسيس St. Francis^٢ .

وفى عام ١٢٢١م جاء إلى إنجلترا مجموعة صغيرة من الرهبان الدومنيكان ، الذين اشتهروا فى إنجلترا باسم الأخوة السود Black Friars . وبعد ذلك وفى عام ١٢٢٤ قدم الرهبان الفرنسيسكان الذين عرفوا باسم الأخوة الرماديين Grey Friars طبقاً لألوان مسوحهم الدينية . وعلى عكس جماعات الرهبان الأقدم الذين يطيب لهم المقام فى المناطق النائية الهادئة ، وبهدف الحصول على مريدين جدداً تجد الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان للإقامة فى المدن المزدهمة ، لاسيما تلك التى بها جامعات . لذا ولوا وجوهم شطر أكسفورد . فقد رسخ أقرانهم فى باريس أقدامهم فى ارتباط وثيق بالجامعة . ومن ثم كانوا تواقين للحصول على مكانة مماثلة فى المركز الرئيس للتعليم فى إنجلترا . علاوة على الرغبة فى جذب المزيد لاعتناق الديانة المسيحية ، فقد كانت أكسفورد ملاذاً مفضلاً لليهود الذين سكنوا فى الجزء الجنوبى من المدينة بأعداد كبيرة . وكان الحى الواقع بين الشارع الرئيسى ودير القديسة فريدزاويد معروفاً بحى اليهود . وقد حالف النجاح جهودهم طيلة الخمس وعشرون عاماً

Rashdall, op. cit., p. 69.

^١ من الجدير بالذكر أنه حتى بداية القرن الثالث عشر كان الهدف الأساسى للنظام الديرى يمثل فى ضمان الخلاص لأرواح الرهبان ، وبعد انطفاء جذوة الحماس للعمل التبشيرى فى قلوبهم كرسوا أنفسهم تماماً لقاعدة ثنائية فى الحياة والعزلة عن العالم الخارجى فى أروقة أديرتهم الفسيحة . ولم يعتبروا أن من واجبهم القيام بالوعظ علناً ، وزيارة المرضى ، وسماع اعترافات التائبين ، ومن ثم كان أثرهم ضئيلاً نسبياً على الناس . ونتيجة لفشل النزعة التطهيرية فى القرن الحادى عشر ، والانسحاب الديرى فى القرن الثانى عشر فى تحقيق أهدافها من عوامل وتشجيع نمط جديد من النظام الديرى جاء مزيجاً بين نقيضين من النظم الديرية . هذا الشكل الجديد المنظم من النسك أتاح لأتباعه حياة تقليدية تتسم بالزهد والفقر والطاعة ، كما أتاح لهم فى الوقت نفسه أن يعملوا ويساهموا بشكل شخصى ومباشر فى خدمة ورفاهية المجتمع . وكانت التجارب التى مر بها هذا النظام الديرى الجديد هى الخلفية التى برزت منها جماعة الأخوة الفرنسيسكان والدومنيكان فى القرن الثالث عشر . وبهدف العمل على نشر الكاثوليكية باقتلاع جذور الهرطقات الدينية ، وبرعاية البابوية وخدمة أهدافها ، اتجه الرهبان من هاتين التنظيمين إلى هداية الناس بمخاطبة فكرهم وعقولهم ، وتكملة العمل المعتاد لقساوسة الكنائس الأبروشية . لمزيد من التفاصيل بصدد ذلك انظر :

Mallet, op. cit., p. 54;

Lyte, op. cit., p. 23; Rashdall, op. cit., p. 66; Green, op. cit., pp. 139-140;

كاستور ، المرجع السابق ، ص ٥١٨ ، موريس كين ، حضارة أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، حين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ ، ص ١٦٢ .

الأولى من إقامتهم في أكسفورد . وغدت لهذه الجماعات الدينية السيادة على حلبة الحياة الفكرية في القرن الثالث عشر ليس فقط في إنجلترا ولكن في جميع أرجاء أوروبا، وصاروا رواد أجراً فكر فلسفى في الكنيسة في العصور الوسطى ويكفى الرهبان الفرنسيون فخرأ أنهم قدموا آدم مارش وروجر بيكون في عصر واحد^١ .

وفى الوقت الذى بسطت فيه مدارس أكسفورد راحتها للأخوة الفرنسيون والدومنيكان لتعلو بهما لا عليهما، بارتقاء اثنين منهم لمنصب رئيس أساقفة كانتربرى^٢، علاوة على التأيد الملكى^٣، لم يلبث أن بات الصدام بينهم وبين الجامعة قاب قوسين، بعد فترة قصيرة ساد فيها التفاهم والانسجام بينهم وبين الجامعة، قام خلالها الفرنسيون بالاستعانة بأساتذة اللاهوت العلمانيين فى مدارس أكسفورد للتدريس فى مدارسهم الديرية . بيد أنه بهدف وضع حد لتكاثر الأساتذة من الأخوة ، وضمان سيطرة الجامعة على الخريجين منهم من جهة، وإصرار الرهبان الفرنسيون والدومنيكان من جانبهم على رفض الحصول على

^١ فور استقلال الأخوة الدومنيكان فى قلب أكسفورد ارتبطوا مبكراً بالجامعة بتأسيس مدرسة للاهوت . وكذلك أقرانهم الفرنسيون ، والذين قدر عددهم لحظة وصولهم لإنجلترا تسعة من الرهبان بزعامة اجنيلوس البيزى Agnellus of Pisa أربعة منهم من رجال الدين ، ثلاثة منهم انجليز الأصل ، فى حين كان الباقى علمانيين من الإيطاليين والفرنسيين . وسرعان ما ذاع صيتهم ، وجذبوا لمدارسهم أعظم العلماء شهرة ، فهذا هو روبرت جروستست (١١٧٥-١٢٥٣م) عالم اللاهوت البارز ، وأول محاضر فى مدارس الفرنسيون والراعى الحميم له فى إنجلترا والذى نادى بأن سلطة الكتاب المقدس تسو فوق البابا والمجامع الكنسية ونصوص الكنيسة ، وأول من أدرك ضرورة دراسة اللغتين اليونانية والعبرية . أيضاً آدم مارش Adam March الذى اعترف به واحداً من أبرز رجال الكنيسة فى منتصف القرن الثالث عشر . وأبدى تعاطفه مع قضية الأميرل سيمون مونتفوري ، أثناء النزاع البارونى الشهير ، مخاطباً إياه بقوله "أن الرجل الحكيم أفضل من الرجل القوي ، وأن الذى يستطيع كبح جماح غضبه أفضل من الذى يعصف بالمدينة " . وأيضاً روجر بيكون Roger Bacon . أحد أساتذة أكسفورد البارزين . وأول انجليزى ينخرط فى صفوف الدومنيكان . وكرس نفسه لدراسة الكيمياء والفيزياء والرياضيات والميتافيزيقا . وذهب إلى باريس محاضراً فى فلسفة أرسطو ، وغير هؤلاء الكثير . ولمزيد من التفاصيل انظر :

The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, vol. I, p. 87; Little, the Franciscan School At Oxford in the Thirteenth Century, (ed.) in Archivum Franciscanum Historicum, XIX, October, 1926, pp. 803-804; Mallet, op. cit., pp. 57-63, Lyte, op. cit., pp. 24-25; Rashdall, op. cit., p. 68; Brodrick, op. cit., p. 51, Lunt, op. cit., pp. 182-183.

^٢ هذين للرهبين من الفرنسيون والدومنيكان اللذان ارتقيا منصب رئيس أساقفة كانتربرى هما روبرت كيلاردباى Robert Kilwardy ، وينتمى لطائفة الدومنيكان ، وارتقى منصب رئيس الأساقفة عام ١٢٧٢ ، وذاع صيته فى النحو والمنطق واللاهوت . أما الآخر فهو باتهام Patcham من طائفة الفرنسيون ولعب دوراً بارزاً فى الشؤون السياسية . وتعلم فى أكسفورد العلوم واللاهوت والشعر والرياضيات . وقام الأول بزيارة الجامعة عام ١٢٧٧ ، والثانى عام ١٢٨٤ . وأسفرت هاتين الزيارتين عن إدانة الأخطاء الناجمة عن تدريس فلسفة أرسطو . لمزيد من التفاصيل انظر :

Mallet, op. cit., p. 70.

^٣ فيما يتعلق بالدعم الملكى لهؤلاء فى عام ١٢٦٤م منح الملك هنرى الثالث Friars Minors برجا صغيراً على سور المدينة القريب من مقرهم . وفى عام ١٢٥٨م منحهم عشرة شجرات بلوط لبناء مقر لمدارسهم . وكان من عادة الملوك الإنجليز عند زيارتهم للمدينة منح مبالغ مالية لمؤسسات الأخوة الموجودة بها . وأصبحت هذه الأموال فى نهاية القرن الثالث عشر تحدد بمعدل أربعة دينار لكل راهب من الأخوة . ويتوج وجودهم فى إنجلترا بتأسيس مدرسة اللاهوت بمحاضر من الفرنسيون فى دير كاتدرائية كانتربرى عام ١٢٧٥م ، الأمر الذى أثار مخاوف الرهبان فى الكاتدرائية ، انظر تفاصيل ذلك فى :

Gervasii Cantuariensis, op. cit., vol. II, p. 285; Little, op. cit., p. 819.

درجات علمية في أى تخصص باستثناء اللاهوت والقانون الكنسى، حيث كان هدفهم يرمى إلى إعداد الرجال المتمرسين للعمل الرعوى . لذا أمرهم أعظم أساتذتهم بدراسة الكتاب المقدس وليس كتاب الأحكام Sentences لبطرس اللباردى وكانت تقاليدهم تمنعهم من الحصول على درجات علمية فى الآداب^١ .

وأصرت الجامعة على أن التقاليد تقضى بأن المرشح للحصول على درجة فى اللاهوت يجب أن يكون متخرجاً فى الآداب ، وأثيرت هذه المشكلة بالفعل عام ١٢٥٣ م . عندما تقدم الراهب الفرنسيسكانى زائع الصيت توماس من يورك Thomas of York بالتماس مؤداه الترخيص له بالتخرج فى اللاهوت بيد أنه لم يدرس فى الآداب . وسمح له بالتدريس ، والحصول على درجته فى اللاهوت لخبرته وكفاءته ، مما يجعله مؤهلاً لأن يمنح استثناء Graces يتبوا بمقتضاه درجة ممارس استثنائى Ordinary regent فى الكتاب المقدس . وفى محاولة لرأب الصدع وحسم النزاع أصدرت الجامعة قانوناً ينص على عدم السماح لأى شخص فيما بعد بالحصول على درجة فى اللاهوت ما لم يكن دارساً للآداب أولاً وأن يلقى محاضرة فى كتاب الأحكام لبطرس اللباردى ، والذى يتطلب تعليمياً فلسفياً فى الميتافيزيقا والجدل ، قبل أن يسمح له بأن يحاضر فى الكتاب المقدس^٢ .

ونستطيع أن نقول فى ضوء هذا النزاع الذى اندلع بين الجامعة والرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان ، لاسيما بعد أن تم تعيين محكمين Arbitrators من الطرفين للتعامل مع المسألة برمتها ، التى عرضت أمام البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥-١٣١٤م) عام ١٣١٣م، وإقرار قرار المحكمين من جانب الملك إدوارد الثانى (١٣٠٧-١٣٢٧م) عام ١٣١٤م، بأن الجامعة كسبت النقاط الرئيسية موضع الخلاف وتأييد قوانينها ودعم سلطتها . ومن ناحية فقد قدمت تنازلاً يبدو باهتاً - من وجهة نظرى - للأخوة الرهبان مؤداه أن أى أستاذ يرفض الاستثناء graces الذى يمنح الراهب الحق فى التخرج فى اللاهوت بدون الدراسة فى الآداب أولاً مطالب بأن يبرهن للأساتذة الممارسين أو النظاميين Regent Masters بأن اعتراضه ليس قائماً على سوء نية أو قصد^٣ . علاوة على قرار الجامعة بعدم تنفيذ القوانين إلا بناءً على تصويت أغلبية الأساتذة الممارسين فى التخصصات الثلاث الآداب

^١ Rashdall, op. cit., pp. 67-68; Mallet, op. cit., p. 72, Liule, op. cit., p. 823.

^٢ من الجدير بالذكر أن الأخوة الدومنيكان والفرنسيسكان القائمين بتدريس اللاهوت فى مؤسساتهم التى خارج مدن الجامعة ، لم يكن الأمر يتطلب ترخيصاً من أى سلطة خارج مؤسساتهم ، وذلك بمقتضى مرسوم البابا الكسندر الرابع (١٢٥٤-١٢٦١م) عام ١٢٥٧م . والبابا كليمنت الرابع (١٢٦٨-١٢٦٥م) عام ١٢٦٥م . ولم يكن المحاضرين الفرنسيسكان خاضعين بأية طريقة لمستشار الكنيسة الكاتدرائية فى الأسقفية التى يدرسون بها . بيد أنه فى أكسفورد لا بد أن يحظى المحاضر من الأخوة الفرنسيسكان قبل الاعتراف به مدرساً بالموافقة من جانب كل من مؤسسته الدينية والجامعة . انظر : Munimenta Academica, Rolls Series, ed. By Anstey, London, 1868, vol. I, p. 25, Little, op. cit., pp. 82, 822, Mallet, op. cit., p. 73, Lyte, op. cit., pp. 53, 54.

^٣ Mallet, op. cit., pp. 74-75; Little, op. cit., p. 823, Rashdall, op. cit., p. 71.

والطب والقانون بدلاً من اثنين؛ بالإضافة إلى الأساتذة غير الممارسين أو المتفرغين Non Regent Masters . ويضيف المؤرخ رشدال بإيضاح أكثر أنه بناء على شكوى جماعات الرهبان المتسولين Mendicants Orders ، بأن القوانين كانت تصدر بدون اهتمام كاف من الأقسام أو التخصصات Faculties الرئيسية الآداب ، اللاهوت ، القانون والطب . فقد تقرر بأنه من الآن فصاعداً عدم إصدار أى قانون من قبل الجامعة إلا بناء على قرار الاجتماع العام للأساتذة الممارسين General Congregation of Regent Masters ، وأن تسلم مسودات القوانين المقترحة للأساتذة فى كل قسم قبيل التصويت فى الاجتماع بخمسة عشر يوماً . وحظيت هذه القرارات بموافقة الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان ، والإذعان للجامعة بيد أن النزاع بين الطرفين لم يتوارى تماماً، وظل يطفوا على السطح من حين لآخر^١ .

وفى سياق هذا العرض لا يفوتنا الحديث عن أقوى التحديات التى طرحتها حركة التعليم الجديدة فى هذه الجامعات الناشئة . لقد صارت مؤلفات أرسطو بمتناول الغرب بفضل الترجمات التى أعدت فى الأندلس وصقلية والبروفانس . وحتى الربع الأخير من القرن الثانى عشر كانت ترجمة هذه المؤلفات تتم نقلاً عن النصوص العربية ، وليس نقلاً عن النصوص اليونانية الأصلية^٢ . وبحلول عام ١٢٠٠ بدأت ترجمة مؤلفات أرسطو عن اليونانية مباشرة . وكان توماس الأكويني Thomas Aquinas العالم الدومنيكاني أول فيلسوف مسيحي يمتلك

^١ لا مراء أن النزاع بين الجامعة والرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان يعكس فى جوهره العداء الشديد بينهم ورجال الدين العلمانيين لا سيما وأن معظم أعضاء الجامعة فى أكسفورد مثل قرانهم فى باريس كانوا من الكهنوت العلمانيين . ومن الجدير بالذكر أن نفقات الإجراءات القانونية للجامعة ضد الرهبان كانت تمول من خلال ضريبة على الأملاك الكنسية فى المملكة . وبعد تسوية القضايا الأكاديمية بين الطرفين ، تحول النزاع بينهما إلى مشكلة السن التى تسمح بها التنظيمات للرهبانية للاخراط فى سلك الرهبنة . وفى عام ١٣٥٨ أصدرت للجامعة قانون ضد ما أسمته خطف الأولاد الذين يقل عمرهم عن ثمانية عشر عاماً . للالتحاق بمؤسساتهم لتعليمهم للتسول وتبديد الوقت ونص القانون صراحة بأن النبلاء والعوام يخشون إرسال أبناءهم إلى الجامعة ، مخافة اخوانهم من قبل الرهبان المتسولين بالانضمام إليهم قبل بلوغهم سن الرشيد . مما يؤدى إلى تكبير صفوف السلام فى الجامعة وقلة عدد الدارسين فيها . وإذا حدث عكس ذلك فلن يسمح لأى خريج من مدارس أديرة هؤلاء باللقاء أو حضور محاضرات فى أكسفورد خلال العام التالى للاختطاف من وجهة نظر الجامعة . وهناك قوانين أخرى فى هذا الصدد . مما دفع البابا أوربان الخامس (١٣٦٢-١٣٧٠م) عام ١٣٥٦م للتدخل ضد الجامعة لصالح الرهبان وأمر رئيس أساقفة كانتربري ، والأساقفة بالإصرار على قيام المستشار بإلغاء ما أسماه للقوانين الغيضة . فى الوقت الذى ناشدت فيه الجامعة والمؤسسات الدينية الأربعة الدومنيكان والفرنسيسكان ، الأوغسطينيين ، والرهبان البيض Carmelites . الملك والبرلمان للتدخل مما أسفر عن صدور مرسوم بموافقة البرلمان تم بمقتضاه تخفيف القيود على قبول الدارسين فى تلك المؤسسات . مع حظر كل المراسيم البابوية ، أو استئناف الدعاوى التى يرفعها الرهبان على الجامعة فى بلاط روما ، وإعلان بطلانها ، واستمرت العداوة على حالها ، ولعل المصدر الأساسى لشعبية كالفن Wyclif كان يتمثل فى إنكاره الشديد للرهبان المتسولين . وكان انهيارهم من أهم نتائج الحركة التى تزعمها ، إلى جانب أسباب أخرى . لمزيد من التفاصيل بصدد تطور هذا النزاع انظر :

Brodrick, op. cit., p. 53; Rashdall, op. cit., pp. 74, 75; Green, op. cit., pp. 138-142, Mallet, op. cit., pp. 75-76.

^٢ كانثور ، المرجع نفسه ، ص ٤٩٢ .

الترجمة الجديدة الكاملة في منتصف القرن الثالث عشر . وكانت هذه الترجمة بالطبع أكثر دقة من الترجمة اللاتينية المنقولة عن اللغة العربية^١ .

ومن الجدير بالذكر أنه عندما بدأت شروح ابن رشد لفلسفة أرسطو تتوفر بين أيدي المفكرين الغربيين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، اكتشفوا أنهم ليسوا أول من تناول مشكلة العلاقة بين العلم والدين ، لأن بعضاً من أعظم العقول في العالم الإسلامي مثل ابن سينا وابن رشد كانوا قد تناولوا بالفعل نتائج الفكر الأرسطي على عقائدهم الأصلية . وكان على المفكرين المسيحيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر أن يختاروا بين رفض المذهب أو الفكر الأرسطي القائل بالفصل بين العلم والدين ، وبين محاولة إثبات الانسجام النهائي بينهما . ولم يتورع الفيلسوف العربي المسلم ابن رشد عن الفصل بين عالم العلم كما يمثل أرسطو وعالم الدين كما يمثله القرآن . وواجه التناقض بين العلم والدين بالاعتراف الصريح بوجود "حقيقة مزدوجة" . فهناك حقيقة واحدة للعلم ، وحقيقة أخرى للدين ، وليس بمقدور العقل البشري أن يوفق بينهما^٢ .

ولعل العمل العظيم الذي صاغه توماس الاكويني باسم خلاصة اللاهوت Summa Theologiae ، والذي حاول من خلاله إظهار التوافق أو المزج بين العلم والدين . وجعل الفكر الأرسطي يتناغم مع حقائق الحياة المسيحية ، والبرهان على صحة العقيدة المسيحية بالفعل ، وأن الكشف عن الحقيقة يتدفق من خلال الكتاب المقدس والكنيسة ، بينما تتساب قوة العقل عبر قنوات الفلسفة وفكر أرسطو . بيد أن كل من العقل والكشف عن الحقيقة يستمدان مصدرهما من الرب . وعلى حد تعبير المؤرخ الانجليزي ماليت Mallet أن خلاصة اللاهوت هي في الحقيقة خلاصة الفلسفة Summa Philosophiae^٣ .

^١ من الجدير بالذكر أن الكسندر هاليس Alexander of Hales . والذي يعد من أوائل الأساتذة الفرنسيين العظام ، أول لاهوتي يبدى ترحيباً بالفلسفة الجديدة في ثوبها العربي ، وكان انجليزياً لا يبارى في بلاغته ، ومكث طويلاً في مدارس باريس . ومن جهة أخرى فقد كان روبرت جروسستيس أسقف لنكران وعالم اللاهوت الشهير ، وآخرون للحصول على الترجمات الجديدة لمؤلفات أرسطو . ولا مراء أن الغزو اللاتيني والاستيلاء على القسطنطينية عام ١٢٠٤م جعل المصادر اليونانية أكثر شيوعاً . وأمست الترجمات المستقلة للمترجمين للعرب لمؤلفات أرسطو في الميتافيزيقا والأخلاق والسياسة متداولة . ولمزيد من التفاصيل انظر :

Mallet, op. cit., p. 77;

كانتور ، المرجع السابق ، ص ٤٩٢ - ٤٩٤ .

^٢ نفس المؤلف ، نفس المرجع ، ص ٤٩٥ - ٤٩٨ .

Mallet, op. cit., p. 80.

كانتور ، للمرجع نفسه ، ص ٦٢٩ .

والى توماس الاكوينى يرجع الفضل فى تغيير الآراء بصدد الخلافات القديمة حول مشكلة الكليات Universals أو الأفكار المجردة . فقد تمسك هذا الدومنيكانى العظيم بمبدأ الفردية القائم على أساس أن الفردية توجد فى الجوهر وليس الشكل^١ .

وعن مدى تأثير هذه الفلسفة الأرسطية بهذه الشروح التى صاغها توماس الاكوينى، على أروقة الدراسة فى مدارس أكسفورد ، وفى ضوء أن الأساتذة من الرهبان الدومنيكان ، كانوا يعتقدون منذ البداية أنه من الممكن التوفيق بين فلسفة أرسطو والفكر الكنسى الكاثوليكي . وكانوا بلا شك الآداة التى انتشرت بها فلسفة أرسطو على نطاق واسع فى إنجلترا . وفى الوقت الذى أوصت فيه كلية الآداب فى باريس عام ١٢٥٤ بأن تصنف كل كتابات أرسطو باعتبارها كتب مدرسية Text Books ، وأن تكون فلسفته الطبيعية والميتافيزيقية هى "القاعدة الصائبة والمفيدة" ، نجد باتهام Patcham رئيس أساقفة كانتربري، الذى ينتمى إلى الرهبان الفرنسيسكان ينكر صراحة ما أسماه البدع الدنيوية التى آتى بها هذا الدومنيكانى الكبير . أيضاً رئيس الأساقفة الذى جاء بعده ويدعى كيلوردباى Kilwardby بالرغم من انتماءه للرهبان الدومنيكان ، لم يتورع عن أن يدين صراحة هذه الآراء الفلسفية لتوماس أكويناس وفلسفة أرسطو برمتها أثناء زيارته لأكسفورد فى مارس عام ١٢٧٧م . ووافق الأساتذة فى أكسفورد على هذه الإدانة . بيد أن ذلك لم يمنع الدومنيكان والرهبان السيسترشيان والأوغسطينيين الدارسين فى أكسفورد من تأييده وانتشار أفكاره . وتداول هذه الفلسفة التى سيطرت بالفعل على عقول الدارسين . ذلك أن الإغراء باكتشاف كنوز جديدة من العلم والمعرفة ، وسحر وجاذبية هذه الفلسفة التى تحمل بصمة أكثر معلمى الماضى - أرسطو - تبجيلاً ومكانة برهن على أنه أقوى من أن يقاوم^٢.

^١ يذكر جون السالزبورى John of Salisbury الذى درس فى باريس بأن مدارس أكسفورد قبل تولى الملك هنرى الثالى الحكم مباشرة كانت مسرحاً لخلافات منطقية حول طبيعة الكليات . ويقصد بذلك هل المفاهيم العامة الكامنة فى أذهاننا مثل العدالة ، الحقيقة ، الجمال ، الكنيسة والدولة .. وغيرها لها وجود حقيقى خارج أذهاننا ؟ وهل المفاهيم الأكثر بساطة ، مثل شجرة ، حصان ، كرمى .. وغيرها لها وجود حقيقى خارج عقولنا أم مجرد تصورات عقلية خالصة . والنقسم العلماء إلى قسمين القسم الأول الواقعيين أو المثاليين Realism من معتقئ فلسفة أفلاطون بأن الكليات هى أشياء لها وجودها المستقل خارج نطاق العقل الإنسانى المفرد . والفريق الآخر عرف باسم الإسميين Nominalism بزعمهم روميلين Rosselin أحد كبار الأساتذة البارزين فى المدارس الفرنسية وأعلن أن الكليات ليست أشياء ولكنها مجرد كلمات أو أسماء . لا تتمتع بأى وجود مستقل خارج نطاق العقل الإنسانى . حتى جاء أبيلارد وأظهر موقفاً معتدلاً بقوله أن الكليات ليست أشياء أو مصطلحات وإنما مفاهيم مفيدة ، ولكنها ليست حقيقية بالضرورة . ومن المؤكد أنه ألقى ظلالاً من الشك حول حقيقة الدعم العقلى لتعاليم الدين من مطلق أن أفهم أولاً واقتنع ثانياً . ولمزيد من التفاصيل عن جون السالزبورى وتأثيره الفكرى انظر :

كانتربري ، للمرجع نفسه ، ص ص ٤٥٠ ، ٤٥٤ . وبصدد مشكلة الكليات انظر ص ٤٦٣ - ٤٦٦ ،

Brodrick, op. cit., p. 5, Mallet, op. cit., p. 80.

Lyte, op. cit., p. 25, Mallet, op. cit., pp. 77, 81; Rashdall, op. cit., p. 122.

لا مرء أن جامعة أكسفورد قد شهدت انطلاقاً قوية في عهد الملك هنري الثالث (١٢١٦-١٢٧١م) . ففي ضوء أحداث الشغب التي اندلعت بين الدارسين وسكان مدينة باريس عام ١٢٢٩م ، والتي أسفرت عن تشتت جامعة باريس ، وفي الوقت الذي اقتضت فيه الالتزامات القومية للمملكة ضرورة التأكيد على هيبة الملك باستعادة وانتزاع بقايا الممتلكات الإنجليزية في فرنسا من الطبيعي أن يجد الملك في ذلك الحدث فرصة سانحة لإذلال الملكية الفرنسية ، ووفقاً لرواية المؤرخ ماكسويل لويت وجه خطاباً رسمياً إلى أساتذة وطلبة باريس مبدياً تعاطفه معهم في محنتهم ، والوعد بحريات وامتيازات جمة في حالة حضورهم للدراسة في إنجلترا . وبدأت تلك دعوة جذابة لاسيما للدارسين الانجليز في باريس وأسفرت بالفعل عن حضور لفيف من الأساتذة والدارسين إلى المدارس الشهيرة على الضفة الأخرى لنهر التيمز سواء في أكسفورد أو كمبريدج.^١

وكان للتدفق المفاجئ لهؤلاء الدارسين الأجانب أثر سيئ على النظام في الجامعة الناشئة ، فقد تحدى بعض الطلبة المستشار والأساتذة علناً . وعبر أحد المؤرخين على تلك الفئة المشاغبة من الدارسين بقوله "أن هؤلاء كانوا يعيشون بلا نظام ، ولم يكن لهم معلم إلا من يعلمهم كل صنوف الشر" ، مما اضطر الملك هنري الثالث للتدخل بعد أن ساد عدم الاكتراث بالقانون في أكسفورد . وفي عام ١٣٣١م أصدر عدة مراسيم تهدف إلى تقوية سلطة المستشار ، بمنحه حق سجن الطلبة المشاغبيين في قلعة أكسفورد ، وأن يكون إطلاق سراحهم حسب إرادته ، ومعاملتهم وفقاً للقانون الكنسي . وأمر حاكم المقاطعة بأن يعلن أن أي دارس لا يكون تحت إشراف أحد الأساتذة في المدارس لا يمكن اعتباره دارساً . ومن ثم يتحتم على ما أسماهم الدارسين المزيفين Pseudo-clerks مغادرة المدينة في غضون أسبوعين^٢ .

وفي عام ١٢٣٨ وقع صدام بين الجامعة والمبعوث البابوي الكاردينال أوتو Otho المقيم في دير أوزني Oseney . ووفقاً لرواية المؤرخ متى الباريسي Matthew Paris ففي الثالث والعشرين من أبريل من العام المذكور توجه فريق من الدارسين إلى الدير لتحية المبعوث البابوي ، بيد أنهم ردوا على أعقابهم بفضاضة من جانب الحارس Janitor . في نفس الوقت ألقى رئيس طهارة المبعوث البابوي والذي كان شقيق المبعوث البابوي، إناء مملوء بالماء الساخن في وجه دارس إيرلندي فقير كان يستجدي الطعام على باب المطبخ . الأمر الذي أثار حنق الدارسين ، وقام أحد الدارسين من ويلز بتسديد قوس صوب رئيس الطهارة وأطلق عليه سهماً أوداه قتيلاً في الحال . وحاول آخرون إشعال النار في البوابات الضخمة الموصدة أمامهم ، واتهام المبعوث البابوي بكل ما تجود به مفرداتهم من شتائم قائلين "أين

^١ Matthew Paris's, English History from the Year 1235 to 1273, Trans from the Latin by Giles, London, 1852, vol. III, p. 149.
^٢ Lyte, op. cit., p. 31.

ذلك المراهبي، ذلك المتاجر بالدين ، هذا المسرف المبدد للإيرادات ، المتعطش للمال ، الذي يخدع الملك ، الذي يثرى الأجانب من المال الذي ينهبه منا^١ . مما دفع المبعوث البابوي للفرار . وبايعاذ من الملك تم إيداع عشرين أو ثلاثين من الدارسين بعضهم من أسر عريقة السجن في قلعة ولنجفورد Wallingfords . وبناء علي طلب المبعوث البابوي تم نقلهم في عربات مفتوحة مثل المجرمين إلى قلعة لندن مكبلين بالقيود الحديدية . وأعلنت عقوبة الحرمان الكنسي على كل المسؤولين على أحداث الشغب ، ومنع المحاضرات وتوقفت الجامعة، ووضعت المدينة تحت طائلة عقوبة اللعنة الكنسية^٢ . وأعلن المبعوث البابوي مهدداً أنه لن يعيد الجامعة إلى عطفه إلا إذا استجدي كل أعضاء الجامعة العفو منه علناً . وبناء على ذلك تجمعوا في كاتدرائية القديس بولس St. Paul في لندن ، وساروا بمصاحبة الأساقفة الذين ناصروا قضيتهم إلى حيث يقيم المبعوث البابوي في مشهد درامي . وبعد خلع أرديتهم ، وعباءاتهم ، وأحذيتهم رمزاً للندم ، قبل خضوعهم . وأصدر في التاسع والعشرين من مايو ١٢٣٨م مرسوماً تم بمقتضاه رفع عقوبة اللعنة ، واستئناف المحاضرات ، والعفو الشامل لجميع الدارسين . بيد أنه اشترط أن يدفع كل منهم مبلغاً من المال يعادل نفقة أسبوع لروح شقيقه^٣.

ويشهد عام ١٢٤٤ أول خطوة مهمة على طريق إعلاء سلطة وصلاحيه المستشار ، ففي هذا العام اندلع حادث شغب مغايراً تماماً في نوعه لأحداث الشغب التي كانت تموج دوماً بها مدينة أكسفورد في العصور الوسطى . فقد قام الدارسون بهدف الانتقام لبعض أعمال الابتزاز من جانب اليهود بمهاجمة حي اليهود بالمدينة ، ونهبوا بيوت دائنهم العامرة بالخيرات ، وأسفر ذلك عن إيداع خمسة وأربعين من الدارسين السجن . وأصدر الملك مرسوماً لصالح الجامعة يقضى بحق المستشار في الأفراد بحسم كل المنازعات التي تثار بصدد إيجارات البيوت التي يقيم بها الدارسين ، سعر الخيول ، المؤن ، الملابس ، وجميع العقود الخاصة بالمنقولات والتي يكون أحد الدارسين طرفاً فيها^٤.

^١ Matthew Paris's, op. cit., vol. I, pp. 126, 127; The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, vol. I, p. 35, Mallet, op. cit., p. 36, Rashdall, op. cit., p. 88.

^٢ Matthew Paris's, op. cit., vol. I, p. 128.

^٣ استطاع أن أقول أن هذه الأحداث التي جرت وفاتها بين الدارسين والمبعوث البابوي في أكسفورد جاءت انعكاساً أيضاً لمرجة عارمة من الاستياء عمت الأوساط السياسية والكنسية ضد الابتزازات المالية للبابوية ، والتي بلغت ذروتها في عهد الملك هنري الثالث . وكان المبعوث البابوي مدركاً لذلك ، الأمر الذي جعله من شقيقه رئيساً للطهارة له خوفاً من دس السم .. انظر :

Matthew Paris's, vol. I, p. 128, Mallet, op. cit., p. 36.

^٤ Roberti Crosseteste . op.cit.,pp.lvii ,lviii ; The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II ,vol.I ,p.71 ; Lyte ,op.cit., p.42 ; Mallet , op.cit.,p.38 ; Rashdall , op.cit. , p.85.

واستحق هذا المرسوم الذى تم تأكيده وتجديده من جانب عدد كبير من الملوك الانجليز أن ينعى باسم العهد الأعظم أو ماجنا كارتا Magna Carta الجامعة . لأنه تضمن السواة الأولى لمعظم الامتيازات اللاحقة للجامعة . وأضفى على المستشار سلطة لا يستطيع أى مبعوث بابوى أو أسقف منحها أو إلغاؤها^١ .

وفى عام ١٢٤٥ وضع البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) الجامعة تحت حمايته الخاصة مؤكداً ضمان امتيازاتها المختلفة . وأصدر مرسوماً وعد فيه بعدم استدعاء الأساتذة والدارسين فى أكسفورد للمحاكمة خارج المدينة بواسطة الأسقفية المقدسة أو مبعوثيها بسبب أى اتفاقيات تبرم داخل المدينة^٢ .

وتأكد امتيازات الجامعة عام ١٢٥١ م نتيجة للنزاع بين الدارسين وأبناء المدينة ، الذى أسفر عن إيداع اثنين من الدارسين السجن ، وأغلقت المدارس مرة أخرى . لذا ناشدت الجامعة الملك هنرى الثالث الذى جاء إلى أكسفورد فى أوائل فبراير عام ١٢٥١ م ، بأنه من الآن فصاعداً يجب نقل كل الدارسين المقبوض عليهم من قبل السلطة المدنية إلى الحبس تحت رعاية المستشار . وأبدى الملك وعداً بتسليم الدارسين الذين يتم القبض عليهم فى منازعات طفيفة إلى المستشار ، الذى يستطيع بصفته نائباً لأسقف لنكولن فى المدارس أن يفرض العقوبة ، ولكنه احتفظ للأسقف أو نائبه الذى تعينه خصيصاً لذلك ، بالسلطة الوحيدة على اندارسين المتهمين بجرائم خطيرة . بيد أن أعضاء الجامعة عبروا صراحة عن عدم رضاهم بهذه التسوية . وأبدى الملك من جانبه حزماً صارماً بهذا الصدد . وعندما تم إلقاء القبض على ثلاثة من الدارسين بعد ذلك بوقت قصير ، أمر الملك بضرورة تسليمهم للمستشار لى تتم محاكمتهم طبقاً لتقاليد الجامعة إذا لم تكن الجروح قاتلة^٣ .

وتتوالى امتيازات الجامعة فى القرن الثالث عشر ، فقد حظيت الجامعة بامتيازات أخرى عام ١٢٥٥م على حساب حريات المدينة . فقد أمر الملك بتعيين أربعة من حكماء المدينة ، وثمانية من أبناء المدينة لمساعدة حاكم المقاطعة والنواب فى مراعاة النظام . وأن يصبح كل مالك بيت مسئولاً عن أى شخص يقيم تحت سقف منزله أكثر من ثلاث ليال . وصدرت الأوامر لتجار الخمور ببيع النبيذ للدارسين وأبناء المدينة بنفس الأسعار . كما منع تجار التجزئة من اعتراض المؤن الواردة للأسواق أو شرائها بعد بيعها مرة أخرى قبل الساعة التاسعة صباحاً ، كما صدر مرسوماً يقضى بعدم صلاحية التحليل نصف السنوى للخبز والبيرة إلا إذا تم فى حضور مستشار الجامعة أو نائبه^٤ . ونظراً لأن تعاطى الطلبة

Lyte, op. cit., p. 42.

Munimenta Academica, (ed.) by Anstey, in (Rolls Series) London, 1868, pp. 26-28; Lyte, op. cit., p. 45.

Brodrick, op. cit., p. 14; Lyte, op. cit., p. 45; Rashdall, op. cit., p. 85.

Lyte, op. cit., p. 46.

للخمور يعتبر مصدراً دائماً للمتاعب ، وكان نصف أبناء أكسفورد يخمرون النبيذ ويبيعونه ، كما كان الشراب جزءاً من أى احتفال أكاديمي ، لذا كان من الطبيعي أن يكون المستشار ملزماً من التأكد بأن أصحاب الحانات فى أكسفورد يحافظون على جودة الخمور التى يبيعونها. بيد أن ذلك لم يمنعهم من صنع الخمور من مياه الجداول ، التى تصب فيها المجارى، وتصبح شوارع المدينة مسرحاً لشجار نتيجة لذلك . بيد أن أهم ما تضمنه عهد ١٢٥٥م أنه منح مستشار الجامعة حق استلام الدارسين المعتقلين فى سجن القلعة بسبب جرائم خطيرة ، وعقاب العلمانيين من سكان المدينة باعتقالهم إذا ألحقوا ضرراً بالدارسين حتى يتم تقديم التعويض الذى يراه الطرف المتضرر والمستشار والجامعة ملائماً^١ .

وفى عام ١٢٥٦م أقر الملك بضرورة أن يتم تقدير إيجار المنازل والغرف التى يسكنها الدارسون والمؤجرة من سكان المدينة ، بواسطة لجنة مشتركة من الدارسين وأبناء المدينة مرة كل خمس سنوات بدلاً من كل عشر سنوات^٢ .

لا مرأى أن هذه الأحداث والتطورات إنما تؤكد أن جامعة أكسفورد التى حظيت بتأييد الملك ، والبابا وأسقف لنكولن على السواء ، غدت تحتل مكانة مرموقة فى عيون العالم فى منتصف القرن الثالث عشر ، والتى يتحدث عنها المؤرخ متى الباريسى باعتبارها المدرسة الثانية للكنيسة . ولتلك التسمية قصة .

فى عام ١٢٥٧م أظهر هنرى ليكسنتون Henry Lexington الذى خلف روبرت جروستيس فى منصب أسقف لنكولن ، ميولاً غير ودية تجاه الدارسين فى أكسفورد، وتوجه تسعة من معلمى الآداب لمقابلة الملك فى دير القديس البانز St. Albans لتقديم شكوى ضد ما اعتبروه اعتداء الأسقف على حريات الجامعة^٣ . وعقد المؤرخ متى الباريسى الذى كان آنذاك راهباً فى دير القديس البانز لقاء مع الملك ، وناصر قضيتهم بحماس وقال مخاطباً الملك : "سيدي ، باسم الإله اهتم بالكنيسة المتداعية بالفعل ، لأن جامعة باريس مدرسة كثيرين من الأساقفة أصابها صدع عظيم ، وإذا تعرضت جامعة أكسفورد وهى

^١ Lyte, op. cit., p. 46; Mallet, op. cit., p. 153.

^٢ Lyte, op. cit., p. 45.

^٣ كانت جامعة أكسفورد فى هذه المرحلة قد بدأت فى صياغة أعرافها غير المكتوبة إلى قوانين مكتوبة . وكان النزاع يدور حول هل يحق للجامعة إدارة أمورها بنفسها أم من خلال أسقف لنكولن^٢ ولأن الأساقفة كانوا يحاضرون بمقتضى الترخيص الذى يملحه المستشار . فقد اعتبر الأسقف الجديد ذلك انتهاكاً لحقه الخاص ، مستنداً فى ذلك على أنه بناء على التماس سلفه روبرت جروستيس أعلن البابا أنوسنت الرابع مرسوماً يقضى بأن لا يسمح لأحد بالتدريس فى أى تخصص ما لم يخضع للاختبار والموافقة من جانب الأسقف أو نائبه . وهذا القرار يبرهن بوضوح على أن مستشار الجامعة ما زال يعتبر نائب للأسقفية . وبالرغم من أن المستشار يعتبر من الناحية النظرية نائباً للأسقف ، بيد أنه باعتباره أستاذاً فى اللاهوت والقانون الكنسى بالجامعة كان دوماً معبراً عن مصالح الجامعة . وسلطته تعالى فى المدى البعيد سلطة الجامعة . وبمرور الوقت فإن دمج السلطة الأكاديمية والكنسية ، المدنية والجنائية فى أيدى مستشار مدارس أكسفورد لم يحدث أن حصل عليها رئيس أى جامعة أخرى باستثناء جامعة كامبردج . انظر ذلك فى :

Rashdall, op. cit., pp. 45, 116, 117; Lyte, op. cit., pp. 39, 40.

المدرسة الثانية للكنيسة ، وربما تكون أساس الكنيسة ذاته لنفس الصدع والاضطراب ، فإننا نخشى أن تنهار الكنيسة كلها.^١

وبناء على ذلك صدرت الأوامر للمبعوثين من مدارس أكسفورد بالمثل أمام المجلس الكبير للملك ، والذي اصطلح المؤرخون على تسميته بالبرلمان ، والذي كان على وشك الانعقاد في ويسمنستر . وربما كانت نقطة الخلاف الأساسية بين أسقف لنكولن والجامعة ، أن الأسقف من منطلق تأكيد سلطته على الجامعة حاول منع المستشار من فرض عقوبة روحية بدون الحصول على إذن خاص منه . بيد أنه تم إقرار سلطة المستشار عام ١٢٦٢م بحقه بإصدار عقوبة الحرمان الكنسي ضد نواب المدينة ، في حالة تجاوز سلطته باحتجاز الدارسين المتهمين في سجن المدينة.^٢

وبالرغم من مؤازرة التاج للجامعة لم تلبث أن تعارضت حقوق المستشار مع حقوق التاج حول حسم القضايا التي تحدث بين اليهود والدارسين ، مع الأخذ في الاعتبار أنه قبل إنشاء صندوق دير القديسة فرايدزوايد بمقتضى مرسوم البابا عام ١٢١٤ - والمشار إليه آنفاً - وغيره من الصناديق لتقديم القروض للدارسين الفقراء ، كان اليهود هم الفئة الوحيدة التي تقدم القروض في مدينة أكسفورد وكانت لهم تعاملات ضخمة مع الدارسين خلال حكم هنري الثالث^٣ . ولم يكن القانون الكنسي المناهض للربا ينطبق على أعضاء الطائفة اليهودية . وكانت القضايا التي تتشعب بينهم وبين المسيحيين تحال إلى محكمة مختلطة^٤ . ورغم تحديد سعر الفائدة من جانب الملك بمقدار بنسين عن كل جنيه فإن الخلافات الكثيرة كانت تطفو على السطح بين الدائنين اليهود والمدنيين المسيحيين ، واللجوء لمستشار الجامعة للبت فيها . وفي عام ١٢٦٠م أخذ رئيس شرطة قلعة أكسفورد على عاتقه إثارة موضوع سلطة المستشار على اليهود ، مدعياً أنهم لا يشكلون جزء من المجتمع العادي للمدينة . وأحال الملك الأمر برمته إلى لجنة من المحلفين من سكان المدينة ، جاء قرارها رغم العداء بين المدينة والجامعة لصالح سلطة المستشار بموافقة كاملة من الملك ، بحق المستشار إقرار السلام بين الطرفين

^١ يذكر المؤرخ ماثيو الباريسي في ثانيا حديثه عن مكانة أكسفورد في القرن الثالث عشر ، بأنه في عام ١٢٥٢م عرض بونيفاس رئيس أساقفة كانتربري شكواه ضد أسقف وينشستر أمام الجامعة لكي يعلن ذلك الخطأ الذي ارتكبه الأسقف على حشود الدارسين المجتمعين هناك للدراسة من أنحاء متفرقة من العالم . لكي تعرف الأمم البعيدة بذلك الخطأ من حكايات الدارسين . وحضر إليه جمع غفير من الدارسين ، فاهلوه بالترحاب باعتباره رئيساً للأساقفة ، وقدموا له كميات كبيرة من اللحم والشراب لطعامه ، وعندما لاحظ رئيس الأساقفة وحاشيته كرم ضيافتهم ، وفخامة مظهرهم ، وولاتهم ، وجاذبية شخصياتهم ، اضطروا للاعتراف بأن جامعة أكسفورد جديرة بأن تصنف باعتبارها منافساً لجامعة باريس^٥ النظر: Matthew Paris, Chronica Majora, ed. Lusrd, Rolls Series, London, 1884; vol. IV, pp. 265, 353; vol. V, p. 618; Lyte, op. cit., p. 58.

^٢ Loc. cit.

^٣ Loc. cit.

^٤ Stubbs, The Constitutional History of England, Oxford, 1873, vol. II, p. 530.

وتطبيق العمل السريع على أى منهما^١ . ويبدو من وجهة نظر الباحث أن قرار أبناء المدينة بالثناء على المستشار إنما كان بدافع الرغبة من جانبهم فى إذلال اليهود ، لأنهم بقدر ما كانوا يكرهون الدارسين ، فإن كراهيتهم لليهود كانت أشد وأقوى .

وللوقوف على أسباب المنازعات التى كانت تتدلع دوماً فى أكسفورد بين الجامعة وتحديد الدارسين وسكان المدينة ، يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الجامعة فى النصف الأول من القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر لم يكن لها أبنية خاصة بها أو ممتلكات من أى نوع . فالمدارس التى كانت تلقى فيها المحاضرات والغرف التى يسكنها الطلبة كانت جميعها مستأجرة من سكان المدينة . وكان العمل الأكاديمى يتم فى الكنائس الأبروشية أو الديرية المستأجرة لهذا الغرض . وكان لفقر الجامعة فى هذه المرحلة ميزة تعويضية ، لأنه ترك للجامعة حرية الاستقرار فى المكان الذى تريده . وطالما أصبح العامل المادى عديم الجدوى ، حينئذ يكون باستطاعة الدارسين مغادرة أكسفورد وحينئذ ينطوى رحيلهم على خسارة مادية لسكان المدينة ويمثل فشلاً زريعاً لكل من الكنيسة والملكية . وإذا كان البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) تصريحاً رسمياً للأساتذة فى باريس بالتوقف عن إلقاء المحاضرات عندما تتعرض حريات الجامعة للخطر . وفى أكسفورد كان القلق العام فى المدارس يفهم على أنه يعنى أن الدارسين يمكن أن يتفرقوا إذا لم تلق شكاوهم الاهتمام العاجل . ومن ثم فإن التهديد بمغادرة أكسفورد وإغلاق المدارس يصبح السلاح الذى يستطيعون إشهاره فى وجه سكان المدينة^٢ ، لاسيما وأن أكسفورد على حد تعبير المؤرخ ماليت الوحيدة بين مدن إنجلترا فى العصور الوسطى التى تضمنت مركزين يبدو وكأنهما يتمتعان بالحكم الذاتى Self-governing أى الجامعة والمدينة . وفى الوقت الذى كانت فيه نقابة التجار قادرة على حماية حريتها وإقرار حقوقها ضد الدارسين كانت الجامعة تحتاج دوماً إلى حماية التاج.^٣

وفى أثناء النزاع الشهير بين هنرى الثالث والبارونات الثائرين بزعامة الأيرل سيمون مونتفورت ، أبدت الجامعة تعاطفاً مع البارونات المعادين للملك ، ولم تمنع فى منحهم قرضاً استهلك جزء كبيراً من النقود التى أوصى بها وليم درهام لمعلمى الآداب الفقراء . حينئذ أمر هنرى الثالث كل الدارسين مغادرة أكسفورد . وانضم عدد كبير منهم إلى البارونات . وغامر الملك باقتحام أكسفورد ، وأقسم تحت وطأة الغضب من الدمار الذى ألحقه برجاله ، بأنه سوف يشنقهم جميعاً فور الاستيلاء على المدينة . بيد أن الملك لم ينفذ تهديده بناءً على استنكار أتباعه ، مخافة أن يؤدى ذلك إلى فقدان كل النبلاء والأتباع المؤيدين

Lyte, op. cit., pp. 58-59.

Ibid; p. 41.

Mallet, op. cit., pp. 39-40.

له ، فمن لهم أبناء وأقارب بين الدارسين . وبعد شهر واحد من وقوع الملك وولى عهده الأمير إدوارد فى الأسر على يد الأول فى معركة لويس Lewes بمقاطعة سكس ، والتي أدت إلى قلب أوضاع الأطراف المتحاربة رأساً على عقب ، أصدر الأيرل المنتصر مراسيم باسم الملك يأمر بعودة الدارسين المشتتين إلى أكسفورد^١ .

ونستطيع تفسير هذا الموقف العدائى للجامعة تجاه الملك رغم انحيازه لها وإعلاء شأنها فى عهده فى ضوء حقيقة أن الجامعة لم تكن بمنأى عن حالة الاستياء العام فى المملكة نتيجة تردى الأوضاع السياسية داخلياً وخارجياً فى عهد هنرى الثالث ، وربما إيمانهم بعدالة المطالب البارونية والتي قدمها الأيرل الثائر فى اجتماع المجلس الكبير الذى عقد فى مدينة أكسفورد عام ١٢٥٨ والتي عرفت فى التاريخ الانجليزى بشروط أكسفورد^٢ .

على أية حال ، فقد حظى النصف الثانى من القرن الثالث عشر بأهمية خاصة فى تاريخ تطور جامعة أكسفورد ، بظهور ما اصطلح على تسميته الكليات Colleges ، وهى مؤسسات خيرية ذات هدف تعليمى لإعالة الدارسين الفقراء . وخلال فترة العصور الوسطى كانت الغالبية العظمى من الدارسين العلمانيين يقيمون إما فى غرف مستأجرة من أبناء المدينة أو فى قاعات Halls مع الأخذ فى الاعتبار أن منع الدارسين من الإقامة فى بيوت الأهالى لم يتم الغاءه إلا فى عهد الملك هنرى الخامس (١٤١٣-١٤٢٢م)^٣ . ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الدارس الثرى الذى ينتمى لأسرة عريقة يستطيع أن يأخذ مسكناً خاصاً به . فى حين أن الدارس الذى يعانى الفاقة يقيم فى حجرة منفردة مهملة أعلى البيت . ومن ثم نجد أن الدارسين الذين يجدون مشقة فى دفع تكاليف المعيشة لا يرون ثمة مهانة فى قبول المساعدة من رجل ثرى ، حيث نجد الكثير من الدارسين يدينون بالفعل إلى كاهن أو أحد النبلاء بالتعليم الذى يهيئ لهم البداية الأولى للحياة . ولا مرأى أن فكرة الكفالة على أساس دائم للإقامة فى بيوت بما فيها الأكل والإقامة للدارسين الفقراء كانت بدون شك الدافع الرئيسى الذى أدى لظهور فكرة الكليات^٤ .

وتبدأ الجذور التاريخية لنظام الكليات فى تاريخ أكسفورد الباكر بعدد من الملوك والنبلاء والأساقفة يدفعون نفقات تعليم الطلبة الفقراء الذين ولدوا فى ضياعهم الإقطاعية . وكان الأغنياء المتحمسين للتعليم يقررون إعالة عدد من الدارسين فى الجامعة ، وتوفير إقامة خاصة لهم ، ووضع القواعد لضبط سلوكهم ، فى عصر يعتبر التبرع أو الهبة Chantry بهدف إعالة دارس أو أكثر من الأعمال النبيلة وتعبيراً عن التقوى والورع فى العصور

^١ Lyte, op. cit., pp. 65-66; Mallet, op. cit., pp. 52-53.

^٢ ولمزيد من التفاصيل عن النزاع بين هنرى الثالث والبارونات انظر :

زينب عبد المجيد ، المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

^٣ Rashdall, op. cit., p. 175.

^٤ Rashdall, op. cit., p. 175; Mallet, op. cit., p. 84.

الوسطى^١ . ولعل أصدق مثال على ذلك ما قام به أحد الأثرياء ويدعى الآن باسيت Alan Basset ، حيث أوصى بمبلغ مائتي مارك تؤخذ من ضيعته ، تدفع بمعدل ثمان ماركات سنوياً لاثنتين من القساوسة الذين يتولون إقامة القداس يومياً لروحه وروح زوجته ، وأيضاً للدراسة في مدارس أكسفورد أو أى مكان آخر . ويجب الاعتراف بفضل آلان باسيت باعتباره أول من أقدم على وقف بعض المال للإنفاق على دارس في أكسفورد^٢ .

وفى عام ١٢٤٩ م أوصى وليام درهام William of Durham أحد أساتذة باريس البارزين بمبلغ ثلاثمائة وعشرة مارك لجامعة أكسفورد ، بهدف إعالة عشرة أو أكثر من معلمى الآداب من أبناء كونتية درهام فى منازل يتم توفيرها فى أكسفورد من هذا المال . وقد وضعت الجامعة هذه الأموال فى خزانة عرفت باسم صندوق وليم وليام درهام . أنفقت بعضاً منه فى منح قروض بدون فائدة للدارسين . وفى أثناء النزاع البارونى الشهير فى عهد هنرى الثالث اقترض البارونات الذين جاءوا لحضور اجتماع عام ١٢٦٤م^٣ ، مبالغ ضخمة من ذلك الصندوق ، وفى ضوء ذلك لا يمكن اعتبار وليم درهام مؤسس لأقدم كلية فى أكسفورد ، لأنه لم يهدف أن يكون المتلقين لصدقاته فى شكل جماعة منظمة تتمتع بحقوق عامة . مع الأخذ فى الاعتبار أن لفظ كلية Collegium هو المرادف اللاتينى للكلمة التى تستخدم الآن بمعنى هيئة أو مؤسسة Corporation . ومن ثم فإن ما قام به وليم درهام عبارة عن منحة مالية Exhibition-fund تدار بواسطة الجامعة^٤ .

ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة للمال الذى أوصى به وليم درهام ، وأموال أخرى من متبرعين آخرين ، تم فى عام ١٢٨٠م إنشاء ما يعرف باسم كلية الجامعة University College والتى عرفت آنذاك باسم الدار الكبرى للجامعة "Gtreat University Hall" عبارة عن مجموعة صغيرة مكونة من أربعة من المعلمين غير القادرين على العيش بمستوى رفيع مع دارسين آخرين ، ويتم اختيارهم بواسطة المستشار ومعلمى اللاهوت . وكانوا جميعاً مطالبين بدراسة اللاهوت ، ولأن الجامعة لم تعتزم أن يشكل هؤلاء الدارسون مؤسسة مستقلة عن الجامعة ، فقد كان مسموحاً لهم فقط بقدر محدود فى إدارة شئونهم . ويعين الزميل الأكبر سناً The Senior Fellow رئيساً Head . وكانت السلطة الفعلية كلية فى يد المستشار والأساتذة الممارسين Regent Masters فى اللاهوت . وحصل الدارسون المقيمون بها على مخصص سنوى مقداره خمسين شلناً لكل منهم سنوياً . وصدرت القوانين المنظمة للمقيمين بها وفقاً لقواعد صارمة عام ١٢٩٢ م . بيد أن مصطلح كلية لم يخرج إلى حيز الوجود إلا

Rashdall, op. cit., p. 175.

Mallet, op. cit., p. 84; Rashdall, op. cit., p. 175.

Brodrick, op. cit., p. 17; Lyte, op. cit., pp. 10, 71, Mallet, op. cit., p. 84

Munimenta Academica, pp. 780-783; Lyte, op. cit., p. 87.

عام ١٢٨٠م ، لأن القوانين الباكورة التي أعدت من خلال الجامعة لإنشاء هذه المؤسسة صدرت في هذا العام^١ .

وفي عام ١٢٦٠م خصص جون باليول John Balliol الذي يعد واحداً من أكثر بارونات الشمال قوة و ثراء ، مبلغاً من المال للإعالة الدائمة للدارسين الفقراء في أكسفورد . وبعد وفاته زادت زوجته الأميرة الاسكتلندية ديرفوريلا Dervorguilla من قيمة المنح المالية بما يكفي لإعالة ستة عشر دارساً بمرتب سنوي يقدر بسبعة وعشرين ماركاً لكل دارس. بيد أن مؤسسة باليول خصصت لدارسي الآداب فقط ، الذين بعد حصولهم على درجة الماجستير في الآداب M.A لا يسمح لهم بالاستمرار وبالتالي ترك أماكنهم . وهؤلاء الدارسون تحت إشراف رئيس Principal كانوا يقومون بانتخابه^٢.

ونظراً لأن المؤسس الأصلي قد أغفل أن يضع كليته أي مؤسسته تحت رعاية زائر حيث من المعتاد أن يكون أسقف لنكولن هو الزائر Visitor . كذا وبمقتضى قوانين عام ١٣٤٠م قسمت سلطة الزائر بين مستشار الجامعة وأسقف درهام واثنين من المدرسين . ولكن بمقتضى قانون تم إعداده تحت إشراف السلطة البابوية بواسطة سيمون سدبري Simon Sudbury أسقف لندن عام ١٣٦٤م . جعل أسقف لندن زائر . ومن جهة أخرى فقد منحت القوانين البابوية الجديدة الكلية امتيازاً فريداً بعدئذ بحقها في انتخاب زائرها^٣.

وفي نفس الوقت أسس وولتر مرتون Walter Merton أسقف روشيستر Rochester مؤسسة تعليمية أي كلية ، من خلال تخصيص ربع ضياعه الإقطاعية في مالدين Malden لإعالة أحد عشر دارساً من الحاصلين على درجة الليسانس في الآداب للحصول على درجة الماجستير ، بدخل سنوي يقدر بأربعين شلن لكل منهم . وانطلاقاً من تقديره التام للنهضة الفكرية في عصره وعدم استعداده لرؤية سيطرة المؤسسات الدينية على مؤسسته حيث المبشرين المتحمسين لخدمة الهيمنة والسيادة البابوية ، أنشأ مؤسسته بهدف تعليم رجال

^١ في ضوء قوانين عام ١٢٩٢م ، ونظراً لقلّة عدد الدارسين بكلية أودار الجامعة ، تم اتخاذ إجراء يتم بمقتضاه قبول دارسين آخرين من ذوي الأخلاق الطيبة للإقامة والسكن ولكن على نفقتهم الخاصة وعرف هؤلاء باسم للعامّة Commoners . أي للدارسين غير الأعضاء الأساسيين في المؤسسة . وتم إنشاء مكتبة واستعارة الكتب وفقاً لشروط صارمة . وكانت اللغة اللاتينية هي لغة الحديث اليومي والعيش كدارسين وفقاً لأسلوب القديسين . وعدم الشجار أو استخدام الألفاظ البذيئة . وفرض نظام تدريجي للعقاب بمعنى أن من يهين زميله سراً تفرض عليه غرامة شلن ، وإذا كانت الإهانة أمام الزملاء تكون شلنين . وإذا حدثت الإهانة في الشارع أو الكنيسة أو في مكان للترفيه تكون الغرامة ستة شلن وثمانية دينار . وبمقتضى القوانين التكميلية الصادرة عام ١٣١١م سمح للدارسين بملاّ الأماكن الشاغرة في مؤسستهم . وللزملاء Fellows أي المعلمين الأربعة حق التصويت بصدد انتخاب الزملاء الآخرين في المستقبل . بيد أن المستشار ومعلمي اللاهوت ومراقبي الجامعة لهم حق رفض الأشخاص المنتخبين . لمزيد من التفاصيل بصدد هذه القوانين انظر :

Munimenta Academica, vol. II, pp. 56-61; Lyte, op. cit., pp. 82-84; Brodrick, op. cit., p. 17; Mallet, op. cit., pp. 87-89.

^٢ Rashdall, op. cit., p. 181; Brodrick, op. cit., p. 17; Lyte, op. cit., p. 71; Mallet, op. cit., pp. 97-98.

^٣ Rashdall, op. cit., p. 182; Mallet, op. cit., pp. 102, 104.

الدين العلمانيين ، لإعداد مجموعة من الرجال القادرين على إسداء عمل جيد للكنيسة والدولة على السواء . وتجسيدا لذلك أصدر تشريعا يحث دارسيه جميعاً على دراسة الفنون الحرة والفلسفة قبل الإقدام على دراسة اللاهوت^١ .

ومن الجدير بالذكر أن الدارسين في كلية مرتون كانوا خاضعين لإشراف مراقب Warden ، الذى كان اختياره يقع على عاتق أقدم سبع دارسين ، ومن الممكن اختياره من بينهم إذا أرادوا ذلك . بيد أنه كان يتم إيعاده حسب إرادة أسقف وينشستر . ومن المقرر زيادة عدد الدارسين تبعاً لزيادة الإيراد . وكانوا ملزمين باجتياز المقرر العادى فى الآداب ، والانتقال بعده لدراسة اللاهوت . وللمراقب حق منح الترخيص لأربعة أو خمسة من الطلبة الممتازين من المقيمين بالمؤسسة لدراسة القانون الكنسى أو المدنى . ويبدو أن الطلبة الأكبر سناً كانوا يعملون كمعلمين للأصغر سناً والذين كانوا تحت رعاية معلم النحو المقيم . وعند مخاطبة بعضهم بعضاً يستخدمون تعبير زميل Fellow . بيد أن هذه الكلمة لم تكن تعنى المعنى الحرفى الذى تدل عليه الآن . وإنما استخدمت بواسطة روبرت مرتون تعبيراً عن روح المساواة والصداقة التى يجب أن تسود بين متلقى هباته . وكان انجاز العمل الإدارى منوطاً بعدد كبير من الدارسين المقيمين بالمؤسسة أمكن توظيفهم لإدارة شئون الكلية . يعمل ثلاثة منهم أمناء للخزانة ، وخمسة آخرون لمراجعة الحسابات . والأكبر سناً فى كل قاعة dormitory يسمى عميد Dean . ويكون مسئولاً عن حسن سلوك وعمل الساكنين الآخرين . وفى عام ١٢٧٦م أصبح الزائر رئيس أساقفة كانتربرى^٢ .

وكان يتم قبول الأولاد الفقراء من أقارب المؤسس بشرط ألا يزيد العدد على ثلاثة عشر ، وبرر مرتون الإحسان الذى أسبغه على أقاربه بأنهم كانوا سيحصلون على ممتلكاتهم بالقانون لأنه حرّمهم من الميراث بمنح ممتلكاته لمؤسسة تعليمية^٣ .

ومن الجدير بالذكر أن الدارسين الأوائل فى كليات الجامعة ، باليول ، ومرتون كانوا يعيشون فى غرف منعزلة وحجرات عارية مكشوفة مكونة من طوابق من الطين . وكانوا يعانون دائماً من البرد . وحتى عهد أسرة ثيودور (١٤٨٥-١٦٣٥م) لم تكن الطوابق الخشبية والحوائط المكسوة بالخشب ، والأسقف المغطاة بالجص قد بدأت بعد . وحتى عهد الملكة اليزابيث الأولى لم تكن القدفئة أو مفروشات الأسرة وفيرة . وبدأ بعدئذ تشييد أعداد هائلة من المداخل . وأصبحت الوسائد والمخدات شائعة الاستعمال^٤ .

^١ Lyte, op. cit., pp. 72, 73; Brodrick, pp. 17, 18; Mallet, op. cit., pp. 113-116.

^٢ Lyte, op. cit., pp. 73-80; Brodrick, op. cit., pp. 18-20; Rashdall, op. cit., p. 196.

^٣ Lyte, op. cit., p. 80.

^٤ Mallet, op. cit., p. 87.

لا مرء أن تأسيس ما اصطلح المؤرخون القدامى والمحدثون على تسميته بالكليات في ضوء هذه الكليات الثلاث الباكورة يمثل حدثاً مهماً في التاريخ الأكاديمي لجامعة أكسفورد في القرن الثالث عشر.^١

وبانتهاء الحرب البارونية وتأسيس هذه الكليات الباكورة بدأت فترة جديدة في تاريخ ازدهار الجامعة واحتلت أكسفورد مكانتها بجانب باريس بين أشهر مراكز التعليم في الغرب الأوروبي وأصبح رجال التعليم في أكسفورد زعماء للفكر الأوروبي . ويذكر في هذا الصدد أن دانتي Dante استمع إلى المحاضرات في أكسفورد وتجول في شوارعها^٢ . وتتأكد مكانة أكسفورد بحلول القرن الرابع عشر ، وتزداد توهجاً في أعين أوروبا نتيجة لتدهور جامعة باريس ، واحتجاج رجال التعليم في أكسفورد بشدة على الاستبداد الروحي للبابوية ، التي انحط شأنها وباتت أسيرة لنفوذ وتأثير الملكية الفرنسية في أفينيون Avignon زهاء ستين عاماً . وسرعان ما تبع عودة البابا إلى روما الانشقاق الكبير The great Schism (١٣٧٨-١٤١٧م) . وتتأثر أشلاء الكرسي الرسولي بين عدد من البابوات في روما ، أفينيون ، وبيزا في آن واحد ، وفي الوقت الذي أجهدت فيه انجلترا طاقاتها في حملات عسكرية مضنية ضد التاجين الفرنسي والاسكتلندي . ورغم كل الأحداث السياسية التي مزقت القارة الأوروبية في القرن الرابع عشر . فقد شهد هذا القرن ازدهاراً كبيراً في مجال الآداب والفنون والتعليم . ولم تكن جامعة أكسفورد بمنأى عن هذه الصحوة الفكرية ومواصلة مسيرة تطورها^٣ .

^١ شهدت جامعة أكسفورد في القرنين الرابع عشر والخامس عشر مولد عدد كبير من الكليات مثل كلية إكستر Exter College عام ١٣١٤م ومؤسستها وولتر ستابلدون Walter Stapledon أسقف إكستر . وكلية أوريل Oriel عام ١٣٢٤م . وكلية الملكة Queen College عام ١٣٤١م على يد روبرت أجلسفيلد Robert Eggesfied فس الملكة فيليبيا Philippa زوجة الملك إدوارد الثالث (١٣٢٧-١٣٧٧م) . وكلية كانتربري وأسستها سيمون سلاب Simon Islap رئيس أساقفة كانتربري عام ١٣٦١م . والكليات الجديدة New College على يد وليام ويكهام William of Wykeham أسقف وينشيستر عام ١٣٧٩م . والذي حصل على ترخيص من الملك ريتشارد الثاني (١٣٧٧-١٣٩٩م) بتأسيس كلية تتسع لسبعين دارساً في التخصصات المختلفة من الطلاب الفقراء والمعوقين ، الحاصلين على تعليم كاف في النحو . وأن يكونوا دون العشرين من العمر . وأن يدرس عشرة منهم القانون المدني ، وعشرة آخرون للقانون الكنسي . أما الخمسون الباقون فقد تقرر أن يتجهوا لدراسة الفنون الحرة أو الفلسفة أو اللاهوت . وإذا كان وولتر مرتون هو المؤسس الحقيقي لنظام الكليات الإنجليزية . يعتبر وليام ويكهام المؤسس الثاني . ثم تأسست كلية لىكولن عام ١٤٢٩م بواسطة ريتشارد فلمنج كان أحد أتباع ويكلف Wyclifite ، للدفاع عن العقيدة الكاثوليكية ضد الهرطقة التي نجا من الوقوع في براثنها على حد تعبيره . ووجدت كليات أخرى علاوة على عدد لا حصر له من الكليات الديرية . واعتقد أن الحديث تفصيلاً عن هذه الكليات أمر لا يتسع صفحات البحث للوفاء به ويحتاج إلى دراسة مستقلة . ولمزيد من التفاصيل انظر :

Brodrick, op. cit., pp. 31, 31; Rashdall, op. cit., pp. 185-222.

Brodrick, op. cit., pp. 28-30; Lyte, op. cit., p. 138.

Brodrick, op. cit., pp. 28-30; Lyte, op. cit., pp. 28-33.

ففى عام ١٣٢٢م طالبت الجامعة ليس فقط بحق انتخاب المستشار وإنما عزله أيضاً. ووافق أسقف لنكولن على التخلي عن حقه فى تعيين المستشار بدون تردد^١. بيد أنه عندما تجدد النزاع ثانية عام ١٣٥٠م بين لنكولن، الذى أعاد مرة أخرى إثارة مسألة أحقيته فى تعيين المستشار، لجأت الجامعة، التى تحصنت بما تم الاتفاق عليه سابقاً، إلى رئيس الأساقفة، الذى حث أسقفه على إقرار تعيين المستشار فى غضون ستة أيام فقط من انتخابه، ليس ذلك فقط فقد بادر رئيس الأساقفة بإقرار تعيين المستشار دون مراعاة لأسقف لنكولن الذى أصر بدوره على أحقيته فى الانفراد بذلك وتأكيد مكانته الكنسية. وبث الأسقف الغاضب شكواه ضد رئيسه للبابا فى روما، والذى انحاز بدوره للجامعة، وبارك مسلك رئيس الأساقفة. وفى عام ١٣٦٧ ذهب البابا أربان الخامس (١٣٦٢-١٣٧٠م) إلى أبعد من ذلك بإلغاء إقرار التعيين كلية من جانب أسقف لنكولن، وأن الانتخاب الشرعى للمستشار من خلال أساتذة الجامعة الممارسين Regent Masters يعد كافياً، لتحرر الجامعة نهائياً من ربقة السيطرة الأسقفية^٢. ولم يكن متوقعاً لرئيس شمامسة أكسفورد والذى يمثل أعلى سلطة كنسية مقيمة بالمدينة، أن يكون أسعد حظاً من الأسقف فى الحد من تزايد سلطة المستشار ليحظى المستشار فى النهاية بصلاحيات رئيس الشمامسة Archidiaconal على دارسيه.

^١ يرجع المؤرخين رشدال وماليت بداية النزاع بين أسقف لنكولن والجامعة إلى أيام الأسقف أوليفر ستون Oliver Sutton، الذى أصبح منذ لحظة ارتقائه المنصب الأسقفى متورطاً فى نزاع مع الجامعة. وفى مواجهة هذا الأسقف انعقد مجلس الجامعة Congregation عام ١٢٨٠م. وتم القسم على مراعاة الحقوق الأربعة التالية باعتبارها أساساً لسلطة وتقاليد الجامعة من البداية وهى ١- استدعاء الدارسين المتهمين فى قضايا مع أبناء المدينة أمام المستشار. ٢- إثبات صحة وصايا الدارسين أمر من اختصاص المستشار. ٣- حق الاستجواب والتحقيق فى القضايا المتعلقة بالجنوح الأخلاقى للدارسين والعقود التى يبرمها المعلمين من اختصاص الجامعة. ٤- عدم الالتماس من جانب المدرسين فى أى محكمة سوى محكمة المستشار. علاوة على ذلك أظهر المستشار والمراقبون إصراراً بأن سلطة الأسقف تلتحق فقط فى الاستئناف فى القضايا الأخلاقية التى باء اللجوء فيها للمستشار أو مجلس الجامعة بالفشل. وأصر الأسقف العنيد بدوره على ضرورة حضور المستشار شخصياً أمامه لإقرار أو اعتماد تعيينه. واعترض على مطلب الجامعة بحق انتخاب مستشارها. مما أدى إلى نزاع حاد وتوقف فى المحاضرات فى أكسفورد. واضطر رئيس الجامعة - المستشار - لتحذيره بأن الجامعة لن ترضخ لهذا الفيد غير المألوف. وبناءً على تدخل الملك والبرلمان اضطر الأسقف للإذعان. بيد أنه فى أوائل القرن الرابع عشر احتج الأسقف الجديد Dalderly على ما أسماه مؤامرات الجامعة وتجاوزاتها. وأثار الصعوبات بصدد تعيين المستشار وذكر الأساتذة بأن عليهم ترشيح المستشار فقط، وأن التعيين من سلطة الأسقف وحده، ردد بالحرمان الكنسى ضد كل من يصدر قوانين تلحق ضرراً بمركزه أو أسقفيته. بيد أن الجامعة لم تياس حتى تجدد النزاع عام ١٣٢٢م. حيث وافق الأسقف كما أشرنا فى المتن على التخلي عن التعيين بدون تردد. بناءً على صيغة عرضية لكرامة الطرفين. وظلت مقبولة لمدة خمسين عاماً فقط. حيث تغاضى أسقف لنكولن عن الحضور الشخصى للمستشار، وأنه قام بإقرار واعتماد تعيينه بدافع من كرمه فقط. لمزيد من التفاصيل انظر:

Mallet, op. cit., pp. 166, 167; Rashdall, op. cit., pp. 118-120.

^٢ فى الوقت الذى استمرت فيه الصيغة التوفيقية التى أسفر عنها نزاع ١٣٢٢م بصدد إقرار تعيين المستشار - كما سبق ذكره - مقبولة لمدة خمسين عاماً من الطرفين. بيد أن هذه الفترة لم تمر دون نزاع من حين لآخر ففى عام ١٣٦٧م فوض الأسقف أقدم أساتذة اللاهوت Senior Professor لتوقيع عقوبة الحرمان الكنسى على هؤلاء الذين بالتأمر بطالبون بانتخاب المستشار انظر:

Munimenta Academica, pp. 168-172;

Mallet, op. cit., p. 167; Rashdall, op. cit., pp. 120-123, Brodrick, op. cit., p. 42.

ومن ناحية أخرى لم يتوان رئيس الأساقفة من البداية على التشجيع على استقلال الجامعة . وبالتالي لم يكن من السهل على الجامعة منازعة رئيس الأساقفة في سلطته ، وآرائه بصدد العقيدة تحظى دوماً بالطاعة . وكانت زيارته الرسمية للجامعة باعتباره زائراً Visitor بمثابة أحداث أكاديمية هامة . بيد أنه في نهاية القرن الرابع عشر أذن رئيس الأساقفة كورتناي Courtenay لمرسوم البابا بونيفاس التاسع (١٣٨٩-١٤٠٤م) الذي أعفى بمقتضاه الجامعة من سلطة رئيس الأساقفة والأساقفة جميعاً . ولكن خليفته أرندل Arundel حصل على مساعدة الملك والبرلمان بتتحية هذا المرسوم جانباً ، وأقنع البابا جريجوري الثالث عشر (١٤٠٦-١٤١٥م) بإلغائه عام ١٤١١م.^١

ونستطيع أن نقول في ضوء ما سبق أن التباين بين السلطة التي يمارسها مستشار مدارس أكسفورد باعتباره نائباً لأسقف لنكولن ، والسلطة التي آلت إليه كرئيس لجماعة لها أساتذة سرعان ما تلاشت . ذلك أن اعتماده على الجامعة جعله من الناحية العملية مستقلاً أكثر فأكثر عن الأسقف الذي كان يستمد منه سلطته لاسيما وقد أثبت التاج دوماً أنه صديقاً حميماً للمستشار ، بل ساعده على توسيع نطاق حقوقه وحرية^٢ .

ومن الجدير بالذكر أن الأساتذة الممارسين الذين ينتخبون المستشار إنما يختارون عالماً في القانون الكنسي أو اللاهوت . ولهؤلاء الأساتذة ليس فقط حق الاختيار بل رفض المرشح لمنصب المستشار . وفي أثناء أجازته يعمل العضو، أي الأستاذ الأكبر سناً ، في تخصص اللاهوت كنائب له . وفي حالة غياب المستشار عن أكسفورد من الممكن تعيين نائبه للقيام بمهامه ، بيد أن غيابه كان يمنع باستمرار بسبب الأضرار الكثيرة الناجمة عن ذلك لا سيما من جانب أسقف لنكولن . لذا ووفقاً لما تمدنا به حولية معاصرة، قد يفقد المستشار منصبه إذا غاب عن أكسفورد شهراً^٣ . وإذا ثبت عجزه عن تحقيق العدالة يحق لمجلس الجامعة استدعائه لتقويم أساليبه أو الرحيل . وبدءاً من عام ١٣٢٢ كان يتم انتخابه لمدة عامين ، ومن الممكن إعادة انتخابه لفترة ثانية . ولم تصبح وظيفته دائمة إلا في القرن الخامس عشر^٤ .

وعلى حد تعبير المؤرخ الانجليزي ماليت "بدا هذا المسئول المنتخب أي المستشار الذي يدين للأساتذة باستقلاله، وكأنه حاكماً حقيقياً أثناء فترة رئاسته للجامعة ، فقد كانت سلطاته واسعة وهيئته ليست موضوع شك ، مشاركاً في حكم وإدارة المدينة ، فهو المسئول الوحيد عن توزيع الخبز ، النبيذ ، البيرة ، وفحص الموازين والمكاييل ، والتأكد من عدم بيع الطعام الفاسد ، وإدارة الشوارع ، وطرد كل الدارسين المثيرين للفوضى ومصادرة أسلحتهم .

Mallet, op. cit., pp. 167, 168.

Mallet, op. cit., p. 169.

Munimenta Academica, vol. II, p. 127; Mallet, op. cit., p. 170.

Mallet, op. cit., p. 170.

وصار لزاماً على التجار الالتزام بقوانينه ، ويسعى الحرفيون للحصول على موافقته لتنظيم نقاباتهم ، وخضوع المتسبيون ذكوراً وإناً لعقابه . وكان العمدة ونواب المدينة ملزمين بتقديم العون له فى القبض على المخالفين . والتزام حاكم المقاطعة بإيداعهم السجن بناءً على طلبه^١ . وتتوج سلطة المستشار بالعهد الذى منحه الملك ريتشارد الثانى (١٣٧٧-١٣٩٩م) يمنع بمقتضاه الملك ونوابه من النظر فى قضايا من اختصاص محكمة المستشار . وفى عام ١٤٠٦ منح الملك هنرى الرابع (١٣٩٩-١٤١٣م) الجامعة امتيازاً يعطى للمستشار تعيين مسئول جديد باسم Seneschalor Steward ، له حق محاكمة أعضاء الجامعة وأبناء المدينة من زوى الامتيازات الخاصة ، والاتباع الذين لم يتمتعوا بحصانة الدارسين مثل الكتاب ، الحلاقين ، الطهاة ، الغساليين ، والحمالين . الخ فى الجرائم الجنائية المتهم فيها هؤلاء ، والحكم وفقاً للقانون العلمانى . وتم إقرار هذا الامتياز الذى لا يضاهى ، علاوة على الصلاحية القديمة لمحكمة المستشار بمقتضى قانون برلمانى خاص . وأصبح المستشار الرئيس المعترف به للمجلس الكبير Magna Congregatio or great Congregation ، أى مجلس الجامعة^٢ .

علاوة على المستشار وفى ضوء الحديث عن الهيكل التنظيمى لجامعة أكسفورد كان يوجد اثنين من المراقبين المنتخبين Proctors بواسطة قسم الآداب Faculty of Arts أحدهما يمثل المعلمين من أبناء الشمال ، والآخر من المعلمين من أبناء الجنوب كما سبق أن ذكرنا فى بداية هذه الدراسة . وكانا بمثابة الرسميين للجامعة ككل ، وأقدم مسئولين تنفيذيين فى الجامعة . ومن مهامهما مساعدة المستشار فى أداء وظيفته ، وتنفيذ القوانين ، والإشراف على الانتخابات ، وتنظيم العمل الأكاديمى ، والمشاركة فى احتفالات التخرج ، وإعداد قوائم بأسماء المخالفين ، والتأكد من تنفيذ العقوبات والفرامانات ، والإشراف على إنفاق وحسابات الجامعة ، وتحصيل رسوم الدرجات العلمية . ويستطيعان إذا اتحدا استخدام الفيتو Veto أى الاعتراض فى مجال التشريع ، والدعوة إذا لزم الأمر لانعقاد مجلس الجامعة للتحقيق فى

Ibid, pp. 170, 171; Brodrick, op. cit., p. 47.

^٢ من الجدير بالذكر فى ضوء كثرة القضايا المعروضة للبت أمام المستشار لم يكن ثمة مراعاة تامة لتحقيق العدالة والنظام على وجه الدقة . وكان المتهمون فى الجرائم الكبرى يستقيدون من أخطائه . ونظراً لإصرار الأساتذة الممارسين على التقاضى أمام المستشار أو من يفوضه بحيث أصبحت أعباء التقاضى تنقل كاهل المستشار أو نائبه . كان يتم الاستعانة بالدارسين الحاصلين على درجة البكالوريوس فى القانون الكنسى أو المدنى لمساعدة الدكاترة على اجتياز تلك المحاكمات . وكان الاستئناف يرفع للمستشار أولاً أو نائبه ثم إلى مجلس الأساتذة الممارسين وغير الممارسين . وكان حق الدفاع مكفولاً للدارسين . بيد أنهم كانوا على حذر من المحامين الذين يوكلونهم . لذا نص التشريع الجامعى على ضرورة البت سريعاً فى القضايا ، وكبح عدد المحامين الزائد عن الحد . لأنهم يشجعون على رفع القضايا بل وإخفاء الحقيقة من أجل الكسب المادى . لمزيد من التفاصيل انظر :

Munimentica Academica, pp. 231, 232; Mallet, op. cit., p. 174; Rashdall, op. cit., p. 103.

سلوك المستشار ، بل وإيعاده من منصبه أى أنها باعتبارهما ممثلين للأساتذة يمتلكان سلطة كبيرة فى عقاب والإطاحة برئيس الجامعة المبجل.^١

وبعد المستشار والمراقبين يأتى ما اصطلح على تسميتهم Bedels أى المحضرين^٢. وعددهم ستة ، اثنان منهم ينتمون لقسم أو مدرسة اللاهوت ، واثنان عن مدرسة القانون ، واثنان عن مدرستى الطب والآداب . وهؤلاء بمثابة موظفين منتخبين من قبل الجامعة لتنفيذ أوامرها . ويظهرون فى كل الاحتفالات الرسمية بما فى ذلك الجنازات . والذهاب إلى المدارس لتسليم قرارات الجامعة ، وإحصاء الأصوات أثناء التصويت على القرارات فى مجلس الجامعة ، وتحصيل الغرامات واصطحاب المخالفين إلى السجن . وهؤلاء المحضرين تحدد أجورهم وفقاً للقانون . وثلاثة منهم من أصل عريق وأعلى مكانة من الثلاثة الآخرين ، لذا صار لزاماً عليهم إمداد زملائهم الأدنى بالطعام وعشرة شلنات سنوياً لشراء الأحذية . ونظراً لأهميتهم ليس غريباً أن تتدخل شخصيات مرموقة فى الترشيح لتلك الوظائف^٣ .

وكانت إدارة الجامعة بأيدي الأساتذة سواء الأساتذة الممارسين The Masters Regents ، والأساتذة غير الممارسين أى المتفرغين Non Regents Masters أى الذين توقفوا عن التدريس . وللهؤلاء سلطة غير متاحة لأمثالهم فى أى مكان آخر عدا أكسفورد حيث يشاركون فى صياغة وإعداد القوانين ، وفى شئون الجامعة الهامة الأخرى . وكان مجلس قسم أو مدرسة الآداب يعرف أحياناً باسم The Black Congregation أى مجلس زوى البزة السوداء ويقصد بذلك لون الرداء الأكاديمى . وتتم دعوته للانعقاد بواسطة المراقبين للاجتماع على حده فى كنيسة القديسة ملديرد St.Mildred . ومنذ البداية رسخ هذا المجلس حقه بأن يستشار أولاً ، بمعنى أن كل قانون مقترح إصداره ، وحتى المقترحات الخاصة بتغيير القوانين ومنح الاستثناءات Graces يجب أن تعرض أولاً أمام هذا المجلس قبل اعتمادها من الجامعة ، علاوة على حق هذا المجلس بالاجماع رفض صدور أى قانون غير مرغوب فيه ، وأن القانون الذى لا يوافقون عليه لا ينفذ ، واعتراف الأقسام الرئيسية الأخرى اللاهوت ، القانون ، الطب ، بحق هذا المجلس فى التشاور والمستقل وليس عرقلة صدور قانون آخر . ومن المشكوك فيه على الأقل فى الأيام الباكورة من تاريخ جامعة أكسفورد أن يحظى أى قانون تم رفضه من جانب المعلمين الممارسين فى الآداب فى هذا

Mallet, op. cit., p. 175; Rashdall, op. cit., p. 53.

^١ نظراً لأن هذا البحث موجه إلى القارئ العربى وجدت من الأفضل استخدام تعبير المحضرين كما سبق واستخدمت مصطلح الأروقة بدلاً من تعبير الأمم Nations المذكور فى المراجع الغربية الحديثة . الباحثة .

^٢ فى ١٥٠١م من عهد الملك هنرى السابع ثيودور (١٤٨٥-١٥٠٩م) تسبب انتخاب أحد المحضرين Bedels فى أكسفورد فى حدوث انقسام حاد فى الدوائر الملكية . وفى حين أيد أمير ويلز وأسقف لنكولن أحد المرشحين ، كانت جدة الأمير الليدى مرجريست تفضل مرشحاً آخر ، والملك والملكة يشجعان مرشحاً ثالثاً . وفاز مرشح الليدى مرجريست . انظر تفاصيل ذلك فى :

Munimenta Academica, p. 321-333; Rashdall, op. cit., p. 126; Mallet, op. cit., p. 176.

المجلس بموافقة الجامعة . بيد أنه بمرور الوقت ثلاثت سلطة هذا المجلس وتوقفت اجتماعاتهم المستقلة^١ .

علاوة على هذا المجلس يوجد مجلس الأساتذة الممارسين لكل الكليات The Congregation of Regent Masters ، ويعرف باسم المجلس المصغر Parva Congregatio or Lesser Congregation ؛ وفيه يتم تناول كل ما يتعلق بعمل الجامعة مثل التمويل ، والإدارة ، المحاضرات ، الدراسة ، الدرجات العلمية ، ويعقد في جناح المرنمين بكنيسة القديسة ماري . يأتي بعد ذلك المجلس الكبير Magna Congregatio or Great Congregation الذي يضم الأساتذة الممارسين وغير الممارسين ، والذي يعتبر بمثابة البرلمان الحقيقي للجامعة . وعلى حد تعبير المؤرخ رشدال الهيئة العليا المهيمنة على الجامعة القادرة على سن قانون دائم^٢ .

وعن كيفية العمل التشريعي في الجامعة كان يتم صياغة القانون في مجلس قسم الآداب أولاً . وفي البداية كان من الضروري لإصدار أى قانون موافقة الأساتذة الممارسين وغير الممارسين في الأقسام أو التخصصات Faculties الأربعة ، الآداب ، اللاهوت ، القانون ، الطب . بيد أنه في القرن الرابع عشر أدخل مبدأ التصويت بالأغلبية ، وبعد ذلك غدا لكل كلية حق إصدار القوانين الخاصة بها . وإن كانت تفاصيل النظام والإدارة والتعليم بصفة عامة تتم من خلال المجلس الكبير أى مجلس الجامعة ، وتسرى على جميع الأقسام ، والتي لم يكن لها عمداً آنذاك^٣ .

وفيما يتعلق بتفاصيل النظام التعليمي ، بداية لم يتضح لنا أن الطالب المستجد كان يخضع لأى امتحان للقبول^٤ . ونظراً لعدم وجود نظام Matricula or Matriculation في البداية ، أى الكشوف التي يدون فيها أسماء الدارسين المستجدين ، كان يطلب من كل طالب أن يسجل اسمه لدى أحد الأساتذة الممارسين ، واختيار الأستاذ الذي يجب أن يستمع إلى محاضراته ، والإصغاء لتحذير الطلبة القدامى بعدم التسرع في اختياره ، ويعتبر ذلك أقدم

Rashdall, op. cit., p. 61; Brodrick, op. cit., p. 66; Mallet, op. cit., pp. 176, 178.

Mallet, op. cit., p. 177; Rashdall, op. cit., p. 36.

Rashdall, op. cit., p. 65; Mallet, op. cit., p. 179.

Brodrick, op. cit., p. 21.

وأقرب صيغة بديلة لنظام القبول^١ . ومن جهة أخرى لم تكن سن طالب العصور الوسطى محددة ، فقد يكون فى أى سن ، وقد يكون غلاماً فى الثالثة عشرة من عمره.^٢

وكان الأساتذة يجلسون على مقاعد مرتفعة قليلاً عن الدارسين الذين يجلسون على وسائد من القش على الأرض ، بهدف نزع كل مشاعر الخلاء والغرور من نفوسهم على حد تعبير المؤرخ ماليت . بيد أن ذلك من وجهة نظر الباحث يرجع إلى فقر موارد وإمكانيات الجامعة فى البداية . وكانت الكتب موجودة فى شكل مخطوطات باهظة الثمن ، مكدسة فى حجرات شديدة البرودة فى الأديرة . وكان التدريس يتم بطريقة شفوية Viva voce ، حيث المدرسون يقرأون والطلبة يستمعون ، قد يفهمون أو لا يفهمون . لذا كانت الفرصة الوحيدة لاكتساب المعرفة تعتمد على قوة الذاكرة ، والتعلق بشفاة المدرس - على حد تعبير المؤرخ بودريك Brodrick - الذى يحاضر لجموع متباينة من الدارسين من مختلف الأعمار والقدرات . وكان التدريس باللغة اللاتينية ، التى يعد إتقانها أمراً ضرورياً ، باعتبارها اللغة المشتركة المتداولة بين المتعلمين آنذاك . ونستطيع التعرف على طريقة التدريس فى أكسفورد فى القرن الخامس عشر من قانون صدر عام ١٤٣١م ، يفرض على الأساتذة قراءة النص أولاً ، ثم شرحه بعدئذ ، ثم تناول الفقرات التى تحتاج إلى تعليق خاص ، بيد أن الخروج على النص كان ممنوعاً . وكان التحليل والتقسيم الفرعى للنصوص ، ومعرفة وجهات النظر المؤيدة والمعارضة ، وطرح الاسئلة ، واقتراح الإجابات من الأساليب التى تروق للأساتذة والدارسين على السواء حتى أمست غريزة النقاش تسرى فى دمائهم^٣ .

لامراء أن التعليم الجامعى فى أكسفورد فى العصور الوسطى كان يتطلب وقتاً طويلاً وشاقاً للباحثين عن شرف نيل درجة علمية ، حيث يقضى الطالب فى تخصص الآداب أربع سنوات فى سماع المحاضرات التى تبدأ عادة فى الساعة الثامنة صباحاً؛ العاميين الأول والثانى لدراسة البلاغة والنحو والمنطق والفلسفة ويصبح بعدهما طالب الآداب سوفسطائياً عاماً Sophista generalis ، والعاميين الثالث والرابع فى دراسة المنطق ، وفلسفة الأخلاق لأرسطو ، والهندسة ، علاوة على محاضرتين مسائيتين فى اللغة اليونانية^٤ . وبانتهاء العام

^١ فى البداية كان نظام Matricula أى للكشوف التى يدرج فيها أسماء الدارسين ، قاصراً على الجامعات التى قامت على أساس على رابطة الطلبة مثل بولونيا . بيد أن جامعة أكسفورد قامت على أساس رابطة الأساتذة . وعلى غرارها جامعة باريس كان للأساتذة قوائم أو كشوف خاصة بهم ، يتعرف من خلالها الطالب على الأساتذة ، وبالتالي اختيار الأستاذ الذى سوف يدرس على يديه . انظر تفاصيل ذلك فى :

Mallet, op. cit., p. 180.

^٢ ول ديورانت ، قصة الحضارة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ ، ج٦ ، ص ٤٩ .

^٣ Mallet, op. cit., pp. 184; 186; Brodrick, op. cit., p. 22.

^٤ للوقوف على التفاصيل الدقيقة بصدد المناهج الدراسية ومواعيد وأيام المحاضرات للدارسين فى الآداب انظر الدراسة القيمة المرجزة التى قام بها :

الرابع يصبح الطالب مهيناً لاجتياز مناقشات في النحو والمنطق مع أحد الاساتذة يسأل ويجيب. وبنجاحه في ذلك يكون مؤهلاً لمواجهة لجنة من أربعة أساتذة يتم اختيارهم سنوياً، لكي يقرروا أنه من كل الوجوه ، التعليم ، السلوك ، حتى الهيئة شخصاً ملائماً للتخرج Determination or Determination . ثم يتوج ذلك باحتفال يضم الأصدقاء حيث تقدم الهدايا النفيسة ، الأمر الذي يجعل من التخرج حدثاً لا ينسى في حياة الطالب ، والذي ينتقل بذلك إلى مصاف الخريجين ، وحصوله على درجة البكالوريوس في الآداب Bachelor of Arts . وبناء على تصريح Licens من المستشار يبدأ في إلقاء المحاضرات العارضة Cursory أى غير الأساسية ، بجانب حضور المحاضرات لنفسه . وعند هذه الدرجة إن لم يكن قبلها كان يتوقف الكثيرون من الدارسين في أكسفورد^١ . وبعد ذلك كان يتعين على الطالب أن يدرس ثلاث سنوات أخرى للحصول على درجة الماجستير، حيث كان يتلقى في العام الأول تكون المحاضرات صباحاً في الميتافيزيقا والهندسة ، وفي المساء التاريخ واللغتين اليونانية والعبرية؛ والعامين الثاني والثالث في دراسة الفلك والميتافيزيقا والفلسفة الطبيعية لأرسطو ، وأيضاً التاريخ واللغتين العبرية واليونانية، بهدف تمكين الخريج من دراسة الفنون الحرة السبعة بمجموعتيها الثلاثية والرابعة ، وتأهيله لتدريسها، علاوة على الفلسفة بفروعها الثلاثة واللغات والتاريخ^٢ . وبعدئذ يصبح الطالب جاهزاً للاستقبال في صحبة الاساتذة . وفي احتفال رصين يتم دعوة تسعة من الاساتذة الممارسين بالاضافة إلى أستاذه الذي يقوم بتقديمه، لكي يتحدثوا من واقع معرفتهم الشخصية عن أخلاقياته وإنجازاته ، في حين يؤكد خمسة

Holland, T. "The Ancient Organisation of University of Oxford" Macmillan's Magazine, vol. XXXVI, Cambridge, 1877, pp. 203-210; Mallet, op. cit., p. 186; Brodrick, op. cit., pp. 62, 63; Rashdall, op. cit., p. 143.
Holland, op. cit., p. 207; Mallet, op. cit., p. 188.

^١ يذكر المؤرخ الإنجليزي المعاصر بورديك Brodrick أن تاريخ إدخال منهج جامعي ، أو مجموعة من الكتب والموضوعات - المقرر الدراسي - لكي يدرسها الطلبة للحصول على درجات في التخصصات المختلفة ، يرجع إلى القوانين التي قدمها المبعوث البابوي للكاردينال روبرت دي كورسون Robert de Courcon لجامعة باريس ، في بداية القرن الثالث عشر . بيد أن منهج جامعة أكسفورد كان يختلف قليلاً في الفترة بين عصر رجال التعليم وعصر النهضة . ويمقتضى القانون الصادر عام ١٤٣١م كان المنهج الدراسي في مدارس الآداب ، يتضمن علم النحو الذي احتل المرتبة الأولى من خلال مؤلفات برسكيان Priscian ، ودوناتوس ، تدرس بهدف تلقين قواعد الإعراب أو علم العروض . وكانت أشعار فرجيل Poetra Virgilii ، أوفيد Ovid ، ليفي Livy ، تاكيتوس Tacitus ، وغيرهم من الشعراء والمؤرخين الرومان تدرس باعتبارها نماذج للأسلوب الأدبي . وكانت مصنفات The Categorise لأرسطو وكتاب بورفيرى Porphyry المعروف باسم Isagoge وكتاب Topics لمؤلفه بوثيوس هي الكتب الدراسية في مدارس المنطق ، كما كانت كتابات شيشرون Gicero ، وكونتليان Quntilian في البلاغة . علاوة على مؤلفات كاسيدورس Cassiodorus ، أورمسيوس Orosius ، ومارتيانوس كابيلا Murtianus Capella ، وإيسيدور سيفيل Isidore Seville ، علاوة على مؤلفات أرسطو في الفلسفة بفروعها الثلاثة الأخلاق ، الطبيعة ، الميتافيزيقا والتي تدرج تحت اسم Nichomochen Ethics . وقد احتل المنطق قمة الدراسات باعتباره أداة للجدل والإقناع بعد تكمالته بالبلاغة ، لمزيد من التفاصيل أنظر :

Brodrick, op. cit., pp. 64, 65; Holland, op. cit., p. 207; Lyte, op. cit., p. 9; Mallet, op. cit., p. 188.

آخرون صدق ما قاله هؤلاء الأساتذة . وفي نهاية مراسم الاحتفال يتقدم أمام المستشار ويقسم أمامه راکعاً على ركبتيه باسم الثالوث المقدس . ويصبح عضواً في جماعة الأساتذة ، ويتسلم رمزاً لذلك الكتاب ، القلنسوة ، الخاتم ، وقبله المباركة من أستاذه^١ .

وتجدر الإشارة لحقيقة هامة مؤداها انفراد جامعتي أكسفورد وكمبريدج من بين كل جامعات أوروبا بعدم وجود ثمة شيء يشبه الامتحان بالمعنى الحديث . وكان النجاح في اجتياز المناقشات بمثابة اختبار للكفاءة والجدارة وأيضاً المرادف للحقيقة للامتحان . ومن حق الأستاذ الممتحن إيقاف الطالب في حالة الخروج عن الموضوع ، والجنوح لموضوعات أخرى ، أو استخدام حجج غير مقنعة^٢ .

ونتيجة لزيادة أعداد الخريجين الراغبين في الإعفاء من التدريس^٣ ، فقد نص القانون الصادر عام ١٤٣١م بأن يقوم المراقبون في نهاية كل فصل دراسي بحصر عدد الأساتذة الممارسين المستعدين للتدريس ، وتقسيمهم طبقاً للأقدمية إلى عشر مجموعات متساوية في العدد قدر المستطاع ، على أن يقوم الأساتذة الأصغر سناً بتدريس علم النحو ، وتخصيص الموضوعات الرئيسية highest subjects للأساتذة القدامى ، وعدم قيام أى شخص بتدريس أى كتب سوى تلك المنصوص عليها في القانون، والتي سبق الإشارة إليها^٤ .

على أية حال فإن الطالب الذي اجتاز المقرر الدراسي في الآداب ، وأصبح استاذاً ممارساً يستطيع الانتقال لدراسة التخصصات الأرفع والأسمى مثل الطب ، والقانون ، واللاهوت، حيث مجالات الفكر الأرحب ، وهكذا أُمست الدراسة في الآداب أولاً أساساً للدراسة في التخصصات الأخرى^٥ .

وهناك فروع أخرى من العلوم تم تدريسها في أكسفورد في العصور الوسطى مثل الطب . بيد أن موقف الكنيسة والأفكار المرتبطة بالفلسفة التعليمية Scholasticism ، حالت دون تطور علم الطب في الاتجاه الصحيح ، حيث المناقشات الشفهية أهم من الملاحظة والبحث ، والطبيب بدون تتجيم أى بدون علم الفلك مثل العين التي لا ترى . حتى روجر بيكون اعتقد أن أهم الأدوية المركبة جزئياً من اللؤلؤ والأحجار يجب أن تتعرض لتأثير

^١ Holland, op. cit., p. 208; Mallet, op. cit., p. 189.

^٢ من الجدير بالذكر أن الطالب الذي لم يتقدم إلى مرحلة أبعد من درجة البكالوريوس كان يسمى للسيد Dominus ، انظر حاشية رقم (٥) في :

Mallet, op. cit., p. 188; Munimenta Academica, p. 246.

^٣ تجدر الإشارة أن الأساتذة الممارسين كانوا ملزمين بالتدريس لمدة عامين بعد التخرج ، إلا إذا تم إعفائهم من هذا الالتزام ، وفي هذه الحالة ينظر إليهم باعتبارهم أساتذة غير ممارسين Non Regents Masters . بيد أنه يتم دعوتهم لحضور اجتماع مجلس الجامعة أى الاجتماع الكبير للمدارس انظر :

Brodrick, op. cit., p. 66.

Ibid, pp. 65, 66.

Holland, op. cit., p. 209, Mallet, op. cit., pp. 189, 190.

السنجوم لمدة ثمانية أيام . ومن جهة أخرى لم تقدر الجراحة حق قدرها، فقد نظر إليها أطباء باريس في القرن الرابع عشر ، ويرجح أطباء أكسفورد باعتبارها فناً يدوياً وصنعياً . وفي الوقت الذي كان بوسع الجراحين في أكسفورد الحصول على ترخيص بمزاولة المهنة ، لم يكن باستطاعتهم الحصول حتى على أدنى درجة علمية . ولم يكن وضعهم في أكسفورد يزيد عن وضع بائعي العقاقير والعطارين الذين يبيعون الأعشاب في الشارع الرئيسي بالمدينة . وكان التشريح ما يزال في المهد مصدراً للخوف^١، رغم أنه في سالرنو عام ١٢٣٨ أمر الإمبراطور الألماني فريديريك الثاني بتشريح جثة كل خمس سنوات . وكان أبقرات Hippocrates مؤسس الطب وجالين Galen هما الأساس . وهناك ذكر لكتب اسحاق اليهودي ، ونيقولا سسالرنى^٢ .

وفي الوقت الذي كانت القاعدة المعتادة تقضى بالتخرج من الآداب أولاً . لم تكن درجة الآداب للمشغلين بالطب . ومن جهة أخرى فإن قضاء أربع سنوات من الدراسة للحصول على درجة البكالوريوس في الطب أمراً ضرورياً للموافقة على ممارسة الطب في أكسفورد . وبناء على امتحان يعقد من خلال الأساتذة الممارسين وللحصول على درجة الدكتوراه في الطب بالنسبة لأساتذة الآداب ، كان الأمر يتطلب قضاء عامين آخرين من الدراسة في الطب ، يرحح قضاءهما في الممارسة العملية . ووفقاً لما ورد في حولية أكاديمية معاصرة . فإن قضاء عامين في الممارسة المهنية قبل الحصول على درجة دكتور في الطب M.D أمراً مؤكداً بهدف منح بعض الخبرة العملية للحصول على هذه الدرجة . وكانت الممارسة في المستشفى أمراً متاحاً بيد أنها ضئيلة . وربما كانت تبذل بعض المحاولات للتعامل مع المرضى^٣ .

على أية حال ، لم تبدأ الدراسة الأكاديمية لعلم الطب إلا في أوائل القرن السادس عشر بعد أن تلاشت سيطرة الكنيسة^٤ .

علاوة على ذلك فقد حظيت دراسة القانون الروماني بشقيه المدني والكنسي بأهمية كبرى، وأمست مجموعة القوانين المدنية للإمبراطور جستنيان ، والديكرتيوم Decretum^٥

^١ Mallet, op. cit., p. 190.

^٢ كان لجوء أبقرات إلى التجربة بمثابة حجر الأساس للعلوم الطبية في العصر الحديث . ثم جاء جالين بعده بحوالى ستمائة عام ليلقى بظلاله على تاريخ الطب لمدة تزيد عن ألف عام . وقد حظيت آرائه بالقبول لدى معظم علماء اللاهوت في العصر الوسطى سواء من اليهود أو المسيحيين أو المسلمين . وتضمنت مؤلفاته كل ما يرغب طلبة الطب معرفته علم النفس ، التشريح ، علم النبات . وكانت كتبه البالغ عددها اثنين وعشرين مجلداً في نسخها اللاتينية ، العربية ، السريانية ، العبرية تسلا المدارس في كل مكان . وكانت الترجمات العربية هي الجسر الرئيسى لعبور الطب اليونانى إلى أوروبا الغربية . انظر :

Munimenta Academica, vol. II, pp. 406-409; Mallet, op. cit., pp. 191, 192; Rashdall, op. cit., p. 156.

Munimenta Academica, vol. II, p. 406; Mallet, op. cit., p. 190.

Mallet, op. cit., p. 194.

تدرس فى مدارس القانون فى أكسفورد^١، وبات القانون المدنى الدراسة المفضلة للدارسين الأكثر طموحاً ، باعتباره الطريق المؤدى إلى الثروة والمجد . فقد كتب روجر بيكون أشهر أساتذة أكسفورد عام ١٢٧١م قائلاً : "إن رجال القانون يحصدون كل المكافآت والوظائف ، فى حين لا يمتلك دارسى اللاهوت والفلسفة الأموال اللازمة للعيش ، أو اقتناء الكتب ، أو لإجراء التجارب اللازمة لكشف أسرار العلم . ولا يمتلك رجال القانون الكنسى الوسائل الضرورية للعيش والدراسة إلا على أساس معرفتهم السابقة بالقانون المدنى لأن دارسى القانون المدنى يزدادوا ثراء ومجداً بالعمل لدى جميع الأساقفة والأمراء .. لذا فإن اشتهاه دراسة القانون المدنى كان يجذب غالبية الدارسين، وأن المحامى المدنى أكثر جدارة من رجل اللاهوت بالثناء فى كنيسة الرب . حتى لو كان عليمًا بالقانون المدنى فقط، وجاهلاً بالقانون الكنسى واللاهوت، وسرعان ما يتم اختياره للوظائف الكنسية المرموقة"^٢ .

يؤكد المؤرخ الأمريكى المعاصر نورمان كانتور ما ذكره العالم الانجليزى روجر بيكون^٣، بأنه كان بمقدور من يتخرج من إحدى جامعات العصور الوسطى بعد دراسة القانون ، أن يدخل فى خدمة أى حاكم علمانى ، وأن يواصل تدريبه بعد تخرجه فى مجال القانون الكنسى بحيث يعمل فى خدمة الكنيسة . فإذا ما اتبع المسار الأول كان من المحتمل أن يصير يوماً الوزير الأول لأحد الملوك الأقوياء المتصارعين مع البابوية، وإذا ما اتخذ السبيل الثانى أى دراسة القانون الكنسى كان من الممكن أن يختتم حياته العملية بارتقاء العرش

^١ تعرف هذه المجموعة باسم قولتين جراتيان Decretum Gratiani ، وهى عبارة عن مجموعة من القرارات والمراسيم والأحكام البابوية . صدرت حول مختلف أمور نظام القانون الكنسى . وكانت فى الأصل خطابات بابوية مرسلة إلى الأساقفة إجابة على أسئلة أو تقارير أو دعاوى . وقد جمعها المشرع والمبعوث البابوى جراتيان سنة ١١٤٠-١١٤١م تحت عنوان "ترتيب القوانين الكنسية المتنافرة" Concordantia Discordantium Canonum . والمجموعة تحتوى على ما يقرب من أربعة آلاف إشارة إلى مصادر كنسية عديدة ، مثل الدساتير الرسولية ،نصوص آباء الكنيسة ، والقوانين الصادرة عن المجامع الكنسية ، فضلاً عن المراسيم البابوية Decretals سواء كانت أصلية أم مزورة . وجميع هذه المصادر التى تتناول للنظام الكنسى رتب على نسق علمى وفقاً للمنهج المدرسى . وسرعان ما اعتبرت بمثابة كتاب أساسى فى القانون الكنسى فى مدارس القانون فى بولونيا وباريس وأكسفورد . وصارت مرجعاً ثقة فى المحاكم فى جميع أنحاء أوروبا . وهى تشكل الجزء الأول من "مجموعة القوانين الكنسية" Corpus Juris Canonici ، انظر كانتور ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ ، حاشية رقم (١) .

^٢ Mallet, op. cit., p. 194.

^٣ Lyte, op. cit., p. 55.

^٤ ما ذكره روجر بيكون بصدد إعلاء أهمية دراسة القانون المدنى إنما جاء صدى لاستياء البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) . الذى بذل قصارى جهده لقصر دراسة القانون المدنى على تخوم الامبراطورية الرومانية المقدسة فقط . وأصدر مرسوماً عام ١٢٥٤م يقضى بالآلا يتقدم أى أستاذ فى القانون ، أو محامى ليس ضليعاً فى للفنون الحرة لأى وظيفة أو منصب كنسى من أى نوع فى فرنسا ، إنجلترا ، اسكتلندا ، ويلز ، أسبانيا ، أو المجر . واقترح على حكام تلك البلاد تحريم كل المحاضرات فى القانون الرومانى القديم تحريماً مطلقاً فى كل الأماكن التى لا تعترف فى محاكمها العادية بذلك القانون . بيد أن تلك الإجراءات القمعية لم تستطع الصمود أمام إقبال الدارسين على الدراسة المكثفة للقانون المدنى . انظر تفاصيل ذلك فى :

Lyte, op. cit., pp. 55, 56.

البابوى نفسه . وبحلول النصف الثانى من القرن الثانى عشر كانت البابوية تجند كل العاملين فى جهازها الإدارى تقريباً من خريجي مدارس القانون الأوروبية.^١

وكانت درجة البكالوريوس فى القانون المدنى فى أكسفورد تتطلب أربع سنوات من الدراسة بالنسبة لأساتذة الآداب ، وست سنوات بالنسبة للآخرين؛ ودرجة الدكتوراه عامين أو ثلاثة من المحاضرات والمناقشات . ولم تكن القواعد الخاصة بالحصول على درجة البكالوريوس فى القانون الكنسى تشترط الحصول على درجة علمية فى الآداب . ولكن قضاء خمس سنوات فى دراسة القانون المدنى ، ودراسة كتاب الديكرتيوم لجراتيان ، ومراسيم البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) . وبالنسبة لدرجة الدكتوراه فى القانون الكنسى كان الأمر يتطلب قضاء عامين آخرين من الدراسة ، وعام آخر زيادة الذين لم يحصلوا على درجة فى القانون المدنى.^٢

أما بالنسبة لللاهوت العلم الأرفع مقاماً، لم تكن ستة عشرة أو تسعة عشر عاماً من الدراسة بالشئ الكثير . وأساتذة الآداب الذين قضوا سبع سنوات فى الدراسة كان عليهم الدراسة لمدة سبع سنوات أخرى للحصول على درجة البكالوريوس فى اللاهوت لكي يسمح لهم بإلقاء محاضرات عن كتاب الأحكام Sententiarum or Sentences لبطرس اللمباردى، الذى كان يحتل المرتبة الثانية بعد الإنجيل . ثم قضاء عامين آخرين من الدراسة للحصول على درجة الدكتوراه.^٣ والدارسين الذين لم يكونوا من الخريجين فى الآداب كان عليهم قضاء عشر سنوات دراسة فى اللاهوت للحصول على درجة البكالوريوس فى اللاهوت، وثمان سنوات لدراسة الفنون الحرة أى قضاء ما يقرب من تسعة عشر عاماً على الأقل للحصول على درجة دكتوراه فى اللاهوت.^٤

وبالطبع فقد أمست تكاليف اجتياز هذا النظام الدراسى المسهب والمعقد ، والحصول على درجات علمية سواء فى الآداب ، الطب ، اللاهوت والقانون ، باهظة للغاية . وعلى حد تعبير المؤرخ ماليت "فإن الكثيرين من الرجال الذين ذهبوا إلى أكسفورد ، واحتشدوا فى كنائسها ، وغنوا فى حاناتها ، وتشاجروا فى دروبها ، وتناقشوا فى مدارسها، وجدوا المعايير الأكاديمية تفوق طاقتهم ، ولم يستطيعوا مواصلة التعليم باعتباره عبئاً على وقتهم ونقودهم".^٥

^١ كانفور ، المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

^٢ Munimenta Academica, vol. II, pp. 399, 400, Mallet, op. cit., pp. 194, 195;

ولمزيد من التفاصيل بصدد المنهج الدراسى فى القانون المدنى والكنسى انظر :

Rashdall, op. cit., pp. 156, 157.

^٣ Munimenta Academica, vol. II, p. 389, Rashdall, op. cit., vol. II, pp. 158, 159; Mallet, op. cit., p. 195;

^٤ Munimenta Academica, vol. II, pp. 389, 390.

^٥ Mallet, op. cit., p. 201.

وكانت الرسوم الخاصة بمنح الدرجات العلمية تتفاوت من تخصص لآخر ، ففي حين كانت الرسوم الخاصة بالآداب تقتصر على إقامة وليمة للأساتذة لمدة أسبوع، بينما كانت درجة البكالوريوس في القرن الخامس عشر في أى تخصص تمنح مقابل أربعة بنسات ، وبالنسبة للدرجات الأعلى كانت الرسوم باهظة . لذا اتخذت بعض التدابير لتوفيق هذه التكاليف مع قدرة المرشحين لهذه الدرجات على الدفع . وكان الأستاذ الجديد في الآداب يبتهج بالتخلص من عبء إطعام الأساتذة الممارسين مقابل ما يعادل عشرون جنيهاً . وكان مسموحاً للخريجين الأثرياء بدفع نفقات تخرج زملائهم الفقراء^١ .

وفيما يتعلق بمرتبات الأساتذة في مدارس أكسفورد فقد اعتمدت أساساً على الرسوم التي تؤخذ من الدارسين^٢ ، ووفقاً للنظام السائد - كما سبق الإشارة - بأن يقوم الطالب باختيار الأستاذ الذي سيدرس على يديه ، ودفع رسوم للجامعة مقابل ذلك ، ونتيجة لذلك فإذا لم يكن بوسع الأستاذ أن يجتذب الطلاب لمحاضراته لا يعود له شيء آخر يعول عليه ، ولا بد لحياته أن تنتهي بالفشل الذريع والفقر المدقع . ومن المحتمل أن هذه الرسوم لم تكن عالية، فقد كان الطالب يدفع اثني عشر بنساً في العام أو ثلاثة بنسات في الفصل الدراسي مقابل محاضرات المنطق . والحد الأدنى لرسوم المحاضرات في الفيزياء ثمانية عشر بنساً . وتقدر رسوم الدراسة في النحو بثمانية بنسات في الفصل الدراسي الواحد . وفي التخصصات الرئيسية عامة مثل الآداب ، الطب ، اللاهوت ، القانون، كانت الرسوم أعلى، ولم يكن مسموحاً للأساتذة بتخفيفها . وفي القرن الخامس عشر كانت الرسوم في مدارس الآداب تجمع وتوزع بالتساوي على الأساتذة الممارسين، بيد أنها لم تكن كبيرة بالشكل الكافي^٣.

وفي الجامعات ذات الأصل الكنسي ، وأحياناً الجامعات ذات الأصل العلماني ، نجد كثير من الأساتذة يشغلون وظائف كنسية ذات دخل ، وذلك بصفتهم رجال دين وليس باعتبارهم أساتذة . ومن ثم جرت العادة في القرن الثالث عشر على ألا يطلب الأساتذة الذين يتقاضون مرتبات من وظائفهم الكنسية رسوماً من الطلبة . بيد أن ذلك بالطبع لا يعنى مجانية التعليم للدارسين . وفي عام ١٣٢٢م واقتداء بما حدث في باريس التمسست جامعة أكسفورد من البابا جون الثاني والعشرون (١٣١٦-١٣٣٤م) منح نفس الامتيازات التي أسبغتها البابوية على دكاترة الفلسفة واللاهوت في باريس أى الإنعام عليهم بوظائف كنسية^٤ .

^١ Ibid, p. 196.

^٢ لمزيد من التفاصيل بصدد مرتبات الأساتذة ورسوم الدارسين في جامعات العصور الوسطى انظر الدراسة القيمة التي قام بها :

Gaines Post, "Master's Salaries and Student-Fees in Mediaeval Universities", Speculum, vol. 7, 1932, pp. 181-198.

^٣ Mallet, op. cit., p. 199.

^٤ حظى أساتذة اللاهوت في مدارس باريس بأهمية خاصة ، ففي عام ١٣١٦ أمر البابا جون الثاني والعشرون أساقفة الكنيسة بتزويد الأساتذة والدارسين لللاهوت في باريس بوظائف كنسية ذات دخل لمواجهة تدهور التعليم . وبدأت جامعة باريس

لامراء أن الحاجة إلى توفير مرتبات كافية للأساتذة ، والنفقات الباهظة للتعليم الجامعي من العوامل التي عرقلت التعليم في مدارس أكسفورد منذ نشأتها . ومن ثم تأتي أهمية التبرعات والتي بدونها كان فشل التعليم الجامعي مؤكداً . وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الانجليزي المعاصر آلان جوبان Alan Gobban تدين جامعتي أكسفورد وكمبريدج في العصور الوسطى بدرجة كبيرة لسخاء العديد من المتبرعين من أصول اجتماعية متباينة ، الملوك ، الملكات ، رؤساء الأساقفة ، الأساقفة ، رجال الدين ، النبلاء ، التجار ، والبرجوازية . وبدون الدور المحوري لهؤلاء المتبرعين ما استطاعت الجامعات الانجليزية في العصور الوسطى أن تتخطى الوضع الذي كانت عليه في أوائل القرن الثالث عشر ، محصورة في إطار مجموعة من الأساتذة والدارسين يعيشون ، ويتعلمون ، ويدرسون في أماكن مزدحمة وغير ملائمة تماماً^١.

وبالرغم من المساهمة الفعالة التي أسدتها الملكية الانجليزية للمجتمع الأكاديمي بوجه عام، فقد تراءى التبرع الملكي في صورة أقل من المتوقع منه ، فيما يتعلق بالدعم المادي للدارسين ، إن الدعم الملكي للدارسين في القرن الثالث عشر لاسيما في عهد الملك هنري الثالث ، إنما جاء انعكاساً لخدمة الأغراض السياسية للملكية الانجليزية ، ولم يخرج عن كونه أداة دبلوماسية لدعم إبرام سلسلة من التحالفات العسكرية مع البارونات الفرنسيين المجاورين لخصمه اللدود الملك الفرنسي بتقديم منح دراسية لأبنائهم وأقاربهم؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد دعم تحالفه العسكري مع كونت أفرجين Auvergne بتقديم منحة دراسية لشقيق الكونت ، والإنعام عليه بوظيفة كنسبة بهدف توفير دخل ثابت أثناء الدراسة . أيضاً هناك منح نقدية قدمت لعدد من الأقارب وأبناء العاملين في الحاشية الملكية لهنري الثالث وأشهر هؤلاء إيمر لوزجنان Aymer of Lusignan الأخ غير الشقيق للملك هنري الثالث، الذي جاء للدراسة في مدارس أكسفورد عام ١٢٤٧م، حيث تم منحه مبلغ مائتي مارك نقداً وامتيازات أخرى^٢.

وكانت المبالغ المالية التي تمنح للدارسين باستثناء أقارب الملك المقربين تتراوح عادة بين خمس وعشر ليرات سنوياً . وكان الملك إدوارد الأول قد أرسل اثنين من النبلاء من جاسكوني للدراسة في أكسفورد ، وخصص لهما خمسة وثلاثون ماركاً في العام ، علاوة على

تحمل إلى بلاط روما قوائم بأسماء المرشحين الذين يرجى من البابا الاعلام بوظائف كنسية ذات دخل . انظر :

Gaines post, op. cit., p. 186.

Goblan, "English University Benefactors in the Middle Ages", History, July 2001, vol. 86, pp. 288, 289.

Lyte, op. cit., p. 14;

ولمزيد من التفاصيل عن لدعم الملكي للدارسين في القرن الثالث عشر انظر الدراسة المهمة التي قام بها :

Pegues, "Royal Support of Students in the Thirteenth Century" Speculum, January, 1956, pp. 457-462; Lyte, op. cit., p. 42.

أثنى عشر جنيهاً لكل منهما . ونظراً لأن الملكية الانجليزية تمثل متبرع متقلب الأحوال نوعاً
 ما للجامعات الانجليزية، فقد وجدت الجامعة عوضاً عن ذلك في تبرعات العائلات من أسر
 النبلاء . وتشير الاحصائيات على مدى الفترة من ١٣٠٧-١٤٨٥م وجود ما لا يقل عن ثمانية
 وثمانون فرداً من اثنين وأربعين من عائلات النبلاء كانوا يدرسون في الجامعات الانجليزية ،
 اثنين وستين منهم في أكسفورد ، وتسعة عشرة في كمبريدج ، مما أضفى على الجامعة بعداً
 سياسياً واجتماعياً، وتخفيف بعض الأعباء التي ينوء بها كاهل أقرانهم من الدارسين الفقراء^١ .
 ومن جهة أخرى تعكس تبرعات الأساقفة الإنجليز دورهم الحاسم في تطور الجامعة
 أكثر من أى فئة أخرى في المجتمع الإنجليزى ، بتأسيس الكليات لإعالة الدارسين الفقراء
 وتقاضى مخصصات مالية ، كما سبق الإشارة^٢ . وفي عام ١٢٨٨م تكفل أسقف هيرفورد
 Herford بنفقات دراسة شابين في أكسفورد بلغت في أسبوعين ما يقرب من أربعة عشر
 جنيهاً . بيد أن التبرع بتأسيس كليات لم يكن قاصراً على رجال الكنيسة فقط، فهناك سيدات
 من طبقة النبلاء ممثلين في أرملتين على درجة من الثراء هما اليزابيث بوج الابنة لأيرل
 كلارى وحفيدة الملك إدوارد الأول ، وصديقتها الحميمة ماري كونتية بيمبروك Pembroke
 الحفيدة الكبرى للملك هنرى الثالث^٣ .

وتحتل خزائن أو صناديق القروض Loan Chest مكانة بارزة في مجال التبرعات
 للجامعات الانجليزية . فقد قامت فكرتها على أساس تقديم قروض بدون فائدة للأساتذة
 والدارسين على السواء مقابل إيداع رهن مثل مخطوط ، الكتاب المقدس ، رداء ، كوب ، أو
 صليب ، كضمان للنقود المقدمة إذا لم تسدد في غضون إثني عشر شهراً . ويتم بيع الرهن
 فى حالة الإخفاق فى السداد، والأموال الباقية من بيع الرهن تعاد للمقترض الذى لم يستطع
 السداد ، وفى حالة وفاته تمنح لعامة الناس لصالح روحه . وفى الأيام الأولى من إنشاء
 خزائن القروض كان حق الاقتراض قاصراً فقط على الدارسين الذين لا يزيد دخلهم السنوى
 على ماركين اثنين . بيد أن معظم المتقدمين بعد ذلك كانوا من الدارسين الذين لا يملكون أى
 إيرادات . ويعتبر إنشاء هذه الصناديق علامة بارزة للحد من نشاط اليهود الذين قبل إبعادهم

^١ Gobban, op. cit., pp. 295, 296; Mallet, op. cit., p. 141.

^٢ لمزيد من التفاصيل بصدد الدخل الذى يتقاضاه الدارسون المقيمين بكليات أكسفورد انظر :
 Munimenta Academica, vol. I, pp. 55, 556; 655; Gobban, op. cit., p. 296.

^٣ يرجع أول ظهور لخزائن القروض فى عام ١٢٤٠م ، حين أمر روبرت جروستيت أسقف لنكولن بإيرادات جديدة للجامعة
 تقدر بمبلغ أثنان وخمسين شلن فى العام . وأن أى إضافات أخرى سوف تودع فى خزائن رئيس دير القديسة فريديزويد ،
 ووضع هذه الخزنة تحت رعاية رجل دين معين بواسطة رئيس الدير وبموافقة المستشار ، وأثنان من الرجال الثقات الذين
 تنتخبهم الجامعة . وحددت القروض بمبلغ مارك واحد ، وثلاثين شلن ، وأربع بنسات للأستاذ ، ثمانية شلنات لطالب
 البكالوريوس ، وخمس شلنات للسفطاني أى الذى أمضى عامين فقط من الدراسة فى الآداب . ويعتبر تأسيسها ضرورة
 ملحة آنذاك انظر :

Munimenta, Academica, vol. II, pp. 8, 10; Mallet, op. cit., p. 34.

من انجلترا عام ١٢٩٠م يتقاضون فوائد باهظة على القروض المقدمة للدارسين الإنجليز . وكان مؤسس خزانة القروض من جموع شتى ، اثنان كانا رؤساء أساقفة كانتربري ، وخمسة أساقفة ، واثنان من القساوسة فى حين تضم قائمة المتبرعين بتأسيسها من المؤسسين العلمانيين إليانور القشتالية Eleanor of Castile زوجة الملك إدوارد الأول توماس بيفورت Thomas Beaufort دوق إكستر Exeter ، إيل لانجسبى Ela Longespee كونتيسة ورسيك Warmick ، وهنرى لاسى Henry of Lacy إيرل لندن وغيرهم . بحيث استطاعت الجامعة فى غضون مائة عام من إنشاء أول صندوق لتقديم القروض عام ١٢٤٠م أن تتباهى بالكثير من الأموال التى تم وقفها للجامعة، والتى تقدم للمقترضين خدمة لا تقدر بثمن، واستحقت بالفعل أن تكون تخليداً لدافعيها^١ .

وهناك تبرعات لدفع مرتبات للمحاضرين فى مدارس أكسفورد فى القرن الخامس عشر ، مقدمة من أشقاء الملك هنرى الخامس (١٤١٣-١٤٢٢م) وهماجون دوق بيدفورد ، وهنرى دوق جوسيسست Humphrey of Clouceste . وقام همفري عام ١٤٣٦م بدفع مرتبات محاضرين فى الفنون الحرة والفلسفة بفروعها الثلاثة . بيد أنه فشل فى استمرارية توفير الدخل المطلوب لهم، وتوقف التبرع بوفاء الدوق . وفى السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر قامت الليدى مرجريت كونتيسة ريتشموند Richmond وأم الملك هنرى السابع بمنح وقف مالى لمنصب أستاذ فى اللاهوت . أيضاً قدم الملك هنرى السابع منح مالى لدفع مرتبات أساتذة فى اللاهوت والقانون المدنى والطب واللغتين اليونانية والعبرية عام ١٥٤٢م^٢ .

واتخذ التبرع صوراً أخرى مثل المساهمة فى تشييد أبنية للجامعة ، مثلما فعل توماس جوبهام Thomas Gobham أسقف وركستر Worcester بتمويل بناء دار اجتماعات الجامعة فى أكسفورد، وفى عام ١٣٢٠م اعترزم وضع كتبه فى حجرة فوقها للعمل كمكتبة للجامعة^٣ .

وتحتل التبرعات مكان الصدارة فى تمويل بناء مدرسة اللاهوت فى أكسفورد ملحقاً بها مكتبة الدوق همفري فوقها . واستغرق إتمام ذلك ما يقرب من خمس وستون عاماً حتى خرج إلى حيز الاستخدام عام ١٤٨٨م . ومن الجدير بالذكر أن أغلبية هؤلاء المتبرعين فعلوا ذلك استجابة لالتماسات الجامعة طلباً للمال . وأخيراً جون راسل John Russell أسقف لنكولن ، ومستشار الجامعة والمحاضر السابق فى القانون الكنسى فى مدارس أكسفورد ،

Gobban, op. cit., p. 299; Mallet, op. cit., p. 34.

Rashdall, op. cit., p. 163; Mallet, op. cit., p. 199; Gobban, op. cit., p. 303.

Rashdall, op. cit., p. 164; Gobban, op. cit., p. 303.

يعتبر واحداً من العديد من الأساقفة الذين تبرعوا لإعادة بناء مدارس القانون الكنسي في أكسفورد في الفترة بين ١٤٨٢ و ١٤٩٠ م.^١

وهكذا قدر للتبرعات أن تساهم بقسط كبير في أن يكون للجامعة أبنيتها المستقلة . وبدون تحفظ نستطيع في ضوء ما سبق أن نؤرخ وجود مباني مستقلة للجامعة بدءاً من منتصف القرن الخامس عشر بعد أن كان التدريس يتم قبل ذلك في أروقة الغرف الملحقة بالكنائس والأديرة حيث كانت كنيسة القديسة ماري مركز حياة الجامعة .

وأخيراً ، وختاماً لهذه الدراسة يتفق الباحث مع ما ذكره المؤرخون المحدثون بأنه بدون تلك التبرعات من المنح الدائمة كان فشل التعليم الجامعي مؤكداً . بيد أن رسائل الدارسين في مدارس أكسفورد إلى ذويهم كانت تئن دوماً بحاجتهم الماسة للمال، ناهيك عن الطلاب الفقراء الذين اضطروا للحصول على ترخيص من المستشار للإستجداء والتماس الصدقات التي لم تكن عيباً آنذاك.^٢

Gobban, op. cit., p. 304.

^١ لمزيد من التفاصيل بصدد شكاوى الدارسين وحياتهم انظر :
Haskins, "The Life of Medieval Students as Illustrated by Their Letters" A.H.R., vol 3; January, 1898; pp. 203-229; Richardson, "Business Training in Medieval Oxford". A.H.R., vol. XLVI, January, 1941, pp. 259-270; Mallet; op. cit., p. 303;

هاسكنز ، نشأة الجامعات ، ترجمة : جوزيف نسيم يوسف ، ص ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

- Annales Londonienses and Annales Paulini, The Chronicles of the Reigns of Edward I and Edward II, (ed.) William Stubbs, Rolles Series, London, 1965.
- Auctor Willeimo Cantuariensi, Vita S: Thomae, (ed.) Robertson, in Materials for the History of Thomas Becket, Vol. I, Rolles Series, London, 1965.
- Charter of Henry II to Oxford, A.D., 1155-1162, (ed.) W. Stubbs, Select Charters, Oxford, 1921.
- Chronica Roberti de Torigneio; (ed.) Richard Howlett, in the Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II and Richard I, Vol. IV, Rolles Series, London, 1964.
- The Chronicle of Bury St. Edmunds 1212-1301 (ed.) by Antonia Granseden, London, 1964.
- The Chronicle of Reigns of Edward I and Edward II, Vol. I (ed.) W. Stubbs, Rolles Series, London, 1881.
- Gervasii Cantuariensis Opera, Actus Pontificum (ed.) W. Stubbs, in the Historical Works of Gervase of Canturburi, Vol. II, Rolles Series, London, 1965.
- Giraldus Cambrensis, Opera, (ed.) Brewer, Vol. I, Rolles Series, London, 1861.
- Matthew Paris's, Chronica Majora, (ed.) Luard, Vol. IV., Rolles Series, London, 1884.
- Matthew Paris's, English History from the Year 1235 to 1273, Trans. From the Latin by Giles, Vol. III, London, 1852.
- Munimenta Academica; (ed.) Anstey, Vol. II, London, 1868.
- Richard of Devizes, De Rebus Gestis Richari Primi, in Chronicles of the Reigns of Stephen, Henry II and Richard I (ed.) R. Howlette, Vol. III, Rolles, Series, 1964.
- Roberti Grosseteste, Epistolae, (ed.) Luard, Rolles Series, London, 1861.
- Roger Wendover, Eiores Historiarum, (ed.) H.G. Hewlett, 3 Vols., Rolles Series, London, 1886.
- Rolles Series, The Chronicles and Memorials of Grest Britain and Ireland during the Middle Ages, London, 1858.
- Royal and Other Historical Letters of the Reign of Henry III, (ed.) Shirly, Vol., I, 1216-1235, Rolles Series, 1862.
- Theobaldus Stampensis, Epistolae, *Patrologia Latina*, (ed.) Migne, Paris, 1854, CLX III, pp. 759-770.

- Brodrick, G.G., A History of the University of Oxford, London, 1984.
- Davis, H.W.G., England Under the Normans and Angevins 1066-1272, London, 1930.
- Gobban, A. B., "English University Benefactors in the Middle Ages", *History*, July, 2001, Vol. 86, pp. 287-312.
- Green, J.R., Ashort History of the English People, Vol. I., London, 1960.
- Green, J.R., "Oxford in the Middle Ages", *English Historians Selected Passages*, Oxford University Press, 1957, pp. 141-144.
- Hashins, G.H., "The Life of Medieval Students as Illustrated by Their Letters", *A.H.R.*, Vol. 3, January, 1989, pp. 203-229.
- Holland, T.E., "The Ancient Organisation of the University of Oxford", *Macmillan's Magazine*, Vol. XXXVI, Cambridge, 1877, pp. 203-210.
- Knowles, D., The Evolution of Medieval Thought, London, 1970.
- Knowles, D., Thomas Becket, Stanford, 1970.
- Liebrmann, F., "Magister Vacarius", *E.H.R.*, April, 1896, pp. 305-314.
- Little, A.G., "The Franciscan School at Oxford in the Thirteenth Century", *Archivum Franciscanum Historicum*, Annus XIX, October, 1926, pp. 803-874.
- Lunt, W.E., A History of England, London, 1928.
- Lyte, H.G.M., A History of the University of Oxford: from the Earliest Times to the Year 1530, London, 1886.
- Mallet, G.E., A History of the University of Oxford, Vol. I The Mediaeval University and the Colleges Founded in the Middle Ages, London, 1968.
- Pegues, F., "Royal Support of Students in the Thirteenth Century", *Speculum*, January, 1956, pp. 454-462.
- Post, G., "Master's Salaries and Student-Fees in Mediaeval Universities", *Speculum*, Vol. 7, April, 1932, pp. 181-198.
- Rashdall, H., The Universites of Europe in the Middle Ages, Vol. III, Oxford, 1936.
- Richardson, H.G., "Business Training in Medieval Oxford", *A.H.R.*, Vol. XLVI, January, 1941, pp. 259-270.
- Russell, J.G., "Alexander Neckham in England", *E.H.R.*, Vol. XLVIII, January, 1932, pp. 260-268.

- Stubbs, W., The Constitutional History of England, Vol. II, Oxford, 1873.
- Stubbs, W., Select Charters and Other Illustrations of English Constitutional History from the Earliest Times to the Reign of Edward the First, Oxford, 1921.
- Traill, H.D., Mann, J.S., Social England: from the Earliest Times to the Present Day, Vol. I, Oxford, 1965.
- Willson, D.H., A History of England, London, 1972.

ثالثاً : المراجع العربية والمعرية :

- ابراهيم الجزيرى ، مظاهر الحضارة فى انجلترا الأنجلوسكسونية خلال عصر الملك الفريد العظيم ٨٧١-٨٩٩م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، ٢٠٠١م .
- جوزيف نسيم يوسف ، نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، الاسكندرية ، ١٩٨٤م .
- ديورانت (ويل) قصة الحضارة ، ج٦ من المجلد الرابع ، ترجمة محمد بدران ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- زينب عبد المجيد عبد القوى ، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩-١٢٩١م ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .
- سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج٢ ، النظم والحضارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م .
- كانتور (نورمان . ف) التاريخ الوسيط ، ج٢ ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ٢٠٠٢م .
- موريس كين ، حضارة أوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- نظير سعداوى ، تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨م .
- ياسر عبد المعبود ، جامعة باريس ودورها فى النهضة الفكرية بأوروبا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ٢٠٠٣م .

مدخل إلى مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الإنترنت

عبد العزيز رمضان *

مصر

شهدت الدراسات البيزنطية طفرة ملحوظة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين ، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى إقبال عدد كبير من الباحثين الأوروبيين والأمريكيين وكذلك الروس على التخصص في هذا المجال ، وأصبح كل يوم يمر بظهور بحث أو كتاب جديد ، وبصورة موازية حرص المتخصصون والمؤسسات والمراكز المتخصصة على مواكبة ثورة الاتصالات والمعلوماتية التي شهدها عالمنا المعاصر في الآونة الأخيرة ، وذلك من خلال الإفادة من شبكة الاتصالات العالمية Internet في نشر أحدث البحوث والمراجع ، وإطلاع الباحثين في مختلف أنحاء العالم بأخر الإصدارات ، والإعلان عن المؤتمرات الدولية وأماكن انعقادها وموعدها والبحوث التي ستلقى من خلالها ، وكذلك آخر أخبار المراكز البحثية و المنح الدراسية و الاكتشافات الأثرية ، و أخبار المتخصصين أنفسهم .

وهذه الدراسة مجرد محاولة لإطلاع الباحثين المصريين والعرب على أهم المواقع المتخصصة في مجال الدراسات البيزنطية ، وما تحتويه من إصدارات وقوائم ببليوجرافية ومقالات بحثية وغيرها .

ويعتبر موقع مؤسسة Dumbarton Oaks والمسمى www.doaks.org بالولايات المتحدة الأمريكية من المواقع الهامة و الأكثر إفادة للمتخصصين ، إذ يقدم خدمات بحثية مجانية تتيح للباحث الاطلاع على آخر إصدارات المؤسسة و أسعارها و طريقة الحصول عليها ، وكذلك آخر المؤتمرات العلمية التي عقدت أو في طريقها إلى ذلك مستقبلا ، سواء في مؤسسة الدومبارتون ، أو في غيرها من الجامعات والمؤسسات والمراكز البحثية المتخصصة ، ومحاور هذه المؤتمرات وكيفية الاشتراك بها ، وفي حالة اكتمال البرنامج تقدم أسماء المشاركين في المؤتمر و عناوين البحوث التي ستلقى به ، كذلك يقدم صورا إلكترونية مجانية لأهم منشورات المؤسسة من الدراسات والمصادر المترجمة وأعمال المؤتمرات العلمية التي تعقد فيها ، والتي لا يستطيع الباحث نسخها على جهاز الحاسب الآلي الخاص به إلا عن طريق برنامج Acrobat Reader (PDF) ، كما يقدم قوائم ببليوجرافية لموضوعات بعينها ، أو لرسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت أو سجلت في الجامعات الأمريكية .

* مدرس م. تاريخ العصور الوسطى ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

أشكر صديقي الدكتور طارق منصور الذي اقترح على فكرة هذا البحث ، ولما في ذهني بعد أن كانت جنينا يلج إلى الخروج للنور ، فله مني كل شكر وإعزاز وتقدير .

كذلك يقدم موقع مركز دراسات العصور الوسطى بجامعة فوردهام
Fordham University Center for Medieval Studies
www.fordham.edu الذي يشرف عليه الباحث الكندي باول هالسال Paul Halsal ،
وهو باحث له نشاط بيبليوجرافي كبير ، خدمات مجانية للباحثين ، ولعل أهم ما يقدمه هذا
الموقع هو كتاب تاريخ العصور الوسطى المصدري Medieval Source Book الذي
يعرض نصوص كثير من المصادر البيزنطية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، سواء أكانت
هذه المصادر كتابات تاريخية أو هجيوغرافية أو كنسية ، كما يقدم هذا الموقع قوائم
بيبليوجرافية عن موضوعات معينة .

ومن أهم المواقع المتخصصة في الدراسات البيزنطية على شبكة الإنترنت، موقع
جمعية الارتقاء بالدراسات البيزنطية Society for the Promotion of Byzantine
Studies - SPBS www.byzantium.ac.uk بإنجلترا ، والذي يقدم آخر أخبار
النشاط البحثي الجاري والمستقبلي ، وتقارير عن مؤتمرات الجمعية التي عقدت أو ستعقد فيما
بعد ، وبرامج هذه المؤتمرات والمشاركين بها ، و يقدم كذلك قائمة بما نشرته الجمعية من
أعمال هذه المؤتمرات أو التي لا زالت تحت الطبع ، بالإضافة إلى قوائم مرتبة أبجديا
لمنشورات أعضاء الجمعية من الكتب والمقالات في الدوريات المتخصصة ، سواء المنشورة
حديثا أو التي لا تزال في إطار الإعداد أو حتى التي لا تزال مجرد فكرة لم توضع بعد موضع
التنفيذ ، كذلك يقدم أرشيفا لمنشورات الأعضاء الكاملة يتم البحث فيه وفقا للترتيب الأبجدي
لأسمائهم ، ويقدم تقارير عن الرحلات والدراسات الميدانية الحديثة والحالية التي تتم في آسيا
الصغرى واليونان ، بالإضافة إلى أرشيفا يحتوى على ملخصات أبحاث الدراسات الميدانية
السابقة وما توصلت إليه من نتائج ، فضلا عن ذلك يقدم مشاريع ترجمة المصادر والتأليف
المشترك ، كما يعلن هذا الموقع بصفة دورية عن المناهج الدراسية في الأقسام والمعاهد
الجامعية الإنجليزية المتخصصة في الدراسات البيزنطية ، سواء لطلاب مرحلة الليسانس أو
مرحلة الدراسات العليا ، وعن فرص المنح البحثية التي تتيحها الجمعية للباحثين والدارسين ،
وأيضا تلك التي تقدمها المراكز والمعاهد الجامعية الأخرى ، بالإضافة إلى قائمة بجميع
المجموعات والمصادر والدوريات والدراسات المتاحة في مكتبات لندن ، الأكاديمية منها أو
التجارية ، وأخيرا يقدم قائمة بأهم المواقع المتخصصة المتصلة به .

القوائم الببليوجرافية Bibliography

تقدم المواقع المتخصصة في الدراسات البيزنطية خدمات ببليوجرافية قيمة للباحثين ،
منها قوائم عن " الدراسات البيزنطية في مدارس الدراسات العليا بشمال أمريكا تحت عنوان "
Resources for Byzantine Studies in North American Graduate School الذي
يوجد على موقع مؤسسة الدومبارتون ، ويقدم قائمة بأسماء الأقسام والمعاهد ومدارس
الدراسات العليا المتخصصة في مجال الدراسات البيزنطية بأربعة وثلاثين جامعة ، ورؤساءها
وأعضاء هيئة التدريس بها ، و المناهج الدراسية المقررة على الدارسين ، وعدد الدارسين
الحاليين المسجلين في درجة الماجستير والدكتوراه ، وعدد الرسائل التي نوقشت خلال العشر
سنوات الماضية.

كذلك يقدم موقع الدومبارتون خدمة البحث في فهرس مكتبتها ، عن طريق استخدام
مفاتيح الدخول Key Wards إما باسم المؤلف أو عنوان الكتاب أو بالموضوع ، كما يقدم
دليلا بكيفية استخدام المكتبة من قبل زائريها ، والوصول إلى المصادر والمجموعات
الموجودة بالمكتبة .

ويقدم هذا الموقع أيضا الخدمات الشرائية للباحثين لأحدث المنشورات ، والخصومات
التي يمكن الحصول عليها ، وذلك من خلال قائمتين تحمل إحداها عنوان Publications
والأخرى New Titles ، و يتم تحديثهما بصفة دورية كلما صدرت دراسات أحدث .
ومن أهم القوائم المتاحة على هذا الموقع أيضا ، قائمة بعناوين رسائل الماجستير
والدكتوراه التي سجلت أو نوقشت في الجامعات الأمريكية ، بالإضافة إلى أسم صاحب الرسالة
والأستاذ المشرف ، و أسم الجامعة والقسم الذي سجلت أو نوقشت فيه ، وهذه القائمة تحمل
عنوان Byzantine Dissertations in North America ، و تضم قسمين رئيسيين،
الأول بعنوان رسائل تحت الإعداد Dissertations in Progress ، ويحتوي على ٥٩
رسالة مسجلة حاليا في التخصصات التالية :

الأدب والآثار Art and Archaeology ، و تاريخ الأدب والآثار Art History and
Architecture ، والتاريخ History ، وتاريخ المسرح History of Theater ، وتاريخ
العلم History of Science ، واللغة والأدب Language and Literature ، والديانة
Religion ، واللاهوت Theology and Liturgy .

أما القسم الثاني فيحمل عنوان " رسائل نوقشت منذ عام ١٩٩٥م " Dissertations
Completed Since 1995 ، ويضم عناوين ٥٤ رسالة نوقشت في نفس التخصصات
السابقة بالإضافة إلى تخصصات أخرى هي : الكتابة التاريخية Historiography ،
والموسيقى Music ، وجدير بالذكر أن آخر تحديث updated لهذه القائمة تم في سبتمبر
٢٠٠١م .

وعلى موقع الدومبارتون أيضا توجد قائمة ببليوجرافية خاصة بالمرأة البيزنطية Bibliography on Women in Byzantium ، التي يقوم على نشرها مديرة شعبة الدراسات البيزنطية بالمؤسسة ، أ.د. ماري أليس تالبوت Alice-Mary Talbot ، ويشارك فيها عدد كبير من المتخصصين ، وتعد هذه القائمة استكمالا لقوائم أخرى عن المرأة في العصر الروماني المتأخر والبيزنطي الباكر ، وهي Bibliography on Women in Antiquity ، و Bibliography on Women in Late Antiquity ، و المنشورتان على موقع porterj@duke.usak.ca .

ومن قوائم الببليوجرافيا المتاحة على شبكة الإنترنت ، قائمة " المصادر البيزنطية المترجمة " Byzantine Sources in Translation ، والتي يقدمها هالسال Halsal على موقع فورد هام www.fordham.edu ، وتتميز هذه القائمة بأنها تتيح للباحث عناوين المصادر البيزنطية المترجمة إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإيطالية وغيرها من اللغات ، وقد اتبع هالسال في عرض هذه القائمة أسلوبا منظما يتيح للباحث الوصول مباشرة إلى ما يبتغيه ، حيث بدأها بمجموعات المصادر البيزنطية سواء بلغاتها الأصلية أو المترجمة ، وبعد ذلك الكتابات التاريخية والحواليات ، ثم الوثائق السياسية ، والوثائق القانونية ، ثم المصادر التي وصفت مدينة القسطنطينية ، ثم وثائق تاريخ الكنيسة ، و أدب اللاهوت ، ثم الأدب البيزنطي ، و مجموعات الرسائل ، والكتابات الفلسفية ، والكتابات العلمية ، ثم المصادر الأجنبية التي تحدثت عن التاريخ البيزنطي ، وبعد ذلك يقدم هالسال قائمة أخرى بعناوين أهم الدراسات الحديثة . وفيما يلي محاور القائمة كما توجد على شبكة الإنترنت :

A: Byzantine Source Collections

TABLE I Byzantine Source Collections - In Original Languages

TABLE II Byzantine Source Collections - In Translation

B: Byzantine Historiography

TABLE I Byzantine Historians

TABLE II Byzantine Chroniclers

TABLE III The Greek Tradition

TABLE IV The Latin Tradition

C: Byzantine Political Documents

TABLE I Byzantine Political Structures

TABLE II Fiscal Texts

TABLE III Byzantine Military Texts

D: Byzantine Legal Documents

TABLE I Byzantine Legal Texts - Collections and Codes

TABLE II Byzantine Legal Texts - Decrees, Edicts

E: Byzantium - Contemporary Descriptions

F: Byzantine Church History Documents

TABLE I Church Document Collections

TABLE II Church Councils

TABLE III Monastic Documents

TABLE III Church History Documents

TABLE IV Liturgical Documents

TABLE V Canon Law

G: Byzantine Theological Literature [post 500 CE]

**TABLE I Where to Find Texts of 4th and 5th-century
Christian Writers**

TABLE II Discourses/Treatises

TABLE III Sermons and Homilies

TABLE IV Spirituality

**TABLE IV Controversy with: Heretics; Latins; Jews; and
Muslims**

H: Byzantine Literature

TABLE I Poetry

TABLE II Other Fictional Literature

TABLE III Criticism and Belles Lettres

TABLE IV Selected Secondary Works

I: Byzantine Letter Collections

J: Byzantine Philosophy

K: Byzantine Science

L: Non-Greek Sources for Byzantine History

TABLE I Eastern Sources

[Arabic, Armenian, Coptic, Persian, Syriac, Turkish]

TABLE II Northern and Western Sources

[Latin, Russian, Slavonic, Western Vernaculars]

TABLE III Crusades

M: Modern Byzantine History Writing

TABLE I Byzantine History: Overviews

TABLE II Byzantine History: Specific Periods

-----Postscript: Byzantine Jewry

TABLE III Byzantine History: Military

وعلى موقع فوردهام أيضا توجد قائمة ببليوجرافية أعدها هالسال عن مجموعات

الوثائق والمخطوطات البيزنطية ، وتحمل عنوان :

Byzantine Manuscript Indices : Bibliography

كما يوجد على نفس الموقع مقال لهالسال بعنوان " تقليد الكتابة التاريخية البيزنطية "

The Byzantine Historiography Tradition ، ملحقا به قائمة بأسماء المصادر

التاريخية والحواليات البيزنطية سواء المترجمة إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، أو التي لا تزال بلغاتها الأصلية .

كما يقدم موقع جامعة نوتردام University of Notre Dame

www.byzantine.nd.edu قائمة كبيرة تحتوى على عناوين جميع المجموعات

والمخطوطات والمصادر والدراسات الموجودة بمكتبة معهد العصور الوسطى والدراسات

البيزنطية بالجامعة Institute of Medieval and Byzantine Studies ، مع كود ورقم

التصنيف و عدد النسخ ، وتحمل هذه القائمة عنوان Byzantine Studies at Notre

Dame .

كذلك يوجد على موقع جامعة شمال فلوريدا University of North Florida

www.unf.edu قائمة ببليوجرافية كبيرة عن القديس البيزنطي The Byzantine Saint :

A Bibliography ، ويعرض فيها لعناوين سير القديسين والقديسات ، و أهم البحوث

والدراسات التي تتناول هذا الموضوع ، والمحاور الرئيسية لهذه القائمة كما توجد على شبكة

الإنترنت كالتالي :

- What is a Saint?

- Sainthood: General

- Hagiography: General
- Canonization: General
- Byzantine Sainthood: General
- Byzantine Hagiography
- Byzantine Sainthood: Saint-Making/Canonization
- Locating Information on Saints
- Internet Bibliographies
- Biography
- The Novel
- The Pagan Holy Man
- Martyrs: Pagan and Christian Sources
- The Life of Anthony
- Early Monasticism I: Egypt and Pachomius
- Early Monasticism II: Palestine
- Early Monasticism III: Syria
- The Christian Holy Man in Society: Ascetics
- The Christian Holy Man in Society II: Bishops
- Women Saints I: The Early Church
- Women Saints II: The Byzantine Period
- Thaumaturgy (Wonder-Working), Miracles and Healing
- From Hagiography to Legend
- The Metaphrastic Effort
- Middle Byzantine Sainthood
- Later Byzantine Sainthood
- Byzantine Monasticism and Sainthood
- Post-Byzantine Greek Saints
- The Theotokos
- Saints in Art
- Saints in Liturgy
- Slavic Saints
- Major Collections

كذلك يوجد على موقع الدومبارتون قائمة بأسماء القديسين والقديسات البيزنطيين ،
وبيانات النصوص الأصلية لسيرهم ، وما ترجم منها إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، أو ما هو
في إطار الترجمة حاليا in preperation ، و اسم من يعمل في هذه الترجمة ، وهذه القائمة
من إعداد أ.د. أليس ماري تالبوت وتحمل عنوان :

Survey of Translations of Byzantine Saints' Lives

سير القديسين Hagiography

تزخر مواقع الدراسات البيزنطية على شبكة الإنترنت بالعديد من النصوص الكاملة لعدد من سير القديسين والقديسات ، بالإضافة إلى مجموعة من الدراسات الخاصة بهذا المجال ، ولعل أشهر هذه الدراسات " قاعدة بيانات الهجيوغرافية " Hagiography Database على موقع الدومبارتون ، والتي تحتوى على نصوصا كاملة باللغة اليونانية لكافة سير القديسين والقديسات البيزنطية من القرن الثامن وحتى القرن العاشر ، بالإضافة إلى مقدمة هامة تحتوى على أسماء قديسين وقديسات هذه الفترة مرتبة ترتيبا أبجديا ، وبعض المعلومات الأساسية عن كل منهم ، وقد تم نشرها حديثا في إصدار يحمل عنوان

Dumbarton Oaks Hagiography Database of 8th - 10th.Centuries

وعلى موقع الدومبارتون أيضا توجد نصوص كاملة لبعض السير المترجمة حديثا (القرن St. Maria\ Marinos إلى اللغة الإنجليزية ، مثل سيرة القديسة ماريا \ مارينوس (القرن السادس) ، St. Matrona of Perge (الخامس) ، والقديسة ماترونا البرجية (القرن الرابع والخامس) ، والقديسة St.Mary of Egypt و القديسة ماريا المصرية (القرن التاسع) ، و القديسة اليزابيث St.Theoktiste of Lesbos ثيوكتيستي الليسبوسية (القرن الخامس) ، والقديسة أثاناسيا الإيجينية St. Elisabeth of Wonderworker (القرن التاسع) ، والقديسة ثيودورا السالونيكية St.Athanasia of Aegina Mary the Younger (القرن العاشر) ، والقديسة ماريا الصغرى of Thessalonike (القرن St. Thomais of Lesbos (القرن التاسع والعاشر) ، والقديسة ثومايس الليسبوسية (القرن الثالث عشر) وهذه St. Theodora of Arta (العاشر) ، والقديسة ثيودورا الأرتية Holy Women of السير تم نشرها سنة ١٩٩٦م في كتاب واحد يحمل عنوان ، وقامت على نشره أ.د. Byzantium : Ten Saints Lives in English Translation

التي تصدرها Byzantine Saints Lives in Translation تالبت ضمن سلسلة مؤسسة الدومبارتون ، وعلى نفس الموقع يوجد النص الكامل لسيرة القديس لازاروس من جبل (القرن الحادي عشر) مترجمة إلى الإنجليزية St. Lazaros of Mt. Galesion جاليزيون The Life of St. Lazaros of Mt. ، والتي نشرت في نفس السلسلة تحت عنوان Galesion : An 11th.Century Pillar Saint.

وعلى موقع فوردهام نشر هالسال النصوص الكاملة لعدد من السير سواء بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى الإنجليزية ، وقد اعتمد فيها على السير المترجمة بالفعل من قبل آخرين ، ليقدم هذه الترجمات إلى أكبر قطاع ممكن من الباحثين ، خاصة و أن بعضها نشر في كتب نفدت طبعتها أو في رسائل علمية لم تنشر بعد ، ولذلك يشير في نهاية كل سيرة إلى بيانات الترجمة الأصلية لها ، وهي كالتالي :

Clarke , W.H., The Life of St. Macrina , London , 1916.

- سير القديسين دانييل الاستيليتي St. Daniel the Stylite (القرن الخامس) ، و ثيودور سسيكيون St. Theodore Sykeon (القرن السابع) ، و يوحنا المعطاء St. John the Almsgiver (القرن السابع) ، المأخوذة من كتاب :

London , 1948. Baynes , N., Three Byzantine Saints

- سيرة القديسة ماترونا البرجية Matrona of Perge (القرن السادس) المأخوذة من رسالة دكتوراه للباحث الليبي خليفة بن ناصر

Khalifa Ben Naser , Gender and Sanctity in Early Byzantine Monasticism
Arbor University Microfilms

- سيرة القديسة ايريني الصغرى St. Irene the Younger (القرن التاسع) المأخوذة من كتاب :

Rosenqvist , J.O., The Life of St. Irene Abbess of Chrysobalanton ,
Uppsala , 1986.

- الخمسة فصول الأولى من سيرة القديسة ماري الصغرى St. Mary the Younger (القرن التاسع و العاشر) ترجمة هالسال .

- النص اليوناني الأصلي لسيرة القديسة ثومايس الليسبوسية St. Thomais of Lesbos (القرن العاشر) .

- سيرة القديس روميلوس St. Romylos (القرن الرابع عشر) والمأخوذة من المقال التالي
M.Bartusis ; Kh. Ben Naser ; A. Laiou , Days and Deeds of a Hesychast
Saint: A Translation of the Greek Life of Saint Romylos Byzantine
Studies/Etudes Byzantines, 9:1 (1982), 24-47

ومن أهم مجموعات السير المنشورة على موقع فورد هام ، كتاب The Golden Legend or Lives of Saints ، والذي يتكون من سبع مجلدات تتناول سير القديسين والقديسات منذ ظهور المسيحية إلى القرن الثالث عشر ، بالإضافة إلى جزء خاص ببدء الخليقة وقصص الأنبياء ، وقد قام على جمعه أسقف جنوه جاكوبوس دي فوراجيني Jacobus de Voragine سنة ١٢٧٥م ، ونشر لأول مرة سنة ١٤٧٠م ، وترجمه وليم كاكستون William Caxton إلى الإنجليزية ونشره سنة ١٤٨٣م ، وأعيد نشره مرارا حتى عام ١٩٣١م ، و أهمية هذا الكتاب بالنسبة للباحثين في مجال الدراسات البيزنطية ، يكمن في عرضه لمجموعة من سير قديسي وقديسات بيزنطة و مصر والشام إبان فترة الحكم الروماني والبيزنطي ، ومنهم على سبيل المثال القديسة ماري المصرية Mary of Egypt ، والقديسة ثيودورا السكندرية Theodora of Alexandria التي عاشت في عصر الإمبراطور زينون

Zeno ، و القديس جورجوني Gorgone في عصر الإمبراطور دقلديانوس ، والقديس البيزنطي يوحنا خريسوستوم John Chrysostom ، وغيرهم كثيرين .
كذلك يقدم موقع معهد العصور الوسطى والدراسات البيزنطية بجامعة نوتردام عام ٢٠٠١م أول ترجمة إنجليزية لسيرة القديس جورج أماستريس The Life of St. George of Amastris (القرن التاسع) ، و التي لم تنشر بعد في أي إصدار ، وقد قام على ترجمتها عدد من الباحثين المتخصصين بالمعهد ، وهم ديفيد جينكينز David Jenkins ، وستيفانوس الكيسوبولوس Stephanos Alexopoulos و سارة ديفيد Sarah David ، ودارين هايتون Darin Hayton ، و أندريا ستيرك Andrea Sterk ، اعتمادا على النص اليوناني الأصلي الموجود على موقع الدومبارتون في Dumbarton Oaks Hagiography Database .

كذلك هناك دراسة قيمة للباحث توماس هيد Thomas Head ، عن تطور كتابة سير القديسات في العصور الوسطى ، وعنوانها " Women and Hagiography in Medieval Christianity " ، ويتناول فيها بعض سير القديسات البيزنطيات ، كما يلحق هذه الدراسة بقائمة ببليوجرافية تعرض لأهم الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع .

المصادر التاريخية Historical Sources

تقدم المواقع المتخصصة على شبكة الإنترنت النصوص الكاملة لعدد من المصادر التاريخية البيزنطية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، وهي كالتالي :

- يوسيبوس القيساري ، سيرة الإمبراطور قسطنطين
Eusebius of Caesarea , The Life of the Blessed Emperor Constantine

----- قصيدة مديح في الإمبراطور قسطنطين
Eusebius of Caesarea , Oration in Praise of the Emperor Constantine

والمأخوذتان من كتاب :
Nicene and Post-Nicene Fathers, 2nd Series, ed. P. Schaff and H. Wace,
(Edinburgh: repr. Grand Rapids MI: Wm. B. Eerdmans, 1955) Vol. I .

- بروكوبيوس ، التاريخ السري
Procopius of Caesarea , The Secret History

والمأخوذ عن كتاب :
Procopius: Secret History, translated by Richard Atwater, (Chicago: P. Covici, 1927; New York: Covici Friede, 1927), reprinted, Ann Arbor, MI: University of Michigan Press, ١٩٦١.

- ليوتبراند الكريموني ، تقرير سفارته إلى القسطنطينية ٩٦٣م
Liutprand of Cremona: Report of his Mission to Constantinople
والمأخوذ عن :

Ernest F. Henderson, , Select Historical Documents of the Middle Ages ,
.(London: George Bell, 1910), pp. ٤٧٧-٤٤٠.

- مزمنة مؤرخ القرن الحادي عشر ميخائيل بسلوس
Michael Psellus: Chronographia
والمأخوذة عن :

Michael Psellus: Chronographia, trans E.R.A Sewter, (New
Haven: Yale University Press, 1953)

وهناك دراسة متخصصة عن بسلوس على موقع نوتردام تحمل عنوان " رؤى بسلوس
الفلسفية " The Philosophical Views of Michael Psellos ، ترجمها ديفيد جينكينز
David Jenkins إلى الإنجليزية عن الأصل الروسي للباحث فالدينبيرج V.Valdenber

Философские Взгляды Михаила Лселла , Византийский
Сборник (1945)249-55.

- آنا كومنيني ، الألكسياد
Anna Komnena The Alexiad

والمأخوذ عن
Anna Comnena (Komnene). The Alexiad. Edited and translated by
Elizabeth A. Dawes. London: Routledge, Kegan, Paul, ١٩٢٨.

- فلهاردوين ، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية
Geoffrey de Villehardouin , Memoirs or Chronicle of The Fourth
Crusade and The Conquest of Constantinople.
والمأخوذة عن ترجمة Frank T. Marzials والتي تحمل نفس العنوان ، والمنشورة بلندن
١٩٠٨م .

كذلك يقدم موقع فوردهام نصوصا مختارة من بعض المصادر التاريخية ، وهي كالتالي :

- نصوص من حولية مؤرخ القرن الثالث عشر ثيودوروس سكوتاريوتيس Theodoros
Skoutariotes ، التي تحمل عنوان Synopsis Chronika ، وتحدث عن أباطرة القرن

الحادي عشر ابتداء بباسيل الثاني وحتى رومانوس السابع ديوجينيس ، وقد ترجمها نيكوس كونكوناس Nikos Konkounas اعتمادا على النص اليوناني الأصلي الوارد في Konstantine Sathas, Messaioniki Bibliothiki, vol. VI , pages ١٥٩-١٦٧. هذا بالإضافة إلى النصوص الخاصة بهؤلاء الأباطرة عند كل من ميخائيل بسلوس في مزمته ، وميخائيل اطالياتس في تاريخه ، مترجمة إلى الإنجليزية اعتمادا على ترجمة بسلوس السالفة الذكر ، وعلى النص الأصلي لاطالياتس

Attaliates, Historia , ed , E. Bekker, CSHB, (Boon, 1864)

كذلك يعرض لنا موقع فوردهام نصوصا كاملة أو مختارة من بعض المصادر العربية والروسية والأرمينية ، والمتعلقة بالتاريخ البيزنطي ، وهي كالتالي :-

بأوستوس بوزاندافي ، تاريخ الأرمن ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرن الخامس)

Pawstos Buzandaci , History of the Armenians (full text)-
غزار بأربيقي ، تاريخ الأرمن ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرن الخامس)

- Ghazar Parbeci , History of the Armenians (full text)
سيبوس ، التاريخ ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرن السابع)

Sebos , History (full text)
- يوحنا ماميكونيان ، ترجمة روبرت بيدروسيان ، تاريخ تارون (القرن العاشر)

John Mamikonean , History of Taron (full text)
- أريستاكيس اللستيفرتي ، ترجمة روبرت بيدروسيان ، التاريخ (القرن الحادي عشر)

Aristakes Lastivertci , History (full text)
- الحولية الجورجية ، ترجمة روبرت بيدروسيان (القرنين الثاني عشر والثالث عشر)

The Georgian Chronicle (full text)
- كيراكوس جاندزاكيتسي ، تاريخ الأرمن (القرن الثالث عشر)

- Kirakos Gandzaketsi , History of the Armenians (full text)
توفما ميتسوبيتسي ، تاريخ تيمورلنك و خلفائه

(Tovma Metsobetsi , History of Tamerlane and his Successors (full text
- نصوص مختارة من حولية نوفجورود The Chronicle of Novgorod ، والحولية
الروسية الأولى Russian Primary Chronicle ، وجميعها خاصة بالعلاقات البيزنطية
الروسية أو بالتاريخ الروسي المحلي .

- نصوص مختارة من وصف بعض الرحالة والسفراء العرب للقسطنطينية ، كوصف سفارة
عربية من البلاط العباسي إلى الإمبراطور باسيل الأول في نهاية القرن العاشر An Arab
Ambassador in Constantinople ، ووصف الرحالة المسلم ابن بطوطة للقسطنطينية
في منتصف القرن الرابع عشر ، بالإضافة إلى وصف الرحالة اليهودي بنيامين التيطلي لها
المنتصف الثاني من القرن الثاني عشر .

المصادر العسكرية Military Sources

يقدم لنا موقع الدومبارتون مصدرا عسكريا هاما نشرته المؤسسة حديثا ، وهو " مالك
الحزين البيزنطي : فن الحصار " ، ويضم مخطوطتين تم نسخهما في القرن العاشر الميلادي

Heron of Byzantium , Siegecraft , Two Tenth - Century Instructional
Manuals

النصوص التشريعية Legal Texts

يقدم موقع فوردهام عددا كبيرا من النصوص القانونية المختارة من تشريعات
الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Codex Theodosianus والإمبراطور جستنيان Institutes
و Digest و Codex Justinianus و Novellae ، خاصة بالأوضاع القانونية لليهود
والعبيد والأطفال والزواج المختلط بين العبيد والأحرار ووضعيات الأراضي الزراعية ، كذلك
يقدم النص الكامل لقانون الفلاح والمنشور في :-

W. Ashburner, trans., "The Farmer's law", Journal of Hellenic Studies, 32
(1912), 87-95

موقع فوردهام نصوصا مقتبسة من تشريعات ليو الثالث المعروفة بالايكلوجا تخص كذلك يقدم
المتفق عليها في كتابة عقود الزواج ، والجرائم الجنسية المقترفة من قبل أحد الزوجين الصيغة
أو الاغتصاب بالإكراه ، وهي مأخوذة من :-

Freshfield, E., trans., A Manual of Roman Law ; The 'Ecloga'
(Cambridge, 1926) pp. 72-74 ; 108-12.

المصادر الدينية Religious Sources

أولا : المواعظ والرسائل Letters and Homilies :-

يعرض موقع لوردهام عددا كبيرا من المواعظ الرسائل الدينية للقديس يوحنا الذهبي الفم
John Chrysostom (القرنين الرابع والخامس) ، ويوحنا الدمشقي John of
Damascus ، ويوحنا موسخوس John Moschos ، ويوحنا كليماخوس John
Klimakos ، وثيودور رئيس رهبان دير ستوديرس القسطنطيني Theodore of Studios
(القرن التاسع) .

ثانيا : لوائح تنظيم الأديرة البيزنطية

Byzantine Monastic Foundation Documents

وهي مجموعة كاملة لكافة اللوائح والوثائق الخاصة بالأديرة البيزنطية الباقية من القرن
السابع وحتى نهاية القرن الخامس عشر (٦١ وثيقة) ، وهو عمل قام على ترجمته من
اليونانية القديمة والحديثة والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية فريق عمل يضم عددا
كبيرا من المتخصصين في مجال الدراسات البيزنطية ، وقد نشرته مؤسسة الدومبارتون فيما
يليد عن ٢٤٠٠ صفحة تضمهم ثلاث مجلدات ، كما أتاحت نسخة منه على موقعها ليفيد منه
أكبر عدد ممكن من الباحثين ، وبيان محتواها كالتالي :-

Introduction / 122k

Early Monastic Rules / 122k

Chapter One: Traditional Private Religious Foundations / 61k

Introduction

Seventh Century

1. Apa Abraham: Testament of Apa Abraham, Bishop of
Hermonthis, for the Monastery of St. Phoibammon near Thebes,
Egypt (trans. Leslie S. B. MacCoull) / 61k

Eighth Century

2. Pantelleria: Typikon of John for the Monastery of St. John the Forerunner on Pantelleria (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 61k

Ninth Century

3. Theodore Studites: Testament of Theodore the Studite for the Monastery of St. John Stoudios in Constantinople (trans. Timothy Miller) / 92k

4. Stoudios: Rule of the Monastery of St. John Stoudios in Constantinople (trans. Timothy Miller) / 153k

Tenth Century

5. Euthymios: Testament of Euthymios for the Monasteries of Psamathia and Ta Agathou (trans. Patricia Karlin-Hayter) / 31k

6. Rila: Testament of John of Rila (trans. Ilija Iliev) / 61k

7. Latros: Testament of Paul the Younger for the Monastery of the Mother of God tou Stylou on Mount Latros (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 61k

Eleventh Century

8. John Xenos: Testament of John Xenos for the Monastery of the Mother of God Antiphonetria of Myriokephala on Crete (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 31k

9. Galesios: Testament of Lazarus of Mount Galesios (trans. Patricia Karlin-Hayter) / 92k

10. Eleousa: Rule of Manuel, Bishop of Stroumitza, for the Monastery of the Mother of God Eleousa (trans. Anastasius Bandy) / 122k

Chapter Two: Athonite Monasteries / 61k

Introduction

Tenth Century

11. Ath. Rule: Rule of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery (trans. George Dennis) / 153k

12. Tzimiskes: Typikon of Emperor John Tzimiskes (trans. George Dennis) / 92k

13. Ath. Typikon: Typikon of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery (trans. George Dennis) / 122k

14. Ath. Testament: Testament of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery (trans. George Dennis) / 61k

15. Constantine IX: Typikon of Emperor Constantine IX Monomachos (trans. Timothy Miller) / 61k

Chapter Three: The Protectorate / 92k

Introduction

Tenth Century

16. Mount Tmolos: Typikon of Nikephoros Erotikos for the Monastery of the Mother of God and the Old Age Home called Ta Derma on Mount Tmolos (trans. John Thomas) / 31k

17. Nikon Metanoeite: Testament of Nikon the Metanoeite for the Church and Monastery of the Savior, the Mother of God and St. Kyriake in Lakedaimon (trans. Anastasius Bandy) / 61k

Eleventh Century

18. Nea Gephyra: Testament of Nikodemos for the Monastery of Nea Gephyra near Lakedaimon (trans. Stephen Reinert) / 31k

19. Attaleiates: Rule of Michael Attaleiates for his Almshouse in Rhaidestos and for the Monastery of Christ Panoiktirmon in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 214k

20. Black Mountain: Regulations of Nikon of the Black Mountain (trans. Robert Allison) / 214k

21. Roidion: Typikon of Nikon of the Black Mountain for the Monastery and Hospice of the Mother of God Tou Roidiou (trans. Robert Allison) / 92k

Chapter Four: Early Reform Monasteries of the Eleventh Century / 92k

Introduction

22. Evergetis: Typikon of Timothy for the Monastery of the Mother of God Evergetis (trans. Robert Jordan) / 244k

23. Pakourianos: Typikon of Gregory Pakourianos for the Monastery of the Mother of God Petritzonitissa in Backovo (trans. Robert Jordan) / 244k

24. Christodoulos: Rule, Testament and Codicil of Christodoulos for the Monastery of St. John the Theologian on Patmos (trans. Patricia Karlin-Hayter) / 183k

Chapter Five: Imperial and Royal Monasteries of the Twelfth Century / 61k

Introduction

25. Fragala: Testaments of Gregory for the Monastery of St. Philip of Fragala in Sicily (trans. Patricia Karlin-Hayter and Timothy Miller) / 92k

26. Luke of Messina: Typikon of Luke for the Monastery of Christ Savior (San Salvatore) in Messina (trans. Timothy Miller) / 61k

27. Kecharitomene: Typikon of Empress Irene Doukaina Komnene for the Convent of the Mother of God Kecharitomene in Constantinople (trans. Robert Jordan) / 305k

28. Pantokrator: Typikon of Emperor John II Komnenos for the Monastery of Christ Pantokrator at Constantinople (trans. Robert Jordan) / 244k

29. Kosmosoteira: Typikon of the Sebastokrator Isaac Komnenos for the Monastery of the Mother of God Kosmosoteira near Bera (trans. Nancy Patterson Sevcenko) / 336k

Chapter Six: Early Reform Monasteries of the Twelfth Century / 61k

Introduction

30. Phoberos: Rule of John for the Monastery of St. John the Forerunner of Phoberos (trans. Robert Jordan) / 336k

31. Areia: Memorandum and Typikon of Leo, Bishop of Nauplia, for the Monastery of the Mother of God in Areia (trans. Alice-Mary Talbot) / 92k

32. Mamas: Typikon of Athanasios Philanthropenos for the Monastery of St. Mamas in Constantinople (trans. Anastasius Bandy) / 275k

33. Heliou Bomon: Typikon of Nikephoros Mystikos for the Monastery of the Mother of God ton Heliou Bomon or Elegmon (trans. Anastasius Bandy) / 214k

Chapter Seven: Independent and Self-Governing Monasteries of the Thirteenth Century / 61k

Introduction

34. Machairas: Rule of Neilos, Bishop of Tamasia, for the Monastery of the Mother of God of Machairas in Cyprus (trans. Anastasius Bandy) / 275k

35. Skoteine: Testament of Maximos for the Monastery of the Mother of God at Skoteine near Philadelphia (trans. George Dennis) / 122k

36. Blemmydes: Typikon of Nikephoros Blemmydes for the Monastery of the Lord Christ-Who-Is at Ematha near Ephesos (trans. Joseph Munitiz) / 61k

37. Auxentios: Typikon of Michael VIII Palaiologos for the Monastery of the Archangel Michael on Mount Auxentios near Chalcedon (trans. George Dennis) / 122k

38. Kellibara I: Typikon of Michael VIII Palaiologos for the Monastery of St. Demetrios of the Palaiologoi-Kellibara in Constantinople (trans. George Dennis) / 92k

39. Lips: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Lips in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 153k

40. Anargyroi: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Sts. Kosmas and Damian in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 61k

Chapter Eight: Later Private Religious Foundations / 61k

Introduction

Twelfth Century

41. Docheiariou: Rule of Neophytos for the Monastery of St. Michael the Archangel of Docheiariou on Mount Athos (trans. Robert Allison) / 61k

42. Sabas: Founder's Typikon of the Sabas Monastery near Jerusalem (trans. Gianfranco Fiaccadori) / 61k

43. Kasoulon: Rule of Nicholas for the Monastery of St. Nicholas of Kasoulon near Otranto (trans. Timothy Miller) / 61k

44. Karyes: Typikon of Sabbas the Serbian for the Kellion of St. Sabbas at Karyes on Mount Athos (trans. George Dennis) / 61k

Thirteenth Century

45. Neophytos: Testamentary Rule of Neophytos for the Hermitage of the Holy Cross near Ktima in Cyprus (trans. Catia Galatariotou) / 153k

Fourteenth Century

46. Akropolites: Testament of Constantine Akropolites for the Monastery of the Resurrection (Anastasis) in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 61k

47. Philanthropos: Typikon of Irene Choumnaina Palaiologina for the Convent of Christ Philanthropos in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 61k

48. Prodromos: Testament of Neilos for the Monastery of St. John the Forerunner (Prodromos) on Mount Athos (trans. Stephen Reinert) / 31k

49. Geromeri: Testament of Neilos Erichiotes for the Monastery of the Mother of God Hodegetria in Geromeri (trans. George Dennis) / 61k

50. Gerasimos: Testament of Gerasimos for the Small Monastery of St. Euthymios in Jerusalem (trans. George Dennis) / 31k

51. Koutloumousi: Testaments of Chariton for the Monastery of Christ Savior of Koutloumousi on Mount Athos (trans. George Dennis) / 122k

52. Choumnos: Rule and Testament of Makarios Choumnos for the Nea Mone of the Mother of God in Thessalonike (trans. Alice-Mary Talbot) / 92k

53. Meteora: Canonical Rule of Athanasios the Meteorite for the Monastery of the Transfiguration (Metamorphosis) (trans. George Dennis) / 61k

Fifteenth Century

54. Neilos Damilas: Testament and Typikon of Neilos Damilas for the Convent of the Mother of God Pantanassa at Baionaia on Crete (trans. Alice-Mary Talbot) / 92k

Chapter Nine: Independent and Self-Governing Monasteries of the Fourteenth and Fifteenth Centuries / 61k

Introduction

Fourteenth Century

55. Athanasios I: Rule of Patriarch Athanasios I (trans. Timothy Miller) / 61k

56. Kellibara II: Typikon of Andronikos II Palaiologos for the Monastery of St. Demetrios-Kellibara in Constantinople (trans. George Dennis) / 31k

57. Bebaia Elpis: Typikon of Theodora Synadene for the Convent of the Mother of God Bebaia Elpis in Constantinople (trans. Alice-Mary Talbot) / 275k

58. Menoikeion. Typikon of Joachim, Metropolitan of Zichna, for the Monastery of St. John the Forerunner on Mount Menoikeion near Serres (trans. Timothy Miller) / 153k

Fifteenth Century

59. Manuel II: Typikon of Emperor Manuel II Palaiologos for the Monasteries of Mount Athos (trans. George Dennis) / 61k

60. Charsianeites: Testament of Patriarch Matthew I for the Monastery of Charsianeites Dedicated to the Mother of God Nea Peribleptos (trans. Alice-Mary Talbot) / 183k

61. Eleousa Inv.: Inventory of the Monastery of the Mother of God Eleousa in Stroumitza (trans. Anastasius Bandy, with Nancy Sevcenko) / 61

Glossary / 61k (Text revised 7/8/99)

Appendix A: Concordance with Previous Lists / 31k

Appendix B: The Regulation of Diet in the Byzantine Monastic Foundation Documents / 92k

Appendix C: Topical Interrelationships of the Families of the Typika of the Byzantine Monastic Reform Movement / 31k

General Bibliography / 92k

Indexes (draft texts)

People and Places

General Index

الكتابات الحديثة Modern Writing

أخيرا يقدم موقع الدومبارتون خدمة أخرى للباحثين في مجال الدراسات البيزنطية ،
تتمثل في إتاحتها لنصوص كاملة لبعض الإصدارات الحديثة للمؤسسة ، بالإضافة إلى أعداد
دورية Dumbarton Oaks Papers بداية من العدد رقم ٥٣ الصادر في عام ١٩٩٩ م ،
وفيما يلي قائمة بهذه الإصدارات المتاحة ومحتوياتها :-

- التاريخ الاقتصادي لبيزنطة من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر ، نشر أنجليكي لايو
(ثلاث أجزاء)

The Economic History of Byzantium from the 7th Through the 15th
Century

والبحوث المنشورة به هي :

Preface

Introduction

Angeliki E. Laiou | Writing the Economic History of Byzantium

Angeliki E. Laiou | Political History: An Outline

Part One: The Natural Environment, Resources, Communications,
and Production Techniques

Bernard Geyer | Physical Factors in the Evolution of the
Landscape and Land Use

Angeliki E. Laiou | The Human Resources

Anna Avramea | Land and Sea Communications, Fourth--Fifteenth
Centuries

George Makris | Ships

Anthony Bryer | The Means of Agricultural Production: Muscle
and Tools

Klaus-Peter Matschke | Mining

Maria K. Papathanassiou | Metallurgy and Metalworking
Techniques

Jean-Pierre Sodini | Marble and Stoneworking in Byzantium, Seventh--Fifteenth Centuries

Anna Muthesius | Essential Processes, Looms, and Technical Aspects of the Production of Silk Textiles

Part Two: The Sixth Century, Background

Cécile Morrisson and Jean-Pierre Sodini | The Sixth-Century Economy

Case Study

James Russell | Anemourion

Part Three: Structures, Organization, and Development of Production

Agriculture

Jacques Lefort | The Rural Economy, Seventh--Twelfth Centuries

Angeliki E. Laiou | The Agrarian Economy, Thirteenth--Fifteenth Centuries

Pierre Toubert | Byzantium and the Mediterranean Agrarian Civilization

Volume 2

Urban Economy

Gilbert Dagron | The Urban Economy, Seventh--Twelfth Centuries

Klaus-Peter Matschke | The Late Byzantine Urban Economy, Thirteenth--Fifteenth Centuries

Charalambos Bouras | Aspects of the Byzantine City, Eighth--Fifteenth Centuries

Paul Magdalino | Medieval Constantinople: Built Environment and Urban Development

Charalambos Bouras | Master Craftsmen, Craftsmen, and Building Activities in Byzantium

Anthony Cutler | The Industries of Art

Nicolas Oikonomides | Writing Materials, Documents, and Books

Véronique François and Jean-Michel Spieser | Pottery and Glass in Byzantium

Christopher Entwistle | Byzantine Weights

Case Studies

Clive Foss and Jane Ayer Scott | Sardis

Klaus Rheidt | The Urban Economy of Pergamon

Aspasia Louvi-Kizi | Thebes

Maria Kazanaki-Lappa | Medieval Athens

G. D. R. Sanders | Corinth

Vasso Penna | Numismatic Circulation in Corinth from 976 to 1204

Anne Bortoli and Michel Kazanski | Kherson and Its Region

Ivan Jordanov | Preslav

Konstantin Dochev | Turnovo, Sixth--Fourteenth Centuries

Part Four: Exchange, Trade, and Markets

Angeliki E. Laiou | Economic and Non-Economic Exchange

Angeliki E. Laiou | Exchange and Trade, Seventh--Twelfth Centuries

Klaus-Peter Matschke | Commerce, Trade, Markets, and Money, Thirteenth--Fifteenth Centuries

John Day | The Levant Trade in the Middle Ages

Cécile Morrisson and Jean-Claude Cheynet | Prices and Wages in the Byzantine World

Special Topics

Haris Kalligas | Monemvasia, Seventh--Fifteenth Centuries

Part Five: Economic Institutions and the State

Cécile Morrisson | Byzantine Money: Its Production and Circulation

John Day | A Note on Monetary Mechanisms, East and West

Nicolas Oikonomides | The Role of the Byzantine State in the Economy

Legal Aspects of the Economy
Eleutheria Papagianni | Legal Institutions and Practice in Matters of Ecclesiastical Property

Eleutheria Papagianni | Protimesis (Preemption) in Byzantium

Eleutheria Papagianni | Byzantine Legislation on Economic Activity Relative to Social Class

Demetrios Gofas | The Byzantine Law of Interest

Olga Maridaki-Karatza | Legal Aspects of the Financing of Trade

Part Six: General Traits of the Byzantine Economy

Angeliki E. Laiou | Economic Thought and Ideology

Angeliki E. Laiou | The Byzantine Economy: An Overview

List of Abbreviations

- العملات البيزنطية ، تأليف فيليب جريسون

Ph. Grierson , Byzantine Coinage

-السحر البيزنطي ، نشر هنري ماجيور

Byzantine Magic , ed. H. Maguire

ومحتواه كالتالي:

Henry Maguire, Introduction

Matthew W. Dickie, The Fathers of the Church and the Evil Eye
James Russell, The Archaeological Context of Magic in the Early Byzantine Period
Henry Maguire, Magic and the Christian Image
Alexander Kazhdan, Holy and Unholy Miracle Workers
John Duffy, Reactions of Two Byzantine Intellectuals to the Theory and Practice of Magic: Michael Psellos and Michael Italikos
Marie Theres Fögen, Balsamon on Magic: From Roman Secular Law to Byzantine Canon Law
Richard P. H. Greenfield, A Contribution to the Study of Palaeologan Magic
Robert Mathiesen, Magic in Slavia Orthodoxa: The Written Tradition
Abbreviations and Index

- الحدائق البيزنطية

Byzantine Garden Culture

ومحتواه كالتالي :

The Study of Byzantine Gardens: Some Questions and Observations from a Garden Historian
Joachim Wolschke-Bulmahn

The Scholarship of Byzantine Gardens
Antony Littlewood

Paradise Withdrawn
Henry Maguire

Byzantine Monastic Horticulture: The Textual Evidence
Alice-Mary Talbot

Wild Animals in the Byzantine Park
Nancy P. Sevcenko

Byzantine Gardens and Horticulture in the Late Byzantine Period, 1204-1453: The Secular Sources
Costas N. Constantinides

Theodore Hyrtakenos ' Description of the Garden of St. Anna and
the Ekphrasis of Gardens

Mary-Lyon Dolezal and Maria Mavroudi

Kepopoiia: Garden Making and Garden Culture in the Geoponika

Robert Rodgers

Herbs of the Field and Herbs of the Garden in Byzantine

Medicinal Pharmacy

John Scarborough

The Vienna Dioskorides and Anicia Juliana

Leslie Brubaker

Possible Future Directions

Antony Littlewood

Bibliography

General Index

Index of Greek Words

-الحروب الصليبية من وجهتي نظر بيزنطة والعالم الإسلامي ، نشر انجليكى لايو

ومحتواء كالتالي :-

I Introduction

Giles Constable

The Historiography of the Crusades

II Crusades and Holy War

Roy Parviz Mottahedeh and Ridwan al-Sayyid

The Idea of the Jihad in Islam before the Crusades

George T.Dennis

Defenders of the Christian People: Holy War in Byzantium

III Approaches and Attitudes

M.C.Lyons

The Land of War: Europe in the Arab Hero Cycles

Nadia Maria El-Cheikh

Byzantium through the Islamic Prism from the Twelfth to the Thirteenth Century

Robert W. Thomson

The Crusaders through Armenian Eyes

Alexander Kazhdan

Latins and Franks in Byzantium: Perception and Reality from the Eleventh to the Twelfth Century

Elizabeth Jeffreys and Michael Jeffreys

The "Wild Beast from the West": Immediate Literary Reactions in Byzantium to the Second Crusade

Tia M. Kolbaba

Byzantine Perceptions of Latin Religious "Errors": Themes and Changes from 850 to 1350

IV The Crusades and the Economy of the Eastern Mediterranean

Olivia Remie Constable

Funduq, Fondaco, and Khan in the Wake of Christian Commerce and Crusade

Angeliki E. Laiou, with an Appendix by Cécile Morrisson

Byzantine Trade with Christians and Muslims and the Crusades

David Jacoby

Changing Economic Patterns in Latin Romania: The Impact of the West

V Art and Architecture

Oleg Grabar

The Crusades and the Development of Islamic Art

Charalambos Bouras

The Impact of Frankish Architecture on Thirteenth-Century Byzantine Architecture

Sharon E. J. Gerstel

Art and Identity in the Medieval Morea

List of Abbreviations

Index

الحجابه زمن سلاطين المماليك

٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م*

د. محاسن الوقاد*

مصر

عرف عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، عديداً من الوظائف العسكرية والديوانية والدينية، ومن بين هذه الوظائف، كانت وظيفة الحجابة التي وضعها القلقشندي في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية، التي تحتل مكانة رفيعة في المجتمع المملوكي، والتي رغم أهميتها في ذلك العصر فإنها لم تحظ باهتمام الباحثين. ويلاحظ أن أغلب الدراسات التي تناولت العصر المملوكي بالبحث والدراسة، لم تتعرض للإدارة السلطانية إلا بشكل مقتضب؛ أما عن موضوع الحجابة إبان ذلك العصر، فلم تحظ حتى الآن باهتمام الباحثين، ولذلك أخذت على عاتقي القيام بعمل دراسة تتناول الحجابة زمن سلاطين المماليك، ماله وما عليها في المجتمع المملوكي.

بادئ ذي بدء ينبغي علينا تعريف الحجابة لغة واصطلاحاً، ثم بيان دراسة جذورها التاريخية حتى عصر سلاطين المماليك.

الحجاب في اللغة الستّر، وهو من ألقاب النساء، وكان يوصف بالمناعة فيقال "الحجاب المنيع" وقد ورد في نص للمقريزي قوله "الستّر الرفيع"؛ ف قيل "الستّر الرفيع والحجاب المنيع الملكة الرحيمة، عصمة الدنيا والدين".^١

وحَجَب بينهما - حسباً حالاً و - الشيء: ستره و - فلاناً: منعه من الدخول أو الميراث، احتجب: استتر (استحجبه) ولاء الحجابة، والحاجب: البواب (ج) حجة، وحجّاب، وحرفة الحاجب (الحجّاب): المنع و - (شريعاً): منع الشخص من الميراث كله أو بعضه لوجود شخص آخر.^٢

* أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي ا.د. احمد عبد الرازق على ما أعطاني من وقته لمناقشة كثير من النقاط حول هذا البحث، كما أتقدم إلى ا.د. قاسم عبده قاسم بالشكر والتقدير على كرم سيادته وما قدمه لي من ملاحظ وتعليقات مهمة أفادت البحث.

* مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، جامعة عين شمس.

1 المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، نشرة محمد مصطفى زيادة، ج ١ ق ٢، القاهرة ١٩٣٦م، ص ٣٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٢م، ج ١ ق ٢، ص ٢٨٦، حيث يشير إلى أن الملكة شجر الدر كانت تطلق عليها هذه الألقاب في دعاء الخطبة أثناء فترة سلطنتها.

2 الفيروز آبادي، القاموس المحيط، القاهرة ١٩٧٧م، ج ١ ص ١٨١؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط ١ ١٩٨٠م، ص ١٣٥؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٢٥١.

والحاجب اسم فاعل من الحجب وهو المانع من الدخول، وهو في أصله اسم وظيفة تطلق على من يقف بين الإمام يبلغه أخبار الرعية ويأخذ لهم الأذن منه^٣، وقيل للستر حجاب لأنه يمنع المشاهدة وقيل للبواب حاجب لأنه يمنع من الدخول، وجمع الحاجب حجاب^٤.

أما في القرآن الكريم فللفظ معنى "الستر" فقد جاء في سورة الأحزاب "وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ"^٥، وسيفصل في الآخرة حجاب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار "وبينهما حِجَابٌ"^٦ والظاهر أن اللفظ في هذا المقام مرادف للأعراف ولذلك فسر من قديم بأنه "سور" إشارة لما ورد في سورة الحديد^٧ وجاء في سورة فصلت^٨ أن الكافرين قالوا للنبي "وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ" وجاء في سورة الشورى^٩ "وَمَا كَانَ لَبِشْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ" كما كان الحال مع موسى^{١٠}.

والحجابه موضوعها أن صاحبها كانت مهمته أن يفصل بين الأمراء والجند أحياناً برأيه هو فقط، وأحياناً بعد مراجعة السلطان أو النائب إن كان، وصار له أتباع من الحجاب قد يزيدون عن عشرة؛ وكانت مهمتهم جميعاً لا تتعدى المحاكمات والخدمة؛ وقد كان أعلاهم الحاجب الثانى الذى كان يسمى حاجب الميسرة، وكان المصرف في الحكم في القاهرة، ويليه حاجب ثالث وهكذا^{١١}.

ويعتبر الحاجب أحد أفراد الحاشية التى تحيط بالقضاة^{١٢}، وكانت مهمتهم الأساسية حراسة باب القاضى^{١٣}، وطلب الإذن لذوى الحاجات^{١٤}، وتنظيم المجلس، ومنع الناس من

3 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٥١.

4 الفيومى، كتاب للمصباح المنير، القاهرة ١٩٢٦م، ص ١٦٦ - ١٦٧.

5 سورة الأحزاب الآية ٥٣.

6 سورة الأعراف الآية ٤٦.

7 الطبرى، التفسير، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، بدون تاريخ، ج ٢٧، ص ١٦.

8 سورة فصلت الآية ٥.

9 سورة الشورى الآية ٥١.

10 الطبرى، التفسير، ج ٢٥، ص ٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية، م ٧، القاهرة ١٩٣٣م، ص ٣١٠ - ٣١١.

11 القلقشندي، صريح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، ج ٤، ص ١٩، ج ٥، ص ١٤٤٩.

ضوء الصباح المسفر وجنى الدوح المثمر، ط ١، ١٩٠٦م، ص ٢٤٧؛ المقرئى، السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٨٠٧ هامش ٣.

سعيد عبد الفتاح عاشور، للظاهر بيبرس، أعلام العرب عدد ١٤، القاهرة ١٩٦٣م، على إبراهيم حسن، الجيش والبحرية في عصر المماليك، القاهرة، بدون تاريخ ص ٥.

12 ابن حجر، رفع الأصر عن قضاة مصر، ص ١٣٧؛ جمال جرجس يوسف، القضاء في العصر المملوكى مع تحقيق مخطوطة نزهة النظر في قضاة الأمصار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، ١٩٧٢م، ص ١٠١ - ٢٠١.

13 حسن إبراهيم، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة ١٩٤٤م، ص ٣٥٦.

14 السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد على النجار، أبو زيد شلبى، ط ١، القاهرة ١٩٤٨م، ص ٦٠ - ١٦١ انظر

أيضاً عبد الخالق حسين محمد، النظم القضائية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة القاهرة، كلية دار العلوم ١٩٨١، ص ٢٥٢.

المزاحمة، أو إساءة الأدب، ولو أدى إلى استعمال السوط لتأديب المخالفين للنظم؛ وكان بعض القضاة يبالغ في تحجبه وعدم الظهور للناس والاكتفاء بحكم نوابه، وكانت الأمانة أهم صفاته حتى لا يجد الخصوم سبيلاً على التأثير فيه عن طريق الرشوة.^{١٥}

أما فيما يتعلق بالحجابه في صدر الإسلام، فقد عرفت وظيفة الحجابه في مكة قبل الإسلام، وكانت تعنى حراسة الكعبة وحفظ مفتاحها، ثم عرفت في الإسلام بدلالة جديدة، إذ أصبح الحاجب يطلق على من يقوم بين الوالى وبين الناس ويطلب لهم الإذن لمقابلته وينظم عملية الاتصال به.^{١٦} وعلى الرغم من أن الخلفاء الراشدين لم يمنعوا أحداً من الدخول عليهم، إلا أن كل خليفة منهم اتخذ حاجباً طوال مدة خلافته، فيذكر المؤرخون أنه كان لأبى بكر حاجب يسمى "شديداً" وحاجب لعمر بن الخطاب اسمه "يرفاً"، وحاجب لعثمان بن عفان "مولاه" "حمران"، ولعلى بن أبى طالب حاجب يسمى "قنبر" وهكذا في كل خليفة.^{١٧}

وتجدر الإشارة على أن وظيفة الحجابه بلغت شأناً كبيراً بعد محاولة الخوارج اغتيال كل من الإمام على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان، لاسيما أن الرعية قد أخذوا يتزاحمون على باب الخليفة لأسباب شتى مما اضطّر خلفاء بنى أمية وولاتهم إلى اتخاذ الحُجَاب.^{١٨} وقد استمرت الحجابه في الدولة العباسية، بل وازدادت أهميتها وسلطانها تدريجياً، فقيست بذلك شوكة الحجاب فصاروا يمنعون الناس عن مقابلة الخليفة إلا في الأمور المهمة، إذ صار بين الناس والخليفة داران: دار الخاصة ودار العامة يقابل كل فئة في مكانة على ما يراه الحاجب، ثم تطور الأمر فصار الحجاب يحجرون على الخليفة نفسه ويمنعون البطانة وسائر الأولياء من مقابلته بحجة المبالغة في الاحترام.^{١٩}

15 عرنوس، تاريخ للقضاء في الإسلام، ص ١٢٨.

16 ابن خلدون، المقدمة، ط ٥ بيروت ١٩٨٤م، ص ٢٢٤؛ القلقشندي، ضوء الصباح، ص ٣٤١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافى والاجتماعى، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

17 القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٩؛ حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط ١ القاهرة ١٩٣٩م، ١٨٦.

18 القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٧٧؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٩١؛ على إبراهيم، تاريخ المعاليك، ص ١٩١؛ النظم الإسلامية، ص ١٨٦.

19 القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٧٧؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٩١؛ حسن إبراهيم، النظم الإسلامية، ص ١٨٧؛ جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، طبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٥٩، وقد كان للوائى أبو جعفر هارون حاجبه ابتاح، وللمعتز حاجبه سماء، وللمهدى حاجبه ياك ياك وللمعتضد حاجبه صالح الأمين وللمكتفى حاجبه خفيف السمرقندى، كما كان للمقتدر حاجب يدعى سوسا والقاهر حاجباً يدعى على، وللراضى حاجب يدعى محمد بن باقر وكذلك للمستكفى والمطيع وهكذا، انظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٣.

وقد عرفت الحجابة في مصر الإسلامية على عهد الدولة الطولونية، وأطلق على من يتولاها اسم "حاجب الباب"^{٢٠}، وفي زمن الدولة الفاطمية كان متوليها يطلق عليه في ذلك الحين اسم "صاحب الباب"^{٢١}، ثم عرفت من بعدهم في عهد الدولة الأيوبية وأطلق على صاحبها اسم حاجب أمير المؤمنين،^{٢٢} وقد عرفها الأيوبيون عن طريق دولة الأتابكية والدولة النورية.^{٢٣}

وفي عصر المماليك عظمت الحجابة حتى أصبحت تضاهي وظيفة نيابة السلطة في الأهمية والمرتبة، ولعل هذا ما دفع القلقشندي ليضعها في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية التي يشغلها الأمراء، حيث قسم هذه الوظائف إلى خمس وعشرين وظيفة وهي على التوالي: النيابة،^{٢٤} الأتابكية،^{٢٥} رأس نوبة،^{٢٦} أمير مجلس،^{٢٧} أمير سلاح،^{٢٨} أمير آخور،^{٢٩} الدوادارية،^{٣٠} الحجوبية،^{٣١} أمير جاندار،^{٣٢} الأستاذارية.^{٣٣}

20 ابن إلياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ١٦٦. Zaky- Mohamed Hassan, *Les Tulunides*, Paris, 1933, pp. 193-194.

21 ابن الصيرفي، قانون ديون الرسائل، ط ١، القاهرة ١٩٠٥م، ص ١٦٦. *The Encyclopedia of Islam*, Leiden 1986, vol 3, p.47.

22 ابن إلياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٣١٤.

The Encyclopedia of Islam, vol. 3, p.47.

23 القلقشندي، ضوء الصباح، ص ١٢٤٧.

24 يسمى صاحب هذه الوظيفة نائب السلطنة، والنائب الكافل، وكافل الممالك الإسلامية وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتوافيق والمناسبات وغير ذلك مما يعلم عليه السلطان، وهناك نواب أقل درجة أشبه بالحكام المحليين، لا يختص الواحد منهم إلا بما يتعلق بحدود نيابته، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٦، سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة ط ٢ ١٩٧٦م، ص ٤٨٣؛ انظر أيضاً إلي عبد الجواد، نائب السلطنة في القاهرة عصر دولة المماليك البحرية، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة العدد ١ يناير ١٩٨٨م، كلية الآداب جامعة القاهرة، ص ١٥٩ - ٢١٩؛ محمد عبد الغنى الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، سلسلة تاريخ المصريين للعدد ١٥٨، القاهرة ١٩٩٩م.

25 أتابك لفظ تركي، معناه مربى الملك وكان آل سلجوق إذا امتاز أحد ولاتهم وأرادوا تشريفه اضموا عليه هذا اللقب أمعاً في تكريمه، وقد استطاع بعض أولئك الأتابكية تأسيس بيوت حاكمة صغيرة عندما ضعفت دولة السلاجقة وعرفت هذه الدويلات الصغيرة باسم الأتابكيات، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٨٥م، ج ٢٧، ص ١١١ محمد الأشقر، نائب السلطنة، ص ٥٤ هامش ٢٠، قتيبة للشهابي، معجم أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الرشدي حتى بدايات القرن العشرين، دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٥ - ١٦.

26 رأس نوبة وظيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء، واحد منهم مقدم ألف وثلاثة طبلخانة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨، سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٤٠.

27 يتولى صاحب هذه الوظيفة أمر مجلس السلطان أو الأمير، كما كان يتحدث على الأطباء والكهالين ومن شاكلهم القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨، ج ٥، ص ٤٥٥؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٢٥٩ وما بعدها؛ سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٤١٥.

28 أمير سلاح هو المختص بحمل السلاح للسلطان في المجامع الجامعة والمتحدث في السلاح خانة السلطانية وما يستعمل بها، وما يقدم إليها، ويطلق منها، وقد صنّفه القلقشندي في المرتبة الخامسة بين كبرى الوظائف التي يشغلها عسكريون بالفصر السلطاني، ثم علت مرتبته فصار يلي أتابك العساكر مباشرة كما يفهم من ابن شاهين الظاهري، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٢٢٤ وما بعدها، أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٣٩.

وحتى لا يحدث ما خشيه المانعون لاتخاذ "الحجاب"، خوفا من رشوتهم أو تمييزهم بين الناس، اشترط فيمن يشغل هذه الوظيفة صفات من أهمها وأبرزها: العدالة، والعفة والأمانة. بالإضافة إلى حسن المنظر، وسلامة المخبر، ومعرفته بمقادير الناس، وبعده عن الهوى والمعصية، واعتدال أخلاقه بين الشراسة واللين.

كما كان يوصى القضاة في سجلات تعيينهم أن يكون الحجاب: "نقى الجيب، مأمون المشهد والغيب، مستشعر التقوى، في السر والنجوى، سالكا للطريقة المثلى، غير متجهم للناس... فلينتخبه من بين أصحابه، وممن يرتضيه من أمثاله وأضرابه".

ويبدو أن عدم الاذن لبعض الشخصيات في الدخول على القاضى كان يؤلمها فقد ذكر القاضى "سراج الدين يونس الأرمنى قاضى قائلاً: جئت إلى قاضى القضاة تقي الدين بن دقيق العيد المستوفى سنة ٧٠٢، وارتدت الدخول فمنعنى الحجاب، وجاء الجلال العسلوجى فأدخله وغيره، فتألمت وأخذت ورقة وكتبت فيها:

"قل للتي الذي رعيته *** راضون عن علمه وعن عمله"

"انظر إلى بابك... *** يلوح من خلله"

"باطنه رحمة وظاهره *** يأتي إليك من قبله"

ثم دخلت وجعلت الورقة في الدواة، وظننت أنه ما رأى وقتى، فقال: اجلس، ما في هذه الورقة؟ فقلت: يقرؤها سيدنا، فقال: أقرأها أنت، فكررت عليه وهو يرد على، فقرأتها فقال: ما حملك على هذا؟ فحكيت له، فقال: هل وقف عليها أحد؟ فقلت: لا فقال: قطعها.^{٣٣}

ويستشف من المصادر المملوكية المعاصرة أن عدد شاغلي هذه الوظيفة من الحجاب كان في تزايد مستمر طوال العصر المملوكي؛ ويشير المقرئ في عام ٧٨٣هـ/١٣٨١م

29 أمير آخور، وظيفة يقوم صاحبها بالأشراف على أسطول السلطان أو الأمير ورعاية ما فيها من خيل ويغال وجمال، وكانت مهمته خطيرة في السلم والحرب فقد كان عليه أن يكون متاهباً دائماً لسفر السلطان أو إنتقاله في ليل أو نهار، وأن يعد موكب السلطان حسب ما جرت به العادة. انظر سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٤١٤؛ أحمد عبد الرزاق، الرنوك الإسلامية، ص ٤٠؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ص ١٧٤ وما بعدها.

30 الدوا دار أى ممسك الدواة والوظيفة اسمها الدوا دارية وصاحبها يعمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى إليه، سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٣٨.

31 الجاندار الأمير الذى كان يستأذن السلطان في دخول الأمراء للخدمة السلطانية ويدخل أمامهم إلى الديوان، كما كان يشترك مع الدوا دار في تقديم البريد. لمزيد من التفاصيل انظر حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ١٩٥ وما بعدها؛ سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٢٦؛ أحمد عبد الرزاق، الرنوك الإسلامية ص ٤١.

32 الاستادار، وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من للمطابخ والشراب خانا والحاشية والغلمان، وهو الذى كان يمشى بطلب السلطان في الأسفار وله مطلق للتصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من اللققات والكسارى وما جرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم. القلقشندي، صبح الأعشى ج ٤، ص ٢٠، ج ٥ ص ٤٥٧؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج ١، ص ٣٩ وما بعدها؛ أحمد عبد الرزاق، الرنوك الإسلامية، ص ٤١.

33 عبد الخالق حسين، النظم لقضائية في عصر سلاطين المماليك، ص ٢٥٢-٢٥٣.

بأنه "كان العادة أولاً أن يوجد حاجب واحد، ثم استقر حاجب الحجاب وحاجب ثان ثم زيد في الأيام الإشرافية حاجب ثالث".^{٢٤}

وبعد أقل من عام يعود المقرئ فيذكرنا في حوادث عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م أنه "خلع على الأمير منكلي الطرخاني مزيد حاجباً رابعاً وخلع على الأمير جلبان العلاني فكان حاجب خامس، ولم يعهد قبل ذلك خمسة حاجب في الدولة التركية"^{٢٥} فقد ذلك من النواذر كما يذكر ابن أبياس.^{٢٦}

وإذا كان المقرئ يبدى دهشته على تلك الزيادة فإن ابن تغرى بردى يعلق على ذلك بقوله "وعد ذلك من الأشياء التي استحدثها الملك الظاهر برقوق".^{٢٧}

وفي عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م خلع السلطان برقوق على الأمير قطلوبغا الصفوي واستقر حاجب الحجاب، وخلع على الأمير بتخاص واستقر حاجب ميسرة، وعلى الأمير قديد واستقر حاجباً ثالثاً وعلى باشاه واستقر حاجباً رابعاً.^{٢٨}

وفي عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م قدم البريد يحمل أخباراً بتعيين سيدي أبو بكر بن سنقر الجمالي حاجباً ثالثاً، وفي العام التالي ٧٩٧هـ/١٣٩٤م أنعم على الأمير فارس بن قطلق خجا بإمرة مائة وتقدمة ألف وخلع عليه واستقر حاجب الحجاب عوضاً عن الأمير بتخاص المستقر في نيابة الكرك.^{٢٩}

وبعد ثمانية أعوام ، وفي عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، يحدثنا الصيرفي أنه: "في يوم الثلاثاء سابع عشرة خلع على الأمير منكلي بغا الدوادار فاستقر حاجباً... فصارت الحجاب سبعة في الديار المصرية".^{٣٠}

وفي اليوم التالي مباشرة أي في يوم ثمان عشر من ربيع الآخر عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م يشير المقرئ بقوله "خلع السلطان الناصر فرج على أحد الأمراء فاستقر حاجباً ثامناً"، ولم يعهد بمصر مثل ذلك فيما سلف".^{٣١}

34 المقرئ، السلوك، جـ٣، ق٢، ص٤٤١.

35 المقرئ، السلوك، جـ٣، ق٢، ص٤٤٢، ٤٤٨٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص٥١؛ ابن تغرى بردى، النجوم للزاهرة، جـ١١، ص٢٢٨.

36 ابن أبياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٣٢٣ - ٣٢٤.

37 ابن تغرى بردى، النجوم للزاهرة، جـ١١، ص٢٢٨.

38 الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص٣٢٥.

39 الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص٤٠٠، ٤١٧.

40 الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤١ - ٤٢.

41 المقرئ، السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٩٩٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٢؛ ابن تغرى بردى، النجوم للزاهرة، جـ٦٢، ص١٩٧.

ويبدو أن عدد الحجاب قد ظل على هذا المنوال في التزايد المطرد على أن بلغ عددهم في أواخر عصر المماليك الجراكسة إلى ما يقرب من عشرين حاجباً، كانوا جميعهم من غير الأمراء.^{٤٢}

ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله: "والسُّكَّات أجملُ فإن تلك الحجاب الثمانية كان فيهم ثلاثة أمراء ألوف وثلاثة طبلكاناه، وأما يومنا هذا ففيه بمصر أزيد من عشرين حاجباً، ما فيهم أمير خمسة بل الجميع أجناد، وفيهم من جنديته غير كاملة، والحاجب الثانى أمير عشرة فسبحان الحكيم الستار".^{٤٣}

ومما يلفت النظر أن هذه الزيادة في عدد حجاب مصر المملوكية قد بدأت في أواخر القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، ثم أخذت صورة سريعة ومطرودة، فلم يمض سوى أقل من عشرين عاماً فقط إلا وكان عدد الحجاب قد وصل إلى ثمانية حجاب وهو أمر أدهش بعض المعاصرين لهذه الأحداث فنجد المقرئى، إضافة إلى ابن تغرى بردى، يعبر عن دهشته بقوله "وهذا بخلاف العادة".^{٤٤}

ولعلنا إذا دققنا النظر فى الأمر وبحثنا عن السبب الخفى الذى ساعد على هذا التزايد المطرد فى عدد الحجاب لما اندهشنا مثلهما، ذلك لأنه إذا كان القلقشندى قد وضع وظيفة الحجابة فى المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية، إلا أن مجرى الأحداث يشير إلى أن هذه الوظيفة قد تعاضمت أهميتها بدرجة كبيرة عقب إلغاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون وظيفة نائب السلطنة عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م.

وتؤيد الأحداث هذا رأى، فيحدثنا ابن تغرى بردى بقوله "وأما الحجوبية فوظيفة جليلة فى الدولة التركية وليست هى الوظيفة التى يليها حجة الخلفاء، فأولئك كانوا يحجبون الناس عن الدخول على الخليفة، وليس من شأنهم الحكم بين الناس والأمر والنهى، وهو مما جدده السلطان الظاهر بيبرس، لكنها عظمت فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى عدلت النيابة".^{٤٥}

ولم يقتصر الأمر على مجرد أن الحجابة قد عدلت وظيفة نيابة السلطنة، بل وصل إلى درجة أن حلت محلها فى المرتبة والأهمية، بحيث انتقلت إلى من يشغلها اختصاصات نائب السلطنة،^{٤٦} ولعله فى حديث ابن تغرى بردى عن ألماس حاجب الحجاب ما يؤيد ما

42 ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤، ص ٣٨؛ ابن تغرى بردى، لنجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٧؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٤٥ - ٤٦.

43 ابن تغرى بردى، لنجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٧.

44 المقرئى، السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٣٠١؛ ابن تغرى بردى، لنجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٧ وما بعدها.

45 ابن تغرى بردى، لنجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٨٥؛ محمد الأشقر، نائب للسلطنة، ص ٢٥١.

46 القلقشندى، ضروء الصبح، ص ٣١٤.

يذهب إليه الباحث؛ إذ يخبرنا في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م بأن ألباس هذا "قد ولى الحجوبية وليس بالديار المصرية نائب سلطنة فعظم أمر ألباس في الحجوبية، فصار هو في محل النيابة... ويركبون الأمراء وينزلون في خدمته ويجلس في باب القلعة في منزلة النائب، والحجاب والأمراء وقوف بين يديه".^{٤٧}

ومما يؤيد وجهة نظر الباحث هي أن الزيادة السريعة في عدد الحجاب بمصر في هذه المدة اليسيرة قد ارتبطت بصورة أو بأخرى بإلغاء السلطان الناصر محمد لوظيفة نائب السلطنة مما ترتب عليه تعاظم أهمية الحجابة، يضاف إلى ذلك أن الفترة الفاصلة بين كليهما لا تتعدى فترة النصف قرن إلا قليلاً.

وقد برز في عهد سلطنة الناصر محمد الثالثة طائفة من الحجاب المميزين، فكثيراً ما كان السلطان يوليهم هذه الوظيفة ماداموا حائزين لرضاه، فإذا غضب عليهم عزلهم واستبدل بهم غيرهم أو أمر بالقبض عليهم. ونتبين ذلك من كثرة عدد الحجاب الذين تولوا هذا المنصب في تلك الفترة من عام ٧٠٩ - ٧٤٠هـ/١٣٠٩ - ١٣٣٩م إذا بلغ عددهم أربعة عشر حاجباً على ما رواه صاحب "تاريخ سلاطين المماليك" وهم سنقر الكمالى، بكتمر الحسامى، لاجين العمري، الطنبغا محمد بن الوزيرى، طينال بيبرس، ألباس الجاشنكير، قطلوبغا المعزى، أمير مسعود بن الخطير، جاريك قفجق، أيدغدى الخوارزمى، أقول، محمود ابن خطير، برسبغا.^{٤٨}

ومما تجدر الإشارة إليه أن تزايد عدد الحجاب في العصر المملوكى لم يقتصر على الديار المصرية فحسب بل، وصلت هذه الزيادة على سائر نيابات وأقاليم الدولة، فيذكر القلقشندى "أنه وجد في نيابة دمشق على عهد المنصور قلاوون ثلاثة حجاب، وربما كانوا أربعة ثم تزايدوا في أيام الظاهر برقوق وأصبحوا خمسة أو ستة، بينما وصلوا في نيابة حلب إلى أربعة حجاب، أما في طرابلس فكان عددهم ثلاثة، وبالنسبة لحماة فوصل عددهم إلى اثنين".^{٤٩}

ويلاحظ أن نسبة تزايد عدد الحجاب في نيابات السلطنة المملوكية لا يمكن مقارنتها بمصر، وذلك يرجع إلى بعض الاعتبارات الخاصة بوضعية مصر على اعتبارها حاضرة الحكم المملوكى، فقد وجد بها نظام إدارى معقد ومتسع، فضلاً عن الأهمية الكبرى التى تمتعت بها مصر بالنسبة لسلاطين المماليك.

ونتيجة لتزايد عدد الحجاب في مصر المملوكية كان لابد وأن يقابله من ناحية أخرى تزايد مستويات ومراتب الوظيفة، فقد أصبحنا نسمع عن الحجوبية الأولى أو الكبرى وحاجب

47 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٠٧ - ١٠٨.

48 زبترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧ - ١٤٨، على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك، ص ١٩٢.

49 القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨٦.

الحجاب، الذى يعتبر منصبه من أهم مناصب السلطنة عدا نائب السلطنة، وكان يعبر عن حاجب الحجاب في ديوان الإنشاء بأمير، أما عن التسمية ذاتها فترجع إلى أنه كان لحاجب الحجاب أعوانه يساعدونه في أداء عمله، إذ كان يتبعه عدد من الحجاب فيأتى بعده مباشرة نائبه وكان كلاهما أمير مائة مقدم ألف.^{٥٠}

وتأتى بعد ذلك الحجوبية الثانية أو الصغرى أو حاجب الميسرة وهو أحد أتباع حاجب الحجاب وكان يتصرف بالحكم في القاهرة،^{٥١} ثم يأتى بعده حاجب ثالث ورابع وخامس وهكذا إلى ما يزيد عن عشرة برسم المحاكمات والخدمة؛^{٥٢} وقد بلغ عددهم أواخر عصر سلاطين المماليك عشرين حاجبا كان جميعهم من غير الأمراء^{٥٣} كما ذكرنا آنفاً.

وقد ترتب على تعدد مراتب ومستويات وظيفة الحجابة في العصر المملوكى، أن تفاوتت الشروط التى يجب توافرها في شاغلي هذه الوظيفة من مرتبة لأخرى، فيشير القلقشندي إلى أن الذى جرت به العادة خمسة حاجب أثنان من مقدمى الألوف أولهما حاجب الحجاب ونائبه^{٥٤} ويضع ابن شاهين حاجب الحجاب في المرتبة السابعة بين الأمراء أرباب السيوف التى تقضى وظائفهم أن يكونوا من جملة أمراء الطبلخاناه، ويضع الحاجب الثالث وسبعة حجاب بين الأمراء العشرينات والعشروا.^{٥٥} أى أنه كلما تناقصت درجة ومرتبة الوظيفة كلما تناقصت أجرة شاغلها.

ومن الجدير بالذكر أن وجود الحجاب في عصر دولة سلاطين المماليك لم يقتصر على القاهرة حاضرة الدولة فحسب، بل وجد الحجاب في سائر أقاليم الدولة، فوجد بالإسكندرية حاجب كان يسمى رسمياً "الحاجب بثغر الإسكندرية المحروسة" وكان يكتب إليه عن الأبواب السلطانية،^{٥٦} وكان إما برتبة طبلخاناه أو أمير عشرة، وفي الحالة الأولى كان يكتب "بالمجلس السامى" وفي الحالة الثانية "بمجلس الأمير"، وكان يوجد على جانبه حاجب برتبة جندي.^{٥٧}

50 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١١٩ ضوء الصبح، ٢٤٥، ٢٤٩.

51 حسن للباشا، الفنون والوظائف، جـ ١، ص ٣٨٨.

52 Van Berchem, M., *Materiaux pour un corpus inscriptorum, arabicarum, Egypte, I*, Le Caire 1894-1903 p. 567.

53 ابن شاهين، زبدة كشف المالك، ص ١١٥.

54 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١١٩ ضوء الصبح، ص ٢٤٧.

55 ابن شاهين، زبدة كشف المالك، ص ١١٤ - ١١٥ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ط بيروت ١٩٨٨ م، ص ١٠٣ - ١٠٤.

56 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٧، ص ١١٥٦ ضوء الصبح، ص ٢٧٤.

57 القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٧٤.

أما عن نيابة الوجه القبلي والبحري فلم تكن على قاعدة النيابات الأخرى من حيث ترتيب الحجاب أو ركوب المواكب.⁵⁸

وقد عرفت وظيفة الحاجب في النيابات خارج الديار المصرية، بمراتبها المختلفة، ففي دمشق كان حاجب الحجاب عادة برتبة أمير مائة مقدم ألف، أما الحاجبان الثاني والثالث فكان كلاهما برتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرة وفي بعض الأحيان كان يعين بدمشق أربعة حجاب أحدهم الحجاب برتبة أمير مائة مقدم ألف، أما الثلاثة الباقون فكان منهم أمراء طبلخاناه أو طبلخانات وعشرون وعشرة وغير ذلك.⁵⁹

وكان ترتيبهم في المواكب أن يكون حاجب الحجاب والذي يليه في الرتبة ميمنة والثاني ميسرة؛ وهكذا كان الحال في حلب على ما يبدو؛ أما في غزة فكان حاجب الحجاب برتبة أمير طبلخاناه، ومن دونه أمير عشرة، ووجد في طرابلس أيضاً حجاب من أرباب السيوف وكان بها ثلاثة حجاب أكبرهم أمير طبلخاناه وهو صاحب الحجاب، أما الآخران فكان كلاهما أمير عشرة، كما كان حاجب الحجاب في نيابة حماة أمير طبلخاناه، بينما كان الثاني أمير عشرة⁶⁰ ويبدو، طبقاً للمصادر المملوكية، أن وظيفة الحجابة قد ظهرت في عصر الدولة المملوكية في عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م؛ والدليل على ذلك عندما ركب الملك الأشرف والمعز بالصفاق السلطانية⁶¹ وشقا القاهرة والمعز يحجب الأشرف، والأمراء تتناوب في حمل الغاشية⁶² واحداً بعد واحد، والمقصود هنا أن المعز أيك كان يؤدي وظيفة الحاجب في ذلك الموكب، أي أنه كان راكباً أمامه بعضاً في يده.⁶³

وإن كان ابن إياس قد ذكر في حوادث عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م بقوله "لما تسلطن كتبغا أخلص على الأمير بهادر، وجعله حاجب الحجاب، وهو أول من أحدث هذه الوظيفة، وجعلها وظيفة كبيرة، ولم يكن قبل ذلك شيء يقال له حاجب الحجاب فعظم أمرها من يومئذ."⁶⁴

58 الفلقشدي، ضوء الصباح، ص ٢٦٦.

59 الفلقشدي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٨٦، ضوء الصباح، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

60 الفلقشدي، صبح الأعشى، ج ٨، ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، حسن الباشا، الفنون والوظائف، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩٣.

61 الصفاق للسلطانية، من شعار السلطنة، وهي عبارة عن رايات صفراء، المقرري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٤٣، هـ ١.

62 من شعار السلطنة، وهي غاشية سرج من أديم محزوز بالذهب، بخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يديه (أي السلطان) عند الركوب في المواكب الحفلة، كالمباردين والأعياد ونحوها. المقرري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٤٣، هـ ١.

63 الفلقشدي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥١، المقرري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٣٧٠.

64 ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٣٨٧.

رسوم الحجابة ونظمها:

جرت العادة عند تعيين أحد الحجاب بالقاهرة فإنه يكتب له تقليد ذلك حسب تقاليد ذلك العصر، والدليل على ذلك أن مراسيم السلاطين كانت توجه في بعض الأحيان إلى النواب والحجاب، كما يتضح من وثيقة باسم السلطان الغورى بتاريخ سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م جاء فيها "مرسوم شريف إلى كل واقف عليه وناظر إليه من الجنابات العالية والمجالس السامية النواب والحجاب... ضاعف الله تعالى نعمة الجنابات العالية وأعز المجالس السامية"^{٦٥} وكان إذا عين أمير المائة نائباً كتب له عن السلطان مرسوماً في قطع النصف بالمجلس العالى، ويفتتح بالحمد لله، في حين كان مرسوم الطبلخاناه يكتب في قطع النصف بالمجلس السامى بالياء، ومرسوم أمير العشرة في قطع الثلث.^{٦٦}

وتجدر الإشارة إلى ترتيب موكب الحاجب مع نائب السلطنة، فقد كان الحجاب يسرون وراء نائب السلطنة في يومى الاثنين والخميس، ويمر النائب راكباً حتى يأتى إلى مقعد مرتفع عن الأرض به دكة صغيرة مصنوعة من الخشب، فيترجل على جانب المقعد ويجلس على تلك الدكة، ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة معدة لجلوسه، فيجلس على يسار النائب قاضى القضاة الشافعى ثم الحنفى ثم المالكى والحنبلى ثم قاضى العسكر الشافعى يليه الحنبلى، ومفتى دار العدل الشافعى ثم الحنفى ثم الوزير صفا مستقيماً، ويجلس كاتب السر أمام النائب على مقربه منه وعن يمينه ناظر الجيش ثم كاتب الدست على ترتيب منازلهم في مقابلة الصف الذى فيه قضاة القضاة ومن معهم، ويجلس باقى الموقعين بين الصفين مقابل صاحب الحجاب حتى يصلوهما فيصرون كالحلقة المستديرة، ويقف الحجاب الصغار أسفل حاجب الحجاب، وترفع القصص،^{٦٧} فيأخذها الحجاب الصغار ويناولونها لحاجب الحجاب، الذى يناولها بدوره لكاتب السر فيقروها عليه، ثم ينفذ المجلس ويمد السماط فيأكلون وينصرفون.^{٦٨}

الألقاب والخلع والزي:

أمدتنا المصادر التاريخية بالعديد من الألقاب الخاصة بالحجاب فى العصر المملوكى، وفيما يلى عرض لهذه الألقاب كما وردت في المصادر المملوكية المعاصرة. كانت ألقاب أمراء المثين التى تدخل فيها فئة الحجاب يخاطبون بأجل الألقاب، ونظراً إلى انقسام أمراء المثين إلى طبقات فيما بينهم فإن ألقابهم كانت تتفاوت أيضاً تبعاً لذلك. وقد ذكر ابن فضل الله العمرى أن ألقاب أمراء المثين بالأبواب السلطانية كانت الجناب

65 حسن الباشا، الألقاب، ص ٣٨٩.

66 حسن الباشا، الألقاب، ص ٢٥٧.

67 القصص جمع قصة وهى الطلب أو الالتماس. انظر على إبراهيم، تاريخ الماليك، ص ٢٤٤.

68 القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٣٢٤ - ٣٣٠.

الكريم ثم الجناب العالى ثم المجلس العالى، وبدمشق الجناب العالى ثم المجلس العالى، وبحلب المجلس العالى ثم المجلس السامى بالياء، وبطرابلس السامى بالياء.^{٦٩}

كما نعت الحاجب بأوصاف مختلفة فظهر مثلاً حاجب أجل، وحاجب أعظم، وحاجب بزرگ، وحاجب أعلى، وحاجب كبير، وحاجب الحجاب، وأمير حاجب، وحاجب ثان وثالث ورابع، وحاجب ميمنة، وحاجب ميسرة، وحاجب خاص،^{٧٠} وحاجب دار،^{٧١} وكان يعين بعد لفظة الحاجب اسم الإقليم الذى يعمل به مثل الحاجب بثغر الإسكندرية المحروسة، والحاجب بحماسة المحروسة، وحاجب الشام، وحاجب المملكة الحلبية، وحاجب النوبة. كما كان يضاف إلى لفظة الحاجب اسم الوظيفة أو الديوان الذى يعمل به كأن يقال حاجب القاضى، وحاجب الديوان.^{٧٢}

والحاجب الثانى هو نائب حاجب الحجاب في عصر سلاطين المماليك، وكان يسمى أيضاً الميمنة.^{٧٣}

أما حاجب الحجاب فهي مشتقة من وظيفة الحاجب وهي تعنى من غير شك كبير الحجاب ورئيسهم، وقد ظهرت لأول مرة في عام ٣٢٩هـ / ٩٤٠م حين خلع الخليفة العباسى المتقى على بدر الخرشنى وقلده الحجابة وجعله حاجب حجاب.^{٧٤}

ويبدو أنه منذ القرن ٦هـ / ١٢م كان حاجب الحجاب يسمى أحياناً بأمير حاجب وبأمير حاجب الحجاب مما يشير إلى سعة نفوذه وازدياد سلطانه.^{٧٥}

واستعمل حاجب الحجاب في عصر المماليك بدلالة كبير الحجاب سواء في الديار المصرية أو في النيابات الشامية مثل دمشق وحلب، ولو أن التعريف الرسمى لهذه الوظيفة كان "أمير حاجب"، كما كان يطلق عليه أيضاً اسم أمير حاجب الحجاب وكان يشغل هذه الوظيفة أمير برتبة أمير مائة مقدم ألف.^{٧٦}

أما عن الحاجب الكبير، فقد وردت صيغة الحجوبية الكبرى، في كتابات على الآثار العربية ترجع إلى أواخر عصر المماليك منها كتابة أثرية بمرسوم من حوالى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م بالمدرسة الشمسية بطرابلس باسم السلطان الأشرف أبى النصر قايتباى أشير فيه إلى

69 ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح، ص ٧٣ - ٧٤؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٥٨.

70 انظر مثلاً الراوندى، راحة الصدور، ص ٤٦٢، ٥٠٥؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٤٠٣.

71 انظر للبيهقى (أبو الفضل)، تاريخ البيهقى، ترجمة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٥٥

72 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ج ١ ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

73 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٤٠٣.

74 ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٧٢؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٤٠٥.

75 حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٤٠٦.

76 الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٤٠٧.

إيطال "معلوم الحجوبية الكبرى" بطرابلس وقدره ١٣ درهماً على النخيرة، ومرسوم آخر بتاريخ الثاني من المحرم سنة ٩٠٨هـ/ ٨ يوليو ١٥٠٢م بجامع طرابلس باسم حاكم طرابلس جاء فيه "برسم الدخان وما يستأديه من يكون متكلاً في ديوان الحجوبية الكبرى واستادارية الديوان الشريف..." ويتضح من الكتابة الأولى أنه كان يأخذ بطرابلس ضريبة على الذبائح تذهب إلى الحاجب الكبير أشير إليها بمعلوم الحجوبية الكبرى، وقد أبطلها السلطان قايتباي بهذا المرسوم؛ أما الكتابة الأثرية الثانية فتذكر ديوان الحجوبية الكبرى والمشرف عليه، وتشير أيضاً إلى أن المشرف على هذا الديوان كان يفرض له ضريبة على الدخان أي الصناعات التي تسبب دخاناً.^{٧٧}

كان الحاجب لا يمارس مهام منصبه قبل أن يخلع عليه السلطان خلعاً التشريف وحسبنا دليلاً على ذلك ما جاء في المصادر من أن السلطان الظاهر بيبرس خلع على الملوك والأمراء والبحرية والحجاب وأرباب العمائم والوزراء والقضاة وحضروا بالخلع وذلك في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م.^{٧٨}

وفي عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م أطلق السلطان من التشايف ما عم به سائر من في خدمته من ملك وأمير ووزير ومقدمي الحلقة ومقدمي الممالك والبيوت السلطانية، وجميع الكتاب والقضاة، وسائر أرباب الوظائف.^{٧٩}

وفي عام ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فركب بشعار السلطنة^{٨٠} من قلعة الجبل إلى باب النصر وعبر القاهرة وخرج من باب زويلة إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم في خدمته، وخلع على سائر أهل الدولة.^{٨١} وتخبرنا المصادر المملوكية أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنعم على الأمير سيف الدين ألباس أمير حاجب بأطلس كامل وعلى كل من الأمير سيف الدين أقول وبدر الدين مسعود بن خطير بخلة طرد كامل وذلك في عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م.^{٨٢}

Van Berchem, *Materiaux pour un corpus*, v. 25, pp. 59,73,74.

77

78 المقرري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٥١٩.

79 المقرري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٦١٢.

80 المقصود بشعار السلطنة أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التي كان السلطان يظهر بها في الموكب الحفلة، مثل موكب السلطنة وموكب الركوب لكسر الخيل عند وفاء النيل وموكب صلاة العيدين ونحوها. المقرري، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٤٣ هامش ١.

81 القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٢، ٥٤، ج ١١، ص ٤٢٦، السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٠٨؛ المقرري،

السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٥٧٠؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٠٨ - ١٠٩؛ ابن عباس، بدائع الزهور، ج ٤، ص

٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٢؛ ماجد، نظم سلاطين الممالك، ج ٢، ص ٦٥.

82 المقرري، السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٧٤٥.

ونقرأ في المصادر المملوكية أيضاً في أحداث عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م أن السلطان الناصر فرج خلع على الأمير مبارك شاه الحاجب بنبابة الوجه القبلي ورسم له أن يحكم من جزيرة القط إلى أسوان ويولى من يختار ويعزل من الولاة من يختار.^{٨٣}

ويشير ابن إياس في أحداث عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م "خلع السلطان على الأمير نوروز وركبا فرسا خاصاً بسرج وكنفوش ذهب وطلع الأمير حكم وهو خائف، ولم يطلع قنباى ولا قرقماش، وجهز إليهما خلعتان على أن يكون قنباى نائباً بحماة، وقرقماش حاجباً بدمشق، ونزل حكم بغير خلعة".^{٨٤}

وفى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م خلع السلطان برقوق على الأمير الطنبغا العثماني حاجب الحجاب بدمشق، فلبس التشريف وبأشر العمل من الغد.^{٨٥}

ويخبرنا ابن إياس أيضاً في أحداث عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م بأن السلطان جقمق خلع على الأمير يشبك المشد حاجب الحجاب، وقد حضر التجريدة وهو مريض ثم عوفى.^{٨٦}

ويشير السخاوى في حوادث عام ٨٥٠هـ/١٤٠٢م بأنه خلع السلطان جقمق على جانبك الإشبكي بكامله بسمور طوش عند استقراره حاجباً وشاد دواوين بالإضافة إلى ولايته، وقيد له فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش،^{٨٧} ولعله من الصعوبة بمكان، بل من المتعذر تماماً تحديد الأجزاء التي كانت تتألف منها الخلعة، فهذه الكلمة لا تعنى بالضرورة الملابس فقط ولكنها تعنى أشياء أخرى، قد تكون فرسا كامل القماش، وإن كان أميزها الملابس،^{٨٨} التي تتألف من فوقاني من الأطلس الأحمر^{٨٩} الرومى من آسيا الصغرى وتحتة أطلس أصفر رومى وعلى فوقاني طراز زركش ذهب وتحتة سنجاب^{٩٠} وله سجد من ظاهره مع الغشاء

83 المقرئى، السلوك، ج٢ ق٣، ص١٠٠٣.

84 ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٦٥١.

85 ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٧٤٧، العيني، السيف المهد، ص٢٤٧.

86 ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٩٦.

87 السخاوى، التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية ١٨٩٦م، ص١٤٧ - ١٤٨.

88 الفلقشلى، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٢ - ٥٤، ج١١، ص٤٢٦، المقرئى، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٧٠.

زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص٩٧، ١٦٣، ٢١١، النويرى، حوادث ٧١١هـ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص

٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٢؛ ماجد، نظم دولة المماليك، ج٢، ص٦٥؛ ماير (ل.م)، الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى،

مراجعة عبد الرحمن فهمى، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٠٣.

89 يقال حرير أطلس، يعنى حريرية، خيوط ستان اى حرير ناعم جداً، عن هذه الكلمة انظر Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, I, Leiden, 1881, p. 281.

90 السنجاب، حيوان أكبر من الفأر وشعره في غاية النعومة يتخذ من جلده للفراء يلبسه المتعممون وهو شديد الحيل، إذا

أبصر الأشعة صعد الشجرة العالية وفيها يأوى ومنها يأكل ويوجد كثير في بلاد الصقالية والترك وهو سريع الحركة عن

الإنسان، وأحسن جلده الأزرق الأملس. الدميرى، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، ١٣١٣هـ/١٨٩٥؛ ومن ذيله فروة نفيسة

كانت تستعمل لتزين الملابس كالمقام، المقرئى، السلوك، ج٢ ق١، ص٩٨؛ Dozy, Supplément, I, p.634؛

ماير، الملابس المملوكية، ١٠٥.

قندس،^{٩١} وكلوته زركش بذهب وكلايب ذهب وشاش لانس^{٩٢} رفيع موصول به، في طرفيه حرير أبيض مرقوم بألقاب السلطان، مع نقوش باهرة من الحرير الملون، مع منطقة ذهب، ثم تختلف أحوال المنطقة بحسب مقاديرهم، فأعلاها ما عمل بين عمدها^{٩٣} بواكير وسطا ومرصعة بالبلخش والزمرد واللؤلؤ، ثم ما كان ببيكارية^{٩٤} واحدة من غير ترصيع.^{٩٥}

ودون هذه الرتبة في الخلع كمخا عليه نقش من لون آخر غير لونه، وقد يكون من نوع لونه تفاوت بينهما، وتحت سنجاب بقندس إلا أن الحياصة والشاش لا يكونان بطراف رقم، بل تكون مجوخة بأخضر وأصفر مذهب والحياصة لا تكون ببيكارية.^{٩٦}

بالإضافة إلى ذلك كان أمراء المثين (الحجاب) يمنحون تشاريف أخرى في أوقات خاصة تكون عبارة عن أقبية من الحرير والكنجي أو نحوه.^{٩٧}

وكان من عادة السلطان أن يعد لكل عيد خلعة على أنها لمبلوسه من نسبة خلع أكابر المثين، ولكنه لم يلبسها، وإنما كان يختص بها بعض أمراء المثين يخلعها عليه.^{٩٨} أما عن الإنعامات التي كان يمنحها السلطان، فقد كانت تتفاوت بحسب مزية المنعم عليه عند السلطان وقربه منه.^{٩٩}

وكان لخاصة أمراء المثين، ومنهم الحجاب بطبيعة الحال، أنواع من الإنعامات: كالعقارات الضخمة التي ربما أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار وكساوى القماش المنوع، وكان السلطان إذا خرج إلى الصيد أنعم على أكابر أمراء المثين سنا وقدرًا كل واحد

91 القندس، وقندز، نوع من الجرو الأوربي يستخدم جلده، انظر ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٧، هامش ١؛ Dozy, Supplement, p. 410

Dozy, Supplement, p. 551.

92 عن هذه الكلمة انظر

Dozy, Supplement, p. 542.

93 أسماء دروخ، ربما قد تكون مبطنة، عن هذه الكلمة انظر

94 ببيكارية، جمعها بواكير وهي قطع معدنية هندسية مرصعة بالزمرد واللؤلؤ، انظر Dozy, Supplement, p. 136.

95 القلقشندي، صبح الأعشى ج ٤، ص ٥٢ - ٥٣؛ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٧٧ - ٢٧٨؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ١٠٥؛ ودون هذه الرتبة في الخلع نوع يسمى طردوحش يعمل بدار الطراز بالإسكندرية والقاهرة وبمشق وهو مجروح جاخات مزين بأشرطة مكتوبة بألقاب السلطان، يفصل بين هذه الجاخات نقوش، وطراز من القصب، وعليه فرور سنجاب وقندس، وتحت القباء الطرد وحش قباء من المفرج الإسكندراني الطرح، وكلوته زركش بكلايب وشاش، وحياصة ذهب، فتارة تكون ببيكارية، وتارة لا يكون بها ببيكارية، انظر المقرئ، السلوك، ج ١ ق ٣، ص ٧٨٨، هامش ٢، ماير، الملابس المملوكية، ص ١٠٦.

96 ماير، الملابس المملوكية، ص ١٠٦ - ١٠٧.

97 القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٢ - ٥٣.

98 العمري، مسالك الأبصار، ج ١، ص ٥٥، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ج ١ ص ٢٥٥؛ وكان السلطان يخلع على أكابر الأمراء في الميادين خلعة من المفرج المذهب، كما كان أمراء المثين ينالهم حظ كبير من الكسوة، فكان للسلطان إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض أمراء المثين، وكان يفرق في كل موكب ميدان على أميرين، بالسوبة، حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع نوبته في ذلك، للقلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٦١؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٥٥؛ ضوء الصبح، ص ٢٦٢، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٥٩.

99 القلقشندي، ضوء الصبح، ص ٢٦٢، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٥٦.

منهم بألف مثقال من الذهب، هذا وقد كان أمراء المئين يحظون بأكثر إنعامات السلطان من الخيول، ذلك أنه قد جرت عادة السلطان أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين كل سنة، أما المرة الأولى فعند خروجه إلى رابط خيوله على القرط في أواخر ربيعها حين كان ينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم، وكان خيول أمراء المئين منهم مسرجة ملجمة كنباش من زركش، وأما المرة الثانية فكانت عند لعب الكرة بالميدان الكبير، وكانت خيول أمراء المئين في هذه المناسبة مثلها مثل خيول الطبلخانات - مسرجة ملجمة بفضة يسيرة بلا كنباش، وكانت لخاصة المقربين من أمراء المئين والطبلخانات زيادات في ذلك بحيث كان يصل بعضهم على مائة فرس في كل سنة.^{١٠٠}

وكان أمراء المئين يحظون بأقرب الأماكن إلى السلطان عند جلوسه في بعض المناسبات مثل جلوسه على السماط بالأيوان الكبير.^{١٠١}

أما بالنسبة لمن يعين حديثاً في منصب من المناصب وكان يحصل أحياناً على خلعة تسمى "خلعة الاستقرار"^{١٠٢} وإذا امتدت خدمة أحد الموظفين الرسمية أو ثبت في وظيفة ثم حامت حوله بعض الشكوك، ثم أريد استمراره مع ذلك في العمل فكان يحصل أحياناً على خلعة تسمى "خلعة الاستمرار"^{١٠٣} وعند وصول موظف كبير من أحد الأقاليم وجب تهنئته بسلامة الوصول بأن يخلع عليه "خلعة القدوم"^{١٠٤} وعند استئذانه في الرحيل عن السلطان قبل سفره وجب منحه "خلعة السفر"^{١٠٥} وإذا استقبل السلطان أميراً في مجلسه بعد تغيبه لمرضه، كان يمنح ثوب التشريف يطلق عليه "خلعة العافية"^{١٠٦} للدلالة على شفاء الأمير وفي حالة الصفع عن أمير معزول وجب أن يمنح "خلعة الرضاء"^{١٠٧} أو "خلعة الرضاء"،^{١٠٨} وكانت هذه الخلعة تمنح أحياناً دون أن يشغل صاحبها أية وظيفة.^{١٠٩} وحتى الإقالة كانت تعتبر فرصة لتقديم خلعة يطلق عليها "خلعة العزل".^{١١٠}

100 الفلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص٥٤؛ ضوء الصبح، ص٢٦١؛ حسن للبasha، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٦.

101 الفلقشندى، ضوء الصبح، ص٢٦٢؛ حسن للبasha، الألقاب الإسلامية، ص٢٥٧.

102 السخاوى، التبر المسبوك، ص٣٨٤.

103 السخاوى، التبر المسبوك، ص٢١٥، ٣٨٩.

104 السخاوى، التبر المسبوك، ص٩٦.

105 زيترشين، تاريخ الممالك، صفحة ٩٨؛ المقرئى، السلوك، ج٤ ق٢، ص٨٦٥؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١٠٩.

106 ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

107 السخاوى، التبر المسبوك، ص٤٤٥؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

108 السخاوى، التبر المسبوك، ص٣٧؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

109 السخاوى، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م، ج٧، ص١٩٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص١٦٢؛ ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

110 ماير، الملابس المملوكية، ص١١٠.

وكان رفض خلعة التشريف يعتبر إساءة خطيرة، إذ كان ذلك يعنى إعلان العصيان أو على الأقل المجاهرة بالعداء وعلى العكس من ذلك كان قبول خلعة التشريف علامة للتعبير عن الخضوع والولاء للسلطان.^{١١١}

وكانت ثياب التشريف تصنع أصلاً في المصانع السلطانية، ولكن في العصر الجركسى كانت تصنع خاصة وتباع في سوق الشرايشيين^{١١٢} في القاهرة، وبمضى الوقت حرم بيعها في السوق الحرة، ووضعت تحت رقابة "ناظر الخاص"^{١١٣} وأصبح لا يمكن لأى شخص ابتياعها عدا السلطان نفسه، الذى كان يمكنه شراء تلك الثياب من السوق رأساً.^{١١٤} وأخيراً نستشف من المصادر أن المناطق أى الأحزمة كان ضمن خلع التشريف، حيث كان السلطان هو صاحب الحق الوحيد في منح المناطق إلى الأمراء كجزء من خلع التشريف.^{١١٥}

أما عن أزياء الحجاب فلم تمدنا المصادر المعاصرة بمعلومات مباشرة عن زى الحجاب ولكن يمكن للباحث أن يستشف بصورة غير مباشرة عن هذه المصادر ما كان يرتديه الحجاب، حيث كان الحجاب من أمراء المثين ومقدمى الألف والطبلخانة، ولذلك فإن ما تحدثت عنه المصادر المملوكية المعاصرة بشأن ملابس هؤلاء يمكن تطبيقها بالقياس على الحجاب.

أمدتنا المصادر التاريخية بوصف تفصيلى لزي أمراء المثين،^{١١٦} الذى كان يختار منهم الحجاب، وكان هذا الذى يتميز بالأناقة الباهرة حتى قال المقرئى عنهم "أنهم تألقوا وتفاخروا فيه".^{١١٧} فكانوا يلبسون فوق ثيابهم ثوبين متميزين: القباء^{١١٨} "الفوقانى" أقصر من

111 ماير، الملابس المملوكية، ص ١١٠ - ١١١.

112 الشرايشيين، لفظ فارسى من كلمة شربوش ومعناه غطاء للرأس وهى معربة عامية بمعنى طربوش، محمد التونجى، المعجم الذهبى، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٤١ والشرايشيين مفرداً شربوش وهو شىء يشبه اللتاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة، المقرئى، الخطط، ج ٣، ص ١٦٠، وفى دوزى قلنسوة يرتديها الأمراء بغير عمامة، وقد بطل استخدامها في الدولة الجراكسية، انظر محاسن الوفاة، الطبقات الشعبية في مصر المملوكية، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٥٢، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩٧. وإيضاً - Dozy, Dictionnaire, pp. 220 223

113 ناظر وجمعه نظار، وهم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين الذين شاركوا الوزير في تصريف أعماله، وناظر الخاص ينظر في خاص أموال السلطان. انظر سعيد عاشور، العصر المماليكى في مصر والشام، ط ٢ ١٩٧٦م ص ٤٨٠.

114 المقرئى، الخطط، ج ٢ ص ٩٩؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ١١٣.

115 القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤ ص ٤٤؛ المقرئى، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٧٤٥.

116 القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤ ص ٥٢؛ المقرئى، الخطط، ج ٣ ص ٣٦٩؛ السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤؛ ماجد نظم المماليك، ج ٢، ص ٥٢.

117 المقرئى، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشبال، القاهرة ١٩٤٠م، ص ٦٩.

118 القباء جمع أقبية، ثوب يلبس فوق الثياب سمي بذلك لإجتماع أطرافه. انظر العمرى، مسالك الأبصار، ص ٣٤؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٠. Dozy, Supplément , I, p. 352.

"التحتاني" ويكون طوله وأكمامه أقصر بلا تفاوت كبير عرف فيما بعد بالسلارى،^{١١٩} نسبة إلى الأمير سلاى نائب السلطنة، الذى أوجده، وكان قبل ذلك عبارة عن بغلطاق^{١٢٠} يزدان باللؤلؤ والجواهر، والقباء التحتاني من قماش أملس أطلس أيضاً، لونه اصفر، محلى بشعر سنجاب ومبطن داخله وأطراد بسجف^{١٢١} بفرو قندس.

وفى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م شرع الأمراء في ارتداء "أقبية قصيرة الأكمام" فوق القباء، ولكن أكمامها أكثر اتساعاً من أكمام القباء التحتاني الضيقة.^{١٢٢}

ويخبرنا العيني في أحداث عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م أن الحاجب جمال الدين الموصلى حين مات كانت عليه أقبية أطلس وكلوتات زركش.^{١٢٣}

ومن المحتمل أن يكون هذا القباء كان مطابقاً تماماً للقباء السلارى الذى أدخله الأمير سلاى^{١٢٤} نائب سلطنة الناصر محمد بن قلاوون لأن القباء "السلارى" أو السلارية كان يطابق معطفا عرف من قبل "بالغلطاق"، هذا وقد ورد وصف الأردية الفوقانية ذات الأكمام الضيقة وأنه كان يلبس تحت البغلطاق الفرجية وكان من المألوف وقبل أيام سلاى توزيع الأردية "البغلطاق" كمنح وهدايا،^{١٢٥} ثم أصبح من المألوف عمل "السلارى" من ألوان مختلفة ومن خامات متنوعة، مثل القطن البعلبكي، من فراء السنجاب الرمادى، ومن الأطلس ذى الخيوط المعدنية، وكان يحلى أحياناً بزخارف فخمة وأحياناً آخر تنتثر عليه اللآلئ والأحجار الكريمة،^{١٢٦} وكانت التخفيفة مع السلارى يعتبران من الأزياء المملوكية الصميمة، أما في

119 وصف القباء السلارى بأنه قصير الطول والكم، المقرئى، الخطط، جـ٣، ص ١٦٠ وإيضاً Dozy, Supplément, I, p. 678.

120 بغلطاق، جمعها بغلطيوق أو بغلطق وهى لفظة فارسية تعنى قباء له كم قصير من قماش بعلبك. العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٤؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٤، هامش ٥.

121 تنظر Dozy, Supplément, I, p.43.

122 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤٠؛ المقرئى، الخطط، جـ٢، ص ٢٠٧.

123 العيني، عقد الجمان، في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، القاهرة ١٩٩٠، جـ٣، ص ٢٢٥.

124 المقرئى، السلوك، جـ٢، ص ٩٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص ١٧٩ - ١٨٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص ١٥٥؛ محمد عبد العزيز مرزوق، الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٣٨؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، جـ١، ص ١٢٨.

125 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤٠؛ المقرئى، الخطط، جـ٢، ص ٢١٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص

١٥٥؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٤؛ Dozy, R., *Noms des vêtements chez les Arabes*, Amsterdam, 1845, pp. 81-82, 84; Quatremère, M., *Histoire des sultans mamlouks, de l'Égypte*, Paris, 1845, pp. 70-71.

126 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٥١؛ ماجد، نظم المماليك، جـ٢، ص ٧٥.

عصر الممالك الجراكسة، فقد شاعت الملوطة وهي عبارة عن عباءة عارية، كانت خاصة بأمراء المنين وكان يلبس فوقاني غير مزرر له ياقة معها "تخيفة صغيرة".^{١٢٧}

وفى فصل الشتاء وبخاصة في الأيام الممطرة، كان الأمراء يرتدون عباءات مصنوعة من خامة خشنة لها وبر يطلق عليه اسم "جوقة" ولكن في أيام الممالك الجراكسة تغيرت الأمور تغيراً عظيماً وأصبح يرتديها عامة الناس.^{١٢٨}

وفى الشتاء أيضاً كانت تصنع الملابس من الصوف الملون أو من الحرير غالى الثمن، وكانت تبطن بالفراء، وجرت العادة أن يستعمل الأمراء فراء السمور^{١٢٩} والوشق^{١٣٠} والقماقم^{١٣١} والفنك أى السنار والسنباب والرمادى والقدس.^{١٣٢}

وفى فصل الصيف كانت جميع الملابس "الفوقانية" بيضاء وتصنع من قماش رخو يطلق عليه اسم "نصافى" أو ما يماثله من لقمشة أخرى.^{١٣٣}

أما مناطق الأمراء أى أحزمتهم التى عرفت أيضاً باسم الحياصة^{١٣٤} فكانت تصنع من معدن ثمين أفخمها ما كان من الفضة المطلية بالذهب وصنعت أحياناً من الذهب الخالص

127 مسن المعروف أن الملوطة صارت أيضاً رداء لغير العسكريين، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٥١، ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٥.

128 المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٩٨.

129 السمور، بلطح السين والميم المشددة المضومة وهو حيوان برى يشبه السنور وزعم بعض الناس أنه النمى، وهو حيوان جرىء ليس في الحيوانات أجراً منه على الإنسان، لا يؤخذ إلا بالحيل ولحمه حار والترك يأكلونه وجلده لا يدبغ كسائر الجلود. الدميرى، حياة الحيوان، ص ٢٨، ويؤخذ منه نفيس الفراء التى يلبسها الملوك وأكابر الأعيان لحسنها ودقاتها، ولحسنه ما كان منه شديد النعومة مائلاً إلى السواد. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٢، ص ٤٩، محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ١٠١ هامش ١١٤.

130 الوشق، نوع من فراء الذئب. الدميرى، حياة الحيوان، جـ ٢، ص ٣٢٤. محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ١٠١.

131 القماقم، حيوان يشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه مزاجاً وأرطب ولهذا هو أبيض ويشبه جلده جلد الفنك وهو أغز قيمة من السنجاب، تؤخذ منه الفراء التى تستعمل في الزينة عند الأغنياء كسلطين الممالك وأمرائهم وأشباهم من الأثرياء في القاهرة في العصور الوسطى. الدميرى، حياة الحيوان، جـ ٢، ص ١٩٧، المقرئى، السلوك، جـ ٢ ق ١، ص ٩٨، محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ١٠١.

132 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢١٧، السخاوى، التبر المسبك، ص ٣٤٦.

133 القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠، ابن إياس بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٥٩، ٢٦٢.

134 المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٩٩، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠، والحياصة، المنطقة بكسر الميم، وهي ما يشد في الوسط وهي من الآلات القديمة فقد روى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه كان له منطقة، ولم يستخدم الحياصة الملوك، وإنما يلبسها الملك للأمراء عند إلباسهم الخلع والتشريف وتختلف بحسب درجة الأمير، فملها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص ومنها ما ليس كذلك. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٢ ص ١٣٤، وكان السلطان إذا ركب للعب الكرة وزع حوائص من ذهب على بعض الأمراء، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٥٥، والحياصة سير في الحزام، والحياصة سير طويل يشد به حزام الدابة، ابن منظور، لسان العرب، جـ ٧، ص ٢٨٥، والحوائص مفرداً حياصة ويقصد بها الحزام الذى يوضع حول الوسط ويكون مرصعاً بالأحجار الكريمة انظر -Dozy, Dictionnaire, pp. 145-146

147 أيضاً العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٥ هامش ٤١، ماجد، نظم الممالك، جـ ٢، ص ٣٤، ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٧ هامش ٤، وكان لها سوق اسمه الحوائصيين وهي المناطق، انظر الخطط جـ ٣، ص ١٦٦.

المرصع^{١٣٥} بحجر اليشم وكان من المؤلف أن ترصع بالأحجار الكريمة،^{١٣٦} ومن ثم كان للمناطق أو الحوائص قيمة عظيمة الشأن.^{١٣٧}

ففى عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م ارتدى الأمير ألماس الحاجب أطلساً كاملاً بكلوته زركش وحياسة ذهب بمناسبة نزوله مع نائب السلطنة بمصر الأمير سيف الدين أرغون.^{١٣٨}
وفى عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ارتدى الأمير سيف الدين ألماس الحاجب أطلس تمام بحياسة مجوهره بمناسبة زواج ابن السلطان الناصر محمد.^{١٣٩}

وجرت العادة أن يشد السيف على القباء من الجانب الأيسر، أما الصولق^{١٤٠} والكذ لك،^{١٤١} فكان يشدان إلى الجانب الأيمن، ويفهم من المصادر المملوكية أن الصولق الذى كان يرتديه الأمراء، كان مصنوعاً من الجلد البلغارى الأسود، وكان أحياناً كبير الحجم بقدر يتسع لأكثر من نصف وية من الغلال ومفروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع.^{١٤٢}

أما فيما يتعلق بأغطية الرأس فنلاحظ أن الشربوش كانت له المكانة الأولى، إذ يعتبر بصفة خاصة الطابع المميز لطبقة الأمير، وقد وصف المقرئى الشربوش بأنه 'مثل شيء يشبه التاج' ويبدو كما لو كان مثلث الشكل يوضع على الرأس بغير عمامة (أى لا يلف حوله منديل) وتشير المصادر التاريخية إلى أن لبس الشربوش قد وجد في عصر الأيوبيين أو المماليك البحرية، على حين يؤكد المقرئى أن لبس الشربوش قد أبطل في عصر المماليك الجراكسة.^{١٤٣}

135 الفلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠، ماجد، نظم المماليك، جـ ٢، ص ٧٦.

136 الفلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠، المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٧٢٦.

137 للمقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٩٩؛ ابن لياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ١٧٣؛ وفى خلال عصر المماليك البحرية، أى في أيام المنصور قلاوون كان الأمراء يرتدون حوائص تسارى الواحد منها ٣٠٠ دينار، ويعتبر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أول من أدخل الحوائص الذهبية من أجل الأمراء. وظل استخدام المناطق شائعاً في عصر خلفائه وأيام السلطان الناصر فرج، كما كان بعضها يرصع بالأحجار الكريمة، ويبدو أن الحوائص كانت أكثر قطع الملابس رواجاً، وكان الأمراء يحرمون على ارتداء الحوائص المرصعة بالأحجار الكريمة، الفلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٩٩، ص ١٧٧، ٢١٦.

138 ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٢٩٨.

139 ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٣٦٠.

140 الصولق، حقيبة من الجلد، مفرد صوالق - ربما لوضع المال وغيره. العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٥ هامش ٢؛ الفلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٠ هامش ٤؛ Dozy, Supplément, I, p.848.

141 كذلك، خنجر، الفلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٤؛ Dozy, Supplément, II, p.463.

142 الفلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٤٠؛ المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٩٨.

143 المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٩٩؛ السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٤٩٣؛ هامش ١ ص ٢٥١ هامش ١، ص ٥٠١.

والى جانب الشربوش كانت هناك الكلوتة وهى أخف من الشربوش العادى ولكنها لا تقل عنه مكانة من الناحية الرسمية^{١٤٤} وأضحت الكلوتة رمزا لأمرأء المئين، وكان السلطان يرتدى كلوته صفراء وهى خاصة أيضا بالأمرأء وباقى العسكریین، يحيط بحافتها شريط وبند يطلق علیه اسم "تضريب" وأبازیم تطلق علیها اسم كلالیب وتلبس دون عمامة.^{١٤٥}

وفى عصر الممالیک البحرية كانت الكلوتة صغيرة الحجم، وتصنع عادة من الصوف الملطى يحيط بحافتها شريط عريض، وظلت لفترة قصيرة یلف حولها منديل صغير.^{١٤٦}

وواصل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، ما قام به أبوه من إصلاح فى الزى فغیر لباس الرأس الذى كان يصنع أحيانا من خامة صوفية خشنة وأصدر أمره إلى أمرأئه بالظهور بین ممالیکهم بالكلوتة المطرزة زركش أو حسب ما أورده القلقشندى، بكلوتة حمراء والعمائم من فوقها.^{١٤٧}

وقد وجد نوع آخر من لباس الرأس وهو "الطاقية" وجمعها "طواقى" وكانت تشبه "الكوفية" التى كان یلبسها أصلا الصبيان والبنات ثم لبسها الرجال والنساء. وفى عهد سلاطين الممالیک الجراكسة لبسها الأمرأء من جميع الطبقات وكانت تصنع عادة من ألوان مختلفة، وكان ارتفاعها يبلغ سدس ذراع تقريبا، وقمتها مدورة ومسطحة، وفى عصر السلطان فرج بن برقوق عرف نوع من الطواقى التى أطلقت علیها المصادر التاريخية اسم الطواقى الجراكسة، وحدث تغیر بسيط فى الجزء العلوى فیها فصنع غالبا على هيئة قبة صغيرة، كثر فیها الحشو بمادة الورق وزینت بفراء القندس بعرض ثمن ذراع تقريبا.^{١٤٨}

أما عن لباس القدم فقد اشتمل غالبا على حذاء برقبة طويلة يطلق علیه اسم "خف"،^{١٤٩} وكان المألوف صنع خف الشتاء من جلد أصفر اللون يطلق علیه اسم "أديم"^{١٥٠}

-
- 144 العمرى، مسالك الأبصار، ص ٣٤ هامش ٦، والكلوتة جمعها كلوتات، وهى غطاء للرأس یلبس وحده أو بعمامة؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٩، السيوطى، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١١٠، ١١١ والكلوتة كلمة فارسية نظر Dozy, Supplément, II, p.484 ويقال أيضا للكلوت مفردا كولاء أو كلاء أو كلا فنظر زيتروشتين، تاريخ الممالیک، ص ٢١١ المقرئى، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٩٣، ج ٢ ق ١، ص ٨٠ هامش ١١ ماير، الملابس للمملوكية، ص 145 القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦، ص ١٣٩ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٩٨، ٢١٧.
- 146 القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦، ص ١٣٩ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٩٨، ٢١٧.
- 147 القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٠، ص ١٣٩ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٩٨-٩٩.
- 148 المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ١٠٤.
- 149 حذاء برقبة طويلة، العمرى، مسالك الأبصار، ص ٣٤، هامش ٨ ماير، الملابس للمملوكية، ص ٦٣ هامش ٥.
- 150 لَدَمَ أدما أصلح وألف والصانع الجلد، أصلحه بنزع الزائد من أدمته الأديم: الجلد وأديم كل شىء: ظاهر إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، طبعة ١٩٧٢م، ج ١ ص ١٠٩ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ١١٤.

مستورد من الطائف، أو من جلد أسود مستورد من بلغاريا؛ وكانت الأخفاف ذات الرقاب تلبس أيضاً في فصل الصيف، وكانت تزود أحياناً بأربطة؛ وكان يرتبط بالخف مهاميز^{١٢٥} مكفّنة بالفضة أو الذهب، إلا أن هذا كان سارياً فقط في عصر المماليك البحرية، أما في أواخر عصر المماليك الجراكسة فقد غدا من المستحيل التماهى في مثل هذا البذخ^{١٢٦} وكان من المعتاد ارتداء حذاء فوق الخف يطلق عليه اسم "سقمان".^{١٢٧}

إقطاعات ورواتب الحجاب:

أنتقل النظام الإقطاعي كاملاً عن السلاجقة إلى الدولة الاتابكية، فالدولة الأيوبية ثم إلى دولة المماليك، وهى الدولة الإقطاعية الكبرى؛ ويعتبر عصر سلاطين المماليك العصر الذى اكتملت فيه النظم الإقطاعية آنذاك، فقد نشأ المماليك في ظل هذا النظام زمن الأيوبيين وأقاموا دولتهم الكبرى على أنقاض سادتهم من الأيوبيين، واعتبرت الأرض ملكاً للسلطان وجنوده، وكانت القاعدة العامة في التوزيع الإقطاعي، وحدة القيراط إذا كان خراج مصر يقسم إلى أربعة وعشرين قيراط يوزع أجزاءها على القرى توزيعاً متناسباً مع طاقتها، وفي عصر المماليك، اختص السلطان بأربعة قراريط "للكلف والرواتب وغيرها" على حين أن عشرة قراريط للأمراء والاطلاقات أى المنح والزيادات، أما العشر الباقية فهي للتوزيع بين الأجناد.^{١٢٨}

وكان الإقطاع بالنسبة للحجاب، دليلاً واضحاً على قدر منازلهم وقوة نفوذهم، وقد كانت الإقطاعات بلاداً وأراضى يستغلها مقطعها ويتصرف فيها كيفما يشاء. على أن الإقطاعات لم تقتصر على مختلف أنواع الأراضي بل تعدتها إلى جميع موارد الدولة، من خراج الأراضي، والجزية وزكاة المواشى والمعادن والعشر وغير ذلك من المكوس على اختلاف أصنافها، وربما كان فيها نقد يتناوله من جهاتها ويختلف باختلاف حال أربابها، ويفهم من المصادر التاريخية أن السلطان أحياناً كان ينعم بإقطاع الحاجب على حاجب آخر ويسمى هذا إقطاع النقل، ومن ذلك ما حدث في عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م عند قدوم الأمير تتكز نائب الشام إلى القاهرة ومعه بعض مماليكه والأمير بدر الدين بن مسعود الخطير أحد حجاب

125 المهاميز مفرداً مهماز، والمهماز آلة من حديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه وفوق الخف، ومؤخرة اصبع مخدب الرأس إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت في المشى، وهى من الذهب أو للفضة وأحياناً حديد مطلى بالذهب أو للفضة. للقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص ١٣٦؛ العمري، مسالك الأبصار، ص ٣٤ هامش ٧؛ المقرئ، الخطط، جـ٢، ص ٩٧-٩٨، ٢١٧؛ ماير، الملابس المملوكية، ص ٦٤، هامش ١؛ ماجد، نظم المماليك، جـ٢، ص ٩٨، محاسن الوقاد، للطبقات الشعبية، ص ٩٧.

126 للقلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤١؛ ماجد، نظم المماليك، جـ٢، ص ٩٨.

127 المقرئ، الخطط، جـ٢، ص ٩٨؛ عن هذه الكلمة انظر، Dozy, Supplément, I, p.73.

128 إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ص ٣٠، ٢٣، ٦٣-٦٤.

دمشق، فشكا منه وسأل أن يكون حاجبا صغيراً رفيقاً للأمير ألماس الحاجب وأنعم بإقطاعه على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير.^{١٢٩}

وكثيراً ما كان يأخذ الحاجب موجود بعض الأمراء ومن ذلك ما حدث عام ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦م فقد أخلع على الأمير سودون الشيخونى واستقر حاجب الحاجب، وأنعم عليه بجميع موجود الأمير مبارك شاه، وفى عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م أخلع على الأمير سودون الشيخونى للمرة الثانية وقرر حاجب حاجب، وأنعم عليه بإقطاع الأمير تغرى برمش.^{١٣٠} وفى عام ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م قبض على الأمير جركسى الحاجب، وأنعم بموجوده على الأمير قرا يوسف، وفى نفس العام تنكر جكم على الأمير تنكربغا حاجب طرابلس وأخذ موجوده ثم قتل.^{١٣١} وهذا يدل على أن الحاجب نالوا الإقطاعات مثلهم في ذلك مثل موظفى دولة المماليك.

وجسرت العادة أن يقوم السلطان بتوزيع براءات الإقطاع، سواء أكانت أمثلة^{١٣٢} أم مناشير،^{١٣٣} إنما الغالب توزيع الأمثلة وهى أولى وثائق الإقطاع، وربما كان ذلك لسهولة تغيير ما يحتمل حدوثه من تغير في الإقطاع، إذا شكا المقطع أو تظلم أو بدا لولى الأمر بما يستدعى ذلك، وربما اقتصر السلطان على توزيع مثالات الأمراء المقدمين، والعادة أن توزع براءات الإقطاع على أيدي النواب أو ينتدبهم السلطان لهذا الأمر، وسواء أكان التوزيع في مصر أم خارجها فإنه يتم في موكب حافل، ففي مصر يعقد هذا الحفل بالقلعة، ويعرف بيوم العرض، أو مجلس العرض.^{١٣٤}

وفى ختام الحديث عن إقطاع الحاجب لا يفوتنا أن نتحدث عن الراتب الذى كان يتمتع به الحاجب، وقد عرض بعض المؤرخين المحدثين للدخل الذى تمتع به المملوك منذ شرائه وحتى ارتقائه المناصب العليا بالدولة، وترقيته إلى الرتب العليا بالدولة "أعنى الحجابة" وما في مستواها نقلاً عن القلقشندي والمقريزى، فمثلاً كان مرتب كل منهم كما يلى:

	الحد الأدنى	الحد الأقصى	
مقدم الحلقة	٢٥٠	١,٥٠٠	دينار

¹²⁹ المقريزى، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ٢٨١.

¹³⁰ ابن إياس، بذائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ١٩٠، ٣٠٢.

¹³¹ ابن إياس، بذائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٧١٢.

¹³² الأمثلة، لنظر القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٦٣، ص ٦٥، ٩٦، ١٩١.

¹³³ منشور وجمعه مناشير، وهى في الأصل كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا تحتاج إلى ختم كالمكاتبات الخاصة بالولاية ومنح الإقطاعات انظر القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ١٥٨؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى ص ٤٧٧.

¹³⁴ المقريزى، السلوك، جـ ١، ق ٣، ص ٨٤٤، ٨٤٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٩٣ - ٩٥، جـ ١٠ هامش ٤؛ على إبراهيم حسن، الجيش والبحرية في عصر المماليك، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٦.

دينار	٩,٠٠٠	٧,٠٠٠	أمير عشرة (الحاجب الثالث وسبعة حجاب)
دينار	٣٠,٠٠٠	٢٣,٠٠٠	أمير أربعين طبلخانة (الحاجب الثاني)
دينار	٢٠٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	أمير مائة مقدم ألف (حاجب الحجاب)

كل هذا بخلاف ما كان مقرراً لكل منهم من اللحم والتوابل والعليق والزيت والكسوة والشمع لكل منهم على قدر منازلهم.^{١٣٥}

أما عن النفقة التي كان يقوم بمنحها السلطان للحجاب عند السفر، فتشير المصادر المملوكية المعاصرة في حوادث عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨م أن السلطان منح الحاجب أيدكار مبلغ ألف وأربعمائة دينار ذهب وستين ألف درهم فضة.^{١٣٦}

وفيما يتعلق بالنفقة التي أرسلها السلطان للأمراء في عام ٨٩٣هـ / ١٣٩٠م فقد وصفها ابن إياس بقوله "بعث السلطان نفقات الأمراء المقدمين والعشرات فبلغت النفقة على الأمراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف دينار، وكان الأمراء المعينون للتجريدة أحد عشر أميراً مقدماً ألف ومنهم تاني بك الجمالي حاجب الحجاب، ثم نفق على الجند فأعطى لكل مملوك مائة دينار وجامكية أربعة شهور ثمانية آلاف درهم وثمان جمل سبعة أشرفية، فكانت جملة النفقة على الأمراء والجند نحواً من ألف ألف دينار حتى عد ذلك من النوادر، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الدول الماضية أن أحداً من السلاطين فعل مثل

¹³⁵ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٥٠؛ المقريزي، الخطط، جـ ٢، ص ٣٥٠ - ٣٥١؛ على إبراهيم دراسات في تاريخ المماليك، ص ٣٤٦؛ محمود نديم، أحمد فهمي، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة، كلية الآداب ١٩٧٣م، ص ٤٠؛ جمال جرجس، القضاء، ص ١٤٥؛ Ayalon, D., *Studies on the Structure of Mamluks Army*, XVI, I, pp. 37-38, 257-296.

¹³⁶ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ١٨٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٢٥٩.

ذلك، فكانت نفقة الأتابكي أزبك وحده ثلاثين ألف دينار، وكانت عادة نفقة الأتابكية إلى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ولم يسمع بأوسع من هذه النفقة قط، فكان كما يقال:

تهب الألوف ولا تهاب ألوفها . . . هان العدو لديك والدينار^{١٣٧}

وفيما يتعلق بالنفقة التي منحها السلطان للحجاب عند خروجهم للتجريدات العسكرية، فيبدو أنها قد تقلصت عما مضى، فنقرأ في المصادر في حوادث عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ما نصه "أرسل السلطان نفقة الأمراء المقدمين، فأرسل إلى الأمير أنصبای حاجب الحجاب أربعة آلاف دينار" ويتعجب ابن إياس من ذلك بقوله: "وأين هذه النفقة من النفقة التي كان يرسلها الأشرف قايتباي للأمراء المقدمين عند خروجهم على تجاريد ابن عثمان، فكان يرسل للأتابكي أزبك عشرين ألف دينار وأمير مجلس مثل ذلك وبقية الأمراء أرباب الوظائف لكل واحد منهم خمسة عشر ألف دينار وبقية الأمراء المقدمين لكل واحد منهم عشرة آلاف دينار حتى عُذ ذلك من النواذر الغريبة ولم يفعل الأشرف قايتباي ذلك إلا في آخر تجاريد ابن عثمان عام ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م فبلغت نفقة الأمراء قاطبة دون الجند مائة ألف دينار وكسور^{١٣٨}.

وأحياناً كان السلطان يفرق على الأمراء التقادم الآتي من مشايخ العربان مثلما حدث في عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م فقد فرق السلطان الغوري على الأمراء التقادم التي حصل عليها، فأعطى الأتابكي سودون العجمي ثلاثمائة دينار وفرسين وخمسين رأس غنم وخمس بقرات، وأعطى الأمير أركماس أمير مجلس مائتي دينار وفرس وأربعين رأس غنم وأربع بقرات، وأعطى الأمير أنصبای حاجب الحجاب مثل ذلك، ثم خلع على الأمراء المقدمين من أرباب الوظائف كاملة مخملة أحمر بسمور، وألبس بقية الأمراء المقدمين كوامل صوف بسمور قبل صعوده إلى القلعة^{١٣٩}.

وقد يبدو لنا من خلال هذا العرض أن الدخل الذي كان يدره الحجاب في حد ذاته دخلاً جيداً، ومع ذلك فقد كان نهمهم وطمعهم في المزيد من العائد المادي من أبرز الدوافع التي دفعتهم إلى ظلم الرعية وإلى المزيد من الرشوة.

ويخبرنا المقرئ في خطه بقوله: "وصار الحاجب اليوم اسماً لجماعة من الأمراء ينتصبون للحكم بين الناس لا لغرض إلا لتضمين أبوابهم بمال مقرر كل يوم على رأس نوبة النقباء، وفيهم غير واحد ليس لهم أمرة الإقطاع وإنما يرتزقون من مظالم العباد^{١٤٠}".

ويوضح لنا أيضاً في كتابه السلوك الأساليب التي اتبعها الحجاب في ابتزاز أموال العامة بقوله: "وأما الحجاب فإنهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك

¹³⁷ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

¹³⁸ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٥، ص ٣، ٢٩.

¹³⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٩٤.

¹⁴⁰ المقرئ، الخطط، جـ ٣ طبعة بولاق، ص ٦٠.

إليهم ومشكو عليه من أحد من الحجاب إلا وفي بابه رجل يقال له رأس نوبة، يضمن له في كل يوم قدراً معلوماً من المال يقوم له به ومن هذا المال المضمون يقيم أوده، فيسقط رأس نوبة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب وما لا بد له من صرفه على عياله ومؤن فرسه وأجرة سائسها، وما أعتاده الحجاب من المحرمات التي لا يتركونها ما وجدوا إليها سبيلاً، وما يرصده ويدخره عنده عدة له في وقت مكروه ينزل به في عزله أو مصادرة الحاجب له أو غير ذلك من العوارض، فيتناول من كل واحد من النقباء شيئاً مقررأ عليه عند مضيه في طلب غريم يقال له الإطلاق، فإذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبة أبواباً من أنواع مكرهم الذي تفقهوا فيه، فيحتاج إلى بذل المال له ولدوادار الحاجب وللحاجب بحسب ما يقتضيه رأيهم، فربما بلغ الغرم في الشكوى الآلاف من الدراهم، فأنهم يسلسلون قضايا ظلمهم حتى يستمر المشكو في الترسيم الأيام والأشهر وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجوه فإنهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات ولا يكفون حمل شيء منه إلى السلطان".^{١٤١}

ونلاحظ أن النص الذي ذكره المقرئ لا يحتاج إلى أية إضافة أو تعليق فمن الواضح أن المشكو البائس المغلوب على أمره عليه أن يدفع للنقيب الذي يحضره لرأس النوبة ولدوا دار الحاجب وللحاجب نفسه، أي أن هذا الجيش الجرار من الأعوان يعيش على ظلم من يوقعه حظه وبؤس قدره بين أيديهم من عامة الشعب المطحون.^{١٤٢}

وقد كانت هذه التكاليف ترهق عامة الشعب، ونظراً للشكاوى الكثيرة المتلاحقة فإن المراسيم والأوامر كانت تصدر بهدف الحد من استبداد الحجاب بعامة الشعب، فيحدثنا المقرئ بقوله "تودى في الناس من قطع طيغا الحاجب خبزه وقت العصر فليحضر ويأخذه".^{١٤٣}

أما ابن حجر العسقلاني فيخبرنا أنه في عام ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م بأنه "أمر السلطان القضاة والحجاب وغيرهم أن لا يحبسوا أحداً على دين واستمر ذلك على شوال منها".^{١٤٤}

أما ابن إياس فيذكر في حوادث عام ٨٩١هـ / ١٤٨٦م "رسم السلطان على لسان القاضي كاتب السر ابن مزهر بأن يجمع رؤس النوب والنقباء الذين بأبواب الأحكام، ويكتب عليهم قسائم بأنهم لا يأخذون من الأخصام إذا طلبوا من أبوابهم أكثر من نصفين فضة لكل نقيب حسبما رسم السلطان بذلك، فجمعهم وكتب عليهم قسائم بذلك، فأقام هذا الأمر مدة يسيرة

^{١٤١} المقرئ، السلوك، جـ ٤ ق ١، ص ٣٩٠، ٣٩٢.

^{١٤٢} اسماعيل عبد المنعم قاسم، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الارستقراطية المملوكية في مصر زمن سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير - جامعة عين شمس، كلية الآداب ١٩٨٨ غير منشورة، ص ٢٠٩.

^{١٤٣} المقرئ، السلوك، جـ ٣ ق ١، ص ١٣٩.

^{١٤٤} ابن حجر، أبناء الغمر، جـ ٣، ص ٤٣٩.

ثم عادوا لما كانوا عليه.^{١٤٥} وقيل: لا شيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب، وإذا سهل الحجاب أحجمت الرعية عن الظلم، وإذا عظم الحجاب هجمت على الظلم. ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم:

سأهجركم حتى يلين حجابكم . . . على أنه لابدّ سوف يلين
خذوا حذرکم من صفوة الدهر إنها . . . وإن لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر:

أمرت بالتسهيل في الإذن لي . . . ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن تراني بعدها عائدا . . . ولن تراه بعدها مستأذنا^{١٤٦}

ولعل هذه الصورة التي أوضح الباحث معالمها تبين مدى التدهور الذي آلت إليه وظيفة الحجابة زمن سلاطين المماليك، بعد أن أقبل الحجاب وأعوانهم على أخذ الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل واستغلالهم أبشع استغلال ومدى ما عاناه الشعب من جراء حكم الحجاب.

اختصاصات الحجاب

أولا : الحجاب والقضاء :

اتسعت سلطة الحجاب في العصر المملوكي وأزداد نطاقها، ويبدو أن اتساع سلطة الحجاب زمن سلاطين المماليك كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التي كانت تبذل بغير حساب على هذه الوظيفة، فقد حدثتنا المصادر المعاصرة بأن عمل الحجاب في هذه الفترة لم يقتصر على استئذان السلطان للمقابلة بل شمل إدخال الناس على السلطان وهو جالس في قصره بالقلعة، ولم تقتصر مهمته على ذلك فحسب، بل شملت مهام أخرى كثيرة، فقد كانت حاجب الحجاب بمثابة قاض كبير له أعمال، وكان عمله في بادئ أمره الفصل في الخصومات المدينة وفي جميع ضروب النزاع الذي يقع بين الجنود والمماليك والأمراء إما بنفسه أو بعد استشارة السلطان أو النائب، فينصف ضعيفهم من قويهم، والحكم بين الأمراء في المسائل الديوانية وأمور الإقطاعات، وإليه تقديم ما يرد وما يعرض على السلطان، وعرض الجند وما ناسب ذلك، وكان الحاجب يقف أحيانا بين يدي السلطان في المواقب ليبلغه رغبات رعيته ومطالبهم، كما كان يركب أمامه وهو يعمل عصا في يده وينظر في المظالم، إلا أنه يمكن القول بأن نفوذ الحاجب حتى الآن لم تتعد نطاق القضاء الحربي، إذ أن حاجب الحجاب كان بمثابة رئيس للمحكمة الإدارية في الجيش، وكان السلطان يستشيريه في الحالات الخطيرة

^{١٤٥} ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٨.

^{١٤٦} الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت ١٩٨٣، ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠.

الشان، وقد يعقد مجلسه بحضور الأمراء وكاتب الجيش وناظر الجيش ويكون نظره في
مخاصمات الممالك ومشاكلهم التي بينهم وبين الديوان.^{١٤٧}
وكان من ضمن اختصاصات الحاجب أحياناً الحكم بين الأجناد والكتاب وأعيان
التجار.^{١٤٨}

أما فيما يتعلق بالقضاء المدني أو الشرعي فنقرأ في المصادر المملوكية بأنه لم يكن
للحاجب حق النظر في الأمور الشرعية كالفصل في الخصومات التي تقع بين الزوجين أو
الحكم في قضايا الديوان، حيث كان ذلك من أدق اختصاصات قضاة الشرع.^{١٤٩}
ومن الجدير بالذكر أن أحكام الحاجب لم تكن مقتبسة من أحكام الدين الإسلامي، بل
كان يمزج فيها بين رأيه الشخصي وبين بعض القوانين السابقة المرعية عند أمم غير إسلامية
مثل التتار القدامى.^{١٥٠}

ويشير المقرئ إلى أن الحاجب كان يحكم بين المغول الذين استوطنوا مصر
حسب قوانين الياسة أو اليسق^{١٥١} فيذكر بقوله: "كانت أحكام الحاجب أولاً يقال لها حكم الياسة
وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زماننا اليوم أصلها ويتساهلون في التلفظ بها ويقولون
في هذا الأمر مما لا يمشى في الأحكام الشرعية وإنما هو من حكم الياسة".^{١٥٢}

^{١٤٧} المقرئ، الخطط، ج٣، ص٣٧٩؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة زمن سلاطين الممالك دراسة عن الرشوة
للقاهرة ١٩٧٩م، ص٥٦.

^{١٤٨} المقرئ، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٣٠؛ أحمد عبد الرازق، شرطة القاهرة زمن سلاطين الممالك، القاهرة ١٩٨٢م،
ص٢٨-٢٩.

^{١٤٩} المقرئ، الخطط، ج٣، ص٦٠.

^{١٥٠} محمود رزق سليم، عصر سلاطين الممالك، القاهرة ١٩٤٧م، ج١، ص٥٤.

^{١٥١} ويرى المقرئ عن الياسة أن جنكيز خان القائم بدولة التتر في الشرق قد قرر فواعد وعقوبات أثبتتها في كتاب أسماه
(ياسة) ونقشه في صفائح من الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده، وكان جنكيز خان لا يتدين بشيء من أديان أهل
الأرض فصارت الياسة حكماً يتبأى في أعقابها، وجملة ما شرعه جنكيز خان أنه من زنى قتل ولم يفرق بين المحصن وغير
المحصن، ومن لاط قتل ومن بال في الماء أو على الرماد قتل، ومن تعد الكذب أو السحر أو تجسس على أحد أو دخل بين
أثنين يتخاصمان فأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن وجد عبداً هارباً أو أسيراً قد هرب ولم يرده على ما كان في يده قتل،
ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إنلهم قتل، وإن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل
لحمه، وإن من ذبح حيوان كذبيحة المسلمين ذبح إلى غير ذلك من الأحكام". Irwin-Robert, *The Middle East in the*
Middle Ages the Early Mamluk Sultans 1250-1382, London, 1986, pp. 52-53.
Poliak. A. N, *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and Lebanon*, 1250-1900, London, 1939, pp.
14-15.

^{١٥٢} المقرئ، الخطط، ج٣، ص٦٣ وعن الياسة انظر Ayalon, D, "The Great Yâssa of Chingiz Khân", SI, XXXVI, 1972. Hassanein Rabie, *The Financial System of Egypt A.H. 564-741/A.D. 1169-1941*
London, 1972, p.61.

وقد حرف أهل مصر كلمة ياسة إلى سياسة ثم أدخلوا عليها الألف واللام فصارت (السياسة) وأصبح يقصد بها كل الأحكام التي لا تدخل في نطاق الشرع.

أمّا عن السبب الذي من أجله عهد للحجاب أن يحكموا بأحكام الياسة بين المغول الذين استوطنوا مصر، هو أنه بعد واقعة عين جالوت الشهيرة وهزيمة التتار أسر منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام، ثم كثّر الوافدون منهم في أيام السلطان الظاهر بيبرس وملأوا مصر والشام، وخطب للملك يوشى بن جنكيز خان على منابر مصر فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغول وانتشرت عاداتهم وطرائقهم بها، ويشير المقرئى عن ملوك مصر وأمرائها وعساكرها في دولة المماليك ما نصه: "قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكيز خان وبنيه وامتزج بدمهم ولحمهم مهابتهم وتعظيمهم، وكانوا إنما دبوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد إلى الرديء" ولعل المقرئى قد أراد بذلك أن يمهّد لبداية العمل بأحكام الياسة في مصر فنجدّه يعود ويخبرنا بأنهم "أى ملوك مصر فوضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج. وناطوا به أمر الأوقاف والايّام وجعلوا إليه النظر في القضايا الشرعية كتداعى الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك واحتاجوا في ذلك لأنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكيز خان والافتداء بحكم الياسة ولذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلفوا من عوايديهم والأخذ على يد قويمهم وإنصاف الضعيف منهم على مقتضى ما في الياسة".^{١٥٣}

وكما أشار الباحث من قبل أن وظيفة الحجابة قد تعاضت عقب إلغاء الناصر محمد بن قلاوون وظيفة نائب السلطنة عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م، وتؤيد الأحداث هذا الرأى، ويمكن تصور فداحة ذلك الحدث من سلطات الحاجب واختصاصاته التى زادت بصورة لم تعهد من قبل، فأصبح مجلس نظره ينظر في كل جليل وحقير، بل أصبح يغير على أعمال القضاة العادية، وأتسّح له أن يتدخل في أدق اختصاصات القاضى وينظر في خصومات المدنيين فضلاً عن خصومات المماليك، التى كانت من اختصاصاته، وبذلك بدأ نفوذ الحاجب يمتد تدريجياً من القضاء الحربى إلى القضاء المدنى، وأصبح يتدخل في أدق الاختصاصات القضائية ويذكر بعض المؤرخين أن ابتداء حكم الحجاب بين الناس بمصر كان في عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م أثناء سلطنة الكامل شعبان حين عين الأمير سيف الدين بيغرا أمير حاجب

Poliak, *Feudalism in Egypt*, pp. 14-15.

^{١٥٣} المقرئى، الخطط، ج٣، ص ٦٣.

كبير يحكم بين الناس.^{١٥٤} كما كان نائب السلطنة يحكم، فكان يجلس بين يديه موقعان من موقعي السلطان لمكاتبة الولاية بالأعمال ونحوهم، ثم عين السلطان الأمير رسلان بصل حاجباً ثالثاً مع بيغرا يحكم بالقاهرة، ولم تكن العادة قد جرت من قبل أن يحكم الحجاب بين الناس غير أمير حاجب كبيراً أو حاجب الحجاب، ولم تلبث أن انكشفت سلطة الحاجب إلى العادة القديمة في سلطنة المظفر حاجي بن الناصر حسين استقر سيف الدين أرقطاي نائب السلطنة، ولكن حين تولى الأمير سيف الدين جرجي الحجابة في سلطنة الملك الصالح بن قلاوون رسم له أن يتحدث في أرباب الديوان ويفصلهم عن عزمائهم بأحكام السياسية،^{١٥٥} ولم تكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا في الأمور الشرعية، وكان سبب ذلك تظلم تجار العجم للسلطان الصالح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م من تلاعب التجار بالقاهرة بالأحكام الشرعية، مما أدى إلى عدم دفع أثمان بضائعهم بحجة الإعسار والإفلاس، فأمر السلطان الأمير جرجي أمير حاجب بإرغام التجار على تسديد أثمان البضائع التي اشتروها من تجار العجم دون الالتجاء إلى القضاء الشرعي، ومنع قضاة الشريعة من الفصل في أمر التجار والمدنيين، ومنذ ذلك الوقت تمكن الحجاب من التحكم على الناس بما شاءوا.^{١٥٦}

ومنذ هذه اللحظة حدث تطور خطير في النظام القضائي في مصر زمن سلاطين المماليك، وأصبح الحاجب يحكم في الأمور الشرعية التي كانت من شأن القضاة فيما مضى، أي أن الأمراء المماليك أرباب السيوف تدخلوا في القضايا والأحكام الشرعية التي كانت مقصورة على القضاة، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل القضاء بإضافة عنصر جديد على

¹⁵⁴ المعروف نقلاً عن المقرئ، الخطط، ج٢، ص٢١٩، أن وظيفة الحجوبية الكبرى - حاجب الحجاب - اقتضت فيما سلف من تاريخ الدولة المملوكية على "النظر في مخصصات الأجناد واختلافهم في أمور الاقطاعات، ونحو ذلك غير أنه لم يكن عجباً أن تؤدي أحوال ذلك العصر إلى امتداد هذه الوظيفة أو غيرها من الوظائف إلى غير ما اقتصت به، لأسباب تنافسية شخصية مثلما حدث حين عين السلطان شعبان صديقه الأمير بيغرا حاجباً كبيراً، وجعل له الحكم بين الناس، كما جعل له سلطة مكاتبة الولاية في مختلف الأعمال والأقاليم، وهذا فيما يبدو فضلاً عن قديم اختصاص الحجوبية الكبرى، حتى صارت هذه الوظيفة تلي نيابة السلطنة. انظر أيضاً السلوك، ج٢، ق٣ ص٦٨٤ هامش ٤ *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3 p.4.

¹⁵⁵ المقصود بأحكام السياسية هنا السلطة القضائية المملوكة في دولة سلاطين المماليك لمتولي الحجوبية الكبرى والحجاب عامة للحكم في قضايا المماليك والأمراء، حسب قانون مستقل عن حدود الشريعة الإسلامية، وأصل هذا النوع من القضاء المملوكي هو الشريعة المغولية - أي السياسة التي ترجع إلى أيام جنكيز خان كما ذكرنا سابقاً المقرئ، السلوك، ج٢، ق٣ هامش ١ الخطط، ج٢، ص٢١٩-١٢٥٠ *Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and Lebanon, 1250-1900, London, 1939, pp.14-15; The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, p.48.

¹⁵⁶ المقرئ، الخطط، ج٢، ص٢١٩-٢٢٠؛ السلوك، ج٢، ق٣، ص٨٦٣-٨٦٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٢٢؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٠٧-٢٠٨.

أرباب الشرع وهو طائفة الحجاب التي أخذت تتدخل في الأحكام الشرعية وتزاحم قضاة الشرع فيها.

تلك هي الطفرة التي حدثت في حياة الحجاب، والنكسة التي حدثت في حياة القضاة، وقد شكل هذا الحدث ظاهرة خلال دولة المماليك وما أوجدته من صراعات وحزازات فيما بين القضاء والأمراء.^{١٥٧}

والجدير بالملاحظة هو أن القضاء لم يكن يطلق عليه شرعياً إلا نادراً لأنه لم يكن في البلاد قضاء غير شرعي، فلم تكن هناك حاجة إلى تمييزه، غير أن القضاة كان يقال لهم أحياناً قضاة شرع، لما لكلمة شرعي في بعض المواقف والأحيان من تأثير ومعنى خاص.^{١٥٨} وإذا كان الأمر قد بدأ بالسماح للحجاب بالفصل في اختصاصات القضاة، فقد زاد الأمر بزيادة عدد الحجاب وما يعنيه ذلك من زيادة التدخل، فيشير المقرئ في حوادث عام ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م خلع على الأمير سودون الشيخوني والأمير بلوط الصرغتمشي واستقرا حاجبين كباراً يحكمان بين الناس.^{١٥٩} وفي نفس العام خلع السلطان المنصور على بن الأشرف شعبان على الأمير خليل بن عرام واستقر حاجب الحجاب، وعلى الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر واستقر حاجباً ثانياً.^{١٦٠}

ونقرأ في كتاب السلوك أيضاً في حوادث عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ما يلي: «خلع على الأمير منكلي الطرخاني فزيد حاجب رابع وخلع على الأمير جلبان العلاني فكان حاجباً خامساً، ولم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب في الدولة التركية»^{١٦١} بل إن ابن قاضي شعبة يشير أن عدد الحجاب قد وصل إلى ثمانية.^{١٦٢}

وإذا كان الحجاب قد تصدوا للفصل في قضايا الديوان وهذا من صميم الأعمال الشرعية، فإن المقرئ يروي لنا لوناً جديداً من التدخل أيضاً في أخص الأمور الشرعية ألا وهو الفصل في قضايا الزندقة والكفر والإلحاد، فقد اتهم شخص بأمور توجب الكفر، وهذا من صميم اختصاص قضاة الشرع، وهكذا، فيجد الباحث أن الحجاب قد استحوذوا على الفصل في القضايا الدينية الشرعية بفروعها المختلفة، فإذا كانوا قد اختصوا بالنظر في قضايا الديوان، وذلك في عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م، فإنهم في عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨م نظروا في قضايا الإلحاد والزندقة.^{١٦٣}

^{١٥٧} جمال جرجس، القضاء في العصر المملوكي، ص ١٤٦.

^{١٥٨} محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، ج ١، ص ٥٣.

^{١٥٩} المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٣٠٤.

^{١٦٠} ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٢٠٥.

^{١٦١} المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٤٨٠.

^{١٦٢} ابن قاضي شعبة، الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، ص ١٥٩.

^{١٦٣} المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٦٣٦-٦٣٧.

وفى نفس العام أى ٧٩١هـ / ١٣٨٨م ذكر المقرئى أن "الأمير الكبير حكم بحقن دم رجل وإطلاقه فأفرج عنه ولم يعهد قط أن أحداً من أمراء الترك ولا ملوكهم حكم فى شىء من الأمور التى من عادة القضاة الحكم فيها".^{١٦٤} والمقرئى هنا لا يخفى دهشته وعجبه من هذا الحدث.

ويجول بخلد الباحث سؤال: هل كان تدخل الحجاب فى الفصل فى القضايا الشرعية عملاً اقتضته المصلحة العامة؟ للإجابة عن هذا التساؤل يجب دراسة سيرة الحجاب ومدى استغلالهم لمثل هذه الامتيازات القضائية، والدور الذى أسهموا فيه بالنسبة للقضاء، وكذلك أعمالهم وتصرفاتهم وعلاقاتهم بالقضاة.

ويخبرنا المقرئى بالحالة قبل أن ينظر الحجاب فى الأحكام الشرعية، والحالة بعد ذلك ومدى استغلالهم للنفوذ القضائى الذى تيسر لهم بمقتضى هذه الامتيازات، فيقول " هذا وستر الحياة يومئذ مسدول وظل العدل صاف وجناب الشريعة محترم وناموس الحشمة مهابة فلا يكاد أحد يزيغ عن الحق ولا يخرج عن قضية الحياء إن لم يكن له وازع من دين كان له نساء من عقل ثم تقلص ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وكثر الجور أنيابه وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء وتعنت منذ عهد المحن التى كانت فى عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م الحجاب وهتكوا الحرمة وتحكموا بالجور تحكماً خفى معه نور الهدى وتسلطوا على الناس مقتاً من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون".^{١٦٥}

ولعل أول بادرة تطالعنا بها كتب التاريخ المملوكى المعاصرة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الحجاب قاموا بدور الوسيط الذى يقرب وجهات النظر فيما بين السلاطين والطالبين للرشا بل وقد مارس الحجاب أنفسهم أخذ أموال الناس بغير حق وأصبح نظرهم مجالاً للرشوة، فتسلطوا على المتقاضين،^{١٦٦} حتى أصبحت وظيفة الحجابة تعرف برذالة الحاجب وسفالته، وتظاهره من المنكر بما لم يكن يعهد مثله.^{١٦٧}

والملاحظ دائماً أن تزايد سلطة الحجاب كانت تتناسب عكسياً واحترامهم ومهابتهم للقضاء، فيذكر المقرئى ما نصه: "ولقد عهدنا دائماً أن الواحد من الكتاب أو الضمان ونحوهم يفر من باب الحاجب ويصير إلى باب أحد القضاة ويستجير بحكم الشرع فلا يطمع أحد بعد ذلك فى أخذه من باب القاضى، وكان فيهم من يقيم الأشهر والأعوام فى ترسيم القاضى حماية له من أيدي الحجاب، ثم تغير ما هنالك وصار الحاجب اليوم يحكم فى كل

^{١٦٤} المقرئى، السلوك، جـ ٣، ق ٢، ص ٦٣٧.

^{١٦٥} المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٢١.

^{١٦٦} إسماعيل عبد المنعم، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية ص ٢٠٩.

^{١٦٧} المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢٢٠.

جليل وحقير من الناس سواء كان الحكم شرعياً أو سياسياً، وإن تعرض قاض من قضاة الشرع لأخذ غريم من باب الحاجب لم يمكن من ذلك، ونقيب الحاجب اليوم مع رذالة الحاجب وسفالته وتظاهره من المنكر بما لم يمكن يعهد مثله، فإنه يأخذ الغريم من باب القاضى ويتحكم فيه من الضرب وأخذ المال بما يختار فلا ينكر ذلك أحد البتة.^{١٦٨}

وقد أراد المقرئى بهذا النص أن يسوق لنا مثلاً بالغ الأهمية لما كانت عليه مكانة الحجاب في عصره، ومكانة القضاة طوال العصور، وما أصبحت عليه في عهده، فهو يحكى لنا عن مظاهر الاحترام والتبجيل التى حظى بها القضاة والقضاء، وليس أدل على ذلك من أن من خاف على نفسه من ظلم أو قهر أو جور ولجأ إلى منزل أحد القضاة أمن على نفسه وروحه لأنه يصبح في حماية الشرع.

ومثلما أخذ الحجاب حق الفصل في القضايا الشرعية، وتسلطوا على المتقاضين، فإن الأمر انعكس كذلك بالنسبة لمكانة القضاة واحترامهم، فقد ضاعت هذه المكانة، واختفى ذلك الاحترام، وأخذ الحجاب يطاردون المستجيرين، بل وذهبوا يعتدون على منازل القضاة، واستشرى خطرهم على أبعاد من ذلك فكانوا يعزلونهم.

وقد سجل لنا المقرئى في عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩ أى بعد ثلاثين عاماً من بداية السماح للحجاب بالفصل بين أصحاب الدعاوى الشرعية واقعة تدعم بالتأكيد ما يرمى إليه الباحث فيذكر ما نصه: وأما السكندرى فإن رجلاً احتفى به خوفاً من بطش الأمير مأمور الحاجب، كما جرت العادة بأن من خاف جور من يعتدى عليه يركن إلى قاض من القضاة، فيصير في حماة الشرع النبوى ما أقام، ولا يجسر أحد على أخذه من ذلك القاضى، احتراماً له وتعظيماً لحرمة الدين، فشكى الأمير مأمور ذلك إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم بعزله وطلب الرجل المحتفى بالقاضى، وضربه ضرباً مبرحاً بالمقارع، هو وولده، وشهرهما بالقاهرة، ونودى عليهما: هذا جزاء من يتجاهى على الحاجب. فكان هذا أيضاً من الحوادث التى لم تعهد، واتضع بها جانب القضاة، وانبسطت أيدي الحجاب في الأحكام بما تهوى أنفسهم وزين لهم شيطانهم بغير علم ولا دين يردعهم.^{١٦٩}

وأحياناً كانت سلطة القضاة تسير مع سلطة الحجاب جانباً إلى جانب، فيشير الصيرفى في حوادث عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م ما نصه: "اجتمع قضاة القضاة وحاجب الحجاب بالمدرسة الصالحة بين القصرين وأحضروا الأمير الطنبغا دوا دار جلتهم وقد اجتمع من الخلق عدد كبير وأدعى عليه قاضى القضاة المالكى ما يوجب إراقة دمه فضربت عنقه".^{١٧٠}

¹⁶⁸ المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

¹⁶⁹ المقرئى، السلوك، جـ ٣، ق ١، ص ٣٦٠ - ٣٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٢٤٥.

¹⁷⁰ ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٣٢٩.

لم يكن تسلط الحجاب ونفوذهم القضائي بخافياً عن القضاة، ولم يخف كبار القضاة التصريح بانتقاد تصرفات الحجاب؛ وقد كانت المشكلة الحقيقية فيما بينهم هي تقسيم الاختصاصات، وعادة كان يلجأ المتخاصم إلى القاضي رمز القوة والنفوذ فلمن تكون الغلبة^{١٧١}.
لعل في رواية ابن حجر العسقلاني الإجابة الشافية لهذه التساؤلات، إذ يخبرنا في حوادث عام ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م أن "القاضي الحنفى لجأ إليه أحد الأشخاص يشكو له غريمه ولجأ خصمه إلى الحاجب الكبير، فلما أرسل القاضي الحنفى إلى الحاجب الكبير يطلب من عنده غريمه، فضرب الحاجب الرسول"^{١٧١}.

وفى الحقيقة إن السماح للحجاب بالحكم في الأمور الشرعية وتمسكهم بهذا الحق لم يكن راجعاً على تضلعهم الديني أو لتدينهم أو لنصرة الحق إذ أن مؤرخي تلك الحقبة يؤكدون ذلك فيشير المقرئى بقوله: "أنهم يحكمون بغير علم ولا دين"^{١٧٢} والكارثة الكبرى أنهم كانوا يحكمون إسمياً وفقاً للمذاهب الأربعة وهم أبعد الناس عن الفقه وأجهلهم بالدين ولعل خير ما يدل على قصورهم الفقهي وجهلهم المطبق بالشريعة الإسلامية، ما رواه ابن حجر في عام ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م فقد اتهم أحد الفقهاء وسبق إلى المحاكمة أمام الأمير قرقماش الشيعاني الحاجب وعرف بالموضوع أحد أصدقاء الفقيه، فذهب إلى الأمير الذى بادره بقوله ما حاجتك؟ قال: هذا الفقيه الواقف تحت مقعدك ادفعه من غريمه إلى قاضى من قضاة الشرع فقال: أو لست أنا احكم بالشرع؟ فقال لا! لأنك لا تعرفه فأستعظم ذلك القول فقال له: "شخص وجب عليه قطع يده اليمنى فلما أريد قطعها أخرج يسراه من كفه الأيمن فقطعت، فما حكم الله في ذلك؛ أيسقط قطع يمينه أم لا؟ وماذا يجب في قطع يسراه؛ فبهت قليلاً قرقماش قليلاً ثم قال: خذ صاحبك وأمضى" فقال سلام عليك، وأخذ صاحبه ومضى"^{١٧٣}.

ورغم قصور بعض الحجاب الفقهي، وجهلهم بالعلوم الشرعية، إلا أنهم لم يتراجعوا أو يتورعوا في الحكم فيها.

ومما يدل على تدخل الحجاب في اختصاصات القضاة بصورة سافرة والحكم في بعض القضايا المتعلقة بزنا الرجل بالمرأة ما يرويهِ ابن إياس في حوادث عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م أن شخصاً من نواب الحنفية يدعى غرس الدين خليل كانت له زوجة حسناء فاجها شخص من نواب الشافعية يدعى نور الدين على المشالى، وأثناء صعود الرجل للمرأة شاهده شمس ابن أخت القاضي نور الدين الدمياطى وكان يهوى هذه المرأة وهى تتمنع عليه، مما أدى به إلى أن توجه إلى الإمام الليث وأعلم خليل زوج المرأة، فقبض عليها هى والرجل، وذهب إلى دار حاجب الحجاب ومثلوا بين يديه، فأمر الحاجب بضرب الرجل والمرأة،

^{١٧١} ابن حجر، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٩٤م، جـ ٣، ص ٢١٩.

^{١٧٢} المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٢١٩ وما بعدها.

^{١٧٣} ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٥٠٢؛ جمال جرجس، القضاء، ص ١٥٨ - ١٥٩.

واشهرهما في القاهرة، وكان يوماً مهولاً؛ ثم رجعوا إلى بيت الحاجب فقرر على المرأة مائة دينار لحاجب الحجاب، ولما علم السلطان الغورى بحكاية المرأة أرسل لمثول القضاة الأربعة بين يديه ووبخهم بالكلام بقوله: "والله افتخرتم يا قضاة الشرع نوابكم شئ يشرب الخمر وشئ يزنئ وشئ يبيع الأوقاف، وفي ذلك تسميعة لقاضى القضاة الحنفى عبد البر بن الشحنة" ثم طلب المحضر الذى كتبه القاضى شمس الدين برجمها فوافق السلطان، وأسفرت القضية على شنق الرجل والمرأة.^{١٧٤} ولعل ذلك يؤدى بنا إلى التساؤل التالى ما هى الدوافع الحقيقية الكامنة وراء تشيبت الحجاب بالسلطات القضائية المخولة إليهم رغم جهلهم التام بالعلوم القضائية والشرعية؟ ولعل تفسير ذلك هون طمع الحجاب في الحصول على الأموال وأرزاق العباد والسيطرة على ثروات مصر وخيراتهما.

الحُجاب والمراسم السلطانية:

لم تقتصر سلطات واختصاصات الحجاب على الشؤون القضائية فحسب، سواء أكانت تدخل في نطاق القضاء العسكرى أو نطاق القضاء المدنى أو الشرعى، بل تطرقت اختصاصاته إلى مجالات أبعد من ذلك بكثير، مثل استقبال السفراء والوفود الرسمية القادمة إلى مصر من النيابات والممالك الخارجية. وقد وصف لنا القلقشندى وصفاً شاملاً عن طريقة استقبال السفراء الذين يفدون إلى مصر في مهمات رسمية من قبل الملوك وعن كيفية إنزالهم في دار الضيافة ومقامهم فيها، وكيف كانوا يمثلون بين يدى السلطان لعرض ما معهم من الكتب عليه بقوله: "ولقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكته، كاتب نائب تلك الجهة السلطان وعرفه بوفوده واستأذنه في حضور الأشخاص إليه، فبرز المراسيم السلطانية بحضوره، فإذا وقع الشعور بحضوره، فإن كان المرسل ذا مكانة عظيمة من الملوك خرج بعض أكابر الأمراء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما للقاءه وأنزل بقصور السلطان".^{١٧٥}

وقد كان الحجاب أنفسهم بمثابة رسل وسفراء من قبل السلطان إلى الملوك والحكام في الممالك الخارجية فيشير المقرئى في عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م بقوله "سافر الأمير ناصر الجزرى الحاجب إلى اليمن من جهة عيذاب في الرسالة عن السلطان" ويحدثنا كذلك في نفس العام عن توجه شجاع الدين بن الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولاً.^{١٧٦}

وأحياناً كان الحاجب يكلف بأن يتم ذلك في سرية تامة فيحدثنا المقرئى أنه في عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م "رسم السلطان لحاجبين باستقبال رسل الملك أحمد أغا سلطان بن هولكو

¹⁷⁴ ابن لياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٣٠ وما بعدها.

¹⁷⁵ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٥٨ - ٥٩؛ على إبراهيم حسن تاريخ الممالك، ص ٢٠٩؛ *The Encyclopedia of Islam*, p.48.

¹⁷⁶ المقرئى، السلوك، جـ ١، ق ٢، ص ٥٣٨؛ على إبراهيم، تاريخ الممالك ص ٢٠٦.

وأمرهما بأن يبالغا في الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد، فاحترز عليهم حتى لم يشاهددهم أحد وسارا بهم في الليل حتى قدموا قلعة الجبل".^{١٧٧}

وتطالعنا أغلب الكتابات المملوكية المعاصرة بالعديد من المواقف التي قام فيها حاجب الحجاب باستقبال أهم السفراء الوافدين إلى مصر فيشير الصيرفي في عام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣ بأنه "ركب السلطان للقاء غياث الدين أحمد بن أويس، فوصل إلى مطعم الطيور فجلس فيه حتى دنا ابن أويس، فلما رأى السلطان ترك عن جواده ومشى خطوات عديدة، فمشى إليه الأمير بتخاص حاجب الحجاب ومن حضر مع السلطان من الأمراء، وسلموا عليه وصار الأمير بتخاص يعلمه باسم كل أمير ووظيفته ومنزلته وهم يقبلون يده".^{١٧٨}

ويشير ابن إياس في حوادث ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م بأنه "قدمت رسل ابن عثمان، متملك الروم إلى ساحل بولاق، فخرج إليهم الحاجب بالخيول السلطانية حتى ركبوها على حين أنزلوا بدار أعدت لهم".^{١٧٩}

وأحياناً كان الحاجب يسافرون مع الرسل كما حدث في عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م فقد خلع على رسل تمرلنك وعين للسفر معهم منكلي بغا أحد الحاجب".^{١٨٠} ولعله من الواضح تماماً أن الأمر يشبه إلى حد كبير طريقة استقبال السفارات والوفود الرسمية، وإن الحاجب كان بمثابة مندوب عن السلطان لاستقبال الشخصيات المهمة التي تفد على مصر آنذاك.

بالإضافة إلى اختصاصات الحاجب السابقة كان من مهام الحاجب أيضاً الخروج لاستقبال زوجات السلاطين، ومن ذلك ما يرويه المقرئ في أحداث عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م حين خرج الأمير أقبغا عبد الواحد وبعض الحاجب لاستقبال الخاتون دلنبيه زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فركبت الخاتون في الحراقة^{١٨١} السلطانية الكبرى وركبت حاشيتها في الحراريق الأخرى واستقر ركابها عند ساحل مصر حيث حملت إلى القلعة في عجلة موشاة بالذهب والطنافس.^{١٨٢}

إلى جانب هذه الاختصاصات كانت توجد بعض الأعمال والأشغال الثانوية التي يتولى الحاجب القيام بها إلى أجل مسمى فتطالعنا أغلب الكتابات المملوكية المعاصرة بأنه كان

¹⁷⁷ المقرئ، السلوك، جـ ١ ق ٣، ص ٧٠٧.

¹⁷⁸ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٣٧٥.

¹⁷⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٤٨٨.

¹⁸⁰ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٦٨٦.

¹⁸¹ حراقة وجمعها حراريق: نوع من السفن الحربية استخدمت لحمل الأسلحة النارية (كالنار الأعرفية)، وكان بها مرام تلقى منها للنيران على العدو. واستخدم نوع منها في النيل أثناء الاستعراضات التي تقام في الحفلات العامة مثل الاحتفال بكسر الخليج، سعيد عاشور، العصر المملوكي، ص ٤٣٠؛ Quatremère, *Histoire des sultans mamlouks*, p.143.

¹⁸² المقرئ، السلوك، جـ ٢ ق ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

يختار الحاجب في كثير من الأوقات من قبل السلطان وينتدب لنيابة الغيبة في القاهرة، وذلك حينما يكون السلطان مضطراً إلى مغادرة الديار المصرية، لأي سبب كان، وغالباً ما كان ينتاب في حكم القاهرة وينزل في بيت منجك اليوسفي،^{١٨٣} بل وقد رسم لأحد الحجاب أن يقيم بداره في باب السلسلة أثناء نيابته للغيبة.^{١٨٤}

وفي عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م جاءت الأخبار بأن منطاش تزايد أمره فخرج السلطان برقوق للقائه وترك بالقاهرة بعض الأمراء مثل قطلوبغا الصفوي حاجب الحجاب، والأمير بتخاص السودوني ومن الحجاب والأمراء العشراوات عشرين أميراً.^{١٨٥}

ونقرأ في المصادر المعاصرة أيضاً أنه في عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م استتاب السلطان بالديار المصرية الأمير بيبرس ابن عمته وبعض الأمراء المقدمين منهم الأمير أقبای الطرنطای حاجب الحجاب الذي نزل في بيت منجك اليوسفي، كما ترك الأمير مبارك شاه الظاهري الحاجب وكاشف الجيزة.^{١٨٦}

وفي عام ٨٠٤هـ / ١٤٠١م خرجت العساكر المصرية إلى عرب تروجة وترك السلطان فرج بن برقوق بالقاهرة أميرين أحدهما بيبرس أتابك العساكر والآخر بشباي الحاجب الثاني وبعض الأمراء الصغار.^{١٨٧}

ويشير ابن إياس في أحداث عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م أن القاهرة تعرضت لفتنة كبرى ارتجت لها الأرض وذلك عندما جاء رسول من عند شاه رخ بن تمرلنك ومع هدايا للسلطان احتوت على كسوة للكعبة فأمر السلطان بإخفائها عن الأمراء وأرباب الدولة، فتسامع الأمراء بذلك، وتحركت طائفة من المماليك الجلبان ونهبوا الدار التي نزل بها الرسول هم والعوام، فلما بلغ السلطان ذلك، رسم لحاجب الحجاب والوالى أن يدركوا رد النهب، وقام حاجب الحجاب بالقبض على جماعة من المماليك والعوام وهدأت الفتنة.^{١٨٨}

وفي أثناء سفر السلطان فرج ترك بالقاهرة نائب الغيبة الأمير أرغون أمير آخور في باب السلسلة وفي القاهرة الأمير إينال الصصلاي الحاجب الثاني.^{١٨٩}

^{١٨٣} للصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٨، ٣٤٠.

^{١٨٤} ابن تغري بردي، اللجور للزاهرة، جـ٩، ص١٠٢.

^{١٨٥} ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص٤٤٦.

^{١٨٦} للصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص٤٨.

^{١٨٧} للصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص١٤٥.

^{١٨٨} ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٤٤-٢٤٥.

^{١٨٩} للصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٦٤.

وقد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى الخروج لاستقبال النواب ومن ذلك ما حدث عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م فقد وصل الأمير كمشبع الحموي نائب حلب فرسم السلطان برقوق للأمير سودون النائب والحجاب وأعيان السلطنة بالخروج لاستقباله.^{١٨٩}

ومن مهام الحجاب أيضاً القيام بخدمة القضاة ففي عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م خلع على الشيخ الإمام الفقيه جمال الدين يوسف بن القاضي شرف الدين الملطي واستقر قاضي القضاة الحنفية ونزل في خدمته كاتب السر بدر السراي والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمر بغا المنجكي حاجب ميسرة وغيرهم من الأكابر والأعيان.^{١٩٠}

بالإضافة إلى اختصاصات الحجاب السابقة كان من مهام الحجاب أيضاً الخروج وراء المحمل، ففي عام ٨١٠هـ / ١٤٠٧م عُين كزل العجمي الحاجب بإمارة الحاج وجبي من الحاج مالا كثيراً.^{١٩١}

وفي عام ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م أدير المحمل ولم يكن له بهجة بسبب انشغال الناس بسفر السلطان الأشرف برسبای، وقد أمر السلطان جماعة من الأمراء بالخروج وراءه منهم الأمير قرقماش الشعباني حاجب الحجاب.^{١٩٢}

وفي عام ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م خرج المحمل من القاهرة وكان أمير ركب المحمل برسبای البجاسي حاجب الحجاب.^{١٩٣}

ويشير ابن إياس أيضاً في أحداث عام ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م إلى تعيين إينال الفقيه الحاجب الثاني بالركب الأول للمحمل^{١٩٤} ونقرأ في المصادر المملوكية المعاصرة أيضاً في حوادث عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م أن السلطان الغوري عين الأمير طومان باي حاجب ثان في أمرة الحاج بالركب الأول وكان من أمراء الطبلخانة.^{١٩٥}

وفهم من الصيرفي أن اختصاصات الحجاب امتدت إلى الصعود إلى القلعة مع جهاز أبناء الأمراء، ومن ذلك ما حدث عام ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م فقد صعد جهاز الست فاطمة بنت الأمير منجك إلى القلعة، وكان أمام الجهاز الأمير إيدكار ماشي الحاجب، واعتبر ذلك من الأيام المشهودة.^{١٩٦}

^{١٨٩} الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٢٢.

^{١٩٠} الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٤٦١.

^{١٩١} ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٧٧٩.

^{١٩٢} ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٩١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤٥.

^{١٩٣} ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٤٩.

^{١٩٤} ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧٠.

^{١٩٥} ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٠٩، ٣٦٠.

^{١٩٦} الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٩٤.

بالإضافة إلى اختصاصات الحجاب السابقة كان من عادة الحجاب المشى وراء زوجات السلاطين والأمراء أثناء صعودهم ونزولهم من القلعة، ففي عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م صعدت خوند الخاصكية زوجة العادل طومان باى في محفة زركش وكان أمامها الرؤس والنوب والحجاب والخاصكية، وهم بالشاس والقماش بالإضافة إلى الوالى ونقيب الجيوش.^{١٩٧} مهام الحجاب العسكرية:

وقد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى القيام بأعمال التعبئة العسكرية حيث كانوا يحثون الناس على الجهاد في سبيل الله، ومن ذلك ما يرويه ابن إياس في أحداث في عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م حيث ركب شيخ الإسلام وقضاة القضاة، والأمير أقباي حاجب الحجاب، والأمير مبارك شاه الحاجب ونودى بالقاهرة بالجهاد في سبيل الله، لعدوكم الأكبر تمرلنك فإنه أخذ البلاد ووصل إلى حلب، وقتل الأطفال على صدور الأمهات، وأسر العباد، وأخرب الدور والمساجد والجوامع وجعلها إسطبلات للدواب وهو قاصدكم يخرب بلادكم، ويقتل رجالكم وأطفالكم، ويسبى حريمكم.^{١٩٨}

وأحياناً كان الحاجب يستناب لشغل إحدى الوظائف العسكرية كوضع مؤقت إلى أن يتم شغل هذه الوظيفة، فيحدثنا ابن تغرى بردى في حوادث عام ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م بأنه طلب الأمير قبلاى الحاجب ورسم له بالتوجه لحفظ الكرك إلى أن يتم تعيين نائب جديد.^{١٩٩}

وقد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى الخروج على رأس التجريدات الحربية، فنقرأ في المصادر المعاصرة أنه في عام ٧١٤هـ / ١٣١٤م خرج العسكر من القاهرة ومعهم ركن الدين بيبرس الحاجب ووصلوا إلى دمشق وأقاموا بها حتى نهاية العام.^{٢٠٠} وفي عام ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون تجريدة إلى اليمن مع الأميرين ركن الدين بيبرس الحاجب وطينال الحاجب.^{٢٠١} ونقرأ في المصادر المعاصرة أيضاً عن تجريدة أخرى عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م حيث عين الأتابك^{٢٠٢} برقوق تجريدة عظيمة للخروج إلى العربان وكان من بين أفرادها الأمير مأمور القلمطاوى حاجب الحجاب.^{٢٠٣}

^{١٩٧} ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٤٧٢.

^{١٩٨} ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ٦٠١.

^{١٩٩} ابن تغرى بردى، للنجوم، جـ ١٠، ص ٩٣.

^{٢٠٠} المقرئى، السلوك، جـ ١، ص ١٣٩.

^{٢٠١} ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٣١٨.

^{٢٠٢} أتابك أى مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكى، القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ١٨٨ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٤٠٩.

^{٢٠٣} ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

وتشير المصادر أيضاً إلى تجريدة في عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨م متجهة إلى حلب بصحبة الأمراء المقدمين وأيدكار العمرى حاجب الحجاب.^{٢٠٤}

وتخبرنا المصادر أيضاً عن تجريدة تمت في عام ٨٠١هـ / ١٣٩٨م، حيث رسم السلطان برقوق بتجهيز ستة من الأمراء المقدمين وعدد من أمراء الطبلخانات والعشرات. وكان تمرىغا المنجى أمير حاجب من بين الأمراء المقدمين، ورسم لكل واحد من الطبلخانات بعشرة آلاف درهم، ولكل من العشرات بخمسة آلاف درهم فشرعوا في التجهيز للسفر.^{٢٠٥}

وهناك تجريدة خرجت في عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م حيث برز المرسوم السلطاني للأمير أسنبغا الحاجب بالقاهرة بالتوجه إلى الشام وحلب لمحاربة تيمورلنك.^{٢٠٦}

وفي عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م تم تعيين جريدة لمحاربة الفرنج، وكان من بين أفرادها جماعة من الأمراء المقدمين وأمراء الطبلخانة^{٢٠٧} والمماليك السلطانية وأقبای حاجب حجاب القاهرة وبشباى الحاجب واتجهوا جميعاً إلى دمياط والإسكندرية.^{٢٠٨}

وتشير المصادر المملوكية إلى تجريدة خرجت إلى الرها في عام ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م، وقد اشترك فيها الأمير قرقماش الشعبانى حاجب الحجاب.^{٢٠٩}

أما تجريدة عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م فقد خرجت إلى حلب، وعين فيها ثمانية من الأمراء المقدمين وكان يشبك المشد الشعبانى حاجب الحجاب من ضمن أفرادها.^{٢١٠}

وفي عام ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م خرجت تجريدة إلى البحيرة وكان باشى العسكر خشقدم حاجب الحجاب على رأسها.^{٢١١}

وتجريدة عام ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م المتجه إلى قبرص، وكان باشى العسكر الأمير بردبك البجمقدار حاجب الحجاب.^{٢١٢}

وبالنسبة لتجريدة عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م المتجهة إلى البحيرة عين السلطان الظاهر خشقدم عليها الأمير أزيك من ططخ حاجب الحجاب وعدداً من الأمراء المماليك السلطانية.^{٢١٣}

²⁰⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٣٩٤.

²⁰⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٥١٩.

²⁰⁶ ابن الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٧٣.

²⁰⁷ الطبلخانة، لفظة فارسية بمعنى بيت الطبل الذى يشتمل على الطبول والأبواق وتربيعها من الآلات. أحمد عبد الرزاق، لرنوك الإسلامية، ص ٤٣.

²⁰⁸ للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١٦٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٦٧٢ - ٦٧٣.

²⁰⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٣٦.

²¹⁰ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٨٠.

²¹¹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٩٥.

²¹² ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٤٠٣.

²¹³ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٤١٨.

ونقرأ أيضاً في أحداث عام ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م أن السلطان الظاهر خشقدم أمر بخروج تجريدة إلى شاه سوار بن دلغادر وكان على رأسها حاجب الحجاب الأمير تمر وبعض أمراء الطبليخانة والعشرات.^{٢١٤}

ويفهم كذلك من مؤرخي العصر المملوكي أنه في عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م خرجت تجريدة أخرى على حماة لتأديب سيف أمير آل فضل لأنه قتل آردمر نائب حلب، وكان على رأسها برسباي قرا حاجب الحجاب وعدد من الأمراء.^{٢١٥}

وهناك التجريدة المتجهة إلى حلب بسبب على دولات ابن دلغادر وعين فيها ططر حاجب الحجاب عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م.^{٢١٦}

ونتيجة لاضطراب الأمور في بلاد الشام وتدهورها أمر السلطان الغوري بتعيين تجريدة لتهدئة الأمور هناك، وصحب هذه التجريدة قيت الرجبى حاجب الحجاب.^{٢١٧}
مهام الحجاب المدنية:

تطالعنا أغلب الكتابات المملوكية المعاصرة بما لا يدع مجالاً للشك في أن الحاجب قد اتسعت مجالات اختصاصاته فنجدته يشرف في كثير من الأحيان على شئون الري وإصلاح الجور وشق الترع وحفر القنوات، فيذكر ابن إياس في حوادث ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م بأنه "أبتداً الأمير بكثر حاجب الحجاب بحفر بركته المعروفة ببركة الرطلى، وأجرى عليها الماء من الخليج الناصري وعمل لها جسراً بينها وبين الخليج".^{٢١٨}

ويحدثنا ابن إياس أيضاً في حوادث عام ٨٠١هـ / ١٣٩٨م بقوله: "أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل الأمير فارس حاجب الحجاب، وخلق المقياس، وفتح الخليج على العادة".^{٢١٩}

وتشير المصادر المعاصرة أيضاً في أحداث عام ٨١٩هـ / ١٤١٦م، توقف النيل عن الزيادة فرسم السلطان لحاجب الحجاب بالتوجه إلى الروضة وحرق الخيام وتشتت الناس لكثرة ما يحدث هناك من المفاسد.^{٢٢٠}

وفي عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م أوفى النيل فتوجه بعض الحاجب وكسروا السد.^{٢٢١}

²¹⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٧، ٢٩.

²¹⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٦٥.

²¹⁶ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٢٠٢.

²¹⁷ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٣٨١، ٤١٤.

²¹⁸ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

²¹⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ٥٤٦.

²²⁰ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٧.

²²¹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٦٩.

ويحدثنا الصيرفي أيضاً في حوادث عام ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م بأنه "كان وفاء النيل ست عشر ذراعاً، فرسم السلطان للأمير قرقماش حاجب الحجاب بتخليق المقياس وفتح الخليج".^{٢٢٢}

ويشير المقرئ أيضاً في حوادث ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م كان وفاء النيل ست عشر ذراعاً وفتح الخليج على العادة، وقد نزل الأمير أسنبغا الطيارى الحاجب إلى هذه الخليج.^{٢٢٣} وفي عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م كان وفاء النيل وفيه يقول ابن إياس "وقد أوفى وزاد عن الوفاء عشرين أصبعاً، حتى نودى عليه ثانی يوم كسره بتكملة السبعة عشر ذراعاً، فعد ذلك من النواذر؛ وتوجه إليه حاجب الحجاب لفتح السد".^{٢٢٤} وتمدنا المصادر المعاصرة بالمعلومات عن اشتراك الحاجب في مباشرة أعمال حفر الترغ والقنوات، ففي عام ٩١٧هـ / ١٥١١م أمر السلطان الغوري بحفر الخليج ورسم للأمير أنصبای حاجب الحجاب بالتوجه إلى قناطر الإوز ومباشرة أعمال الحفر بنفسه، وهناك أقيمت الخيام وبعد انتهاء عمليات الحفر احتفل بهذا الحدث.^{٢٢٥}

كما كانت هناك بعض الواجبات والأعمال الاستثنائية التي تتطلب من الحاجب القيام بها تبعاً لخطورة هذه الأعمال، ومن بين هذه الأعمال ما يرويه الصيرفي في حوادث عام ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م من قيام إيدكار الحاجب بالتحقيق في إحدى قضايا المشاجرات التي حدثت بين جماعة من النصاري وبعض المسلمين فيذكر ما نصه "أن جماعة من مبيض النصاري عملوا عرساً واجتمع عندهم فيه عدد كبير من الملاحى وأمثالهم، فصعد المؤذن ليسبح الله تعالى ويوحده على العادة في جوف الليل، فلما سمعوه أولئك النصاري بادروا إلى سبه وإهانته وأنزلوه من المنارة بعد ضرب مبرح .. فبلغ هذا الأمر الفادح خطيب الناحية فوثب عليهم ليخلصه منهم فأوجعوه ضرباً وسبوا وأرادوا قتله وقتل من معه وقد أمر السلطان الظاهر برقوق ورسم للأمير إيدكار الحاجب أن يتوجه بالكشف عن هذه القضية، فتوجه إليها وكتب محضر بقبح أفعالهم وحملهم معه إلى السلطان فرسم للقاضي المالكي أن يحكم فيهم فسجنهم".^{٢٢٦}

ومن بين مهام الحاجب أيضاً ما يرويه ابن الصيرفي في حوادث عام ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م عندما جلس السلطان الظاهر برقوق لتوزيع الصدقة على الفقراء فاجتمع عنده من

²²² الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٢٢٤، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٣٩.

²²³ المقرئ، السلوك، جـ ٤ ق ٣، ص ١٠٧٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٩٥، ص ١٣٩.

²²⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٤٢.

²²⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٢٨.

²²⁶ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٢٦٧، ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

الخلائق ما لا يحصى عددهم، حتى أنه من شدة الزحام مات منهم بباب الإسطبل ٤٧ نفساً
تولى غسلهم وتكفينهم وتجهيزهم الأمير فارس حاجب الحجاب.^{٢٢٧}

وفى عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م وقع غلاء عظيم بمصر وقل الخبز من الأسواق،
وصار الناس يتزاحمون على الأفران والطواحين، ونهبت الناس الأفران وشون القمح، فرسم
السلطان أن يكون على كل فرن جماعة من المماليك السلطانية، وكان حاجب الحجاب جالساً
على القرن الواقع في منطقة التبانة ومعه عدة ممالك يدفعون الناس عن الزحام والنهب.^{٢٢٨}

وأحياناً كان الحاجب يكلف من قبيل السلطان بمهمة المهاجمة على أوكار الفساد
والفحشاء وتتبع أماكن الفساد، فتشير المصادر أنه في عام ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م خرج الحاجب
في يوم النوروز إلى أماكن النزهة والمتفرجات وقام بالقبض على العوام وضربوهم بالمقارع
وقطعوا أيدي منهم، والبعض الآخر شنق، فأنكف الناس عما كانوا يفعلونه في ذلك اليوم.^{٢٢٩}

وتشير البعض المصادر أنه في عام ٨٣٢هـ / ١٣٢٨م تتبع الأمير قرقماش حاجب
الحجاب مواضع الفساد فأراق الخمر، وحرق الحشيشة المغيبة للعقل، وهجم على مواضع
الفحشاء، ومنع الاجتماع فيها.^{٢٣٠}

وفى عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م أمر السلطان حاجب الحجاب ووالى القاهرة بتتبع
مواضع الفساد وكبس بيوت النصارى وكسر ما عندهم من جرار الخمر وحرق أماكن
الحشيشة.^{٢٣١}

وفى عام ٩١٧هـ / ١٥١١م أمر السلطان الغورى حاجب الحجاب والوالى بأن
يتوجها ويكبسا على المتفرجين في الروضة، فذهب أنسباى حاجب الحجاب مع والى القاهرة
ونادوا بالأمان وأن أحداً لا يتجهر بالمعاصى.^{٢٣٢}

بالإضافة إلى اختصاصات الحاجب السابقة، كان الحاجب يكلف أحياناً بالقضاء على
الفتن والثورات وبالضرب على أيدي الجناة والمجرمين بل نجده أحياناً يشارك في معاقبتهم
جميعاً، ففي إحدى الثورات التى قام بها العربان ببلاد الصعيد رسم للأمير فارس حاجب
الحجاب ومعه عدد من المماليك السلطانية للكبس عليهم، واستطاع في أقل من ستة أيام أن
يسيطر على الثورة ورجع بصحبته خمسمائة رجل قبض عليهم.^{٢٣٣}

²²⁷ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٤٢٥.

²²⁸ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٣٥٦-٣٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٦٩ - ٧٠.

²²⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٣٦٥.

²³⁰ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٢٢.

²³¹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٤٤.

²³² ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٣١.

²³³ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٤٠٠.

وتذكر المصادر المعاصرة في أحداث عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨م أن العامة الزعر والتركمان نهبوا الكثير من أهل القاهرة فتصدى لهم منكلى الحاجب وسيدى أبو بكر الحاجب ونادوا "أن من تعرض لكم من الزعر والتركمان فاقتلوه".^{٢٣٤}

وفى عام ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م عين السلطان الأشرف قايتباى الأمير تمر حاجب الحجاب، والأمير قانصوه الخسيف الإينالى بأن يخرجوا إلى الشرقية بسبب فساد العربان، ورسم لهما السلطان بأن من وجده من بنى سعد وبنى وائل يقبضوا عليه.^{٢٣٥} وقد امتدت أعمال الحجاب أيضاً إلى المساهمة في إخماد الحرائق التي تعرضت لها البلاد، ففي عام ٧٧٩هـ / ١٤٧٤م وفى عهد السلطان المنصور على بن الأشرف شعبان وقع حريق بظاهر باب زويلة عند دار التفاح^{٢٣٦} فاحترقت هذه الدار والربع،^{٢٣٧} ولولا سور المدينة لاحترق نصفها، وعندما تزايد أمر النار نزل الأمراء بمماليكهم لإطفاء النار ومعهم الأمير تغرى برمش حاجب الحجاب ووصلوا إلى مكان الحريق، وهناك نزلوا عن خيولهم وصاروا يهجمون على السقائين في بيوتهم حتى يأتوا بماء القرب واستمرت النيران مشتعلة لمدة ثلاثة أيام حتى تم إخمادها.^{٢٣٨}

وفى عام ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م وقع حريق في بركة الرطلى بالقرب من قنطرة الحاجب فاحترقت عدة بيوت وتوجه حاجب الحجاب والوالى مع عدد من المماليك وقاموا بإطفاء الحريق.^{٢٣٩}

ساهم الحجاب أيضاً في حفظ الأمن داخل البلاد وضبط أمور السلطنة أثناء غياب السلطان، ففي عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م عين السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن عمر بن قلاوون جماعة من الحجاب لحفظ القاهرة وحاراتها وخطتها.^{٢٤٠}

²³⁴ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٢١٦.

²³⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٦٠.

²³⁶ كانت دار التفاح فندقاً تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكة على اختلاف أصنافها، مما يثبت في بساين ضواحي القاهرة، وكان بدمشق أيضاً دار مشابهة لها، أسماها دار البطيخ والفاكهة، المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ٥٣؛ السلوك، جـ ١ ق ١، ص ١٨٤ هامش ٣؛ محاسن الرقاة، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص ١٠٤، هامش ١٤٠، حياة الحجى، أحوال العامة في حكم المماليك، دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ط ١، الكويت ١٩٨٤م. ص ٨٨.

²³⁷ الرباع جمع ربع وهو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير تجمع حول صحن، ويكون له في الغالب مدخل واحد وسلم واحد، ويصل ارتفاع الربع إلى أربعة أو خمسة طوابق، ويتم الوصول إلى المساكن عن طريق طريقة تدور حول الصحن، وتوجد مجموعة من الجوانب بالجهة المطلة على الشارع من الطابق الأرضي، والربع مخصص لسكن الطبقات الشعبية بأجور شهرية زهيدة. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٣٠٣ هامش ٣؛ المقرئى، الخطط، جـ ٣، ص ٣٨٣؛ حسين مصطفى رمضان، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٨٧م، ص ٢٠٣؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٤١٨.

²³⁸ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٢٢١.

²³⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٣٦٩. النظر. Meinecke, M., *Die mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien, 648-11250 Bis 923/1517*, 1992, p.466.

وتذكر المصادر أيضاً أن الحجاب تتبعوا النساء لمنعهن من الخروج، ففي عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م تزايد الوباء بمصر واجتمع السلطان الأشرف برسبائى والقضاة الأربعة ومشايخ العلم، وشكا السلطان من تزايد الطاعون بالقاهرة فقالوا له: "إنما يظهر الطاعون في قوم إذ فشا فيهم الزنا وأن النساء قد تزايد خروجهن في الطرقات، وهن متبرجات ليلاً ونهاراً في الأسواق" فأشار بعض العلماء بمنع النساء من الخروج، إلا في الحمام فقط، ونادى في مصر والقاهرة بمنع النساء من الخروج فتتبع والى والحجاب النساء في الطرقات لمنعهن من الخروج.^{٢٤١}

بقى أن نشير في النهاية بأنه إلى جانب هذه المهام كان للحاجب بعض المهام الأخرى المتمثلة في تطبيق الشريعة الإسلامية وأقامة منار الشرع، ففي عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م رسم السلطان الغورى لحاجب الحجاب ووالى القاهرة بكبس بيوت النصارى وكسر ما عندهم من جرار الخمر، وتتبع أهل الفساد بالإضافة إلى حرق أماكن الحشيش والبوزة، كما سبق وأشرنا.^{٢٤٢}

وكان من مهام الحجاب أيضاً القضاء على الفتن التى يقوم بها بعض العامة في مصر ففي عام ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م اجتمعت طائفة من الزعر بأرض اللوق^{٢٤٣} وصاروا يشالقون الناس بالحجارة، فقتل منهم جماعة، وتزايد الأمر، فسمع والى وحاجب الحجاب الأمير علاء الدين بن كلفت والأمير أقبغا اليوسفى حاجب الحجاب، فركبوا جميعاً وتوجهوا على أرض اللوق وقبضوا على المشالقين وضربوا بالمقارع.^{٢٤٤}

مكانة الحجاب في المجتمع المملوكى:

يتضح من خلال العرض السابق مدى ما وصلت إليه الحجابة في العصر المملوكى من أهمية، بل أن الأمر وصل إلى أبعد من ذلك بكثير، فقد أصبحت للحجاب مكانة اجتماعية

²⁴⁰ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٧١.

²⁴¹ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٨٢.

²⁴² ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٧٦.

²⁴³ لاق الشيء يلوقه لوقاً، ولوقه لينة وهذه الأرض لما انحسر عنها ماء النيل كانت أرضاً لينة وإلى الآن في أرض مصر إذا ما نزل عليها ماء النيل لا تحتاج إلى الحرث للينة بل تلاق لوقاً المقريزى، الخطط، ج ٣، ص ١٨٩ - ص ١٩٠، وقد ظهرت أرض اللوق في عهد الدولة الفاطمية والأيوبية كطرح بحر ثم أضيفت إليها طرقات أخرى في أوائل عهد دولة المماليك البحرية، وقد بدأت عمارة اللوق منذ عهد الخديوى إسماعيل وأكتظت بالمباني والعمائر حتى صارت كلها مشغولة بالدور والقصور، سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، ١٩٨٣، ج ٥، ص ٩٤، وقال عنها القلقشندى، "سكنها رعا ع الناس وأرباشهم". القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٥٨.

²⁴⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٨٨.

وسياسية عظيمة في المجتمع المملوكي، والدليل على ذلك أن حاجب الحجاب قرقماس قد تزوج من ابنة السلطان الناصر فرج بن السلطان الظاهر برقوق.^{٢٤٥}

ويشير ابن إياس في أحداث عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م إلى زواج الأمير أنصباي حاجب الحجاب من ابنة الأشرف قانصوه خمسمائة، والتي كانت لها زفة يقصر دونها الوصف كان من بين الحضور الأتابكي قرقماس والأمراء المقدمين وقد ارتدوا الشاش والقماش وبأيديهم الشموع الموقدة وشقوا من الصليبية بهذا الموكب الحافل حتى دخلوا إلى قاعة الفرع ببيت يشبك الدواidar.^{٢٤٦}

ومما يدل على مكانة الحجاب الاجتماعية في العصر المملوكي، أن السلطان عام ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م نزل من القلعة متجهاً إلى دار تمر حاجب الحجاب من أجل زيارته في مرضه ثم عاد إلى القلعة.^{٢٤٧}

ويتساءل الباحث هل وقع الحجاب تحت طائلة القانون رغم المكانة العالية التي وصلوا إليها ؟ للإجابة عن هذا التساؤل ينبغي أن نتعرض إلى ما أطلق عليه في مصطلح العصر المملوكي اسم المصادرات ونتعرف من خلالها هل طبقت على الحجاب أم لا^{٢٤٨}

والمصادرة هي عقوبة مقررة واجبة النفاذ هدفها المال سواء كان بالضمان أو المطالبة أو بالاستيلاء عليه بالقوة لصالح الدولة دون أن يكون للشخص المعاقب حق الاعتراض، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى القول بأن المصادرة عمل تعسفي مجاف للعدالة ودليل على فساد الإدارة، وفي عصر المماليك رادف لفظة المصادرة أربعة ألفاظ أخرى هي الغرامة، والحوطة، والعقوبة، والجناية، فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد.^{٢٤٩}

نقرأ في المصادر المملوكية عن مصادرة الحاج بهادر الحاجب الذي صادره شاد الدواوين في عهد السلطان لاجين في عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م،^{٢٥٠} أما عن سبب المصادرة فكان بذنب أستاذة قراسنقر وظلمه.^{٢٥١}

وبكتمر الحسامي الحاجب الذي صادره السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م،^{٢٥٢} بسبب اتهامه بتدبير محاولة لقتل السلطان، وقد بلغت قيمة المصادرة

²⁴⁵ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٣، ص ١٢٦.

²⁴⁶ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ١٩٦.

²⁴⁷ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص ٨٣، جـ٤، ص ١٩٦.

²⁴⁸ انظر ثبت مصادرات الحجاب رقم ٥-٦ الوارد في ختام البحث.

²⁴⁹ البيومي إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ المصريين العدد ١١٠، ١٩٩٧م، ص ٢٣، انظر أيضاً حياة ناصر الحجر، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك ص ٥٢ وما بعدها.

²⁵⁰ الكتبي، عيون للتواريخ، ص ٨٦، العيني، عقد، الحمان، جـ٣، ص ٣٦٣-٣٦٤.

²⁵¹ البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص ٢٠٣.

²⁵² ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٢٨، ٤١.

مائة ألف دينار، وجمال الدين بكتمر الحاجب الذي صادره أيضاً السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧١٥هـ / ١٣١٥م^{٢٥٣} وكانت سبب المصادرة تأمره على قتل السلطان ووصل مبلغ المصادرة إلى مائة ألف دينار وانتهى به المطاف إلى السجن.^{٢٥٤}

ونقرأ أيضاً عن سيف الدين الماس الحاجب الكبير الذي قام بمصادرته شاد الدواوين وشاهد الخزانة، حيث تمت مصادرته في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م، وكان سبب المصادرة تأمره على قتل السلطان إلى جانب ثروته المشبوهة وحجه بدون إذن السلطان حيث ألزم بحمل ٢,٣٩٠,٠٠٠ درهم نقرة،^{٢٥٥} وانتهى به الأمر إلى القتل خنقاً.^{٢٥٦}

وتشير المصادر أيضاً إلى علي بن مقلد حاجب العرب بدمشق الذي قبض عليه وصودر في عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكان منفذ المصادرة هو ناظر الخاص، أما عن سبب المصادرة فكان تأديبه، وقد تعرض للضرب والتعذيب حتى قتل.^{٢٥٧}

ونستشف من المصادر أيضاً عن مصادرة بكتمر الحسامي الحاجب الذي تعرض للمصادرة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م وكان سبب مصادرته عزل جد أولاده نائب الكرك، أما عن مبلغ المصادرة فكان أشياء نقدية وعينية.^{٢٥٨} كما يتحدث المؤرخون عن محمد بن بكتمر الحاجب الذي صودر في عهد السلطان المظفر حاجي بن الناصر محمد بن بن قلاوون في عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م بسبب تأمره على قتل السلطان بسبب لهوه، وكان مبلغ المصادرة تمثل في مصادرة بيته وماله وخيله، ووصل به المطاف إلى السجن، وقد نفذ المصادرة شاد الدواوين وأمير سلاح.^{٢٥٩}

²⁵³ المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ١، ص ١٤٤.

²⁵⁴ البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص ٢٠٨.

²⁵⁵ الدراهم وجد منها أربعة أنواع، أجودها وأعلاها قيمة ما عرف باسم النقرة ويتكون من فضة ولحاس ووزنه ١٦ قيراطاً أى ينقص عن المئقال. وقدر كل سبعة مثاقيل بعشرة دراهم وزناً وقيمة هذا الدرهم ٢٤ فلساً، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية، ويكون فيها دراهم صحاح وقراضيات مكسرة، وقدر وزن الدرهم النقرة بست عشرة حبة خروب، فتكون معاً خروبتين ثم درهم، والخروبة ثلاث حبات من حب البر المعتدل، إبراهيم علي طرخان، للنظم الاقطاعية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٥٢٤.

²⁵⁶ المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٦٣، ٣٧٥؛ ابن إبيك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٣٧٣، حياة الحجى، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك، ص ٤٠.

²⁵⁷ الصندى، أعيان العصر، ص ٣٦، ٤٥، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر، طبعة لبنان ١٩٦٨م، ص ١٠٩.

²⁵⁸ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة ١٩٩٢م، جـ ٧، ص ١٧٤؛ ابن الوردي تنمية المختصر في أخبار البشر، القاهرة ١٨٦٨م، جـ ٢، ص ٣٠٨.

²⁵⁹ المقرئزي، السلوك، جـ ٢، ق ٣، ص ٧٣٠؛ البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص ٢٢٠.

ويخبرنا المقرئى عن مصادرة علاء الدين على بن كلفت الحاجب الذى صادره
السلطان الأشرف شعبان بن حسين عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م بسبب تبعيته لألجاي ومن عصبته
حيث وصل به الأمر إلى السجن.^{٢٦٠}

وتتحدث المصادر عن سلطان شاه بن قراجا حاجب ثان الذى تعرض للمصادرة
على يد السلطان الأشرف شعبان بن حسين في عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م نتيجة لتبعيته لألجاي
أيضاً.^{٢٦١}

ومن الحجاب الذين تعرضوا للمصادرة والنفي ورجعوا مرة ثانية إلى مناصبهم،
نذكر عبد الله بن بكتمر الحاجب الذى تمت مصادرته في عهد السلطان المنصور شعبان في
عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م بسبب خلاف بينه وبين أحد رجال الدولة، ووصل مبلغ المصادرة إلى
١٠,٠٠٠ دينار، وانتهى به الحال إلى النفي، ثم رجع مرة ثانية.^{٢٦٢}

ونقرأ في المصادر أيضاً عن محمد بن بكتمر الحاجب الذى صودر في عهد
السلطان الظاهر برقوق عام ٧٩٤هـ / ١٣٩١م حيث ألزم بحمل ٢٠٠٠,٠٠٠ درهم إلى
الخزانة الشريفة.^{٢٦٣}

ويذكر المؤرخ السخاوى أيضاً أن عبد الرازق بن أبى الفرج الحاجب والوزير الذى
تعرض للمصادرة في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، وقد
صودر على يد هذا السلطان، وعن أسباب مصادرته، فقد جمع نفقة للجند بدون إذن السلطان
مما ترتب عليه عزله، وقد وصل مبلغ المصادرة إلى ١٠٠,٠٠٠ دينار وانتهى به الحال إلى
الإفراج عنه.^{٢٦٤}

نقرأ أيضاً في المصادر المملوكية عن مصادرة الأمير تنكزبغا حاجب طرابلس الذى
تمت مصادرته على يد نائب طرابلس في عهد السلطان الناصر فرج عام ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م
وقد قتل في النهاية.^{٢٦٥}

²⁶⁰ المقرئى، السلوك، ج٣ ق١، ص٢١٥ - ٢١٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٦٠، ٦٢؛ ابن إياس،
بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص١٢٢، ١٢٠.

²⁶¹ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص١٢٠.

²⁶² المقرئى، السلوك، ج٣ ق١، ص٣٤١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٢٣٣، البيهقى إسماعيل، مصادرة
الأملاك، ص٢٢٠ وما بعدها.

²⁶³ المقرئى، السلوك، ج٣ ق٢، ص٧٦٥.

²⁶⁴ المقرئى، السلوك، ج٣ ق٢، ص١٠٦٤؛ بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٦٢٩؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج٤، ص
١٩١؛ البيهقى إسماعيل، مصادرة الأملاك، ص٢٣٩.

²⁶⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٧١٤.

أما كزل العجمي حاجب الحجاب وأمير الحاج الذي صدره السلطان الناصر فرج بن برقوق في عام ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م بسبب سوء سيرته مع الحجاج وأخذ الأموال منهم، فقد انتهى به المطاف إلى الهرب وبلغت قيمة مصادرته حوالي ٢٠٠,٠٠٠ درهم.^{٢٦٦}

وتخبرنا المصادر المملوكية أيضاً عن آقبا شيطان الذي كان يشغل كل من الولاية والحجوبية والحسبة في آن واحد، ثم قبض عليه في عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودي، وكان منفذ المصادرة الإستادار فخر الدين "وجعل في باشة حديد وأخذ جميع موجوده".^{٢٦٧}

كما يتحدث المؤرخون عن الزيني فرج الحاجب الذي تمت مصادرته في عهد السلطان قنصوه الغوري في عام ٩١٢هـ / ١٥٠٦م على يد المحتسب بسبب امتناعه عن حراسة بعض الجسور، وقد بلغت مصادرته ٥,٠٠٠ دينار وانتهى به الحال إلى الإفراج عنه.^{٢٦٨}

هكذا واصلت الدولة المملوكية مصادراتها للحجاب حيث سجلت كتابات بعض المؤرخين المعاصرين ما يقرب من خمس عشرة حالة مصادرة.

بقى أن يجيب الباحث على استفسار حول معاملة الدولة للحجاب المحكوم عليهم بالسجن؟ للإجابة عن هذا التساؤل تشير المصادر إلى حوادث عام ٧١٥هـ / ١٣١٥م فقد قبض على جمال الدين بكتمر الحسامي الحاجب بتهمة التآمر على السلطان وصدور وأخذ منه مائة ألف دينار وسجن، وفي عام ٨١٦هـ / ١٤١٣م أفرج عن الأمير بكتمر وخلع عليه بناية صدف، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم، وقد تمت معاملته أثناء اعتقاله معاملة تتطوى على التسامح والكرم والعطف، وعبارة المقریزی خير دليل على ذلك إذ يقول: "ولم يفقد غير ركوب الخيل، بل أن السلطان أرسل له في السجن بجارية حملت منه وولدت ولداً".^{٢٦٩}

وفي عام ٨١٢هـ / ١٤٠٩م تم القبض على الأمير كزل الحاجب واعتقل بسجن الإسكندرية وتمت معاملته بصورة حسنة.^{٢٧٠}

وتشير المصادر أيضاً إلى المؤيد شيخ الذي قام بالقبض على ثلاثة من أمراء الألو ف أحدهم حاجب الحجاب قجق، واعتقلوا جميعاً بسجن الإسكندرية عام ٨١٧هـ /

²⁶⁶ المقریزی، السلوك، ج٤، ق١، ص٣٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧٦٠.

²⁶⁷ المقریزی، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٤١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٦٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٧، محاسن الرقاد، الألقاب والكنى الشعبية الساخرة في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ -

١٥١٧م، حولية التاريخ الإسلامي والوسط، ج٢، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٢٧.

²⁶⁸ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٨.

²⁶⁹ المقریزی، السلوك، ج٢، ق١، ص١٤٤، ١٦٢ - ١٦٣.

²⁷⁰ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٥٧.

وقد تعرض بعض الحجاب إلى الضرب من قبيل بعض الأمراء، ففي عام ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م اجتمع المماليك وتوجهوا خلف الأمير يشبك بن أزدمر، ووصلوا إلى خانقاه سرياقوس وضربوا الحاجب محمد بن جلبان الصغير، مما أدى إلى وقوع فتنة بسبب هذا العمل.^{٢٧٢}

الحجاب والشعارات المميزة (الرنوك):

بعد أن تحدثنا عن الوظائف التي كان يقوم بها الحاجب إبان العصر المملوكي، يتبادر إلى الذهن تساؤل هل كان للحاجب رنك^{٢٧٣} يدل على وظيفته؟ وهل كان رنك الحجاب ثابت الشكل أم اختلف من حاجب لآخر ومن درجة لأخرى داخل وظيفة الحجابة نفسها؟

درج السلاطين والأمراء المماليك بل وموظفو الإدارة السلطانية على اتخاذ شعارات لهم، وهي المعروفة باسم الرنوك؛ وقد اختلفت من شخص لآخر حسب مقامه ووظيفته.. ونظراً لأن الحاجب كان من موظفي الإدارة السلطانية فقد اتخذ له رنكاً مميزاً، فقد كان رنك الحجاب عبارة عن البغل، وهو يمثل عادة سائراً من اليمين في اتجاه اليسار أو العكس حاملاً فوق ظهره ما يشبه خرماً للبريد على هيئة قبة يعلوها هلال،^{٢٧٤} ولذا حاول البعض أن يربط بينه وبين رنك الشطب أو البريدي، واعتقدوا أنه يرمز إلى شعار البريدي أيضاً الذي لم يرق له استخدام رنك غفل من الشارات والرموز، فاتخذ من هذا الرسم شعاراً له،^{٢٧٥} استناداً إلى أن لفظة بريد، الفارسية الأصل كانت تعني مقصوص الذنب، لأنه كان من عادة الفرس أنهم إذا أقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة على أنه صار من بغال البريد.^{٢٧٦}

²⁷¹ الصيرفي، نزهة النفوس جـ ٢، ص ١٣٤٣ ابن تغري بردي، النجوم الزهرة، جـ ١٤، ص ٢٣؛ السخاري، الضوء للامع، جـ ١٠، ص ١١٣٩.

²⁷² الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٢١٢.

²⁷³ جرت العادة عند تأمير المملوك أن يعطى رنكاً أو شعاراً يشير إلى وظيفته، والرنك جمعه رنوك وهي كلمة فارسية بكاف معقودة كالجيم المصرية تنطق رنج بمعنى لون. المقرئ، السلوك، جـ ١ ق ٣، ص ٦٧٢؛ على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص ١٩٦؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية، جـ ١، ص ١٧٠؛ أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، القاهرة ٢٠٠١ م، ص ٤٨؛ الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي والعشرون ١٩٧٤ م، ص ٦٧؛ وقد استخدم في مصطلح المؤرخين بمعنى الشارة أو الشعار الشخصي الذي يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له، علامة على وظيفة الإمارة التي يعين عليها، فيكون رنك الدواidar الدواة والمقلمة، ورنك الأمير آخور نعل الفرس ورنك السلاح دار القوس وهكذا. المقرئ، السلوك، جـ ١ ق ٣، ص ٦٧٢؛ انظر أيضاً محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠ مارس ١٩٤١ م، ٢٦٨ وما بعدها، L.A. Mayer, *Saracenic Heraldry*, Oxford, 1933, pp. 1-7.

²⁷⁴

Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.8, PL.2.

²⁷⁵ أحمد عبد الرازق، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، ص ٧٨؛ الرنوك الإسلامية، ص ١١٢؛ سند أحمد سند، البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٢٥.

²⁷⁶ القلقشندي، صبيح الأعشى، جـ ١٤، ص ٣٦٧؛ حسن الباشا، الفنون والوظائف، جـ ١، ص ٢٩٨؛ أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٨٧؛ الرنوك الإسلامية، ص ١١٢.

بيد أن محاولة لحصر التحف والآثار المملوكية التي ظهر عليها هذا الرمز مصحوباً ببعض الأسماء والوظائف تكشف لنا عن وجود هذا الشعار على مشكاة من الزجاج المموه بالمينا ترجع إلى عام ٧٢٩هـ / ١٣٢٩م عليها كتابة أثرية نصها "مما عمل برسم تربة الأمير المرحوم علاء الدين على ولد المقر المرحوم السيفي بكتمر الحاجب تغمده الله برحمته"،^{٢٧٧} ومن الملاحظ أن هذه الكتابة مصحوبة برنك على هيئة حصان له سرج فخم.^{٢٧٨}

ويظهر هذا الرنك أيضاً منقوشاً على بوابة خان العسل بحلب، الذي أمر بتشيده موسى الناصر حاجب المملكة الحلبية، وفرغ منه في شهر جمادى الآخر عام ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م،^{٢٧٩} مما يدفع إلى الاعتقاد بأن هذا الشعار كان رمزاً للحاجب.^{٢٨٠}

وتوجد أيضاً مجموعة من الرنوك تشير إلى بعض الوظائف مصحوبة بأسماء ووظائف حجاب لا علاقة لها بالرنك المصاحب لها، فهناك كتابة أثرية على مشكاة ترجع إلى ما بعد عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م باسم الأمير الكبير يلبغا الناصري الأشرف أمير حاجب بالأبواب الشريفة،^{٢٨١} والكتابة مصحوبة برنك السيف،^{٢٨٢} شعار السلحدار.^{٢٨٣}

ولدينا أيضاً كتابة أثرية على إناء من نحاس أحمر في مجموعة مدام ماسبيرو M^{me} Maspero^{٢٨٤} في باريس تعود إلى سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م باسم المقر الأشرف العالى المولوى الأمير الكبيرى تمر أمير حاجب الحجاب بالقاهرة، والكتابة مصحوبة برنك يتألف من ثلاثة مناطق: في العليا بقجة وهى تركز إلى شعار الجمدار، وفي الوسطى سيف أحذب يتقاطع معه كأس شعار الساقى، وفي الثالثة كأس.^{٢٨٥}

وهناك كتابة أخرى مصحوبة برنك يتألف من ثلاثة مناطق في العليا بقجة، وفي الوسطى كأس بها داوة شعار الدوادر بين فرعى سروال، وفي السفلى كأس على إناء نحاس

Wiet, G., *Catalogue général du Musée Arabe du Caire, Lampes et bouteilles en verre émailé*,²⁷⁷ Le Caire, 1982, p.128; Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.260; Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet (eds.), *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, Le Caire, 1944, tome 13, p. 253.

Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.260. انظر شكل ١ بنهاية البحث²⁷⁸

Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp. 168-169; Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet, *Répertoire chronologique d'épigraphie*, tome 15. p.236; Ernst Herzfeld, *Matériaux pour un corpus inscriptorum arabicarum Deuxième partie, Syrie du nord*, tome 1-Vol 1 (texte), Le Caire, 1955, pp.346-347, fig 106.

Sauvaget, J., *Caravansérails syriens du moyen âge, II. Caravansérails Mamelouks*, Ars Islamica, 1940, p. 6.

²⁸⁰ أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص ١١٣.

Wiet, *Catalogue général du Musée Arabe*, p.174; حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص ٢٠٩²⁸¹

Lane-Poole, *Art of the Saracens in Egypt*, Librairie Byblos Arts et Métiers, 1886, p.218.

حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص ٢٠٩؛ Mayer, *Saracenic Heraldry*, p. 248 انظر شكل ٢ الوارد بالبحث.²⁸²

²⁸³ أحمد عبد الرازق، الرنوك الإسلامية، ص ١٠٠.

حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص ٢٠٩.²⁸⁴

Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.231, PL.23.

²⁸⁵ انظر شكل ٣ الوارد بالبحث

يرجع إلى ما بين سنتي ٨٩٤هـ/٩٠٣هـ - ١٤٨٩ - ١٤٩٧م برسم المقر الأشرفي السيفي قانصوه الغوري أمير حاجب بحلب المحروسة.^{٣٤٠}

أخيراً هناك كتابة أثرية من طرابلس مصحوبة برنك على هيئة سيف موروب على درع مقسمة ثلاثة أقسام^{٣٤١} بوقفية على واجهة مسجد السقراوية بتاريخ عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م باسم سيف الدين أقطرق الحاجب الذي جعل النظر فيها "إلى من كان أمير حاجب كبير بطرابلس".^{٣٤٢}

ويمكن تفسير هذا الأمر بأن صاحب الرنك المذكور، شغل في وقت من الأوقات الوظيفة التي يشير إليها ذلك الشعار، ثم انتقل فيما بعد إلى الوظيفة المصاحبة لهذا الرنك أو على التحفة المشار إليها، أو الكتابة الأثرية، وفاته أن يسجل الرمز الدال على هذه الوظيفة الجديدة، فقد جرت العادة كما سبق وأن ذكرنا أنه إذا منح أحد الأمراء رنكاً معيناً ظل محتفظاً به طوال حياته،^{٣٤٣} بل قد يضيف إليه رنك الوظيفة الأخرى التي يتقلدها أو ينتقل إليها مثل حالة الأمير قايتباي الجركسي.^{٣٤٤}

تدهور وظيفة الحجابة:

من الوظائف التي ساعدت الرشوة على تدهورها وظيفة الحجابة التي وضعها القلقشندي في المرتبة الثامنة بين الوظائف العسكرية وكان صاحبها يعرف بحاجب الحجاب ويعاونه في العادة عدد آخر من صغار الحجاب وصل عددهم في أواخر عصر المماليك الجراكسة إلى ما يقرب من عشرين حاجباً كان جميعهم من غير الأمراء الذين نجحوا في الوصول إلى مناصبهم بالبذل والبرطلة.^{٣٤٥}

³⁴⁰ Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp.178-179. PL.28, LXVIII; Artin, Y., *Contribution à l'étude du Balson en Orient*, London, 1902, Pl. 88; idem, "Trois différent armories de Kaït Bay", *Bulletin de l'institut égyptien*, 9(1888), fig. 2; Leaf, W., *Devolpments in the System of Armorial Insignia during the Ayyūbid and Mamluk Periods*, *Palestine Exploration Quarterly*, January-June, 1983, Fig. 23. انظر شكل ٤ الرارد بالبحث. هناك نقش ينسب إلى قانصوه الغوري يؤكد عمله حاجباً للحجاب في حلب المحروسة نشره هرزفيلد في مجموعة النقوش العربية، ورد فيه وبسلة... لما كان بتاريخ شهر رمضان من سنة ست وتسعين وثمانمائة برز المرسوم الكريم العالي السيفي قانصوه الغوري حاجب الحجاب بالملكة الحلبية المحروسة... انظر Herzfeld, *Matériaux*, p.392.

³⁴¹ حسن الباشا، الفنون والوظائف، ص ٢١٠.

³⁴² Wiet, *Répertoire chronologique d'Épigraphie arabe*, tome 15, pp. 215-216; Mayer, *Saracenic Heraldry*, p. 71; Van Berchem, *Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum*, pp.109-110, fig. 10.

³⁴³ أحمد عبد الرزاق، الرنوك الإسلامية، ص ٩٢، ٩٥.

³⁴⁴ السخاري، الثبر المسبوك، ص ١٢٢، ٢٥٦؛ أحمد عبد الرزاق، الرنوك الإسلامية، ص ٩٥. Wiet, *Lampes*, p.99.

³⁴⁵ أحمد عبد الرزاق، البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٧٩م، ص ٣٢ - ٣٣، حياة الحجى، السلطة والمجتمع في سطنة المماليك، فترة حكم سلاطين المماليك البحرية من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، الكويت، ١٩٩٧م، ص ٦٥ وما بعدها.

وقد عرف المقرئى مصطلح البراطيل بقوله: "وهى التى تؤخذ من ولاية البلاد ومحتسبها وقضاتها وعمالها، فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزىك فى ولاية النواحي، ثم أفحش فيه الظاهر برقوق" أى أن هذه الظاهرة برزت فى مصر منذ القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، ولكننا لم نسمع فى بدايتها أنها قد أضرت أو أثرت على مجريات الأمور العامة بالدولة ولكن الخطير فى الأمر أن الظاهر برقوق هو الذى تمادى وأفحش فى هذا النظام فى عصره وتفاقم فى عهد من بعده من السلاطين حتى أن هذه الظاهرة صارت القاعدة المقررة وذلك يتضح من أقوال المؤرخين المعاصرين وكان لها أسوأ الآثار كما سنعرض.^{٣٤٦}

هناك العديد من الأسباب والظروف التى ساعدت على تدهور وظيفة الحجابة زمن سلاطين المماليك تمثلت فى تدخل الحجاب فى غير اختصاصاتهم وتعديتهم وتدخلهم فى أعمال القضاة، بالإضافة إلى شراحتهم فى جمع الأموال بأى صورة من الصور. ويفهم من المصادر المعاصرة أن الأمر قد تفاقم زمن السلطان المؤيد شيخ، الذى اعتلى كرسى السلطنة فى عام ٨١٠هـ/ ١٤١٢م والدليل على ذلك ما سجله المقرئى فى أحداث عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م من أنواع الظلم التى عمت أرجاء البلاد وشملت جميع الحكام ما بين محتسب ووال وحجاب وقضاة، ونائب غيبة واستادار. حقيقة أن هذا المؤرخ قد نجح فى إعطاء الباحث صورة واضحة لما كان عليه المجتمع زمن المؤيد شيخ، إلا أنه لم يخرج من التعميم إلى التخصيص، وإنما ركز كلامه عن أنواع الظلم الذى عانى منها المجتمع فى هذه الفترة ومن بينها الرشوة التى صارت على زمن هذا السلطان مورداً رسمياً من موارد الدولة المالية.^{٣٤٧}

وقد صور لنا المقرئى حال الحجاب على عصره ومدى التدهور الذى أصاب وظيفة الحجابة فقال: "وأما الحجاب فإنهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك إليهم، ومشكو عليه، فما من أحد من الحجاب إلا وفى بابيه رجل يقال له رأس نوبة، يضمن له فى كل يوم قدراً معلوماً من المال، يقوم له به، ومن هذا المال المضمون يقيم أوده، فيسقط رأس نوبة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب، وما لا بد له من صرفه على عياله، ومؤونه فرسه، وأجرة سايسها، وما اعتاده من المحرمات التى لا يتركونها ما وجدوا إليها سبيلاً، وما يرصده ويدخره عنده عدة له فى وقت مكروه ينزل به من عزله، أو مصادرة الحاجب له، أو غير ذلك من العوارض فيتناول من كل واحد من النقباء شيئاً مقررأ عليه عند مضيه فى طلب غريم، يقال له الإطلاق. فإذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبة أبواباً من أنواع مكرهم الذى تفقهوا فيه، فيحتاج إلى بذل المال له، ولدوادار الحاجب، وللحاجب، بحسب ما يقتضيه رأيهم. فربما بلغ الغرم فى الشكوى الآلاف من الدراهم، فإنهم يسلسلون قضايا

³⁴⁶ المقرئى، الخطط، جـ ٢، ص ١١٠؛ جمال جرجس، القضاء فى العصر المملوكى، ص ١٦٤.

³⁴⁷ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٣٢ وما بعدها.

ظلمهم حتى يستمر المشكو في الترسيم الأيام والأشهر. وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجوه فإنهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات، ولا يكلفون حمل شيء منه إلى السلطان.^{٣٤٨}

ولا يحتاج هذا النص إلى تعليق أو إضافة فمن الواضح أن المشكو البائس عليه أن يدفع للنقيب الذي يحضره لرأس النوبة والدوا دار الحاجب وللحاجب أى أن هذا الجيش من الأعوان يعيش على ظلم من يوقعه سوء حظه ويؤس قدره بين أيديهم من عامة الشعب المغلوب على أمره. وقد ساق الباحث هذا النص كاملاً لأنه دليل على أن نظام بيع الوظائف كان من العوامل التي أدت إلى خراب مصر زمن سلاطين المماليك.

أسهمت الرشوة في تدهور هذه الوظيفة بعد أن أصبحت من السمات المميزة لعصر سلاطين المماليك، وبعد أن أصبحت الطريق الوحيد إلى الوظائف المهمة في الدولة، وكان ذلك بطبيعة الحال على حساب الجدارة والكفاءة اللتين أصبحتا لا وجود لهما أمام طوفان الأموال المبدولة، مما أفضى إلى خراب الدولة خاصة بعد أن أصبحت الرشوة هي الطريق إلى مجال الوظائف العسكرية التي كانت بمثابة العمود الفقري لدولة سلاطين المماليك.^{٣٤٩}

ويبدو أن الأهمية الزائدة للوظيفة واتساع نطاق اختصاص الحجاب زمن سلاطين المماليك كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التي كانت تبذل بغير حساب على هذه الوظيفة، فقد كانت وظيفة الحجابة من بين أهم الوظائف التي تولى بالرشوة ويسعى في ذلك راغبوها فتولاه بعض الحجاب من غير الأمراء بالبذل فكان أن تدهورت تلك الوظيفة كغيرها.^{٣٥٠}

وقد كتب المقرئ معلقاً على نظام بيع الوظائف بقوله: "أن الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب في الأعمال والكشف، وسائر الوظائف، لا سبيل أن ينالها أحد إلا بمال، يقوم به أو يلتزم بأدائه، ويكتب به خطة، فتطاول كل نذل رذل وسفلة إلى ما سنع بخاطره من الأعمال الجليلة والرتب العلية، فدهى الناس من ذلك بدهية دهياء، أوجبت خراب مصر والشام، كما ستراه فيما يمر بك على طول السنين في أوقاته".^{٣٥١}

أما تعليق الصيرفي على نظام بيع الوظائف فيذكر بقوله: "هذا الأمر من المفكرات".^{٣٥٢}

³⁴⁸ المقرئ، السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

³⁴⁹ أحمد عبد الرازق، للبذل والبرطلة، ص ٤٣.

³⁵⁰ إسماعيل عبد المنعم، الأمراض الاجتماعية، ص ٢٠٩.

³⁵¹ المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٣٢٤.

³⁵² الصيرفي، نزعة النفوس، ج ٣، ص ١٦٧.

أما ابن إياس فقد شارك أيضاً في السخط على نظام بيع الوظائف بقوله: 'وهذه الأموال العظيمة التي سعى بها هؤلاء ما يستخلصونها إلا من أضلاع المسلمين والأمر لله'.^{٣٥٣}

وتتحدث المصادر عن الأشخاص الذين نجحوا في الوصول إلى وظيفة الحجابة بالبذل والبرطلة ومن هؤلاء الطنبغا مملوك طراباي الذي استقر في حجوبية غزة في عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م،^{٣٥٤} وعبد العزيز بن محمد الصغير الذي صار في عام ٨٥٣هـ/١٤٥٠م من جملة الحجاب بالقاهرة بعد أن قدم للسلطان جقمق عدة خيول،^{٣٥٥} ويشير النوروزي الذي عمل بكل من حجوبية طرابلس ودمشق بالبذل لعدم تأهله،^{٣٥٦} ومن بين الذين تولوا حجوبية هذه النيابة أيضاً تشير المصادر إلى يشبك داودار قالي باي البهلوان الذي استقر فيها بالبذل في عام ٨٥٩هـ/١٤٥٥م لكونه من الأوباش ولم تسبق له رئاسة،^{٣٥٧} وإلى شاذبك الصارمي الذي صار حاجباً للحجاب بها بالبذل.^{٣٥٨}

كما تحدث السخاوي عن قاسم بن جمعة الشباسي الذي بذل مالا لتولي حجوبية الحجاب بحلب في عام ٨٥٣هـ/١٤٥٠م.^{٣٥٩}

ويضيف ابن تغري بردي إليهم العلاني الأربكي المتكلم في عد الغنم بالبلاد الشامية الذي بذل خمسة وأربعين ألف دينار لتكون معه مضافة لعد الأغنام، بيد أن الشهابي أحمد بن قليب حاجب طرابلس لم يكن يقبل مثل هذا التعدي الصارخ على وظيفة فتسارع بعرض بذل قدرة خمسون ألف دينار على الوظيفتين نكاية للأربكي، الذي يبدو أنه قبل التحدي ف وقعت الزيادة بينهما حتى وصل المبلغ المعروض على السلطان الظاهر خشقدم ستة وسبعين ألف دينار، وفي هذا يقول ابن تغري بردي: 'وهذا شيء لم نسمع مثله في سالف الأعصار، وما يكون شأن هاتين الوظيفتين حتى تصلا إلى هذا الحد' وحسماً للموقف اقترح الشهابي بن العيسى على السلطان أن يظل كل منهما على وظيفته في مقابل سبعين ألف دينار ثلاثين على الأربكي، والباقي على ابن قليب.^{٣٦٠}

³⁵³ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٧.

³⁵⁴ السخاوي، للتبر المسبوك، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٥٥.

³⁵⁵ السخاوي، للتبر المسبوك، ص ١٧٤؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٥٥.

³⁵⁶ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٨٠.

³⁵⁷ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٩٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٨٠؛ رقم ١١٠٠؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٥٥.

³⁵⁸ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٩٠؛ رقم ١١٠٣.

³⁵⁹ السخاوي، للتبر المسبوك، ص ٢٧٠.

³⁶⁰ ابن تغري بردي، منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ص ٥٢٨؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٥٦.

ولم يقتصر أمر البذل على تولى وظيفة الحجاب فقط بل عداه إلى الانتقال منها كذلك فقد روى ابن تغرى بردى أن الأمير خير بك النوروزى حاجب صفد استقر في عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م في نسيابة غزة عوضاً عن طوغان العثماني وذلك بمال كبير بذل في ذلك لوضاعته في الدولة.^{٣٦١}

وقد بات واضحاً أن البذل والبرطلة قد أفضيا في النهاية إلى توصل أوباش الناس إلى الرتب العليا في الدولة كما أفضيا كذلك إلى انصرافهم عن مباشرة مهامهم ووظائفهم وأعبائهم إلى جمع المال من كل صوب وحذب إما لتعويض ما سبق أن بذلوه للحكام على هذه الوظائف، وإما لجمع أكبر قدر ممكن،^{٣٦٢} بعد أن أيقنوا أن فترة ولايتهم لن تطول إلا بتجديد البذل والبرطلة.^{٣٦٣}

والتاريخ المملوكى مليء بالكثير من هذه المهازل، فيشير ابن تغرى بردى في حوادث عام ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد قبض على أحد مماليكه ويدعى ركن الدين بيبرس والذي كان قد ولاه الحجوبية، ثم جرده إلى اليمن فلما بلغها أخذ براطيل من صاحبها وتراخى في أمر السلطان.^{٣٦٤}

وقد ترتب على البذل أيضاً أن قصر متوسط مدة الوظيفة وبالتالي كثرة عدد متوليها من الحجاب في فترة ما.. فنتبين من أغلب مصادر التاريخ المملوكى أن متوسط مدة الوظيفة قد تراوح بين العام والعامين وإن لم يمنع ذلك أن يتولاها الحاجب خمسة أعوام متتالية.^{٣٦٥} الأمر الذى أدى إلى ترايد عدد الحجاب في عهد السلطان الواحد كلما تزايدت أهمية الوظيفة وتزايد مقدار البذل فيها ويتضح ذلك للباحث من عدد الحجاب الذين تولوا هذا المنصب في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون إذ بلغ عدد من تولوها في تلك الفترة أى من عام ٧٠٩ - ٧٤٠ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٣٩ م أربعة عشر حاجباً هم سنقر الكمالى، بكتمر الحسامى، لاجين العمرى، الطنبغا محمد بن الوزيرى، طينال بيبرس أمير أخور، الماس الجاشنكير، قطلوبغا المعزى، أمير مسعود بن الخطير، جاريك قفجق ايدغدى الخوارزمى أقول، محمد بن خطير برسبغا، ويبدو أن كثيراً ما كان السلطان يولى الحجاب هذه الوظيفة ماداموا حائزين على رضاه، فإذا غضب عليهم عزلهم واستبدل بهم غيرهم أو أمر بالقبض عليهم، فيشير الصيرفى في حوادث عام ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م "خلع على الأمير اينال الصصلائى خلعة الرضا

³⁶¹ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٣٨٧؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٣٥.

³⁶² ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ١، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

³⁶³ ابن حجر أنباء الغمر، جـ ٣، ص ٤٧٦؛ المقرئى، السلوك، جـ ٤، ق ٣، ص ٨٧٠ - ٨٧١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٤، ص ٣٦٠ - ٣٦١؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٣، ص ٢٣٧ - ٢٣٨؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ١٣٨.

³⁶⁴ النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١١٠.

³⁶⁵ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٥٦.

لما كثر فيه من القيل والقال.^{٣٦٦} هذا في حالة الرضا من السلطان، أما حالة غضبه عليهم فإن الأمر ينتهي بعزلهم أو القبض عليهم وسجنهم أو قتلهم.

وقد تعددت أسباب غضب السلطان على الحجاب وكذلك تعددت أسباب عزلهم، فيحدثنا الصيرفي في حوادث عام ٨٣١هـ / ١٤٢٧م بأنه خلع على الأمير بردبك الاسماعيلي واستقر حاجبا ثانيا بالديار المصرية عوضا عن الأمير إياس الجلالى بحكم عزله وكان السبب في ذلك أن إياس الجلالى لا يخلو شهر من الشهور ولا جمعة من الجمع إلا ويشكو للسلطان من ضعف حاله وعجز إقطاعه وكثرة مصروفه، فوقع أنه يوما من الأيام فعل عادته وأمعن في الكلام فغضب السلطان عليه ورسم أن يحبس في بيته وأخرج عن إمرته وعزله عن الحجابة.^{٣٦٧}

أما المؤرخ السخاوى فيشير في حوادث عام ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م بأنه تم عزل علان المؤيدى من حجوبية الحجاب لشكوى نائبها منه، ولكنه استمر في وظيفة بسفارة كاتب السر،^{٣٦٨} حيث عرف السلطان أن سبب التناقر بينه وبين النائب قيام الحجاب بإزالة المنكرات من حلب وأمره بالمعروف فيها، ثم لم يلبث أن قدم كل منهما إلى أستاذه محجته فأل السلطان إلى النائب وعزل الآخر ورسم له بالتوجه إلى طرابلس بطالا،^{٣٦٩} وقرر عوضه في الحجوبية قاسم بن جمعة الشباسى بمال بذله.^{٣٧٠}

وقد ترتب على البذل والبرطلة كذلك ظاهرة جديدة هي الجمع بين عدة وظائف في آن واحد إلى جانب وظيفة الحجوبية، مما أفضى ليس فقط إلى فساد هذه الوظائف وتدهورها، بل إلى تدهور الجهاز الإدارى برمته بعد أن سرى الفساد في جميع أركان الدولة.^{٣٧١} وتطالعنا أغلب الكتابات المملوكية بما لا يدع مجالا للشك بأنه في كثير من المجالات كان الحاجب يجمع بين أكثر من وظيفة إلى جانب الحجابة، فيروى ابن إيبك في أحداث عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م أن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب تولى الوزارة بمصر إلى جانب الحجابة عوضاً عن الوزير فخر الدين،^{٣٧٢} وفي عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م تولى الأمير سيف

³⁶⁶ الصيرفي، نزهة النفوس، ج-٢، ص ٢٣٠.

³⁶⁷ الصيرفي، نزهة النفوس، ج-٣، ص ١٣٠.

³⁶⁸ كاتب السر، ناظر ديوان الانشا وهو المسئول عن قراءات الكتب للسلطان والرد على الرسائل وقراءة القصص بدار العدل. البيرومى إسماعيل، النظم المالية في مصر والنشام زمن سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١١٨، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٤٠٢.

³⁶⁹ للبطالون من الأجناد والأمراء هم العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها، نتيجة غضب السلطان أو كبر السن، أو إضطراراً إلى الاعتكاف والاختفاء، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد، المقريزى، السلوك، ج-١، ص ٧٣.

³⁷⁰ السخاوى، القبر المسبوك، ص ٢٧٠.

³⁷¹ أحمد عبد الرزاق، للبذل والبرطلة، ص ١٣٨.

³⁷² ابن إيبك، كنز الدرر، ج-٩، ص ٢٠٨.

الدين طينال الحاجب نيابة طرابلس عوضا عن شهاب الدين قرطاي الحاجب ثم انتقل منها إلى نيابة غزة وذلك في عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م.^{٣٧٣}

ويذكر ابن إياس في حوادث عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م أنه خلع على بكتمر العلمي حاجب الإسكندرية وقرر تعيينه في نقابة الجيش.^{٣٧٤}

وفى عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م خلع على الأمير مامور القلمطاوى واستقر في نظر خاتكاه سرياقوس إلى جانب حاجب الحجاب.^{٣٧٥}

ويخبرنا ابن إياس أيضا أن خليل بن عرام جمع بين أكثر من وظيفة منها حجوبية الحجاب والوزارة والأستادرية، ونيابة الإسكندرية وغير ذلك من الوظائف وذلك في عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م.^{٣٧٦}

وقد جمع علاء الدين الطبلأوى بين عدة وظائف منها ولاية الشرطة والحجابة واستادار خاص الخاص وناظر الكسوة والكمبة ومحتسب القاهرة وولايتها ودار الضرب والمتجر، وقد شق القاهرة في احتفال كبير في عام ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م.^{٣٧٧}

ويشير الصيرفي في حوادث عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م بأنه خلع على الأمير فارس حاجب الحجاب واستقر ناظرا للشيخونية والصرغتمشية.^{٣٧٨}

وفى عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م خلع على الأمير مبارك شاه الحاجب بنيابة الوجه القبلى.^{٣٧٩} وفى نفس العام أيضا خلع على الأمير شهاب الدين الحلبي واستقر في ولاية القاهرة على عادته عوضا عن شهاب الدين أحمد وأضيف إليه ولاية مصر والحجوبية الصغرى.^{٣٨٠}

وفى حوادث عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م خلع على بهاء الدين رسلان نقيب الجيوش واستقر حاجبا مضافا لما بيده من نقابة الجيش.^{٣٨١} وفى نفس العام خلع على الأمير تغرى بردى متولى القاهرة واستقر حاجبا صغيرا مضافا لما بيده من الولاية.^{٣٨٢}

³⁷³ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٣٧٢.

³⁷⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ١، ص ١٣٢.

³⁷⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ١، ص ٢٥١.

³⁷⁶ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٢٧٥.

³⁷⁷ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٦٦، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٤٧٣.

³⁷⁸ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٤٢٩.

³⁷⁹ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٥٧٢.

³⁸⁰ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٤٧.

³⁸¹ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١١٨.

³⁸² الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٣٣٨.

وقد جمع الأمير ناصر الدين محمد بن كلفت التركمانى بين الحجوبية وولاية القاهرة عام ٨٠٤هـ / ١٤٠١م.^{٢٨٣}

وفى عام ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م جمع مبارك شاه بين الحجابة والوزارة،^{٢٨٤} وفى عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م أضيف إلى ناصر الدين محمد شد الدواوين.^{٢٨٥}

وأثناء عام ٨١١هـ / ١٤٠٨م جمع الأمير أرسطاي بين عدة وظائف نذكر منها رأس نوبة كبيرة ثم تولى الحجابة الكبرى في القاهرة بالإضافة إلى نيابة الإسكندرية.^{٢٨٦}

وخلع على الأمير منكلي بغا العجمي في عام ٨١٦هـ / ١٤١٣م واستقر في حسبة القاهرة مضافا إليه الحجوبية الصغرى أيضا.^{٢٨٧}

ومازال الباحث يتتبع الوظائف الأخرى التى خلعت على الحجاب إلى جانب وظائفهم، ففي عام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م خلع على الأمير التاج استادار الصحبة الشريفة واستقر في ولاية القاهرة إلى جانب الحجوبية.^{٢٨٨}

وفى نفس العام جمع الأمير طرباي حاجب الحجاب بين أكثر من وظيفة إلى جانب الحجوبية، فقد تولى ناظر جامع عمرو بن العاص والجامع الأزهر ومدرسة الأمير الجاى.^{٢٨٩}

ويشير ابن إياس في حوادث عام ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م إلى على ناصرى محمد بن العطار الذى جمع بين عدة وظائف منها نيابة الإسكندرية وحجوبية حماة ونظر القدس والخليل.^{٢٩٠}

بل أن الصيرفى يندهش عندما يحدثنا في عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م بأنه رسم باستقرار خليل بن شاهين الشيخى ناظر الإسكندرية وحاجبها في نيابة الثغر مضافا لما بيده من الحجوبية، فيعبر عن دهشته هذه بقوله: "فيا ليت شعري إذا كان النائب هو الحاجب فماذا يصنع؟ فإن الحاجب معد للوقوف بين يدي النائب وهو أمر لم يعهد من قبل".^{٢٩١}

383 المقرئى، السلوك، جـ ٣ ق ٣، ص ١٠٨٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٦٥٧، الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١٤٦.

384 للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١٦٦.

385 المقرئى، السلوك، جـ ٣ ق ٣، ص ١١١٣، ومشد الدواوين، موظف مالى له سلطة المراقبة والإشراف والتفتيش وغالباً يلجأ إلى الشدة في عمله، البيومى إسماعيل، النظم المالية في مصر، ص ٤٠٥.

386 للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٢٥٠.

387 للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٣٦٥.

388 للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٤٨٧.

389 للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٤٩٨.

390 ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٠١.

391 للصيرفى، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ٢٨٨.

والواقع أن حالة البذل من قبل خليل بن شاهين الظاهري تعتبر أصدق دليل على تدهور وظيفة الحجاب، فقد أرسل خليل بن شاهين ثلاثة آلاف دينار، ووعد بمثلها، الأمر الذي أثار دهشة كتاب هذا العصر، لأنه لم يحدث من قبل أن يكون النائب حاجباً، ويعبر المقرئ عن ذلك بقوله: "ولم ندرك مثل ذلك" لاسيما وأن مهمة الحاجب هي الوقوف بين يدي النائب والتصرف بأمره ولكن "هي الأيام كلها قد صرن عجائب حتى ليس فيها عجائب".³⁹²

ويشير السخاوي إلى جانبك الشبكي الذي جمع بين ولاية القاهرة والحجوبية ثم أضيفت إليه الحسبة في عام ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م.³⁹³ وتمر بن محمود شاه الظاهري الذي جمع بين ولاية القاهرة وحجوبية الحجاب.³⁹⁴

ويذكر ابن إياس في أحداث عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م أن الأمير يلبي جمع بين حجوبية طرابلس والنيابة³⁹⁵ وفي عام ٩٢٢هـ — ١٥١٦م يشير ابن إياس بقوله: "أخلع السلطان على الأمير طقطبای حاجب الحجاب وجعله متحدثاً في كشوفية البحيرية عوضاً عن يوسف البدری، مضافاً لما بيده من الحجوبية الكبرى".³⁹⁶

وفي كثير من الأحيان كان الحاجب ينتقل إلى نيابة السلطنة، ففي عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م خلع السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الأمير أقتمر عبد الغنى الحنبلي حاجب الحجاب ونقل من وظيفة الحجوبية إلى نيابة السلطنة بمصر.³⁹⁷

هكذا، يتبين لنا مدى التدهور الذي آلت إليه هذه الوظيفة زمن سلاطين المماليك الجراكسة بعد أن أقبل الحجاب وأعوانهم على أخذ الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.

والآن قبل الحديث عن الأعمال أو الآثار الفنية الباقية للحجاب، فإن ثمة ملاحظات على الباحث أن يقف عندها استناداً إلى الرسومات البيانية التالية والجداول الخاصة بالحجاب على طول العصر المملوكي الواردة في نهاية البحث.

³⁹² المقرئ، السلوك، جـ ٤، ق ٢، ص ٩١٧؛ أحمد عبد الرازق، البذل والبرطلة، ص ٤٥.

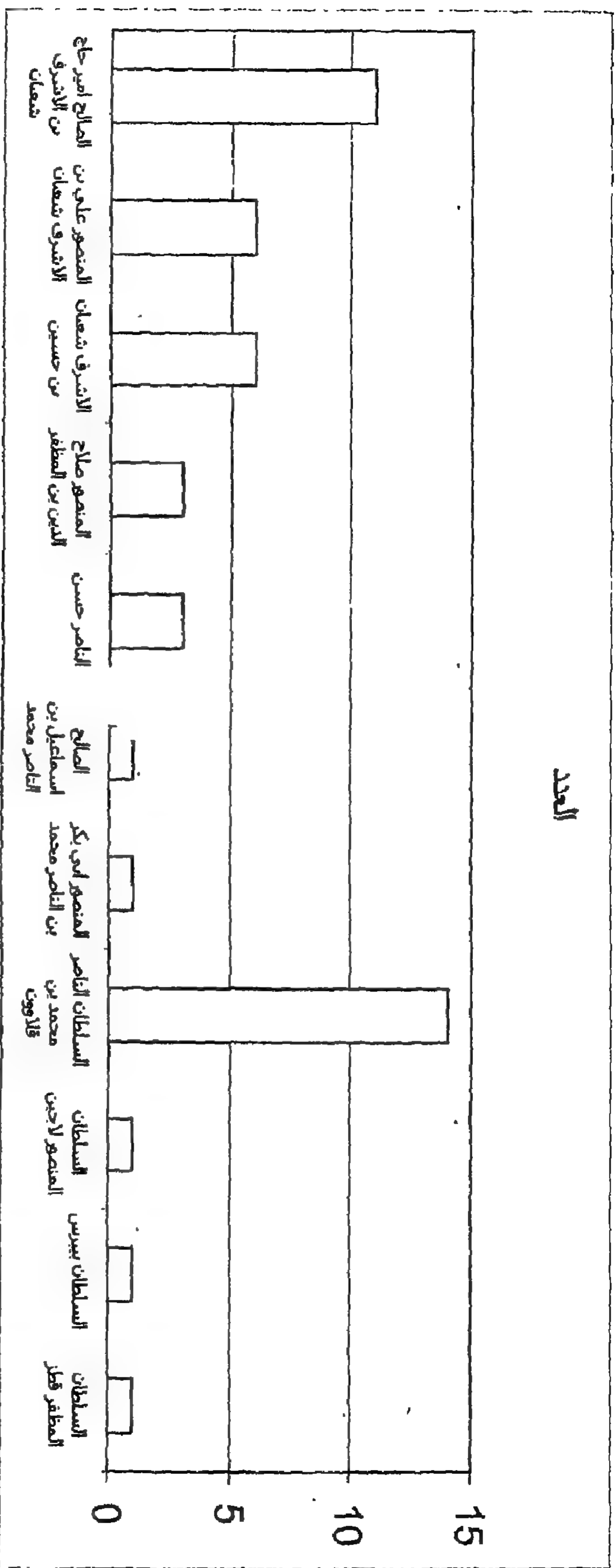
³⁹³ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٦١ - ٦٢؛ التبر المسبوك، ص ٢٦٢.

³⁹⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٠٧.

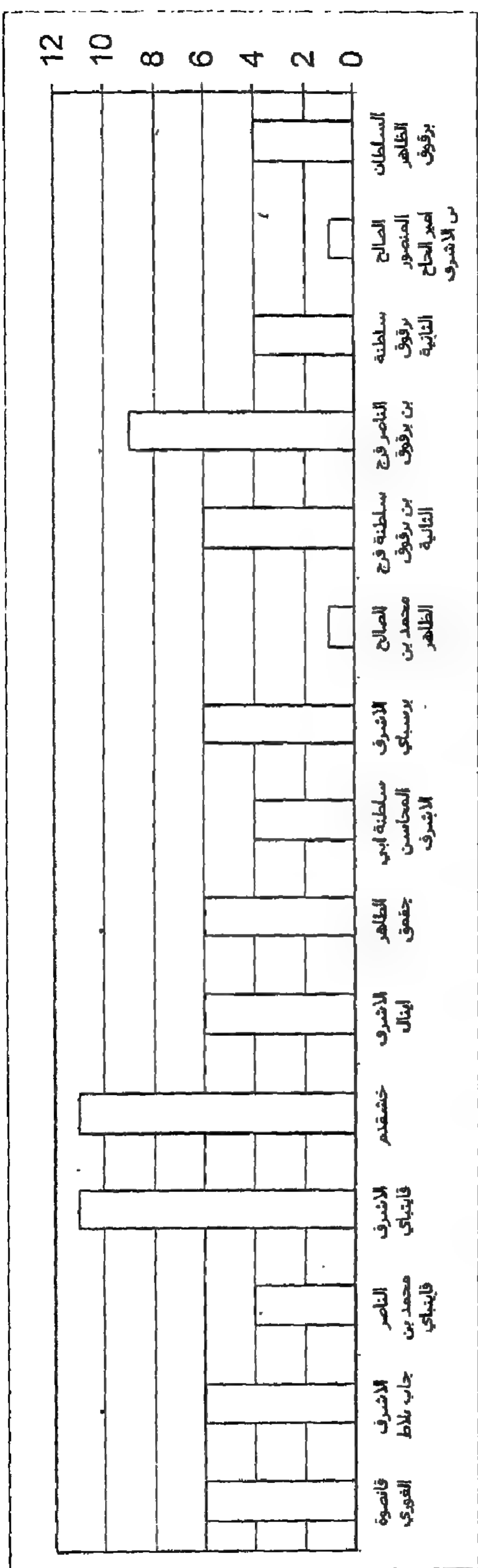
³⁹⁵ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٤٢٣.

³⁹⁶ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٥، ص ١١٦.

³⁹⁷ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ١٢٣.

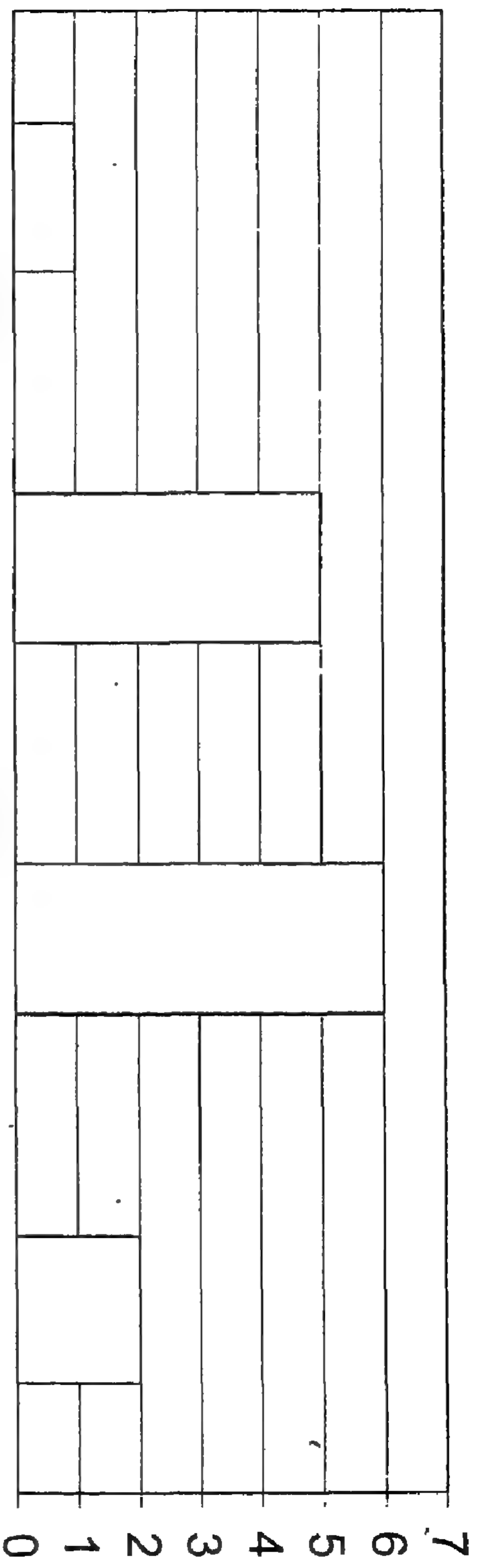


شكل (١) التوزيع العددي لعاجب البحريّة



شكل (٢) التوزيع العددي لحاجب الحجاب بدولة المماليك الجراكسة

三



الصالح امير حاج بن الأشرف
شعمان

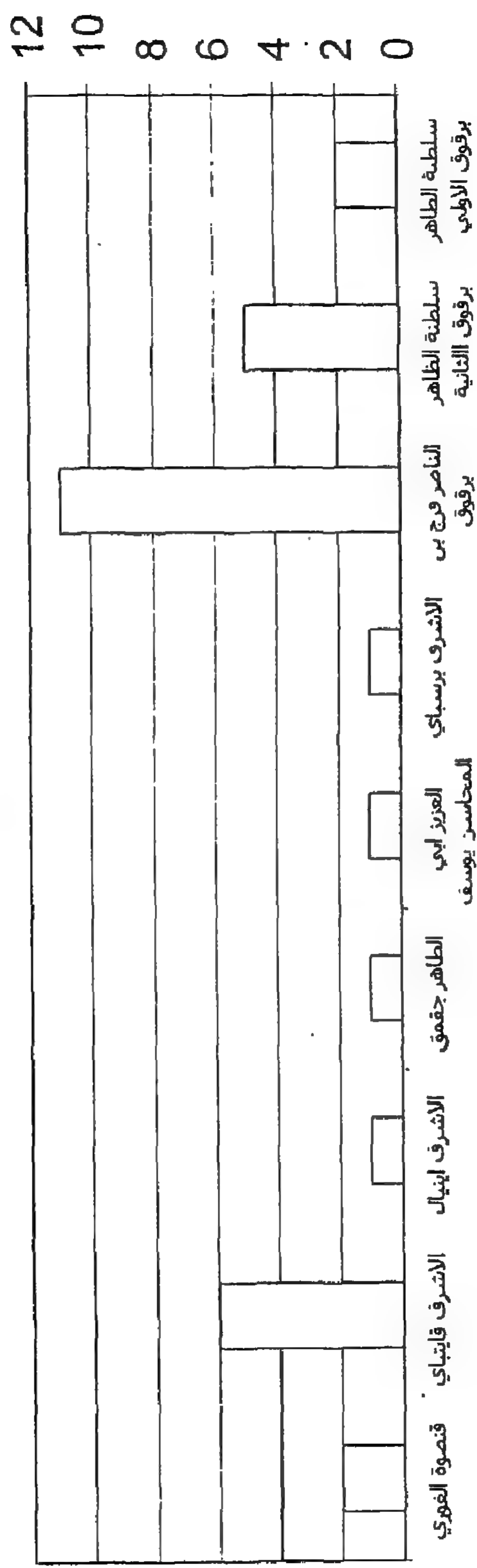
الأشرف شعبان بن حسين

الناصر محمد بن قلاوون

المنصور الاجين

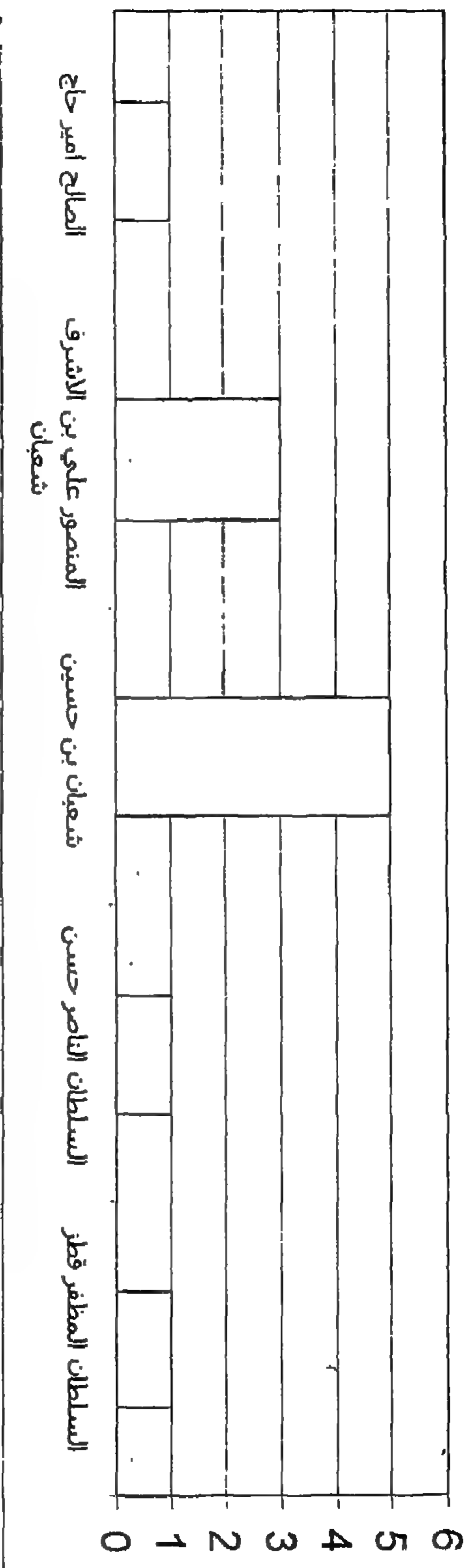
شكل (٣) التوزيع العددي لوظيفة الحاجب بدولة المماليك البحرية

المماليك الجراكسة العدد



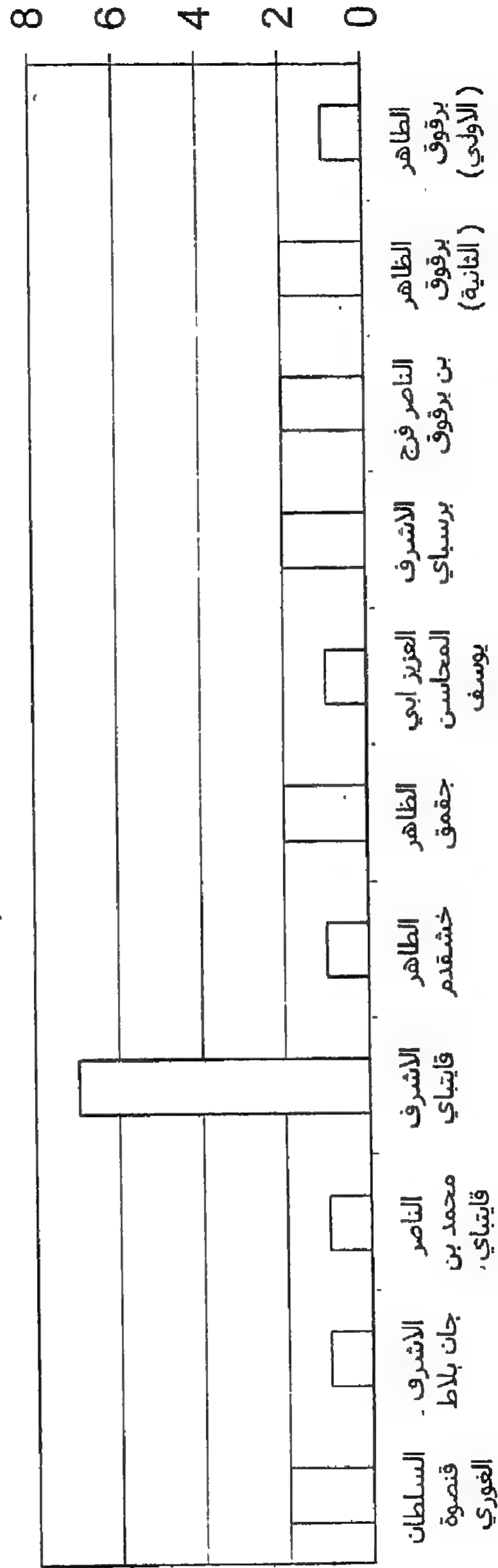
شكل (٤) التوزيع العددي للحاجب بدولة المماليك الجراكسة

المسألة السادسة العدد



شكل (٥) التوزيع العددي لحاجب ميمنة في دولة الممالك البحرية

المطابق الجرا كسة العدد



شكل (٦) التوزيع العددي لحاجب ميمنة في دولة المماليك الجراكسة

يمكن القول بأن عصر سلاطين المماليك قد شهد تعيين العديد من الحجاب بمصر
ما بين حاجب حجاب (أمير حاجب أو حاجب كبير)، وحاجب، وحاجب ثان (حاجب ميمنة)،
وحاجب ميسرة، وحاجب ثالث، وحاجب رابع، وحاجب خامس، وحاجب صغير.

ويستشف من الجداول البيانية السابقة والجداول الواردة في ختام البحث، أن بعض
الحجاب شغلوا هذه الوظيفة عدة سنين مثل أقبای بن عبد الله الطرنطاوى في ثبت حاجب
الحجاب، والبعض الآخر استقر في الوظيفة لمدة عام واحد ثم ترك المنصب بسبب ولايته
لنسيابة الشام، ثم عاد للمرة الثانية في منصب الحجوبية مثل أقتمر عبد الغنى التركى في ثبت
حاجب الحجاب.

وقد شغل بعض الحجاب المنصب لمدة ثلاث سنوات مثل أيدكار بن عبد الله العمرى
في ثبت حاجب الحجاب. أما إينال بن عبد الله الأزعرى في ثبت حاجب الحجاب وطوغان بن
عبد الله السيفى في ثبت حاجب الحجاب قد شغل المنصب لمدة ست سنوات، وببيرس العلائى
حاجب الحجاب دمشق فقد تولى الوظيفة من عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م ومات في عام ٧١٢هـ /
١٣١٢م أى أنه ظل في منصب الحجوبية لمدة تسع سنوات.

وبالنسبة لتغرى بردى البكلمشى المعروف بالمؤذى في ثبت حاجب الحجاب، فقد
شغل الوظيفة لمدة أربع سنوات مثل جانبك القرمانى الذى شغلها أيضاً أربع سنوات، والبعض
الآخر شغلها لمدة خمس سنوات مثل سودون القاضى الظاهرى في ثبت حاجب الحجاب.
وهناك من استقر في هذه الوظيفة لمدة سنتين مثل سودون قراسقل وطوغان
العثمانى في ثبت حاجب الحجاب.

وتكشف الجداول والإحصائيات عن أشخاص شغلوا الوظيفة أكثر من عشر سنوات
مثل طيطق الأحمدي الحاجب الثانى بمصر.

وهناك من تولى هذه الوظيفة أكثر من مرة مثل أقتمر عبد الغنى التركى وطرنتاوى
البشمقدار الناصرى حاجب الحجاب ويكشف الثبوت أيضاً أن جميع من تولى وظيفة الحجابة
في العصر المملوكى كان من طبقة المماليك وليس من عامة الشعب.

ويفهم كذلك من دراسة تراجم هؤلاء الحجاب أن هذه الوظيفة كانت دائماً ذات بريق
أخاذ يسيل لعاب الطامعين، والدليل على ذلك كثرة حالات البذل والبرطلة والمبالغ الكبيرة
التي بذلت على هذه الوظيفة زمن سلاطين المماليك.

وينبغى الإشارة إلى أن بعض هؤلاء الحجاب قد استطاع أن يجمع بين الحجابة
وظائف أخرى كنيابة السلطنة، مثل سودون بن عبد الله الفخرى الشيخونى في ثبت حاجب
الحجاب، وجانبك الحاجب، وسودون بن عبد الله المظفرى حاجب حلب ونائبها ومنكلى بغا
بن عبد الله الصلاحى محتسب القاهرة وأحد الحجاب وعلى بن عبد الله الأمير علاء الدين
الطبلاوى والى القاهرة، ونقيب الجيش، وأمير حاجب وتغرى بردى البكلمشى المعروف

بالمؤذى حاجب الحجاب الذى تولى وظيفة الدويدارية الكبرى وأقتمر عبد الغنى التركى نائب الشام وحاجب الحجاب و خليل بن عرام نائب الإسكندرية وحاجب الحجاب، وعلى بن قشتمر التركى نائب الإسكندرية وحاجب ثانى ومبارك شاه الظاهرى الذى شغل منصب الحجوبية إلى جانب نسيابة الإسكندرية والوزارة والاستادارية والتاج الوالى الذى اجتمعت له عدة وظائف مثل ولاية القاهرة والحجوبية وشد الدواوين، والمهندارية.

بقيت ملاحظة أخيرة هى أنه من بين هؤلاء الحجاب من لم نعثر على تاريخ استقرارهم في المنصب، و لم نعثر أيضاً على تاريخ وفاتهم، و تعرضوا للمصادرة والقتل بل وهلك بعضهم تحت العقوبة.

وتعكس الرسومات البيانية السابقة أن أقل عدد للحجاب زمن السلاطين المماليك البحرية كان في عهد السلاطين قطز وببيرس والمنصور لاجين، حيث تذكر لنا المصادر حاجبا لكل منهم. أما أكبر عدد للحجاب فقد وصل ١٤ حاجبا في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، على اثر إلغائه وظيفة نائب السلطنة وانتشار البذل والبرطلة من أجل الحصول على الوظائف العالية، يليه ١١ حاجبا في عهد السلطان الصالح أمير حاج بن الأشرف شعبان.

أما في عهد سلاطين المماليك الجراكسة فقد بلغ عدد الحجاب أوجه في عهدي السلاطين خشقدم والأشرف قايتباى، حيث بلغوا ١١ حاجبا لكل منهما، ولعل السبب الرئيسى في هذه الزيادة هو ما كانوا يبذله الأمراء من رشاوى وهدايا من أجل الحصول على منصب الحجابة؛ كما كان للرضى السلطانى عن بعض الأمراء دوره في توليهم الحجابة. يليهما السلطان الناصر برقوق الذى بلغ عدد الحجاب في عهده ٩ حجاب.

الحياة الثقافية والأعمال الفنية للحجاب

دور الحجاب في الحياة الثقافية:

والآن إذا ما أردنا التحدث عن دور الحجاب في الحياة الثقافية في المجتمع المملوكى لا نجد في بطون المصادر التاريخية المملوكية التى أرخت لتلك الفترة إشارات تفيد وجود إنجازات علمية أو أدبية للحجاب، إلا إشارة بسيطة عابرة أوردها ابن إياس تتعلق بالحاجب خليل بن عرام فيذكر "كان خليل بن عرام فكه المحاضرة وله مشاركة في العلم، وكان فطنا ذكياً، وله نوارد وحكايات يذاكر بها، وكان ألف تاريخاً مفيداً في وقائع الأحوال، والتوفيات وغير ذلك، وفيه يقول الشهاب أحمد بن العطار:

أيا ابن عرام قد سمرت مشهرا *** وصار ذلك مكتوبا ومحسوبا

مازلت تجهد في التاريخ تكتبه *** حتى رأيناك في التاريخ مكتوباً^{٣٩٨}
وقد أسهم بعض الحجاب أيضاً في الحياة الفنية زمن سلاطين المماليك، يشهد بذلك
بعض التحف التي صنعت برسمهم، ووصلنا بعض منها تمثلت في المصنوعات الزجاجية
الأمري الذي يبين مدى الثراء الذي عاشه هؤلاء الحجاب زمن المماليك.

التحف الزجاجية:

ازدهرت صناعة الزجاج بعامة في عصر المماليك، وساعد على ذلك ما ورثه
صناع الزجاج في ذلك العصر من تقاليد صناعية راسخة ترجع إلى آلاف السنين، ثم أخذت
تتقدم فيها على مر السنين.

ولقد تفوق صناع الزجاج في عصر المماليك في صناعة الزجاج المموه بالمينا
والذهب الذي لاقى إقبالا شديداً في شتى أنحاء العالم،^{٣٩٩} ومن هذه التحف التي تخص الحجاب
المشكاوات.^{٤٠٠}

ولدينا مشكاة باسم الأمير ألماس على رقبتها ثلاثة رنوك بها شارة هذا الأمير،
وعليها كتابة نصها "مما عمل برسم الجامع المعمور يذكر الله تعالى وقف المقر العالي السيفي
ألماس أمير حاجب الملك الناصري والمعروف أن الجامع المذكور بنى عام ٧٣٠هـ/
١٣٣٠م. وعلى قاعدة هذه المشكاة توقيع الصانع في كتابة تقرأ "عمل العبد الفقير على بن

³⁹⁸ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

³⁹⁹ حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م ٢، ط ١، القاهرة، ١٩٩٩م. ص ٢٥٧.

⁴⁰⁰ أطلق علماء الآثار والفنون الإسلامية كلمة مشكاة على الإناء الزجاجي الذي كان يوضع فيه المصباح، وكان
من فوائده حفظ نار المصباح من هبات الهواء وتحولها إلى ضوء ينتشر. حسن الباشا، الآثار الإسلامية،
القاهرة، ١٩٩٦؛ ص ٢٧٠؛ موسوعة العمارة، ص ٢٥٦؛ ولقد وردت كلمة مشكاة في سورة النور الآية (٣٥). الله
نُورِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...".
والمشكاة هي اللغة هي كل كوة غير نافذة وربما قصد بها في القرآن الكريم موضع الفتيلة أو الزجاجية التي
يستصبح فيها تشبيها لها بالمشكاة أو ربما قصد بها الحديد التي يعلق عليها القنديل النور، حسن الباشا، موسوعة
العمارة والآثار، ص ٢٥٦. أحمد عبد الرازق، الفنون الإسلامية في العصرين ص ٢٦٧. أما المشكاة نفسها فكانت
تعلق في داخل المساجد وغيرها بسلاسل من القضة أو النحاس الأصفر تشبك بالمقابض التي تلف حول بدن
المشكاة، وكانت السلاسل تجمع أحياناً عند كرة مستديرة أو بيضوية تتصل بها سلسلة تنزل من السقف انظر، دليل
متحف الفن الإسلامي، دار الآثار العربية سابقاً، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ١٣٥؛ حسن الباشا، موسوعة الآثار، ص
٢٥٦. وتشبه المشكاة في شكلها العام إناء الزهور، فهي ذات بدن ملتفخ ينساب إلى أسفل، وينتهي بقاعدة، ولها
رقبة على هيئة قمع متسع وألوانها بين الأحمر والأخضر والأبيض والوردي، انظر، حسن الباشا، الآثار
الإسلامية، ص ٢٧٠ - ٢٧١؛ موسوعة العمارة والآثار، ص ٢٥٦.

محمد أمكى غفر الله^{٤٠١} هكذا، يشير النص التاريخي الوارد على بدن هذه المشكاة إلى وظيفة أمير حاجب، والتي كان يتوليها ألماس عام ١٣٣٠م.

وتمثل الكتابة على المشكاوات الخاصة بالحجاب أهمية قصوى بالنسبة للدراسات الاجتماعية والتاريخية والأثرية والتي يطلق عليها الكتابات التذكارية، إذ إنها تتضمن في كثير من الأحيان اسم من صنعت برسمه المشكاة مصحوباً بألقابه الفخرية والوظائفية وبعض الأدعية المناسبة له، خاصة إذا كان من بين السلاطين أو كبار الأمراء، بالإضافة على اسم المكان الذي صنعت برسمه المشكاة لتوضع فيه مثل "برسم الجامع المعمور" الذي ورد على مشكاة ألماس الحاجب من سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م. المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي، وقد يرد على المشكاة أيضاً اسم الصانع الذي قام بصنعها مثل "عمل العبد الفقير على بن محمد أمكى.... أو السرمكى، نسبة إلى مدينة رمكة ببلاد الشام الذي نجده مدوناً على المشكاة السابقة.^{٤٠٢}

التحف المعدنية:

يعتبر العصر المملوكي بمثابة العصر الذهبي للصناعات المعدنية، إذ وصلت فيه منتجاتها إلى قمة نضجها الصناعي الفني، وقد ساعد على ذلك إقبال السلاطين والأمراء المماليك على اقتناء التحف المعدنية، مما كان له أكبر الأثر في كثرة المنتجات المعدنية التي اتسمت بدقة صنعها وغنى زخارفها بالكثير من العناصر النباتية والهندسية بالإضافة إلى رسوم الكائنات الحية الآدمية والحيوانية ورسوم الطير المخلق بجناحيه في الهواء مما أضفى على الزخارف حياة وحركة نلمسها في معظم ما وصلنا من تحف معدنية من هذا العصر، ولا ننسى الكتابة العربية التي نقشت بالخطين الكوفي والنسخ أو بخط الثلث الذي اشتق من الخط الأخير.^{٤٠٣}

⁴⁰¹ دليل متحف الفن الإسلامي، ص ١٣٥ - ١٣٦ محمد مصطفى، متحف الفن الإسلامي، ط ١، القاهرة ١٩٥٤

م، ص ٩٤ - ٩٥ Lamm, C. J., *Mittelalterliche Gläser und steinschnittarbeiten aus dem Nahen Osten*, Berlin, 1930, pp. 437-438; Wiet, Lampes, p.123 No 3154. Max Herz, B., *Catalogue raisonné des monuments exposes dans le musée national de l'art arabe*, Le Caire, 1906, pp. 314-316 no 4; Gayet, AL, *L'art arabe*, Paris, 1893, p. 241; Lane Poole, *Art of the Saracens in Egypt*, pp. 210, 219; Hiba Alī Yūsuf, *Le clairage à l'époque Mamlūke en Egypte*, Paris, 2001, p .PL. XLII; Gayet. AL., *L'art arabe*, p. 247; Max Herz, *Catalogue*, pp. 314-316.

⁴⁰² أحمد عبد الرازق، الفنون الإسلامية في العصريين الأيوبي والمملوكي، ص ٢٦٨. Herz, *Le musée national de l'art arabe*, pp. 314-316; Lamm, C. J., *Mittelalterliche Gläser und steinschnittarbeiten aus dem Nahen Osten*, Berlin, 1930, p. 488. Lamm, *Mittelalterliche Gläser*, pp. 437-438.

⁴⁰³ محمد الأشقر، نائب السلطنة المملوكية، ص ٢٧٤.

وقد وصلنا العديد من التحف المعدنية التي نجد من بينها تحفا صنعت برسم بعض الحجاب.^{٤٠٤} ومن التحف التي صنعت برسم بعض الحجاب نذكر سلطانية من النحاس مطلية بالقصدير، تحمل رنك باسم تمر أمير حجاب المتوفى عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، مما عمل برسم المقر الأشرف العالي المولوى الأميرى الكبيرى تمر أمير حجاب الحجاب بالقاهرة المحروسة عز أنصار.^{٤٠٥}

وهناك طبق من النحاس المطلى بالقصدير، وآخر من البرونز ظهر عليه رنك الحجاب أزبك من ططخ المتوفى عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م، مما عمل برسم الحجاب الكريم العالي المولوى الأميرى الكبيرى المخدمى السيفى نوروز أمير دوا دار المقر السيفى أزبك أتاك العساكر المنصورى.^{٤٠٦}

المنشآت المعمارية للحجاب

لم يسهم الحجاب بنصيب وافر في حركة الإنشاء والتعمير التي شهدها عصر سلاطين المماليك، وسوف تحاول الباحثة ذكر بعض الأعمال المعمارية التي تركها الحجاب سواء كانت عمائر دينية مثل المساجد الجامعة والمدارس، أو عمائر مدنية كالدور والقناطر والرحاب.

أولاً: العمائر الدينية "الجوامع":

١- جامع ألماس أثر رقم ١٣٠:٤٠٧

يقع هذا الجامع عند تقاطع أول الحلمية بشارع القلعة (محمد على) بناء الأمير سيف الدين ألماس حجاب الحجاب، واتم عمارته في عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م^{٤٠٨} وبهذا الجامع رخام كثير نقله من بلاد الشام.^{٤٠٩}

⁴⁰⁴ Esin-Atil, *Art of the Arab World*, Washington D.C., 1975, p. 92; *Art of the Mamluks*, p.197.

⁴⁰⁵ Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.231 pl. LXVIII.

⁴⁰⁶ Wiet, G., *Catalogue General du musee arabe du Caire objets en cuivre*, Le Caire, 1932, Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp. 244-245.

⁴⁰⁷ فهرس الآثار المصرية - بمدينة القاهرة، مصلحة المساحة ١٩٥١م ص ٢.

Lane-Poole, *Art of the Saracens*, pp.210-211; Herz Max, *Catalogue raisonné*, pp.316-317; Lamm-Johan, *Mittelalterlich Glgser*, pp. 437-438; Mayer, *Saracenic Heraldry*, pp. 241-242;

Ét. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet, *Répertoire chronologique d'épigraphie arabe*, p.262; Wiet, *Lampes*, p.123.

⁴⁰⁸ الأمير سيف الدين ألماس الحجاب هو أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، رقاء إلى أن صار من أكبر الأمراء، وعظمت منزله ألماس، عندما خرج الأمير أرغون إلى نيابة حلب، وبقي منصب النيابة شاغراً، وصار ألماس في منزلة النيابة إلا أنه لم يسم بالنائب. المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٠٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة ١٩٧٩م، ج ٣، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ Mayer, *Saracenic Heraldry*, p.241; Ét. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet, *Répertoire chronologique d'épigraphie*

٢- جامع أسنبغا أثر رقم ١٨٥:

بدأ الأمير أسنبغا في بناء هذا الجامع عام ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م ومات قبل إتمامه.^{٤١٠}

ثانياً: المدارس:

انتشر زمن سلاطين المماليك الاهتمام بتشييد المدارس التي تثير الإعجاب بسبب ضخامتها وزخرفتها التي بنيت بفن معماري رفيع^{٤١١} ولم يكن للحجاب نصيب وافر في بناء هذه المدارس.

١- المدرسة السبوكرية (مدرسة الأمير أسنبغا): أنشأ هذه المدرسة الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر الأبوكري.^{٤١٢} ويحدثنا المقرئ عن مدرسة أسنبغا فيقول "تقع هذه المدرسة بجوار درب العباسي قريباً من حارة الوزيرية بالقاهرة، بناها الأمير سيف الدين أسنبغا ووقفها على الفقهاء الحنفية، وبنى جوارها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للأيتام وذلك في عام ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م، وبنى قبالتها جامعاً فمات قبل إتمامه.^{٤١٣}

٢- مدرسة خليل بن عرام: أنشأ حاجب الحجاب خليل بن عرام مدرسة عند قنطرة أمير حسين بن جندر المطلة على الخليج الحاكمي من حكر النوبى خارج القاهرة، مات ودفن بها.^{٤١٤}

ārahe, p.260 No 5579; Wiet, *Lampes*, p.123; Lamm, *Mittelalterliche Gläser*, p.488.

الماس بضم الألف وسكون اللام وفتح الميم معناه باللغة التركية "خالد". أحمد فكرى، تاريخ المساجد الأثرية بالقاهرة، ط ١ بيروت ١٩٩٣م، ج ١، ص ١٣٦.

⁴⁰⁹ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٠٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٣، ص ١٧٤؛ فهرس الآثار الإسلامية، ص ٢. وعن الوصف المعماري لجامع الماس الحاجب انظر سعاد ماهر مساجد مصر، ج ٣، ص ١٧٦.

⁴¹⁰ فهرس الآثار الإسلامية، ص ٢.

⁴¹¹ جاستون فيت، القاهرة مدونة الفن والتجارة، ترجمة مصطفى العبادى، بيروت ١٩٦٦م، ص ١٦٦؛ محمد الأشقر، نائب السلطنة المملوكية، ص ٣٠٠.

⁴¹² جلب إلى مصر في عهد السلطان المنصور قلاوون وتربى في طباق القلعة، وقد ظهرت مواهبه وهو في سن مبكرة مما جعل السلطان يقربه منه ويضمه إلى بلاطه، تدرج في الوظائف العسكرية حتى وصل إلى نيابة الإسكندرية ثم نيابة حلب، وكانت أسعد أيام أسنبغا في عهد السلطان الأشرف أبو المعالى زين الدين شعبان بن حسين. المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٩٠ - ٣٩١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣١٧؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٤، ص ٢٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٤٢، ١٦٢.

⁴¹³ المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٣٩٠ - ٣٩١؛ وعن الوصف المعماري للمدرسة انظر سعاد ماهر، مساجد مصر، ج ٤، ص ٢٧ وما بعدها.

⁴¹⁴ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٧٥.

ثالثاً: العمائر المدنية:

١- دار الحاجب:

أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب، تقع هذه الدار فيما بين الخرنقش^{٤١٥} وحارة برجوان، ولما عمر الأمير بكتمر هذه الدار جعل بها اصطبلًا، وقام بتركيب باب بخوخة مما يلي حارة برجوان، واشترط عليه الناس أن لا يمنع المارة من العبور في هذا المكان، فوفى بما اشترط، وأصبح الناس يمرون من هذا الطريق في وسط الاصطبل سالكين من حارة برجوان إلى الخرنقش، وكان يقال لها خوخة الحاجب.^{٤١٦}

٢- دار بيبرس الحاجب:

تقع هذه الدار بخط حارة العدوية^{٤١٨} بالقاهرة داخل باب الزهومة،^{٤١٩} وكانت مشهورة به.

٣- دار الحاجب:

تقع خارج باب النصر تجاه مصلى الأموات، أنشأها الأمير سيف الدين كهرداش المنصوري أحد المماليك الزراقيين، وهو الذي قام بفتح جزيرة أرواد، وتولى عمارة ومأذنة المدرسة المنصورية عندما تهدمت في الزلزلة، توفي عام ٧١٤هـ / ١٣١٤م، فاشترى هذه الدار الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ولم تزل بها ذريته.^{٤٢٠}

٤- دار ألماس:

⁴¹⁵ حي الخرنقش كان ميداناً للخلفاء الفاطميين، وكان لهم سرداب تحت الأرض مدخله من باب القصر يمرون فيه إلى الميدان المذكور راكبين، ثم جعل مصرفاً للماء لما بنيت المدرسة الصالحية، ولما تولى المعز أيبك التركماني السلطنة بنوا به اصطبلات. وكلمة الخرنقش تعني ما يتحجر مما يوقد به في مياه الحمامات من القمامات والمخلفات وغيرها، ويمكن تحديده الآن بحي الجمالية. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣، ص ٣٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٤، ص ٤٧ هامش ٥؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، جـ ٥، ص ١٢٠؛ علي مبارك، الخطط التوفيقية، جـ ٢، ص ١٢؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية، ص ٩٥ هامش ٦٧.

⁴¹⁶ المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ٥٤.

⁴¹⁷ بيبرس بن عبد الله المنصوري الحاجب، من مماليك الملك المنصور قلاوون، وترقى إلى أن صار أمير أخوراء، واستمر إلى أن عزله الملك الناصر محمد عند حضوره من الكرك بالأمير أيدغمش وولاه الحجوبية. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ ٣، ص ٤٧٤ ترجمة ٧٢٠.

⁴¹⁸ الظر المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ١٦.

⁴¹⁹ عرف بهذا الاسم (أي باب الزفر) لأنه لا يدخل اللحم وغيره إلا منه فأختص بذلك، وحل مكان باب الزهومة المدرسة الصالحية أي مدرسة السلطان الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية، المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ٣٧٤؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ٤٢ هامش ٣٢.

⁴²⁰ المقرئزي، الخطط، جـ ٢، ص ٥٥.

تقع هذه الدار بخط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدرة البقر بجوار جامع ألماس أنشأها الأمير ألماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة وجلبه البلاد، فلما قتل في عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بقلع ما في الدار من الرخام، ونقل إلى القلعة، وهذه الدار باقية إلى وقت وفاة المقرئ في عام ٨٤٥هـ/ ١٤م.^{٤٢١}

٥- دار طينال:^{٤٢٢}

تقع هذه الدار بخط الخراطين في داخل الدرب الذي كان يعرف بخربة صلاح، وكان موضعها وما حولها في الدولة الفاطمية مارستاناً، أنشأ هذه الدار الأمير طينال، وهذه الدار تشتمل على قائمتين متجاورتين وتعتبر من الدور الجليلة، ولطينال أيضاً قيسارية بسويقة أمير الجيوش.^{٤٢٣}

رابعاً: الرحاب:

ومن أعمال بعض الحجاب المعمارية نشير أيضاً إلى رحبة بيبرس الحاجب، ويجب أن ننوه أن الرحاب كانت تقام أمام دور الأمراء لاستقبال القادمين أو كاستراحات للمارين عبر الطريق إلا أنها قد اندرست.^{٤٢٤}

رحبة بيبرس الحاجب:

أنشأها الأمير بيبرس بن عبد الله المنصوري الحاجب بخط حارة العدوية عند باب سر الصناعة، عرفت بالأمير بيبرس الحاجب لأن داره كانت بها، وبهذه الرحبة الآن (زمن المقرئ) فندق الأمير الطواشي زمام الدور السلطانية زين الدين مقل، ولذلك يعرف هذا الخط بفندق الزمام.^{٤٢٥}

خامساً: قنطرة الحاجب:^{٤٢٦}

أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب في عام ٧٢٦هـ/ ١٣م، ولما عمرت القنطرة، اتصلت العمائر فيما بينها وبين كوم الریش، وعمر قبالتها ربع،^{٤٢٧} عرف برقع الزينى، وكان على ظهر القنطرة صفان من الحوانيت عليها سقيفة تقى حر الشمس وغيره.^{٤٢٨}

⁴²¹ المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٦٤.

⁴²² الأمير طينال أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون أقامه ساقياً ثم حاجباً صغيراً ثم جعله أمير مائة مقدم ألف، فباش ذلك مدة ثم أخرجه للنيابة طرابلس، ثم صفد، وتوفي في عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، وكان تترى الجنس قصير إلى الغاية مليح الوجه، مشكوراً في أحكامه محباً لجمع المال، المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٧٦؛ Van Berchem, *Matériaux*, pp. 89-90.

⁴²³ المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٧٤؛ سعاد ماهر، مساجد مصر، ص ١٧٥.

⁴²⁴ المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٧٦.

⁴²⁵ المقرئ، الخطط، جـ ٢، ص ٤٩، محمد الأشقر، نائب السلطنة، ص ٣٢٧.

⁴²⁶ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ١، ص ٤٥٩. Michael Meinecke, *Die mamlukische Architektur in Ägypten und Syrien (648/1250 Bis 923/1517)* tell II, Glückstadt, 199, p.466, no 78.

الخاتمة

وفى الختام تكشف لنا الدراسة عن مدى أهمية الدور الذى لعبه الحجاب في العصر المملوكى والذى برز بصورة كبيرة في عصر دولة المماليك الجراكسة.

ونتيجة لتزايد عدد الحجاب في مصر عصر سلاطين المماليك كان لابد وأن يقابله تزايد مستويات ومراتب الوظيفة فأصبحنا نسمع عن الحجوبية الأولى أو حاجب الحجاب. ويبدو أن الأهمية الزائدة للوظيفة واتساع نطاق اختصاصات الحجاب زمن المماليك كانت وراء المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير حساب لأجل هذه الوظيفة.

وقد ارتبطت الزيادة السريعة في عدد الحجاب بمصر بإلغاء السلطان الناصر محمد لوظيفة نائب السلطنة مما ترتب عليه تعاظم أهمية الحجابة.

ويلاحظ أن تزايد عدد الحجاب لم يقتصر على الديار المصرية فحسب بل وصلت هذه الزيادة إلى سائر نيابات وأقاليم الدولة المملوكية.

وقد تزايد عدد الحجاب في عهد السلطان الواحد كلما تزايد مقدار البذل فيها خاصة فترة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فقد وصل عدد الحجاب في عام ٧٠٩هـ/٧٤٠هـ إلى أربعة عشرة حاجباً.

وقد ترتب على ظاهرة البذل والبرطلة على وظيفة الحجاب أن قصر متوسط مدة الوظيفة وبالتالي كثرة عدد متوليها من الحجاب في فترة ما.

لقد عادت الحجابة وظيفة نيابة السلطنة بل وصل الأمر إلى درجة أن حلت محلها في المرتبة والأهمية بحيث انتقلت إلى من يشغلها اختصاصات نائب السلطنة.

يضاف إلى ذلك شراهة الحجاب في جمع الأموال بأى صورة من الصور، وقد تفاقم الحال زمن المؤيد شيخ الذى اعتلى كرسى السلطنة عام ٨١٠هـ/١٤١٢م.

كذلك ترتب على البذل أيضاً ظاهرة جديدة هى الجمع بين عدة وظائف في آن واحد، وأيضاً الاستنابة فيها، بل وأحياناً إلى التنازل عنها نظير مبلغ من المال مما أفضى ليس فقط إلى فساد هذه الوظائف وتدهورها، بل إلى تدهور النظام المملوكى كله، بعد أن سرى الفساد في جميع أركان الدولة، حتى سقطت في النهاية فريسة، سهلة أمام الغزو العثمانى في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

⁴²⁷ الربع جمع رباع وهو مجموعة من المساكن المؤجرة للغير تجمع حول صحن ويكون له في الغالب مدخل واحد وسلم واحد، ويصل ارتفاع الربع إلى أربعة أو خمسة طوابق، ويتم الوصول إلى المساكن عن طريق طريقة تدور حول الصحن، وتوجد مجموعة من الحوائط بالجهة المظلة على الشارع من الطابق الأرضي، والربع مخصص لسكن الطبقات الشعبية بأجور شهرية زهيدة. ابن تترى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٣٠٣ هامش ٤٣ حسين مصطفى، طوائف الحرفيين، ص ٢٠٣؛ سعيد عاشور، العصر المماليكى، ص ٤١٨؛ محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، ص ٤٤، هامش ٤٦.

⁴²⁸ ابن إيبك، كنز الدرر، ج ٩، ص ٣٢٠.

الجداول والأشكال

١ - ثبت بحجاب الدولة المملوكية الأولى

٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢م

أولاً: حاجب الحجاب:

الاسم	تاريخ تولية	تاريخ عزله	تاريخ وفاته	المصادر
أياجى بن عبد الله الحاجب أحد أمراء السلطان المنصور قلاوون، ولى الحجوبية بمصر	٦٥٨هـ / ١٢٥٩م	؟	٦٨٦هـ / ١٢٨٧م	شافع بن على، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٤٥، ٥١؛ العينى، عقد الجمان، ج ١، ص ٤٠ - ٤١؛ المقرئى، السلوك، ج ١ ق ٢، ص ٤٣٨؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج ٣، ص ١١٩، ترجمة رقم ٥٦٥؛ الدليل الشافى، ج ١، ص ١٥٨ رقم ٥٦٤؛ المنصورى، التحفة المملوكية، ص ١٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٣١٠، ج ٤، ص ٦٧.
سنقر الرومى حاجب الحجاب	٦٦٠هـ / ١٢٦١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٣١٧.

* هذا للثبث مؤرخ بسنة الاستقرار - الوفاة كلما أمكن.

قطلوبك بن عبد الله المنصوري حاجب الحجاب بمصر	٦٩٨هـ / ١٢٩٨م	؟	٧١٦هـ / ١٣١٦م	ابن تغري بردى، الدليل الشافى، جـ ٢، ص ٥٤٧، رقم ١٨٧٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٣، ص ٣٣٧، رقم ٣٢٦٤ وفيه "سجن بالكرك إلى أن قتل في سنة ٧١٦ هـ"؛ ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ١٣.
بيبرس العلائي حاجب حجاب دمشق	٧٠٤هـ / ١٣٠٤م	؟	٧١٢هـ / ١٣١٢م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢، ص ٤٢ ، رقم ١٣٧٩.
الماس بن عبد الله الناصري حاجب الحجاب	٢١ رجب عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م	عزل وقبض عليه يوم الأربعاء ٢٠ من ذى الحجة عام ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م	٧٣٤هـ / ١٣٣٣م	زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، لندن، ١٩١٩م، ص ١٤٧؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ٢٤٠، الصفدي، الوافي، جـ ٩ ، ص ٣٧٠، رقم ٤٢٩٦ ؛ أعيان العصر، جـ ١ ، ص ٦١٥، رقم ٣٣٤، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ١، ص ٤٣٨، رقم ١٠٦٣؛ ابن تغري بردى، المنهل النافي، جـ ٣، ص ٨٩، رقم ٥٤٩؛ الدليل الشافى، جـ ١، ص ١٥٤، رقم ٥٤٨؛ ابن إيبك، كنز الدرر، ٢٩٨، ٢٩٢، ٣٤٤.

حياة ناصر الحجى، السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم سلاطين المماليك البحرية من سنة ٦٦١ هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، الكويت ١٩٩٧م، ص ٤٠.				
محمد بن الوزير حاجب حجاب دمشق	جمادى الأولى عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م	؟	؟	زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
قطلوبغا المغربى	٢٤ من جمادى الآخر عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، مدة أقامته في الحجابه شهرين ونصف	؟	؟	زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
علم الدين أسحق حاجب حجاب حلب	٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م	؟	؟	الصفدى، أعيان العصر، ج١، ص ٤٨٨ رقم ٢٤٧.
طرنتاى الناصرى حاجب حجاب دمشق	تولى الحجابه للمرة الثانية في شعبان عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م	٧٣٢هـ/ ١٣٣١م	٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م	الصفدى، أعيان العصر، ج٢، ص ٥٧٩-٥٨٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٣١٨، رقم ٢٠١٠.
بدر الدين مسعود بن الخطير حاجب الحجاب	٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م	؟	؟	زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ ابن إيبك، كنز الدرر، ج٩، ص ٣٤٤، ٣٧٤.

أيدغـدى الخوارزمى أقول حاجب حجاب دمشق	٧٣٤هـ / ١٣٣٣م	؟	؟	زيترشـتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
جاريك قفجق سيف الدين	٧٣٤هـ / ١٣٣٣م	؟	؟	زيترشـتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ الشـجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ١٧؛ ابن إبيك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٣٧٤.
محمود بن خطير	٧٣٤هـ / ١٣٣٣م	؟	؟	زيترشـتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
برسبغا الحاجب	٧٣٨هـ / ١٣٣٧م	؟	؟	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢ ص ٤٧٤؛ زيترشـتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٨؛ الشـجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٩٤، حياة ناصر الحجى، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع والخامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥م، ص ١٨١؛ Hayat Nasser AL-Hajji, The internal affairs in

Egypt During the third Reign of Sultan AL-Nāsir Muhammad B.Qālawūn, 709-741/1309-1341, Third Edition, Kuwait, 2000, pp. 88, 125-126.				
ابن إياس، بدائع الزهور ج ١ ق ١، ص ٤٧٦، ٤٨٩.	؟	قبض عليه عام ٧٤٢هـ / ١٣٤١م	؟	بشتاك الناصري حاجب الحجاب
الصفدي، أعيان العصر، ج ٢، ص ١٠٥، رقم ٥١٤؛ الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ٤٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ٥١٧.	؟	؟	٧٥١هـ / ١٣٥٠م	سيف الدين الحسنى حاجب الحجاب
ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٤٣ رقم ١٢؛ الدرر الكامنة، ج ١، ص ٤٢٠ رقم ١٠٠٨؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٤٩٣، رقم ٤٩٨؛ الدليل الشافي، ج ١، ص ١٤١، رقم ٤٩٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ٢، ٥٧٢، ٣٠، ٧١، ٢٨٩، ٣٠٠؛ محمد أحمد دهمان،	٧٨١هـ / ١٣٨١م	٧٥٨هـ / ١٣٥٦م بسبب ولايته نيابة الشام	؟	أقتمر بن عبد الله المعروف بعبد الغنى التركي حاجب حجاب القاهرة

ولاة دمشق في عهد المماليك، ط ٢، ١٩٨٤ م ص ٢٣٠.				
الجاي اليوسفي حاجب الحجاب	٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ١٧، ١٥٨١ ج ١ ق ٢، ص ١١٩.
أسنغا بن بكتمر الأمير سيف الدين أبو بكري حاجب حجاب مصر	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م	؟	٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م	المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٣٩٠ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ١، ص ١١١، ترجمة ٩٧٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ١٤٠، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٤٣٦ ترجمة ٤٦١؛ الدليل الشافي، ج ١، ص ١٣٢ رقم ٤٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٥٨٨.
طغاي تمر النظامي حاجب الحجاب	٧٦٣هـ/ ١٣٦١م	٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٥٨٧ ج ١ ق ٢، ص ٧٥.
طيفنا العلاي علاء الدين حاجب الحجاب	٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م استقر للمرة الثانية ربيع الأول ٧٦٨ هـ/١٣٦٦م	٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥، ٤٣، ٥٣.
أرغون شاه الأشرفي	٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢،

اليوسفي حاجب الحجاب				ص ٥٨.
قشـ ^{قشـ} المنصوري حاجب الحجاب	٧٦٨هـ / ١٣٦٦	؟	٢	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٣.
أقبغا اليوسفي حاجب الحجاب	٧٧٠هـ / ١٣٦٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٨٨ - ٨٩.
قطلوبغا المنصوري حاجب الحجاب بالقاهرة	٧٧٧هـ / ١٣٧٥م	؟		ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ١٤٤، رقم ٥٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٥٦، ١٩٨.
أقتمر عبد الغنى الحنبلـي حاجب الحجاب	٧٧٨هـ / ١٣٧٦	؟		ابن طولون، إعلام الورى بمن ولى نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢٩، رقم ٣٤، ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٦١، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٩٢، ٢٨٩، ٣٠٠.
طيدمر البالىسى حاجب الحجاب	٧٧٨هـ / ١٣٧٦م	؟		ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٦، ١٩٢، ١٩٧.
بلـ ^{بلـ} الصرغتمشى حاجب الحجاب	٧٧٩هـ / ١٣٧٧م	نفي عام ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٠٠، ٣٥٨.
تغرى برمش حاجب الحجاب	٧٧٩هـ / ١٣٧٧م استقر للمرة	٧٨٠هـ / ١٣٧٨م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢١٤، ٢٣١، ٢٩٠.

			الثانية ٧٨٣ هـ/١٣٨١م	
طشتمر بن عبد الله الشـعباني حاجب الحجاب	٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م	؟	٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص ٢٤٦ رقم ٢٣.
مأمور بن عبد الله القلمطاوي حاجب الحجاب بمصر	٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م	نفي ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م	ابن صصري، الدرّة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم م، كاليفورنيا، ١٩٦٣، ص ٦٧، ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص ١٩٣، ابن تغري بردي، السنجوم الزاهرة، جـ١٢، ص ١٢٢، الدليل الشافي، جـ٢، ص ٥٧٠ رقم ١٩٥٨، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق ٢، ص ٢٣١، ص ٢٩٠، ٤٤٠.
قطلوبغا بن عبد الله الكوكاي نسبة إلى معتقه الأمير كوكاي، حاجب الحجاب القاهرة،	٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م	٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م	٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م	المقريزي، السلوك، جـ٣ ق ٢، ص ٥١١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص ٢٩٨، الدليل الشافي، جـ٢، ص ٥٤٦ رقم ١٨٧٤، الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص ٩ رقم ١٩، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق ٢، ص ٢٦٤.
أيــــاس	٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	؟	٧٨٤هـ/ ١٣٨١م	ابن حجر، إنباء الغمر،

الصرغتمشى حاجب الحجاب	١٣٨١م		١٣٨٢م	جـ١، ص٢٦٥، رقم ٧ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق ٢، ص٢٨٧.
سودون بن عبد الله الفخري الشيخوني نائب السلطنة وحاجب الحجاب	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٢، ص١٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ١، ص٢٣٤، ٢٥٤ ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ٢، ص ٣٥، ٥٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق ٢ و ص ١٩٠، ٢٠٠، ٣٠٢، ٤٨٢.
طرنتاوي السيفي الكامل حاجب حجاب دمشق	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١ ق ٢، ص٣٠٨.

ثانياً: الحاجب:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
سيف الدين قطوبك الحاجب	٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م	؟	؟	بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص٣١٢؛ الصفدي، أعيان العصر، جـ٤، ص ١٢٢؛ ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ص ٤٩٢.
كرت أو كرد الحاجب	٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م	؟	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	بيبرس، الدوادار، زبدة الفكرة، ص٣١٠؛ ابن حجر، نيل الدرر

الكامنة، ص ٣٦٤.				
<p>ابن حبيب تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة مسعود عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٢، ص ١٨٣، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٠، ص ١٩٠ - ١٩٢، رقم ٤٦٧٦، أعيان العصر، ج ١، ص ٧٠٣ رقم ١٤٠٥، المقرئ، السلوك، ج ٢، ق ٢، ص ٣١٤، ابن إيبك، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٦٤، ص ٣٢٠ بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية، ص ٢٢٧، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٧ رقم ١٣٠٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٧٧، المنهل الصادق، ج ٣، ص ٣٨٦، رقم ٦٧٧، الدليل الشافي، ج ١، ص ١٩٤ رقم ٦٧٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٤٥، محمود رزق</p>	٧٣٨هـ / ١٣٣٧م	؟	٧١١هـ / ١٣١١م	<p>بكتمر بن عبد الله الحاجب الأمير سيف الدين</p>

سليم، عصر سلاطين المماليك، جـ ١، ص ٣١٩.				
ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢، ص ٢١ رقم ١٣٠٩، زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧، العيني، عقد الجمان، جـ ٤، ص ٣٥٨.	٧٢٤هـ/١٣٢٣م	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	٧١١هـ/ ١٣١١م	بكتمر الحسامي حاجب دمشق
الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ ٩، ص ٣٦١، أعيان العصر، جـ ١، ص ٦٠٠، رقم ٣٢٧، ابن ابيك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٢٦٤، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ١، ص ٤٠٨، ابن تغري بردي، المنهل الصادق، جـ ٣، ص ٥٣، رقم ٥٣٤، الليل الشافي، جـ ١، ص ١٥٠، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ٧٣، الشجاعي، تاريخ الملك الناصر، ص ٢٢٢، ابن طولون، إعلام الوري، ص ١٦ رقم ١٦، محمد أحمد دهمان، ولاية دمشق، ص ١٨٠ وما بعدها.	٧٤٢هـ/١٣٤١م	؟	٧١٣هـ/ ١٣١٣م	علاء الدين الطنبغا الحاجب الناصري

طينال الأشرفي الحاجب	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ١٩٤، ٢٥٠؛ ابن بيك، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٣٤، رقم ٢٠٦٦. Van Berchem, Matériaux pour un corpus, pp. 89- 90.
بيبرس بن عبد الله المنصورى الحاجب	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	زيتشتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧؛ الصفدى، الوالى بالوقيات، ج ١٠، ص ٣٥١، رقم ٤٨٤٥؛ أعيان العصر، ج ٢، ص ٧٨ رقم ٤٩٦؛ ابن إيبك، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٨٧، ٣٩٧؛ المقريزى، السلوك، ج ٢ ق ٣، ص ٦٣٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٤١ رقم ١٣٧٧.
شهاب الدين قرطاوى حاجب دمشق	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	ابن إيبك، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢٢١، ٢٩٧، ٣٧٨.
أرغون التاجى حاجب طرابلس	٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م	؟	٧٦٥هـ/٧٦٦م/ ١٣٦٣-١٣٦٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١١، ١٥.
قمارى الحموى	٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م	؟	٧٦٦هـ/١٣٦٤م	ابن إياس، بدائع

الحاجب	١٣٦٣م			الزهور، ج١ ق٢، ص١١، ١٧.
أرسلان السيفي حاجب الإسكندرية	٧٦٧هـ / ١٣٦٥	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٤.
على بن محمد ابن كلفت علاء الدين أحد الحجاب	٧٧٠هـ / ١٣٦٨م	؟		ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٨٨، ٢٣٩.
نصرات حاجب الإسكندرية	٧٧١هـ / ١٣٦٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٩٥، ٩٧.
يلو حاجب دمشق	٧٨٤هـ / ١٣٨٢م	؟		ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٠٨، ٣٣١.

ثالثاً: الحاجب الثاني:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
بكجری سيف الدين الحاجب الثاني	٦٥٨هـ / ١٢٥٩م	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص٢٤٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٣١٠.
طيطق الأحمدي الحاجب الثاني بمصر	٧٥٢هـ / ١٣٥١م	٧٦٢هـ / ١٣٦٠م	٧٦٣هـ / ١٣٦١م	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣٢١، رقم ٢٠٢٢.
ضروط الحاجب الثاني	٧٦٨هـ / ١٣٦٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٥٣.
قطلوبغا المنصوري الحاجب الثاني	٧٦٩هـ / ١٣٦٧م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٧٦.

ملکتمر من بركة الحاجب الثاني	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	؟	؟	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٠١.
یلبغا الناصري الحاجب الثاني	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	؟	٨١٧هـ/١٤١٤م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٢٢، ١٧٣، ج ٢ ص ١٥، ص ٣٥٢.
طیدمر الباسي الحاجب الثاني	٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م	؟	٧٧٨هـ/١٣٧٦م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٦، ١٩٢، ١٩٧.
جمال الدين عبد الله بن بکتمر	٧٧٩هـ/ ١٤٧٤م	؟	؟	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٠٥.
على بن قشتمر الترکي الحاجب الثاني	٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م	؟	٧٨٣هـ/١٣٨١م	ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٤٨ رقم ٣٥، ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢١٤.
أیدکار العمري الحاجب الثاني	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	٧٩٤هـ/١٣٩١م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٣٠٢.

رابعاً: حاجب میسرة:

اسم الحاجب	تاریخ تولیة الحجابه	تاریخ العزل	تاریخ الوفاة	المصادر
یلبغا الناصري حاجب میسرة	٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م	؟	٨١٧هـ/١٤١٤م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٠٣، ج ٢، ص ١٥.

خامساً: حاجب ثالث:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجاجة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
جمال الدين عبد الله بن بكتمر حاجب ثالث	٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٧٢.

سادساً: حاجب رابع:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجاجة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
إيـسـ الصرغتمشى	٧٨٣هـ/ ١٣٨١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٨٧.
منكلى بُغا الطـرخانى حاجب رابع	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٣٢٣.

سابعاً: حاجب خامس:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجاجة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
جلبان العلى حاجب خامس	٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٣٢٣.

ثامناً: حاجب الصغير:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجاجة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
طنبغا المجدى الحاجب الصغير	٧٤١هـ/ ١٣٤٠م	؟	؟	الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٩٤.
قرمش بن أقطوان	٧٤١هـ/ ١٣٤٠م	؟	؟	الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ٩٤ حياة

ناصر الحجى، دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، ط ١، الكويت ١٩٨٦م، ص ٢٥١-٢٥٢.				
ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٤٦، رقم ٢٣.	٧٨٣هـ / ١٣٨١م	؟	٧٦٧هـ / ١٢٦٥	طشتمر بن عبد الله الشيباني الحاجب الصغير بدمشق
ابن ياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٠٥.	؟ .	؟	٧٧٣هـ / ١٣٧١م	قمران الطازى

٢- ثبت بحجاب الدولة المملوكية الثانية

٥٧٨٤هـ - ٥٩٢٣هـ / ١٣٨٢م - ١٥١٧م

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أيدكار بن عبد الله العمري حاجب ميسرة، ثم حاجب الحجاب زمن السلطان برقوق	٧٩٠هـ / ١٣٨٨م	؟	٧٩٤هـ / ١٣٩١م	المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢، ص٧٦٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٢٥٤، ٣٥٤ ، ٣٤٣؛ ابن تغري بردي، السنجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٣٧، المنهل الصافي، ج٣، ص١٥٧ - ١٥٨، الدليل الشافي، ج١، ص١٦٦ رقم ٥٩٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٣٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٠٢، ٣٤٦، ٣٨٩، ٤٥١.
طرنتاي سيف الدين حاجب حجاب دمشق	٧٩٠هـ / ١٣٨٨م	؟	٧٩٢هـ / ١٣٨٩م	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٣١٨ - ٣١٩، رقم ٢٠١٢؛ ابن طولون، إعلام الوري، ص٣١، رقم ٤٢؛ محمد دهمان، ولاية دمشق، ص٢٥٠.

أقبغا المارديني حاجب الحجاب	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٩٩، ٤٠٤.
تمرباي بن عبد الحسن، الأمير سيف الدين حاجب الحجاب زمن السلطان الصالح	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	٧٩٢هـ/١٣٩٠م	المقريزي، السلوك، ج٣ ق٢، ص٧٢٩ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١ ص٣٧٢، المنهل الصادق، ج٤، ص٩ رقم ٧٧٩، الدليل الشافعي، ج١ ص ٢٢٢، رقم ٧٧٧ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٣١٩، رقم ١٣٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٤٠٦.
بـتـخاص السودوني سيف الدين حاجب الحجاب	٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م	٨١٣هـ/١٤١٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٤٣٥، ٨٠٣.
قطلوبغا الصفوي حاجب الحجاب	٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٤١٦.
فارس بن عبد الله القلطلقجاوي الظاهري حاجب الحجاب بمصر زمن السلطان برقوق	٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن تغري بردي، الدليل الشافعي، ج٢، ص٥١٩، رقم ١٧٩١ السخاوي، الضوء اللامع ج٦، ص١٦٤ رقم ١٥٧٤ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١

ق ١، ص ٤٩٣، ٥٨٣.				
بيقجاه طيفور الشرفى حاجب حجاب دمشق	٨٠١هـ / ١٣٩٨م	؟	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٢١، ٥٨٢.
أقبای بن عبد الله من حسين شاه الطـرنطای المعـروف بالحاجب، استمر في هذا المنصب عدة سنوات	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	؟	٨١٢هـ / ١٤٠٩م	ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٠٦ رقم ٣٤٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج ٢، ص ٤٦٥-٤٦٦؛ الدليل الشافى، ج ١، ص ١٣٦ رقم ٤٧٧؛ النجوم الزاهرة، ج ١٣ ص ١٧٦؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٦٥ رقم ٤٧٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٠٢؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٣، رقم ٩٩٣؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى، القاهرة، ١٩٤٧م، ج ١، ص ٢٤٥.
باشباى من باكى حاجب حجاب دمشق	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	؟	٨١١هـ - ٨٠٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٨١، ٦٢٥، ٦٩٤، ٧٩٢.

سودون الحاجب الصغير ثم حاجب حجاب غزة	٨٠٢هـ — ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق ٢، ص ٥٧١.
نقماق المحمدي أمير حاجب	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق ٢، ص ٥٧٣.
علي بن عبد الله ابن محمد علاء الدين الطبلأوى*	؟	؟	٨٠٢هـ / ١٤٠٠م	المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٧١٧، ٧٤٤، ٨١٨، ٨٢٧؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج١، ص ٥١١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٢٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص ٤٥٩ رقم ١٥٩٣؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص ٢٥٢ رقم ٨٤٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٣٠٦، ٣٣٠، ج٢، ص ٦٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج١ ٩، ص ٢٤٩، ٢٥٢ - ٢٥٤، ٤٠٠؛ أحمد عبد الرازق، شرطة القاهرة، ص ٨٤.
مراد حاجب حجاب طرابلس	٨٠٥هـ / ١٤٠٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق ٢،

* الطبلأوى نسبة إلى طيلة - قرية بالملوقية بالوجه البحري.

ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص ٤٥٩.

ص ٦٧٦.				
سودون الظريف الشمسي حاجب الحجاب	٨٠٥هـ / ١٤٠٢م	٨٠٨هـ / ١٤٠٥م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٣٣، ٧٤٨.
أسن بيه - أيضا أسن باي الستر كماني حاجب حجاب دمشق	٨٠٧هـ / ١٤٠٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧١٢.
ارسطاي من خجا علي حاجب الحجاب	٨٠٨هـ / ١٤٠٥م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٣٠، ٧٣٢، ٧٣٦.
الطنبغا ططق المعروف بالعثماني حاجب حجاب دمشق	٨٠٨هـ / ١٤٠٥م	؟	٨٢١هـ / ١٤١٨م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٢٥١، ٥٢٨، ج ٢، ص ٤١.
فارس التني حاجب حجاب دمشق	٨١٠هـ / ١٤٠٧م	؟	٨١٠هـ / ١٤٠٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٨١، ٧٨٥.
كزل بن عبد الله العجمي، حاجب الحجاب زمن الناصر لرج	٨١٠هـ / ١٤٠٧م	؟	٨٤٥هـ / ١٤٤١م	ابن حجر، إنباء الغمر، ص ٤٣٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٥٥٧ رقم ١٩٠٩، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦، ص ٢٢٨ رقم ٧٧٩، وفيه مات في ربيع الأول عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٨٥.
شيخ الطنبغا القرمشي حاجب	٨١١هـ / ١٤٠٨م	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٢، ص ٤٠٣.

حجاب دمشق				
إينال بن عبد الله الصمصماني حاجب حجاب بمصر	٨١٥هـ / ١٤١٢م	؟	٨١٨هـ / ١٤١٥م	المقريزي، السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٣٢٨، ابن حجر، إنباء الغمر، ج ٣، ص ٧٧، العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي تحقيق فهم محمد شلتوت مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٣٠٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٣٦، المنهل الصافي، ج ٣، ص ١٩٤ - ١٩٥ رقم ٦١٦، الدليل الشافي، ج ١ ص ١٧٢ رقم ٦١٥، الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢ ص ٣٥٥، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٢٧ رقم ١٠٧٩، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٨٢٦، ج ٢، ص ٢٣.
فجق حاجب الحجاب بالقاهرة	٨١٦هـ / ١٤١٣م	٨١٧هـ / ١٤١٤م	؟	العيني، السيف المهند، ص ٣١٨، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٨.

<p>سولون بن عبد الله القاضي الظاهرى حاجب الحجاب</p>	<p>٨١٧ - ٨١٨ هـ ١٤١٤ هـ - ١٤١٥ م</p>	<p>٢</p>	<p>٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م</p>	<p>ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٧٤، ٢٠٦ رقم ٧، العيني، السيف المهند، ص ٣٣٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٤، ص ١٥٨؛ المنهل الصافي، جـ ٦، ص ١٤٩ - ١٥٠، رقم ١١٤٢؛ الدليل الشافى، جـ ١، ص ٣٣١، رقم ١١٣٩؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ ١ ص ٤٦١، رقم ٥٩١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٢٨٤ رقم ١٠٧٧، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٦، ص ٥٠.</p>
<p>سودون قراسقل ابن عبد الله الظاهرى حاجب الحجاب المعروف بسودون قراسقل يعنى لحيته سوداء</p>	<p>٨١٨ هـ / ١٤١٥ م، ثم تولى حجووية طرابلس في عام ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م</p>	<p>٢</p>	<p>٨٢٠ هـ / ١٤١٨ م</p>	<p>العيني، السيف المهند، ص ٣٣٤، ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، جـ ٦، ص ١٥٩ - ١٦٠؛ الدليل الشافى، جـ ١، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ رقم ١١٤٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ ٣ ص ٢٨٣ رقم ١٠٧٣، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٢، ٣٢.</p>

الطنبغا بن عبد الله المرقسي حاجب الحجاب	٨٢٠هـ/ ١٤١٧م	٢	٨٤٤هـ/١٤٤٠م	المقريزي، السلوك، ج٤ ق٣، ص١٢٣٣ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٣٨ رقم ١٠٥٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٤٨٤؛ الدليل الشافي، ج١ ص ١٥٢-١٥٣ رقم ٥٤٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢ ص ٣٣، ص ٢٢٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٣١٩ رقم ١٠٢٦.
إينال بن عبد الله الأزعي الشيخي	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	المقريزي، السلوك، ج٤ ق٢، ص ٣١٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٢٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٢٩، ١٩٥؛ المنهل الصافي، ج٣ ص ٢٠٣؛ الدليل الشافي، ج١ ص ١٧٤ رقم ٦١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٦٤، ٦٩.
طراباي حاجب الحجاب	٨٢٤هـ/ ١٤٢١م	٢	٢	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٧٢.

جقيق العلى حاجب الحجاب	٨٢٥هـ / ١٤٢١م	؟	؟	ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٧٧.
أزبك الأشقر الرمضانى حاجب حجاب مصر	٨٢٦هـ / ١٤٢٢م	؟	٨٣٣هـ / ١٤٢٩م	ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٨٦، ١٢٧.
جرباش قاشق الكريمى حاجب الحجاب	٨٢٨هـ / ١٤٢٤م	؟	٨٦١هـ / ١٤٥٦م	ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٠٠، ٣٣٧.
قـرقماش الشعبانى حاجب الحجاب	٨٢٩هـ / ١٤٢٥م	؟	٨٤٢هـ / ١٤٣٨م	ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١١٠، ٢٠٦.
طوغان بن عبد الله السيفى تغرى بردى حاجب حجاب حلب	٨٣٠هـ / ١٤٢٦م	٨٣٦هـ / ١٤٣٢م	٨٤٠هـ / ١٤٣٦م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج٧، ص ٢٤ رقم ١٢٨٤، الدليل الشافى، ج١، ص ٢٧٣ رقم ١٢٨١، السخاوى، الضوء اللامع، ج٤، ص ١٢، رقم ٤٤.
كمشبا بن عبد الله الظاهرى المعروف بكشبا حجى، أمير حاجب	؟	؟	٨٣٠هـ / ١٤٢٦م	ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، ج٤، ص ٥٦١، رقم ١٩٢٤، السخاوى، الضوء اللامع، ج٦، ص ٢٣٠، رقم ٧٩٢.

يشبك الشعباني حاجب الحجاب	٨٣٧هـ / ١٤٣٣م	؟	٨٤٩هـ / ١٤٤٥م	ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٥٤.
تتبعك بن عبد الله من برد بك الظاهري حاجب الحجاب في عهد الظاهر جقمق	٨٤٢هـ / ١٤٣٨م	؟	٨٦٣هـ / ١٤٦٠م	ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص ١٩٥، المنهل الصادق، جـ ٤، ص ٢٤ رقم ١٧٥٩، الدليل الشافعي، جـ ١ ص ٢١٥ رقم ١٧٥٧، السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣ ص ٤٢ رقم ١٧٣، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢١٢، ٢٢٧.
تغري بردي بن عبد الله الكلمشي المعروف بالمؤذي حاجب الحجاب بمصر	٨٤٢هـ / ١٤٣٨م	؟	٨٤٦هـ / ١٤٤٢م	ابن حجر، انباء الغمر، جـ ٤، ص ٩٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٤٩٦، المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٥٤ وما بعدها رقم ١٧٦٥، الدليل الشافعي، جـ ٤ ص ٢١٧ رقم ١٧٦٣، السخاوي، التفسير المسبوك، ص ٤٤، الضوء اللمع، جـ ٣، ص ٢٧، رقم ١٢٣، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٣٥.

تغرى بردى المؤيدى حاجب الحجاب	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الوهور، جـ٢، ص ٢٠٠.
سودون بن عبد الله الأيوبكرى المؤيدى حاجب حجاب طرابلس	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	؟	٨٦٥هـ/١٤٦٠م	ابن تغرى بردى، المنجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص٣١٣، المنهل الصادق، جـ٦، ص ١٧٣ - ١٧٤، السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢٧٦ رقم ١٠٥٠.
سودون بن عبد الله النوروزى حاجب حجاب دمشق	٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م	؟	٨٤٧هـ/١٤٤٣م	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص١٧٢ - ١٧٣، الدليل الشافى، جـ١، ص٣٣٥ رقم ١١٥٢، السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢٨٧ رقم ١٠٨٩.
خشتىم بن عبد الله الناصرى حاجب الحجاب بمصر	٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م	؟	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	ابن تغرى بردى، المنجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص٣٦١-٣٧٨، المنهل الصافى، جـ٥، ص٢١٠ - ٢١١ رقم ٩٨٥، الدليل الشافى، جـ١، ص٢٨٦ رقم ٩٨٢، السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص١٧٥ رقم ٦٨١، ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٧، ص ٣١٥، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص

٢٧٨، جـ ٤، ص ٨.				
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٢٨٣، ص ٤٠٧.	٩٠٤هـ/١٤٩٨م	؟	٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م	كرتباي من مصطفى المعروف بالأحمر حاجب حجاب طرابلس
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٩٨.	؟	؟	٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م	مغلباي البجاسي حاجب حجاب طرابلس
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٥٣٢؛ المنهل الصادق، جـ ٧، ص ٢٣ رقم ١٢٨٣؛ الدليل الشافعي، جـ ١ ص ٣٧٣ رقم ١٢٨٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٤، ص ١٣ رقم ٤٥.	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م	٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م	طوغان بن عبد الله العثماني حاجب حجاب حلب
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص ١٨٨؛ المنهل الصادق، جـ ٤ ص ٢٣٧ رقم ٨٢٣؛ الدليل الشافعي، جـ ١ ص ٢٣٨ رقم ٨٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣ ص ٥٩ رقم ٣٧؛ ابن إياس،	٨٦١هـ/١٤٥٦م	؟	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	جانبك بن عبد الله القرمانى الظاهري حاجب حجاب مصر

بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٤١.				
ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٦، ص ٣٥٢ المنهل الصادق، جـ٣، ص ٢٧٩ وما بعدها السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٧ رقم ٣٤٤ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٤٢ - ٤٤٣ ابن طولون، إعلام الورى، ص ٦٢ رقم ٧٤.	٨٧١هـ/١٤٦٦م	؟	٨٦١هـ/ ١٤٥٦م	برسبای بن عبد الله البجاسى حاجب الحجاب
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٥٩.	؟	؟	٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م	أحمد بن القليب شهاب الدين حاجب حجاب طرابلس
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٥٨.	٨٦٥هـ/١٤٦٠م	؟	٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م	سودون قراقاش المؤيدى حاجب حجاب مصر
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٣٦٤؛ جـ٣، ص ٣١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص ٢١ رقم ١٠٣.	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	؟	٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م	بيبرس الأشرفى سيف الدين حاجب الحجاب

يشبك البجاسي الأشرفي حاجب حجاب حلب	٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م	؟	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٨١.
--	-----------------	---	-------------	--

يلبای الأينالی المؤيدى حاجب الحجاب	٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٨١.
برد بك الجمالی ويعرف ببرد بك الفارسی الظاهرى الأقرع حاجب الحجاب	٨٦٦هـ/ ١٤٦١م	؟	٨٧٥هـ/١٤٧٠م	ابن طولون، أعلام الورى، ص ٦٢ رقم ٧٥، السخاوى، الضوء اللامع، ج٣، ص ٤٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٨٩، ج٣، ص ٥١.
تغرى بردى من يونس حاجب حجاب حلب	٨٦٦هـ/ ١٤٦١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٩٤.
جانی بك الناصرى حاجب الحجاب بدمشق	٨٦٦هـ/ ١٤٦١م	؟	٨٦٩هـ/١٤٦٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٢٨، ٣٩٠.
أبو بكر باكير ابن صالح الكردي حاجب حجاب حلب	٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤١٣.
أزبك من ططخ الأشرفى حاجب الحجاب	٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م	؟	٩٠٤هـ/١٤٩٨م	ابن طولون، أعلام الورى، ص ٦٤ رقم ٧٦، السخاوى، الضوء اللامع، ج٢، ص ٢٧٠، ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤١٧.

جانی بك قلقسیز الأشرفی حاجب الحجاب	/٨٦٩هـ ١٤٦٤م	/٨٧٢هـ ١٤٦٧م	٨٨٣هـ/١٤٧٨م	ابن طولون، اعلام الوری، ص ٦٧ - ٦٨، رقم ٧٩؛ ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٢٩، ٤٧٤.
شیرامرد المؤیدی حاجب حجاب دمشق	/٨٦٩هـ ١٤٦٤م	؟	؟	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٢٥.
علی بن الأزبکی حاجب حجاب طرابلس	/٨٧١هـ ١٤٦٦م	؟	؟	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٤٩.
برد بك المحمدی ويعرف بهجين	/٨٧٢هـ ١٤٦٧م	؟	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٦٢، ج ٣، ص ١٢٠، السخاوی، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧ رقم ٣٠.
تمر الوالی	/٨٧٢هـ ١٤٦٧م	؟	؟	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٧٠.
تمر من محمود شاه الظاهری حاجب الحجاب	/٨٧٢هـ ١٤٦٧م	؟	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٤٧٠، ج ٣، ص ١٠٧.
محمد بن مبارك شاه التركمانی الحلبی ناصر الدین حاجب حجاب دمشق	/٨٧٤هـ ١٤٦٩م	؟	٨٧٩هـ/١٤٧٤م	ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٠، ص ١٠٧.
مغلبای شرق الأشرفی حاجب حجاب حلب	/٨٧٩هـ ١٤٧٤م	؟	؟	ابن طولون، اعلام الوری، ص ١٣٤ - ١٣٥؛ ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٠٣.

دولت بای النجمی الأشرافی حاجب حجاب دمشق	۸۷۹هـ/ ۱۴۷۴م	۲	۸۸۲هـ/۱۴۷۷م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۱۰۳، ۱۲۷.
أزمنـر الإبراهیمی الطویل حاجب الحجاب	۸۸۰هـ/ ۱۴۷۵م	۸۸۴هـ/ ۱۴۷۹م	۸۸۵هـ/۱۴۸۰م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۳۰۶، ۴۰۹.
یشبک العلای حاجب حجاب دمشق	۸۸۰هـ/ ۱۴۷۵م	۲	۸۹۰هـ/۱۴۸۵م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۱۱۲.
برسبای قرا المحمدی حاجب الحجاب	۸۸۴هـ/ ۱۴۷۹م	۸۸۵هـ/ ۱۴۸۰م	۸۹۴هـ/۱۴۸۸م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۱۵۸، ۲۶۵.
تغری بردی ططر الشمسی حاجب الحجاب	۸۸۷هـ/ ۱۴۸۲م	۲	۸۹۳هـ/۱۴۸۷م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۱۹۱، ۲۵۴.
سیبای حاجب حجاب دمشق	۸۸۷هـ/ ۱۴۸۲م	۲	۲	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۱۹۱.
ثانی بك الجمالی حاجب الحجاب	۸۹۳هـ/ ۱۴۸۷م	۲	۹۰۸هـ/۱۵۰۲م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۴۶۵، ۲۴۹، ج۴، ص ۴۸.
قائصوه الغوری حاجب حجاب حلب	۸۹۴هـ/ ۱۴۸۸م	۲	۹۲۲هـ/۱۵۱۶م	ابن یاس، بدائع الزهور، ج۳، ص ۲۸۴، ج۴، ص ۴۲ عبد العظیم حامد خطاب، قانصوه الغوری ونهایة الدولة المملوکیة فی مصر والشام، رسالة دکتوراه غیر منشورة، کلیة

الآداب، جامعة عين شمس ١٩٧٣م، ص ٤٧. Mayer, Saracenic Heraldry, A Survey, Oxford 1933. p.179; Van Berchem, Materioux pour un corpus, pp.392-393.				
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٤٢.	٩٠٢هـ/١٤٩٦م	٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م	٩٠١هـ/ ١٤٩٥م	ايغال الخسيف حاجب حجاب دمشق
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٥٩، ج٤، ص ٩١.	٩١١هـ/١٥٠٥م	٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م	٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م	جانم المعروف بالمصبغة حاجب حجاب مصر
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٧٧، ٤٤٠.	؟	؟	٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م أعيد للمرة الثانية ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م	قيت الأشرفي، حاجب الحجاب
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٩٨، ج٥، ص ٧١.	؟	؟	٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م	قانسوه من كسباي بن سلطان جركسي المعروف بابن اللوقا حاجب حجاب دمشق
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٢٣.	٩١٣هـ/١٥٠٧م	؟	٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م	يلسباي المؤيدي حاجب حجاب طرابلس
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٢، ١١٩.	٩١٤هـ/١٥٠٨م	؟	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	أنرمر من على باي الأشرفي حاجب الحجاب

أصطمر من ولي الدين حاجب الحجاب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	٩١٤هـ/١٥٠٨م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٥٣، ج٤، ص١٤٥.
برديك المحمدي الأيثالي حاجب الحجاب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٥٤.
تمرار جوشن حاجب حجاب دمشق	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	٩١٠هـ/١٥٠٤م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٦٩، ج٤، ص٦٧.
تمر من جانم الظاهري حاجب حجاب حلب	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٧١.
جان بردي الغزالي حاجب حجاب حلب	٩٠٧هـ/ ١٥٠١م	؟	٩٢٧هـ/١٥٢٠م	ابن طولون، اعلام الوري، ص١٩٦؛ ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٢٣، ج٥، ص٣٨٢.
خايربك من ملباي أخو قانسوه البرجي	٩٠٧هـ/ ١٥٠١م	٩١٠هـ/ ١٥٠٤م	٩٢٨هـ/١٥٢١م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٨، ج٥، ص٤٨١ - ٤٨٢.
أنصباي من مصطفى حاجب الحجاب	٩١٠هـ/ ١٥٠٤م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٦٧.
يخشباي حاجب حجاب دمشق	٩١٧هـ/ ١٥١١م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٥٠.
طراباي من يشبك من حيدر حاجب حجاب دمشق	٩٢١هـ/ ١٥١٦م	؟	٩٢٢هـ/١٥١٦م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٦٣، ج٥، ص٧١.
طقطباي حاجب الحجاب	٩٢٢هـ/ ١٥١٦م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٥، ص

١١٦، محمود رزق، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص ٣٣٣.				
--	--	--	--	--

ثانياً: الحاجب:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أركماس السيفي حاجب طرابلس	٧٨٦هـ / ١٣٨٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٥١.
اسند مر السيفي حاجب طرابلس	٧٩٠هـ / ١٣٨٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٩١.
علي بن الطبلاني، علاء الدين الحاجب	٧٩٧هـ / ١٣٩٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٤٧٣.
تمربغا المنجكي الحاجب	٨٠٠هـ / ١٣٩٧م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٥١٣، ٥٣٩.
سمر المحمدي الحاجب	٨٠١هـ / ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٥٤٣.
قرايغا الأسنبغاوي	٨٠١هـ / ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٥٤٣.
مقبل الرومي السيفي العمرى الحاجب	٨٠١هـ / ١٣٩٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٥٤٣.
سودون المأمورى الحاجب	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٥٦٤.

شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة وحاجبها	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	٨٠٥هـ/١٤٠٢م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٧١.
عمر بن الطحان ركن الدين أو بهاء الدين حاجب غزة	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٧١.
تغرى برمش الحاجب	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٩٤.
عبد الرازق بن بلغادر الحاجب	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٢٩.
أبو يزيد الحاجب	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٣٩.
قرقماش الرماح الأيثالى حاجب دمشق	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م	؟	٨٠٥هـ/١٤٠٢م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٥١، ٦٧٦.
محمد بن علاء الدين بن كلفت التركمانى ناصر الدين الحاجب	٨٠٤هـ/ ١٤٠١م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٥٧.
بهاء الدين أرسلان الحاجب	٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٦٩.
أزمر حاجب حلب	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٠٦.
محمد بن شهرى، ناصر الدين حاجب	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	؟	٨١٠هـ/١٤٠٧م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٠٣، ٧٧٧.

حلب				
جانبك الحاجب ونائب الإسكندرية	٨٣٨هـ / ١٤٣٤م	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص ٥٣٩.
برد بك العجمي حاجب حلب	٨٤٢هـ / ١٤٣٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٠٧.
شيك طراز حاجب طرابلس	٨٥٦هـ / ١٤٥٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٩٨.
عبد العزيز بن محمد الصغير الحاجب	٨٦٠هـ / ١٤٥٥م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣٣٥.
يلباي المؤيدي حاجب دمشق	٨٩٠هـ / ١٤٨٥م	؟	٨٩٦هـ / ١٤٩٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٨٤، ٢١٥.
قائصوه من بيبردي الغوري الأشرفي، الحاجب بحلب	٨٩١هـ / ١٤٨٨م	؟	٩٢٢هـ / ١٥١٦م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٦٤، ج٥، ص ٤٧٠ Mayer, Saracenic Heraldry, p.179.
باكبر بن صالح الكردي حاجب حلب	٨٩٤هـ / ١٤٨٨م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٦٤.
يونس الأشرفي حاجب دمشق	٨٩٤هـ / ١٤٨٨م	؟	٩٠٠هـ / ١٤٩٤م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٦٤، ٣٠٦.
قاني بك حاجب دمشق	٩٠٠هـ / ١٤٩٤م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٠٦.
صالح الكردي حاجب حلب	٩٠١هـ / ١٤٩٥م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣١٦.

فرج بن بُرد بك زين الدين الحاجب	٩١٢هـ/ ١٥٠٦م	؟	٩١٩هـ/١٥١٣م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٥٤، ٩٨.
برد بك الحاجب	٩١٩هـ/ ١٥١٣م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٥٤.

ثالثاً: الحاجب الثاني:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجبة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
قطوبغا السيفي تمرباي الحاجب الثاني	٧٩١هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٢هـ/١٣٨٩م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٤٢٢، ٤٢٦.
تمربغا المنجكي	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٥١٣، ٥٣٩.
يعقوب شاه الكمشـبغاوى شرف الدين الحاجب الثاني	٨٠١هـ/ ١٣٩٨م	٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٥٤٣، ٥٧٩.
باشباى من باكى الحاجب الثاني	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	٨١١هـ/١٤٠٨م	ابن ياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٦٢٥، ٥٨١، ص ٦٥٥، ٧٩٢.
مبارك شاه الحاجب الثاني	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٥٩٤.
جانبك بن عبد الله السـثور الحاجب الثاني	٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م	؟	٨٤١هـ/١٤٣٨م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١ ص ٢١٣، المنهل الصافى، ج٤ ص ٢٣٠ رقم ٨٢٠؛ الدليل الشافى، ج٥ ص

٢٣٧ رقم ٨١٨؛ السفاوى، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٥٦ رقم ٢٢١.				
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٨٤.	؟	؟	٨٤١هـ/ ١٤٣٧م	أسنبغا الطيارى الحاجب الثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٠٤.	؟	؟	٨٤٢هـ/ ١٢٤١م	يلبغا البهاى الحاجب الثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٣١١.	؟	؟	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	سمام الحسنى الحاجب الثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٣١١.	٨٦١هـ/١٤٥٦م	؟	٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م	نوكار من بابا الناصرى الحاجب الثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٤٧٠.	٨٧٣هـ/١٤٦٨م	٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م	٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م	حكم المحدى الخشقى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٠٧، ٣١.	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	؟	٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م	قانى باى آص الشاقى الطويل
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٠٩.	؟	؟	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	أزبك فسق الظاهرى حاجب ثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٠٨.	؟	؟	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	سيباى الظاهرى الحاجب الثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣ ق ٢، ص ١١٤، ٢٠٦.	٨٨٩هـ/١٤٨٤م	؟	٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	قنباك جشحة العلاى الرماح الحاجب الثانى
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص	؟	؟	٨٨٦هـ/ ١٤٨١م	ثانى بك الأينالى

١٨٠.				
أبناؤ الفقـيه الحسـنى الظاهرى	٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م	؟	٩٠٣هـ/١٤٩٧م	ابن طولسون، اعلام الورى، ص ٧٨ وما بعدها رقم ٨٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٤٩، ٣٨٨.
برسبای الصغير	٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٠٠.
مامای جوشن المحمدى	٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٨٨.
أسنبای الأصم	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٦٦.
على الجركسى الحاجب الثانى	٩١٨هـ/ ١٥١٢م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢٨٥، ٣١٠.
مصرباى الأقرع	٩٢٢هـ/ ١٥١٦م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١١٠.

رابعاً: حاجب ميسرة:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أيدكار بن عبد الله العمسرى حاجب ميسرة	٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م	؟	٧٩٤هـ/١٣٩١م	المقريزى، السلوك، ج ٣ ق ٢، ص ٧٦٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر ج ١، ص ٢٥٤، ٣٥٤ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٣٧؛ المنهل الصفائى، ج ٣، ص

١٥٧ - ١٥٨ ، الدليل الشافي، ج٢، ص ١٦٦ رقم ٥٩٣، الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٣٤٥، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٣٠٢، ٣٤٦، ٣٨٩، ٤٥١.				
ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٥٦٤، ٧٤٤.	٨٠٨هـ / ١٤٠٥م	؟	٨٠٢هـ / ١٢٩٩م	دقماق المحمدي سيف الدين حاجب ميسرة

خامساً: الحاجب الثالث:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجاجة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
مبارك شاه الحاجب الثالث يقول ابن إياس "استقر حاجباً ثالثاً، بتقدمة ألف، ولم يقع ذلك لما تقدم"	٨٢٠هـ / ١٢٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٥٦٦.

سادساً: الحاجب الصغير:

اسم الحاجب	تاريخ تولية الحجاجة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
سودون الحاجب الصغير	٨٠٢هـ / ١٢٩٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٥٧١.

٣- ثبت بحجاب الدولة المملوكية الأولى

حسب سنة الوفاة فقط

أولاً: حاجب الحجاب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أياز بن عبد الله النجمي، الأمير فخر الدين المعـرروف بالمقرى حاجب الحجاب في دولة الظاهر بيبرس	؟	؟	٦٨٧هـ/١٢٨٨م؛ وفي المنهل الصافي في عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٤٥٨ رقم ٤٤١٣؛ أعيان العصر، ج١، ص ٦٣٨-٦٣٩ رقم ٣٤٨؛ العيني، عقد الجمان حوادث عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٢٤٥؛ المنهل الصافي، ج٣، ص ١٩٩-١٢٠ رقم ٥٦٦؛ الدليل الشافي، ج١، ص ١٥٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٢٣١؛ ابن شداد، تاريخ الملك الناصر، ص ٣٤، ٢٤٣
أقوش حاجب الحجاب	؟	؟	٧٠١هـ/١٣٠١م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص ٤١٤.
شمس الدين خضر الناصري	؟	؟	٧٠٧هـ/١٣٠٨م	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٤٣.

جمال الدين بن الإمام حاجب الحجاب	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٤٣.
قطلوبك بن قراسنقر حاجب حجاب دمشق	؟	؟	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٣٨-٣٣٩ رقم ٣٢٦٥.
سيف الدين أقول المحمدي حاجب حجاب دمشق	؟	؟	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٤٦٤ رقم ٥٠٥؛ نكت الهيمن في نكت العميان، القاهرة ١٩١١م، ص ١٧٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣٢٥ رقم ٢٠٣٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٦، ص ٤١٩ رقم ١٢٦٠؛ الدليل الشافي، ص ٣٦٦ رقم ١٢٥٦.
مغلطاي بن عبد الله المرتيني حاجب الحجاب	؟	؟	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٢٥ رقم ٤٨٣٠؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٣٨ رقم ٢٥٢٠.
قيلاي بن عبد الله سيف الدين الناصري	؟	؟	المقريزي، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٢٨ رقم ٣٢٣٧ وفيه "مات في سنة ٧٥٦

حاجب حجاب حلب				جـ ١، ص ٢٢٢، رقم ٩
طشتمر القاسمي حاجب الحجاب	٢	٢	٧٨٣هـ / ١٣٨١م	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ق ٢، ص ٢٩١.

ثانياً: الحاجب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
بيليك بن عبد الله المحسني الصالح الحاجب المعروف بأبي شامة، زمن السلطان المنصور قلاوون	؟	؟	٦٩٥هـ / ١٢٩٥م	الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ ١٠، ص ٣٦٨ رقم ٤٤٨٦٤؛ ابن الفرات، تاريخ الفرات، جـ ٨، ص ٢١٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ٨، ص ٧٩؛ المنهل الصافي، جـ ٣، ص ٥١١ رقم ٧٤٧؛ الدليل الشافي، جـ ١، ص ٢١١ رقم ٧٤٥.
جمال الدين اقوش الكرجي الموصلي الحاجب	؟	؟	٦٩٩هـ / ١٢٩٩م	بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ١٣٨، ١٥٧؛ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطاء، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣١٧؛ الصفدي، أعيان العصر، جـ ١، ص ٥٦٠ - ٥٦١؛ الوافي بالوفيات، جـ ٤، ص

١١٣؛ ذكر العيني أن: جمال الدين أقوش مات في عام ٦٩٣هـ؛ ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ٤٥٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٤٦.				
الصفي، أعيان العصر، ج١، ص ٦٤٥ رقم ٣٤٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٢١.	٧١٤هـ/١٣١٤م	؟	؟	أيبك الأشكري عز الدين الحاجب بدمشق
المقريزي، السلوك، ج٢ ق١، ص١٢٣٤ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٥٠ رقم ٣٣٠٢؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج٢، ص ٥٥٤، رقم ١٨٩٨.	٧٢١هـ/١٣٢١م	؟	؟	كتبغا بن عبد الله حاجب دمشق زمن الأمير تتكز الناصري
الصفي، أعيان العصر، ج١، ص ٦٣٦ رقم ٣٤٤؛ الوافي بالوفيات، ج٩ ، ص٤٤١ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤١٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ١١٤.	٧٢٣هـ/١٣٢٢م	؟	؟	أوران سيف الدين الحاجب بدمشق
الصفي، أعيان العصر، ج٢، ص ١٣٠؛ الوافي	٧٤٢هـ/١٣٤٢م	؟	؟	برسبغا بن عبد الله الحاجب الناصري زمن

السلطان الناصر محمد				بالوفيات، جـ ١٠، ص ١١٤، المقرئى، السلوك، جـ ٢ ق ٣، ص ٦٠٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصادق، جـ ٣، ص ٢٨٢، رقم ٦٥٥؛ الدليل الشافى، جـ ١، ص ١٨٧ رقم ٦٥٤.
بيبرس بن عبد الله السلاوى حاجب صفد	؟	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	الصفدى، الوافى بالوفيات، جـ ١٠، ص ٣٥٢ رقم ٤٨٤٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢، ص ٤٢ رقم ١٣٧٨؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصادق، جـ ٣، ص ٤٧٨ رقم ٧٢٣؛ الدليل الشافى، جـ ٤، ص ٢٠٥ رقم ٧٢١.
جقطاى الحاجب بدمشق	؟	؟	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢، ص ٧٤ ، رقم ٤٥٥.
قطوتمر الخليلى حاجب دمشق	؟	؟	٧٤٦هـ/١٣٤٥م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٣، ص ٣٣٩، رقم ٣٢٦٧.
ألمس بن عبد الله الناصرى الحاجب ثم حاجب حجاب	؟	؟	٧٤٦هـ/١٣٤٥م	الصفدى، أعيان العصر، جـ ١، ص ٦١٥ رقم ٣٣٣؛ الوافى بالوفيات، جـ ٩ ، ص ٣٧٠، رقم ٤٢٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ١،

ص ٤٣٨، رقم ١٠٦٢؛ ابن تغري بردى، الدليل الشافى، ج ١، ص ١٥٣ رقم ٥٤٥؛ المنهل الصافى، ج ٣، ص ٨٤، مرجع د. هبه.				
شرف الدين الحاجب بحلب	؟	؟	٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م	الصفدى، أعيان العصر، ج ٥، رقم ١٩٠٥، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٨٤.
جمال الدين عبد الله الدمير تاش الحاجب بدمشق	؟	؟	٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م	الصفدى، أعيان العصر، ج ٣، ص ٨ رقم ٩١٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٣١١.
باكيش اليلغاوى الحاجب	؟	؟	٧٦٩ هـ / ١٣٩٩ م	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٤.
سلطان شاه بن قرا الحاجب	؟	؟	٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٥٠.
قبلاى سيف الدين الناصرى الحاجب	؟	؟	٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م	المقريزى، السلوك، ج ٣ ق ١، ص ٢٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٤٣ رقم ٦١٧؛ الشجاعى، تاريخ الملك الناصر، ص ١٩١، وما بعدها.
على بن طغرل الأمير علاء الدين حاجب	؟	؟	٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ١٢٧، رقم ٢٧٥٨؛

دمشق				ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ ١، ص ٤٥٧ رقم ١٥٨٧.
علاء الدين أقطون الكمالى حاجب صفد	؟	؟	٧٣٤هـ / ١٣٣٤م	الصفدى، أعيان العصر، جـ ١، ص ٥٥٧، رقم ٣٠١، الوافى بالوفيات، جـ ٩، ص ٣٢٢، ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ١، ص ٣٩٥، ابن تغرى بردى، المنهل الشافى، جـ ٢، ص ٥٠٥ رقم ٥٠٧.
طيفور بن عبد الله الظاهرى حاجب حجاب دمشق زمن السلطان الظاهر برقوق	؟	؟	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص ١٥ - ١٦، المنهل الشافى، جـ ٧، ص ٤٠ وما بعدها رقم ١٢٩٤؛ الدليل الشافى، جـ ١ ص ٣٧٦ رقم ١٢٩١؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ ٤، ص ١٤ رقم ٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٥٦١.
يلبغا بن عبد الله السودونى حاجب الحجاب	؟	؟	٨٠٥هـ / ١٤٠٢م	المقريزى، السلوك، جـ ٣ ق ٣، ص ١١٠٩، ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ٣١؛ الدليل الشافى، جـ ٢، ص ٧٩٤ رقم ٢٦٧٦؛ السخاوى، الضوء

اللامع، جـ ١٠، ص ٢٩٠ رقم ١١٣٥.				
ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٢، ص ٣٣٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٣، ص ١٥٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٥١٩، ٥٧٧، ٦٦١ ، ٦٦٣؛ المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٢٧٤ رقم ٨٤٨؛ الدليل الشافى، جـ ١، ص ٢٤٥ رقم ٨٤٦؛ السفاوى، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٧٠ رقم ٢٨٦.	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	؟	؟	جقمق بن عبد الله الصفوى حاجب، حجاب حلب زمن السلطان الظاهر برقوق
ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٢، ص ١٦؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافى، جـ ٢، ص ٥٧١ رقم ١٩٦٢؛ السفاوى، الضوء اللامع، جـ ٦، ص ٢٣٧ رقم ٨٢٢.	٨١٦هـ/١٤١٣م	؟	؟	مبارك شاه بر عبد الله الظاهرى حاجب الحجاب
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١٤، ص ١٣٦؛ المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ رقم	٨١٨هـ/١٤١٥م	؟	؟	جرباش بن عبد الله الظاهرى المعروف بكباشه*

* كباشة اسم فروة من جلود الأغنام معروفة، كان يلبسها جرباش هذا لما كان صغيراً عند لعبه بالرمح من تحت ثيابه لتحمل عنه الضرب فسمى بها. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ ٤، ص ٢٥٥.

٨٣٥؛ الدليل الشافى، جـ٤، ص ٢٤٢ رقم ٨٨٣.				
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٠١.	٨٢٨هـ/١٤٢٤م	؟	؟	الناصرى محمد ابن العطار حاجب حجاب حماة
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١١٩.	٨٣١هـ/١٤٢٧م	؟	؟	إياس الظاهرى حاجب الحجاب
ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٣، ص ٥٠٥ رقم ٨ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥ ، ص ١٨٠؛ المنهل الشافى، جـ٤، ص ٢٢٢ رقم ٨١٨؛ الدليل الشافى، جـ١، ص ٢٣٦ رقم ٨١٦؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٣، ص ٢٦٩ رقم ٧٢٧؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣ ص ٥٦ رقم ٧٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ١٥٠.	٨٣٦هـ/١٤٣٣م	؟	؟	جانبك بن عبد الله الحمزاوى حاجب الحجاب
المقريزى، السلوك، جـ٤، ص ٢٣٧، ٢٥٥ ، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢١١، ٣٣١، ٣٣٨، ٩٨٣-	٨٣٩هـ/١٤٣٥م	؟	؟	تاج بن سيف بن عبد الله الشويكى* المعروف بالتاج

* نسبة إلى الشويكة مكان بظاهر دمشق. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٤، ص ٢٦، رقم ٨.

الوالى حاجب الحجاب				٩٨٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ٤، ص٢٦ رقم ٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص ٢٠٢؛ جـ١٥، ص ١٩٨ - ١٩٩؛ المنهل الشافى، جـ٤، ص٥، رقم ٧٥٢؛ الصيرفى، نزهة النفوس، جـ٢، ص٣١٥، ٣٤٤، ٣٥٦ ، ٣٥٩؛ جـ٣، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٤ - ٢٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٦٥، Ahmad, Abd ar-Raziq, La hisba et le muhtasib en Egypt, pp. 163- 266, no. 114-116.
شاهين بن عبد الله الزرد كاش حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	ابن تغرى بردى، المنهل الشافى، جـ٦، ص٢١٢-٢١٣ رقم ١١٨٠؛ الدليل الشافى، جـ١، ص٣٤٢ رقم ١١٧٧؛ الضوء اللامع، جـ٣ ص٢٩٥ رقم ١١٣٠.
سودون بن عبد الله الظاهرى المعروف بسودون	؟	؟	٨٤٣هـ/١٤٤٠م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص٤٧٨-٤٧٩؛ المنهل الشافى، جـ٦،

المغربي* حاجب حجاب زمن الأشرف برسبای				ص ١٧٩ وما بعدها رقم ١١٦٢؛ الدليل الشافی، ص ٣٣٧ رقم ١١٥٩؛ السخاوی، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٨٣ رقم ١٠٧٤.
قانی بای بن عبد الله الجکمی المعروف قانی بای طاز حاجب الحجاب بحلب	؟	؟	٨٥٠هـ/١٤٤٦م	ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٥١١؛ ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥٣؛ السخاوی، الضوء اللامع، ج ٦، ص ١٩٥ رقم ٦٥٨.
برسبای بن عبد الله الحمزاوی حاجب حجاب دمشق زمن السلطان الأشرف برسبای	؟	؟	٨٥١هـ/١٤٤٧م	ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ٥٢٢؛ المنهل الصادی، ج ٣، ص ٢٢٧، رقم ٦٥٢؛ الدلیل الشافی، ج ١ ص ١٨٦ رقم ٦٥١؛ السخاوی، التبر المسبوك، ص ١٩١؛ الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧ رقم ٣٢؛ ابن ایاس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٥١، ٢٥٩.
یشبک بن عبد الله النفروزی	؟	؟	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، ج ١٦

* يقول عنه ابن تغری بردی: "كان تصويره غير صحيح، فهمه غير مستقيم، قل أن يجلس بمكان ولا يبحث فيه مع أحد، وكان عنده تشوق ووطن بنفسه ولهذا المقتضى سُمي المغربي. ابن تغری بردی، المنهل الصادی، ج ٦، ص ١٨٠.

حاجب حجاب طرابلس ثم دمشق				ص ١٩٩، الدليل الشافى، ج ٢، ص ٧٨٨، رقم ٢٦٠٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٨٠ رقم ١١٠٠ وفيه "مات في المحرم عام ٨٦٣هـ".
جانبك الشبكي الجمي	؟	؟	٨٥٧هـ/١٤٥٣م	السخاوى، التبر المسبوك، ص ٢٦٢؛ ج ٤، ص ٦١-٦٢ رقم ٢٤٩.
سودون بن عبد الله المؤيدى حاجب الحجاب زمن السلطان المؤيدى شيخ	؟	؟	٨٦٤هـ/١٤٥٩م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٣١٠، الدليل الشافى، ج ١، ص ٣٣٦، رقم ١١٥٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٧٦ رقم ١٠٥٢.
علان حلق بن عبد الله حاجب حجاب حلب	؟	٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م	٨٦٤هـ/١٤٥٩م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١٣٥، الدليل الشافى، ج ١، ص ٤٤٤ رقم ١٥٣٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج ٥، ص ١٥٠ رقم ٥٢٢ وفيه "توفى سنة ٨٩٤هـ وهو خطاً لأن الطاعون الذى توفى فيه كان في سنة ٨٦٤هـ وقد عظم بالشام وغزة، السخاوى

التبر المسبوك، ص ٤٧٠.				
قراجا الظاهري حاجب حجاب مصر	؟	؟	٨٧٢هـ/١٤٨١م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٦٠.
فرج بن أغلبك حاجب حجاب حلب	؟	؟	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٧٧.
بلاط الشبكي حاجب حجاب دمشق	؟	؟	٨٧٨هـ/١٤٧٣م	ابن طولون، إعلام الوري، ص ٨١ رقم ٨٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٢٥-٤٢٦؛ ج٣، ص ٩٢.
طقم بن عبد الله الكاكتاي حاجب حجاب طرابلس ثم حلب	؟	؟	٨٨٧هـ/١٣٨٥م	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢ ص ٣٢٥ رقم ٢٠٣٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦ ص ٤١٩ رقم ١٢٦٠؛ الدليل الشافي، ج١، ص ٣٦٦ رقم ١٢٥٧.
عبد الله بن بكر الحاجب	؟	؟	٧٨٦هـ/١٣٨٤م	المقريزي، السلوك، ج٣ ق ٢، ص ٥٢٦ ؛ ابن قاضي شهبه تاريخ ابن قاض شهبه تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م، ج٣ ص ١٤٤-١٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٣٠١؛ المنهل الصافي، ج٧، ص ٨٢ - ٨٣

رقم ١٣٢١؛ الدليل الشافى، ج١، ص ٣٨٤ رقم ١٣١٨؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج١، ص ١١١ رقم ٣٣.				
ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٠، ٤٣٠.	٩٠٥هـ/١٤٩٩م	؟	؟	ثانى بك قرا الأينالى

ثانياً: الحاجب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أياس الصرغتمشى فخر الدين الحاجب	؟	؟	٧٨٥هـ/١٣٨٣م	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٢٢٦.
جلبان الحاجب سيف الدين	؟	؟	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٢٩٤ رقم ١٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٣٨٢؛ ذكر ابن إياس أنه تولى عام ٧٨٨هـ/.
أيبك عز الدين الزوينانى الحاجب	؟	؟	٧٩٩هـ/١٤٩٦م	الصفدى، أعيان العصر، ص٦٤٥ رقم ٣٥٥.
محمد بن عبد الله بن بكتمر ناصر الدين بن جمال الدين الحاجب	؟	؟	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن حجر، نيل الدرر للكامنة، ص٩٣ رقم ٨١، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص١٨؛ الدليل الشافى، ج٢، ص

٦٤٣ رقم ٢٢١٢، الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٢ ص ٦٧ رقم ٣٢٨.				
السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢.	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	؟	؟	باشاه الحاجب بمصر
ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٦٢ رقم ٢٥٩٥، السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٥٠ رقم ٨٧٢.	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	؟	؟	نسوروز بن عبد الله الخضري حاجب حلب
ابن ياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٨٢.	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	؟	؟	بيقجا طيفور حاجب دمشق
ابن ياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٥٩٤.	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	؟	؟	تغري برمش الحاجب
المقريزي، السلوك، ج ٣ ق ٣، ص ١٠٢٥، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٩٦ رقم ٢٦٨١، السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٢٩١، رقم ١١٤١.	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	؟	؟	يلتمر بن عبد الله المحمدي الحاجب زمن السلطان الظاهر برقوق
ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٣، ص ٤٩٩، رقم ٧٣٩، الدليل الشافي، ج ١ ص ٢٠٩ رقم ٧٣٧، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٢٢	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	؟	؟	بيد مر بن عبد الله الظاهري الحاجب زمن السلطان برقوق

رقم ١٠٧.				
ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ٥٥٦.	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	؟	؟	ترمش حاجب طرابلس
ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٠٥.	٨٠٧هـ/١٤٠٤م	؟	؟	تنكر بغا الحططي حاجب طرابلس
السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣١٨، رقم ١٠٢١.	٨٣٠هـ/١٤٢٧م	؟	؟	آق سنقر بن عبد الله الأشرفي شمس الدين الحاجب زمن السلطان الأشرف برسباي
المقريزي، السلوك، ج ٤ ق ١، ص ١٠٥، ١٨٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصادق، ج ٤، ص ١٤٦ - ١٤٧ رقم ٧٩٠، الدليل الشافي، ج ١، ص ٢٢٥ رقم ٧٨٨.	٨٣٠هـ/١٤٢٧م	؟	؟	تمراز بن عبد الظاهر، سيف الدين الحاجب المعروف بتمراز الأعور، شغل منصب الحاجب في زمن المؤيد شيخ، وفترة أخرى زمن الأشرف برسباي
ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٥، ص ٧ رقم ٨٥٤، الدليل الشافي، ج ١ ص ٢٤٨ رقم ٨٥، السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧٧ رقم ٣٠٠.	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	؟	؟	جلبان بن عبد الله العمري الحاجب بالقاهرة ثم غزة
ابن تغري بردي،	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	؟	؟	أبو يزيد بن عبد

الله الظاهري الحاجب بمصر زمن برسباي				الدليل الشافي، جـ ٢، ص ٨٣٦، رقم ٢٨١٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ١١، ص ١٥٠ رقم ٤٩١.
الزيني قاسم بن تمرباي الحاجب	؟	؟	٨٧١هـ/١٤٦٦م	ابن ياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٤٤١.
العلاي على بن الفيسي حاجب مصر	؟	؟	٨٧٤هـ/١٤٦٩م	ابن ياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٣٧.
جانبك الأبيض الحاجب	؟	؟	٨٧٧هـ/١٤٧٢م	ابن ياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٧٩.
أبو بكر بن سنقر الجمالي سيف الدين الحاجب	؟	؟	٨٨٣هـ/١٤٣٤م	ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ص ٩٩، رقم ١٠٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣، ص ٢٧٣.
أبو بكر جركسي الحاجب بمصر	؟	؟	٨٨٦هـ/١٤٨١م	ابن ياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ١٧٨.
تمربغا الحاجب	؟	؟	٧٨٨هـ/١٣٨٦م	ابن ياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٢٤٩، ٣٦٨.
تمر بن عبد الله الشهاب سيف الدين الحاجب	؟	؟	٧٩٨هـ/١٣٩٦م	ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٢، ص ٥٣ رقم ١٤١٨، إنباء الغمر، جـ ١، ص ٥١٦ رقم ١٤؛ ابن تغري بردي، المنهل النافي، جـ ١ ص ٢٢٤ رقم ٧٨٤؛

الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٤٣٤ رقم ٢٤٦.				
المقريزي، السلوك، جـ ٣ ق ٣، ص ٦٨٦؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ ٨، ص ١٧٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ١، ص ٢٨٥ رقم ١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ ١١، ص ٢٨٥؛ المنهل الصافي، جـ ٥، ص ١٠٢ رقم ١١٢٧؛ الدليل الشافي، جـ ١، ص ٣٢٨ رقم ١١٢٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، جـ ١، ص ٢٧٧ رقم ١١٦.	٧٩١هـ/١٣٨٩م	؟	؟	سودون بن عبد الله المظفر حاجب حلب زمن السلطان الظاهر برقوق
ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٤٧١، جـ ٤، ص ١٥٥.	٩١٥هـ/١٥٠٩م	٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م	؟	مغلباي دجاج حاجب دمشق
ابن طولون، اعلام الورى، ص ١٤٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٤٧١، جـ ٤، ص ٣٣٨.	٩١٩هـ/١٥١٣م	؟	؟	برد بك تفاح حاجب دمشق
المقريزي، السلوك، جـ ٤ ق ١، ص ٢، ص ٢٦٩، ٢٩٠، ٣٦٣، ٨٩٩، ٩٠٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٣ ص ١١، ص ٣٩،	٨٣٦هـ/١٤٣٢م	؟	؟	منكلي بغا بن عبد الله الصالحى، محتسب القاهرة وحاجبها

١٣٨، ٥٠٩؛ ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، ج٢، ص ٧٤٥ رقم ٢٥٤٥؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج٣، ص ٢٦٧ رقم ٧٢٣؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج١٠، ص ١٧٣ رقم ٧٣١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص ٦٨٦؛ Ahmed Abd ar- Raziq, La hisba et le muhtasib en Egypte, p.162 no.113 .				
ابن إياس، بدائع الزهور، حت٤، ص ١٠٧.	٩١٢هـ/١٥٠٦م	؟	؟	خشى كادى الحاجب المعروف بنصف وجه

ثالثاً: الحاجب الثانى:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أبو بكر سنقر زين الدين وقيل سيف الدين الحاجب الثانى زمن الظاهر برقوق	؟	؟	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	المقريزى، السلوك، ج٣ ق٣، ص ١٠٧١ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٢٢؛ الدليل الشافى، ج٢، ص ٨١٦، رقم ٢٧٤٦؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج١١، ص

٣٦ رقم ٩٣.				
اياس بن عبد الله الجلالى الحاجب الثانى	؟	؟	٨٣٠هـ/١٤٢٦م	ابن تغرى بردى، الدليل الشافى، جـ ١، ص ١٦٠، رقم ٥٦٩، السخاوى، الضوء اللامع، جـ ٢، ص ٣٢٤، رقم ١٠٥٧.
جانى بك البواب الحاجب الثانى	؟	؟	٨٤١هـ/١٤٣٧م	ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ١٨٤.
بتخاص العثمانى الحاجب الثانى فى عهد السلطان خشقدم	؟	؟	٨٧٤هـ/١٤٦٩م	ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٣، ص ٣٨، ٣٩، السخاوى، الضوء اللمع، جـ ٣، ص ٢، رقم ٥.
سودون بن عبد الله السودونى الحاجب الثانى	؟	؟	٨٥٤هـ/١٤٥٠م	ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٥، ص ٥٥١، المنهل الصارى، جـ ٦، ص ١٧٨ - ١٧٩ رقم ١١٦١، الدليل الشافى، جـ ١، ص ٣٣٧ رقم ١١٥٨، السخاوى، الضوء اللمع، جـ ٣، ص ٢٧٩ رقم ١٠٦٢، ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٣٥٦.
سنقر الحاجب الثانى بدمشق	؟	؟	٨٤٨هـ/١٤٤٤م	ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٢، ص ٢٤٥.
قنق العزى الحاجب الثانى	؟	؟	٧٦٩هـ/١٣٦٧م	ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢،

ص ٨٠.				
قناني بك الأردمري الحاجب الثاني	١٤٧٤هـ/ ١٤٧٩م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٠٢.
محمد بن تتم عبد الرازق الحاجب الثاني	١٤٦٨هـ/ ١٤٧٣م	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٥.

رابعاً: الحاجب الصغير:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
بيد مر الحاجب الصغير بمصر	؟	؟	؟	السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ٢٢.

٤- ثبت بحجاب الدولة المملوكية الأولى

بدون تاريخ الاستقرار أو العزل أو الوفاة*

أولاً: حاجب الحجاب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابة	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
أسنبغا العلای حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٩٥.
بدر الدين بكتوت الشمسى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٤٣.
بيبرس أباجى الطبى، ركن الدين حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٤٣.
جركسى السودونى حاجب حجاب طرابلس ثم دمشق	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٦٧٦.
خليل بن عرام الأسكندرانى صلاح الدين حاجب الحجاب، عاصر المنصور على بن الأشرف شعبان عام ٧٨٢ هـ/١٣٨٠م	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، ج ١، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ١٢.

* لم تمدنا المصادر بهذه التواريخ مما يتعذر معه نسب هذه الأسماء إلى عصر سلطان مملوكى بعينه.

سودون صوفى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٣، ص ٩٣.
شمس الدين سنقرجا الكنجي حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٢٤٣.
قطلوتمر حاجب الحجاب	؟	؟	؟	الصفدي، أعيان العصر، جـ ٤، ص ١٢٧ رقم ١٣٨٢؛ الوافي بالوفيات، جـ ٢٤، ص ٢٦١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ ٣، ص ٢٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ١٤، ص ٢١٣.
لاجين العمرى حاجب الحجاب	؟	٧٢٢هـ / ١٣٢٢م	؟	الصفدي، أعيان العصر، جـ ٢، ص ١٠٨٧؛ زبتر شتين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧.
قطلبك بن الجاهشـنكير حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن إيبك، كنز الدرر، جـ ٩، ص ٢١٦.
يشبك السودونى حاجب الحجاب	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، جـ ٤، ص ١٤، ص ١٣٤.

ثانياً: الحاجب:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
ألبغا الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٥٤٩، ٥٦٢، ٦٧٠.

أُسند مر الناصرى حاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٣٢.
بدر الدين الوزيرى الحاجب	؟	؟	؟	ابن إبيك، كنز الدرر، ج ٩، ص ٢١١.
بكتمر الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ١، ص ٤٥٦، ٤٥٩.
بكتمر العلمى حاجب الإسكندرية	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٣٢.
تكلّياى حاجب دمشق	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٥١.
جليان	؟	؟	؟	المقريزى، السلوك، ج ٢ ق ٢، ص ٥٥٦، ابن تغرى بردى، السنجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٣٨٠، المنهل الصفائى، ج ٥، ص ٦، رقم ٨٥٣، الدليل الشافى، ج ١، ص ٢٤٨ رقم ٨٥٢، الصيرفى، لسزهة النفوس، ج ١، ص ١٤٧.
جركسى الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧١٢ - ٧١٣.
خشقدم الأربغماوى حاجب طرابلس	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٥٩.

سنقر الكمالى الأمير عز الدين الحاجب، زمن السلطان الناصر محمد	؟	٧١٢هـ / ١٣١٢م	؟	الصفدى، أعيان العصر، ج٢، ص ٤٨٤، ٧٥٤؛ ابن إيبك، كنز الدرر، ج ٩، ص ١١٨، ١٩٥؛ العينى، عقد الجمان، ج٤، ص ٢٣٣، ٢٥٨ ، ٣٢٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٢٧٣ رقم ١٩٠٣؛ زيتر شستين، تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٤٧ - ١٤٨؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٦٧.
سلامش حاجب غزة	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق ٢، ص ٧٢٢.
سودون باشا الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق ٢، ص ٥١٦.
شاهين بن عبد الله الأيدكارى حاجب حلب فى أوائل دولة المؤيد شيخ	؟	؟	؟	ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ص ٢١١ - ٢١٢، رقم ١١٧٩، الدليل الشافى، ج١، ص ٣٤١ - ٣٤٢ رقم ١١٧٦.
الصارم الجرمى الحاجب	؟	؟	؟	بيبرس المنصورى، التحفة المملوكية، ص ١٩٨.
طيدمر الاسمعى	؟	؟	؟	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص

الحاجب				٣٣٤ رقم ٢٠٦٥.
فجق الحاجب	؟	؟	؟	ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص١٢.
قراتنبك الحاجب	؟	؟	؟	ابن حجر، نيل الدرر الكامنة، ص٢١٦ رقم ٣٧٢، السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٤.
محمد بن بكتمر الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٤٣٥.
محمد بن جلبان العلای	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٦٧٢، ٧٣٢.
مظفر الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق١، ص٢١٠.
مُعقل الحاجب	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٣٤.
موسی الهذبانى شرف الدين حاجب دمشق	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٧٠٣.
سيف الدين بهادر الحاج	؟	؟	؟	العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٤٥.

ثالثاً: الحاجب الثانى:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العرل	تاريخ الوفاة	المصادر
تانى بك الألياسى الحاجب الثانى	؟	؟	؟	ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤٩.

قائمه من نفس الحاجب الثاني بحلب	؟	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٨٣.
يعقوب شاه الحاجب الثاني	؟	؟	؟	ابن ياس، بدائع الزهور، ج١ ق٢، ص٥٣، ١٣١.

رابعاً: حاجب ميسرة:

اسم حاجب الحجاب	تاريخ تولية الحجابه	تاريخ العزل	تاريخ الوفاة	المصادر
تمر بفا ميسرة	؟	؟	؟	ابن حجر، انباء الغمر، ج١، ص٥٢٨.

**٥- ثبت بمصادرات الحجاب
أولاً في العصر المملوكي الأول**

اسم الحاجب	اسم السلطان	القائم بالمصادرة	حجم المصادرة	العام	المصادر
الحاج بهادر الحاجب	السلطان لاجين	شاد الدواوين	أمواله	٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م	العينى، عقد الجمان، جـ٣، ص٣٦٣-٣٦٤.
بكتمر الحسامى الحاجب	السلطان الناصر محمد ابن قلاوون	السلطان الناصر	١٠٠,٠٠٠ دينار	٧١٠هـ/ ١٣١٠م	ابن تغرى بردى، جـ٩، ص٤١.
جمال الدين بكتمر الحاجب	السلطان الناصر محمد	؟	١٠٠,٠٠٠ دينار	٧١٥هـ/ ١٣١٥م	ابن كثير، البداية جـ١٤، ص٧٣، المقريزى، السلوك، جـ٢ ق ١ ص١٤٤.
سيف الدين المساس الحاجب	السلطان الناصر محمد	شاد الدواوين وشاهد الخزانة	٢,٣٩٠,٠٠٠ درهم نقرة	٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م	المقريزى، السلوك، جـ٢، ق ٢، ص٣٦٠، ابن تغرى بردى، جـ ٩، ص٣٠٢، ابن ايبك، كنز الدرر، جـ٩، ص٣٧٣ حياة الحجبى، السلطة والمجتمع فى سلطنة المماليك، ص٤٠.
على بن مقلد الحاجب	السلطان الناصر محمد	؟	مال	٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م	الصفدى، أعيان العصر، جـ٣،

ص ٣٦، ٤٥.					
ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٧٤؛ ابن السوردي، تقسمة المختصر، ج ٢، ص ٣٠٨.	٧٣٥هـ / ١٣٣٤م	اشياء نقدية وعينية	؟	السلطان الناصر محمد	بكتمر الحسامي الحاجب
المقريزي، السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٧٣٠، ابن تغري بردي، ج ١٠، ص ١٦٠.	٧٤٨هـ / ١٣٤٧م	أمواله ومنزله وخيوله	شاد الدواوين وأمر سلاح	المظفر حاجي بن محمد	محمد بن بكتمر الحاجب
المقريزي، السلوك، ج ٣ ق ١، ص ٢١٥؛ ٢١٦؛ ابن تغري بردي، ج ١١، ص ٦٠ - ٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ١٢٠ - ١٢١.	٧٧٥هـ / ١٣٧٣م	أمواله	السلطان	السلطان الأشرف شعبان بن حسين	علاء الدين علي بن كلفت الحاجب
المقريزي، السلوك، ج ٣ ق ٢، ص ١٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٦٠ - ٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور،	٧٧٥هـ / ١٣٧٣م	أمواله	السلطان	السلطان الأشرف شعبان بن حسين	سلطان شاه بن قراجا الحاجب الثاني

حاجب طرابلس	ابن برقوق			١٤٠٤م	بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧١٣ - ٧١٤.
كزل العجمي الحاجب	الناصر فرج ابن برقوق	السلطان	٢٠٠,٠٠٠ درهم	٨٠٩هـ / ١٤٠٦م	المقريزي، السلوك ج ٤، ق ١، ص ٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣، ص ٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ق ٢، ص ٧٦٠.
أقبا شيطان والى القاهرة ومحتسبها وحاجبها	المؤيد شيخ المحمودى	الاستادار فخر الدين	أموال	٨٢١هـ / ١٤١٨م	المقريزي، السلوك، ج ٤ ق ١، ص ٤٤١ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٦٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٧

جـ ١ ق ٢، ص ١٢٠ - ١٢٢.					
عبد الله بن بكتمر الحاجب	المنصور على بن شعبان	؟	١٠,٠٠٠ دينار	٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م	المقريزي، السلوك، جـ ٣ ق ١، ص ٣٤١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٢٣٣.

٦- ثبت بمصادرات الحاجب ثانياً في العصر المملوكي الثاني

اسم الحاجب	اسم السلطان	القائم بالمصادرة	حجم المصادرة	العام	المصادر
محمد بن بكتمر الحاجب	الظاهر برقوق	؟	٢٠٠,٠٠٠ درهم	٧٩٤هـ/ ١٣٩١م	المقريزي، السلوك، جـ ٣ ق ٢، ص ٧٦٥.
عبد الرازق ابن أبي الفرج الحاجب	السلطان الناصر فرج ابن برقوق	السلطان	١٠٠,٠٠٠ دينار	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	المقريزي، السلوك، جـ ٣ ق ٢، ص ١٠٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١ ق ٢، ص ٦٢٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٤، ص ١٩١.
تفكز بغا	الناصر فرج	نائب طرابلس	أمواله	٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م	ابن إياس،

الأشكال

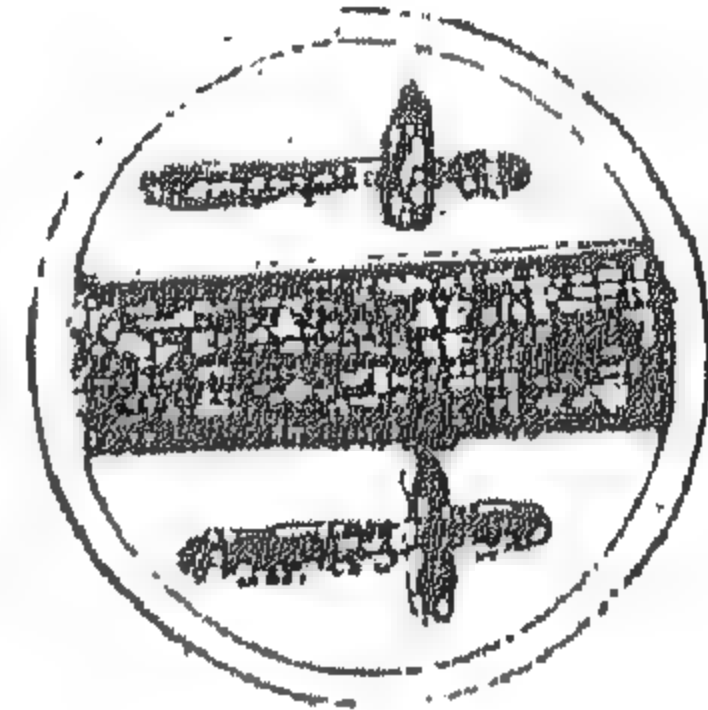
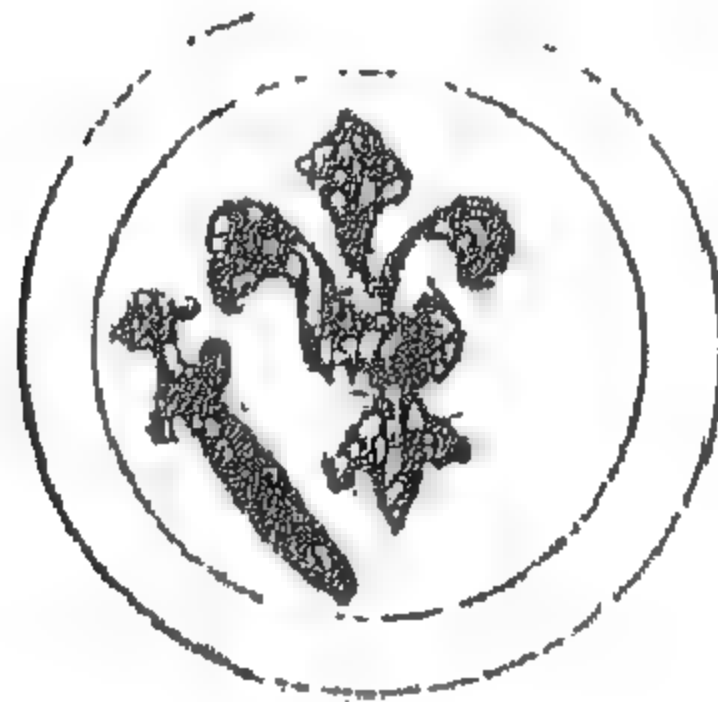
شكل رقم ١



رنة الحصان شعار الحاجب

نقلا عن Ernst Herzfeld, *Materialien*, p. 346

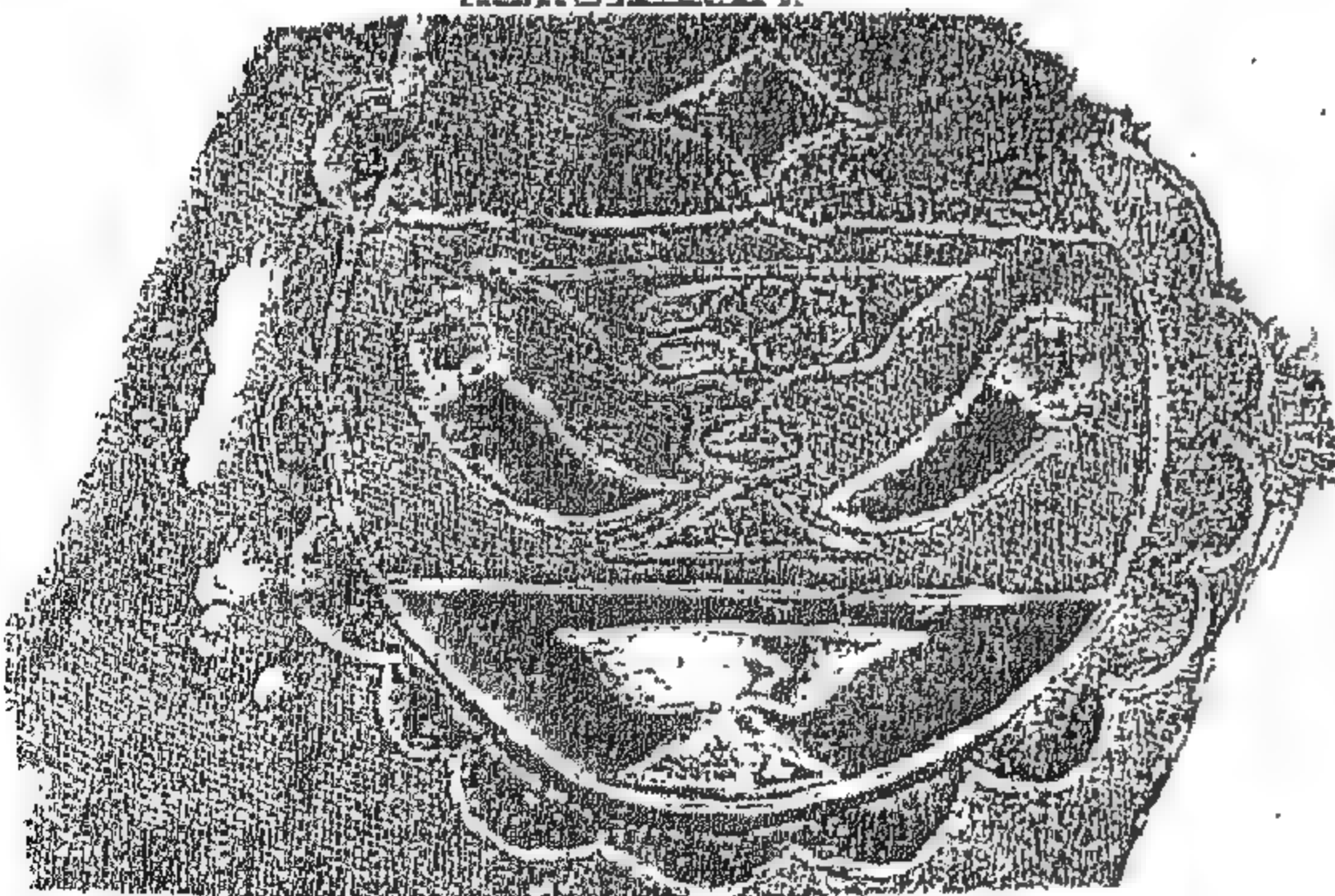
شكل رقم ٢



نماذج من رنة السيف

نقلا عن احمد عبد الرازق، الرنة، ص ١٠١

شكل رقم ٤



رنة الحاجب قانسوة الغورى

شكل رقم ٣



رنة البقعة المقطوعة بالسيف

نقلا عن Esin Atil, *Art of the Mamluks*, p. 241.

نقلا عن Mayer, *Saracenic Heraldry*, Pl. Lxviii



مشكاة الأمير الماس الحاجب

نقلا عن Wiet, Lampes, catalogue général, Fig. 3154.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

- الخالدي (بهاء الدين محمد بن لطف ت ٩٣٧هـ/١٥٣٠م)، المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الانشاء، مخطوط مصور بجامعة، القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٤٥.

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

- ابن اياس (محمد بن أحمد بن اياس المصري)، بدائع الزهور في وقائع الدهور المعروف بتاريخ مصر، طبعة محمد مصطفى، ١٩٨٢ - ١٩٨٤.
- فهارس بدائع الزهور تحقيق محمد مصطفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ابن ايبك الدوادار أبو بكر عبد الله بن أيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر) تحقيق هانس روبرت روير، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، منتخبات من حوادث الدهور. في مدى الأيام والشهور، ٤ أجزاء نشره وليم بوبر، كاليفورنيا، ١٩٣٠م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية حتى ج١٢، ج١٣ تحقيق محمد فهم شلتوت، ج١٤ تحقيق جمال محمد حرز، فهم شلتوت القاهرة ١٩٧١م، ج١٥ تحقيق إبراهيم طرخان ١٩٧١م، ج١٦ تحقيق جمال الشيال، فهم شلتوت، القاهرة، ١٩٧٢م.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، ونيل عبد العزيز، القاهرة، ١٩٨٥ - ١٩٩٤.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة ١٩٧٩م.
- ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ج١، ج٢، ج٣، تحقيق محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ١٩٨٢، ١٩٨٦م.

- ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني ت ٨٠٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أجزاء، نشره محمد سيد جاد الحق، ط٢، القاهرة ١٩٦٦م.
- أنباء الغمر بأنباء العمر، الأجزاء من ١ - ٣ تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩ - ١٩٧٢م.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد، محمد أبو سنة، جزءان، القاهرة ١٩٥٧م.
- ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة ط٥، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر أحمد الكتبي ت ٧١٤هـ/١٣١٤م)، فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥١م.
- عيون التواريخ، تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة ١٩٨٠م.
- ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس، ١٨٩١.
- ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، فيسبان ١٩٨٣م.
- ابن الصيرفي (علي بن داود إبراهيم المعروف بالخطيب الجوهري، ت ٩٠٠هـ/١٤٩٥م) نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان الأجزاء من ١-٣ تحقيق حسن حبشي، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠ - ١٩٧١ - ١٩٧٣م.
- أنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ابن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم برينر، كاليفورنيا ١٩٦٣م.
- ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، اعلام السورى بمن ولى نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى أو تاريخ الشام من قيام دولة المماليك في مصر إلى صدر العهد العثماني، تحقيق عبد العظيم حامد، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه (الأندلس)، العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٥٣م.
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ت ١٠٨٩ - ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء، القاهرة، ١٩٦٦م.

- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، تاريخ الدول والملوك، ج٧، ٩ اربع مجلدات، نشرة قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت، ١٩٣٩م.
- ابن قاض شهبة (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)، تاريخ ابن قاض شهبة م ١ ج ٣ تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧.
- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب طبعة، بولاق، ١٣٠١هـ، وطبعة بيروت، ١٩٢٦.
- أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية بدون تاريخ.
- ابن الوردي (زين الدين عمر ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، تمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٨٦٨م.
- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق مفيد محمد قميحة لبنان ١٩٨٣م.
- البيهقي، تاريخ البيهقي، ترجمة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، ١٩٥٦م.
- بيبرس المنصوري (ابن عبد الله الدواداري ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، التحفة المملوكية في الدولة التركية، نشره عبد الحميد صالح، بيروت، ١٩٨٧.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق زبيدة محمد عطا، القاهرة، د.ت.
- الدميري (كمال الدين محمد بن عيسى الدميري ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، ط٢، ١٣١٢هـ/١٨٩٥م.
- السراوندي محمد بن علي بن سليمان؟، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية نقله إلى العربية إبراهيم الشواربي، عبد النعيم حسنين، فؤاد الصياد، القاهرة، ١٩٦٠م.
- زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك، نشرة Zettersteen K.V، ليدن، ١٩١٩م.
- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، معيد النجم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي ط١، القاهرة، ١٩٤٨م.

- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، التبر المسبوك في ذيل السلوك، طبعة بولاق، ١٨٩٦.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢ جزء في ١٢ مجلد، القاهرة، ١٣٥٣هـ
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط١، بيروت ١٩٩٧م.
- شافع (شافع بن على الكاتب العسقلانى المصرى ٦٤٩ - ٧٣٠هـ)، كتاب الفضل الماثور من سيرة السلطان الملك المنصور، بيروت، ١٩٩٨م.
- الشجاعى، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق بربارة شيفر، فسادن، ١٩٧٨م.
- الصفدى (صلاح الدين خليل ابن إيبك ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، الوافى بالوفيات، فيسبادن، ١٩٧٠م.
- أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق على أبو زيد، نبيل أبو عمشة، بيروت ١٩٩٧م.
- الفهارس العامة، أعداد قسم الدراسات والبحوث، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.
- نكت الهيمن في نكت العميان، القاهرة، ١٩٩١م.
- الصيرفى (أبى القاسم على بن منجب بن سليمان)، قانون ديوان الرسائل ط(١)، القاهرة ١٩٠٥م.
- الطبرى (أبو جعفر بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تفسير الطبرى، جامع البيان عن تأويل القرآن، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، بدون تاريخ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، بدون تاريخ.
- العمرى (شهاب الدين بن فضل الله العمرى ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)، التعريف بالمصطلح الشريف، بيروت، ١٩٨٨م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ١٩٨٥م.
- العينى (بدر الدين محمود العينى ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودى" تحقيق فهيم شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٧م.

- عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان، الحوادث من ٦٤٨ إلى ٦٦٤هـ تحقيق محمد محمد أمين، هيئة الكتاب ١٩٨٧م، حوادث ٦٨٩ - ٦٩٨هـ تحقيق محمد محمد أمين ١٩٨٩م، الحوادث من ٨١٥هـ إلى ٨٢٤هـ/ تحقيق عبد الرازق طنطاوى، ط١، ١٩٨٥م.
- الفيروز آبادى، القاموس المحيط، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الفيومى (أحمد بن محمد بن على المقرئ) ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م ، كتاب المصبح المنير، ط٦، القاهرة ١٩٢٦م.
- القرآن الكريم.
- القطب اليونيسى (قطب الدين أبو الفتح بن محمد أحمد بن قطب الدين اليونيسى الحنبلى ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، ذيل مرآة الزمان م ١ ط١، الهند، ١٩٥٤م.
- القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن على القلقشندي ت سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ٤ أجزاء، طبعة دار الكتب ابتداء من عام ١٩١٣
- ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، تصحيح محمود سلامة، ط١، القاهرة، ١٩٠٦م.
- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على المقرئى ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لبنان، ١٩٥٩م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك نشره محمد مصطفى، ج١ ج٢ في ستة أقسام ونشره سعيد عاشور، ج٣ ج٤ في ستة أقسام أخرى عن دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٠م، ١٩٧٢م، ١٩٧٣م.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الشيال، القاهرة، ١٩٤٠م.
- السنورى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النورى ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣ تحقيق محمد عبد الهادى شعيرة، محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٩٠م، ج٣١ تحقيق الباز العرينى، القاهرة ١٩٩٢م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٢م.
- إبراهيم طرخان ، مصر في دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، ١٩٦٠م.
- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨م.

- أحمد عبد الرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية، المصرية، م ٢١، ١٩٧٤م.
- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٩م.
- شرطة القاهرة زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٨٢م.
- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٩٠م.
- الرنوك الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- أحمد فكرى، تاريخ المساجد الأثرية بالقاهرة، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م.
- إسماعيل عبد المنعم، الأمراض الاجتماعية بين الطبقة الأرستقراطية المملوكية في مصر
زمن المماليك البحرية، ٦٤٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م رسالة ماجستير،
غير منشورة جامعة عين شمس كلية الآداب ١٩٨٨م.
- البيومى إسماعيل الشربيني، مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين
المماليك، سلسلة تاريخ المصريين العدد ١١٠، ١٩٩٧م.
- النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، سلسلة تاريخ
المصريين رقم ١١٨ القاهرة، ١٩٩٨م.
- جمال جرجس يوسف ، القضاء في العصر المملوكي مع تحقيق مخطوطة نزهة النظار في
قضاة الأمصار، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية
الآداب، ١٩٧٢م.
- جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٨م.
- حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ط ١، القاهرة، ١٩٣٩م.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ١٩٦٦م.
- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٨٩م.
- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م ٢، ط ١، القاهرة، ١٩٩٩م.
- حسين مصطفى رمضان ، طوائف الحرفيين ودورهم الاقتصادي والاجتماعي، رسالة
دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٨٧م.
- حياة ناصر الحجي ، أحوال العامة في حكم المماليك دراسة في الجوانب السياسية
والاقتصادية والاجتماعية، ط ١، الكويت ١٩٨٤م.

- دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، ط ١، الكويت، ١٩٨٦م.
- أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، الكويت، ١٩٩٥م.
- السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم سلاطين المماليك البحرية، من سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢، الكويت، ١٩٩٧م.
- دليل متحف الفن الإسلامي، دار الآثار العربية سابقاً، القاهرة، ١٩٥٢م.
- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، القاهرة ١٩٤٠م.
- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، القاهرة، ١٩٨٣م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ١٩٥٩م.
- الظاهر بيبرس، أعلام العرب العدد ١٤، القاهرة ١٩٦٣م.
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٥م.
- العصر المماليكي في مصر والشام، القاهرة، ١٩٦٥م.
- سند أحمد سند، البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ٢٠٠٠.
- على إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة، ١٩٤٤م.
- الجيش والبحرية في عصر سلاطين المماليك القاهرة، بدون تاريخ.
- عبد الخالق حسين محمد، النظم القضائية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة كلية دار العلوم ١٩٨١م.
- عبد العظم حامد خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م.
- عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه، القاهرة، ١٩٨٢م.
- فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، مصلحة المساحة ١٩٥١م.
- قتيبة الشهابي، معجم أرباب السلطان في الدول الإسلامية من العصر الراشدي حتى بدايات القرن العشرين، دمشق ١٩٩٥م.

- ليلي عبد الجواد ، نائب السلطنة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة، العدد ١، يناير ١٩٨٨م.
- مایسة محمود محمد داود ، المشكاوات الزجاجية في العصر المملوكي رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، القاهرة، ١٩٧١م.
- ماير (ل.م)، الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة عبد الرحمن فهمي، القاهرة ١٩٧٢م.
- محاسن محمد على حسين الوقاد، الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) سلسلة تاريخ المصريين العدد ١٥٢، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الألقاب والكنى الشعبية الساخرة عصر سلاطين المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط جامعة عين شمس، م ٢، ٢٠٠٢م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ط ١، ١٩٨٠م.
- محمد أحمد دهمان ، ولاية دمشق في عهد المماليك، ط ٢، دمشق، ١٩٨١م.
- محمد التونجي ، المعجم الذهبي، بيروت، ١٩٦٩م.
- محمد عبد العزيز مرزوق ، الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، ١٩٦٠م.
- محمد عبد الغنى الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر، ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ١٥٨، القاهرة، ١٩٩٩م.
- محمد مصطفى ، متحف الفن الإسلامى، ط ١، القاهرة، ١٩٥٤م.
- الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، العدد ٤٠٠ مارس ١٩٤١م.
- محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى، القاهرة، ١٩٤٧م.
- محمود نديم ، الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٣م.
- الفن الحربى للجيش المصرى في العصر المملوكى البحرى، القاهرة، ١٩٨٢م.

رابعاً المراجع الأجنبية:

- Abd ar-Rāziq, A., "La hisba et le muhtasib en Egypt au temps des Mamluks", *Annales Islamologiques*, XIII, Le Caire, 1977, pp.115 - 178.

- Abd ar-Rāziq, A., "Les muhtasibs de Fastat au temps des Mamluks, *"Annales Islamologiques*, le Caire, 1978, pp. 127 – 146.
- Artin, Y., "Toris différentes armoiries de kait Bey", BIE, 2e série, no9, 1888, le caïre, 1889.
- Artin, Y., Contribution à l'étude de blazon en Orient, London, 1902.
- Ayalon, D., "The Great Yâssa of Chingiz Khân," SI, XXXVI, 1972.
- Ayalon, D., "Studies in the Structure of Mamluk Army", BSOAS, 1954.
- Dozy, R., Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes, Amsterdam, 1845.
- Dozy, R., Supplément aux dictionnaires arabes, I – II, Leiden, 1881.
- The Encyclopaedia of Islam, art HADJIB, vol III, Leiden, 1986, pp.45-47.
- Ernst. Herzfeld, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum. deuxième partie : syrie du nord inscriptions et monuments d'Alep. tome 1 – vol – 1 (texte), le Caire, 1955.
- Esin Atil, Art of the Arab World, Washington, 1975.
- Esin Atil , Renaissance of Islamic Art of the Mamluks, Washington, D.C., 1981.
- Ét Combe, J. Sauvaget et G. Wiet (eds), Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, le Caire, tome 13, 1944, tome 15, 1956.
- Gayet, AL., L'art arabe, Paris, 1893.
- Hassanein Rabie, The Financial System of Egypt A. H. 564 – 741/A.D.1169 – 1941, London, 1972.
- Hayat Nasser AL – Hajji, The internal affairs in Egypt During The Third Reign of sultan AL – Nāsir Muhammad B.Qālawūn, 709 – 741/1309 – 1341, Third Edition, Kuwait, 2000.
- Hiba 'Ali Yūsuf, L'éclairage à l'époque Mamlūke en Egypt, Paris, 2001.
- Lamm, C. J., Mittelaterliche Gläser und Steinschnittarbeiten aus dem Nahen osten, Band / text, Berlin, 1930.
- Lane – Poole, The Art of the Saracens in Egypt, Librairie byblos Arts et Métiers Beirut, 1886.
- Northrup, L., From Slave to Sultan the Career of AL – Mansūr Qālawūn and the Consolidation of Mamluk Rule in Egypt and Syria (678 – 689 A.H./1279 – 1290 A.D.) Germany 1998.

- Mayer, L. A., *Saracenic Heraldry, A Survey*, Oxford, 1933.
- Max. Herz, B., *Catalogue Raisonné des monuments exposés dans le musée national de l'art arabe*, Le Caire, 1906.
- Meinecke, M., *Die mamlukische Architektur in Ägypten und syrien, 648 /1250 Bis 923 / 1517*, Glückstadt, 1992.
- Quatremère. M., *Histoire des sultans mamlouks de l'Egypte*, Paris, 1844 – 1845.
- Poliak, A. N., *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, 1250 – 1900*, London, 1939.
- Irwin, R., *The Middle East in the Middle ages the Early Mamluk sultanate 1250 – 1382*. London, 1986.
- Sauvaget, J, *Caravanseñails syriens du moyen âge, II.Caravauséñails Mamelouks*, *Ars Islamica*.
- Schmoranz. G., *Old Oriental Gilt and Enameled Glass. Vessels Extant in public Museums and private collections Reproduced in their original coloring*, London, 1899.
- Van Berchem, M., *Matériaux pour un corpus inscriptonum arabicarum deuxième partie, Syrie du nord in Scriptionset monuments*.
- Wiet, G., *Catalogue général du musée arabe du Caire lampes et bouteilles en verre émaillé*, Le Caire, 1982.
- Wiet, G., *Catalogue Général du musée arabe du Caire objets en cuivre*, Le Caire, 1932.
- William Leaf, *Developments in the System of Armorial Insignia during the Ayyūbid and Mamluk Periods*, London, 1983.
- Zaky M. Hassan, *Les Tulunides*, Paris, 1933.

أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢-١٣م / ٦ - ٧هـ

د. محمد مؤنس عوض*

مصر

إن البحث في إشكالية عصر تاريخي ما؛ من شأنها تعميق دراسة ذلك العصر، ومن المقرر أنه لا يوجد عصر ما من عصور التاريخ دون أن توجد في ثناياه إشكاليته الخاصة به السابعة من ظروفه ذاتها، وأود التقرير بأن عصر الحروب الصليبية التي شنها الغرب الكاثوليكي على مسلمي بلاد الشام وأعلى العراق ومصر وشمال أفريقيا على مدى القرنين المذكورين، يوصف وبحق بأنه عصر معقد في تركيبته السياسية، والاقتصادية، والدينية، والعرقية إلى آخر تلك المفردات بحيث يمكن القول أنه العصر "النموذج" في إشكاليات الكتابة التاريخية، فقد شهد الصدام العنيف - على كافة الأصعدة والمستويات - بين حضارة الغرب الأوربي وحضارة الشرق الإسلامي، وتعددت الشعوب، والأقوام، والأعراق التي دخلت في آتون ذلك الصراع، وبالفعل كان صراعاً عالمياً في تلك المرحلة من مراحل القرون الوسطى، وطوال تلك القرون لم يحدث أن شهد العالم صداماً عنيفاً بمثل تلك الصورة ودفع مئات الآلاف حياتهم دفاعاً عن معتقداتهم سواء كانوا على صواب أم على باطل، كذلك تصارعت المثل والمبادئ السامية مع الدوافع المادية الدنيوية، وبمرور الأعوام والعقود سقطت أقنعة الرهبان وتم إدراك أن المصالح الاقتصادية كان لها القدر المعلى في العديد من المواقف الحاسمة من تاريخ ذلك الصراع.

زد على ذلك؛ أن رقعة الصراع جغرافياً اتسعت بصورة غير مسبوقة ومن الممكن وصفه في بعض مراحلها بأنه صراع بحر متوسطي بين غربي ذلك البحر وشرقه، واستهدف فيما استهدف لتينة الشرق وتتصيره وسلب ونهب ثرواته بالصورة التي جعلت المؤرخ البارز يوشع براور يصفه بأنه حركة الاستعمار - أي الاستخرا ب - الأوربي في العصور الوسطى وفيما بعد خرج المشروع الصليبي عن نطاق البحر المذكور ليشمل مناطق في داخل القارة الأوربية ذاتها ومنها ما كان يطل على بحر البلطيق.

ومن السمات البارزة لذلك العصر الذي عرف بعصر الحروب الصليبية، أن مسمياته تناقضت مع واقعة بصورة حادة؛ فالبابوية التي عُدت مؤسسة دينية صرفة، لعبت الأدوار السياسية الكاملة، ومارست العمل في دهاليزها وتجردت من المبادئ أحياناً من أجل تحقيق أهدافها بميكانيكية نادرة، على نحو يثبت أن المشروع الصليبي ذاته يعد - وبحق -

* أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الآداب - جامعة عين شمس.

لعبة سياسية كبرى هندست لها البابوية، ووضعها موضع التنفيذ، حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الأوربي الوسيط، وعلاقاته بالشرق.

تلك مقدمة موجزة، من أجل تهيئة القارئ للموضوع الأساسي الخاص بإشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية، وفي واقع الأمر أن هناك جملة زوايا يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الرؤية الرسمية للمصادر التاريخية المعاصرة:

فمن المعروف؛ أن المؤرخين الذين عاصروا أحداث تلك الحروب سواء من المسلمين أو الصليبيين أو البيزنطيين كتبوا كتاباتهم التاريخية وهم في كنف السلطة السياسية القائمة، فالكتابة التاريخية التي وصلت إلينا من ذلك العصر توصف بالفعل أنها تابعة للسلطة، وأمتزجت فيها الدعائية جنباً إلى جنب مع الحقائق التاريخية، وبالتالي فإننا نملك بالفعل مادة تاريخية مهمة عن الحروب الصليبية، ولكن من وجهة النظر الرسمية. وواقع الأمر؛ أن تلك المشكلة لا ترتبط بذلك العصر فقط بل بعصور تاريخية متعددة قديماً ووسيطاً - بصفة عامة - وبدرجة أقل حديثاً، وهي تحمل في طياتها جوانب إيجابية وسلبية معاً؛ فالمؤرخ الذي أفاد من الوثائق الرسمية، وعاصر القادة الذين صنعوا الأحداث له أهمية كبرى لأنه بدوره ما وصلت إلينا تلك المادة التاريخية المصدرة. بيد أن هناك جوانب سلبية أخرى، إذ أن ذلك المؤرخ اتجه أحياناً إلى الدعاية السياسية لأرباب السلطة من الملوك والباطرة، والسلاطين، والأمراء. ومن الصعب في ذلك العصر الفصل بين "الدعاية السياسية"، و"الكتابة التاريخية" إذ أن هناك مؤلفات متعددة وصلت إلينا احتوت الزاويتين بجلاء لا ينكر.

وخير مثال دال على "الدعاية" في ذلك العصر ما ألفه المؤرخ العراقي البارز ابن الأثير^١ الذي ألفه كتابه "الباهر" وخصصه لتناول دولة أتابكة الموصل الزنكيين، وفيه يتأكد لنا أن ارتباطه بتلك الأسرة؛ جعله بوقاً دعائياً لها، وذلك على الرغم من إدراكنا للدور البارز الذي لعبته الموصل، وتلك الأسرة في جهاد الصليبيين، وتوجيه ضربة قاضية لأولى إمارات الصليبيين في المنطقة ونعنى بها الرها Edessa عام ١١٤٤م بالإضافة إلى إسهامات نور الدين محمود ودوره في ضم دمشق عام ١١٥٤م، وإسقاط الدولة الفاطمية في عام ١١٧١م/ ٥٦٧هـ.

ولا نغفل زاوية محورية هنا، تتمثل في أن المعاصرة حجاب، فالمؤرخ المعاصر، على الرغم من علو شأنه كما أسلفت، عندما اقترب من القادة البارزين الكبار خاصة أولئك

^١ أود أن ألفت نظر الباحثين إلى أن الباحثة العراقية ميسون عبايجي تقوم بإعداد أطروحة علمية عن ابن الأثير مؤرخاً للحروب الصليبية، وذلك من جانب مركز دراسات الموصل التابع لجامعة الموصل بالعراق الشقيق تحت إشراف أ.د. جزيل عبد الجبار الجومرد.

الذين كانت لهم شخصية مؤثرة في الآخرين وتوصف بالفعل بأنها "كارزمية" انبهر بهم، ولم ير فيهم إلا ما أحب هو نفسه أن يراه، وتلك زاوية لا علاج لها؛ لأن المؤرخ المتأخر نقل عن المعاصر، وأفادت الرؤية جيلاً بعد آخر حتى وصلت إلى المؤرخ المحدث على طبيعتها تلك.

وأصدق دليل على ذلك؛ أن مؤرخ الصليبيين البارز وأعنى به وليم الصوري² A history of Wiliam of Tyre في كتابه عن تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر the deeds done beyond the sea، وجه نقده لسياسات الصليبيين فيما قبل الملك عموري الأول (١١٦٣ - ١١٧٤م)، أما في عهد الملك المذكور فقد اتسمت كتاباته بالوقوع في نطاق "الكاريزما" أو المحبوبة أو التأثيرية التي كانت لذلك الملك الصليبي البارز، ولا ريب في أن إعجاب وليم الصوري بالملك عموري ساعد على توجيه منظوره التاريخي خاصة من خلال إعجابه بحملاته العسكرية التي استهدفت الجار الفاطمي الذي كان يعاني من الانهيار الداخلي، واعتبر رجل المنطقة المريض في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري.

ومن ناحية أخرى؛ نلاحظ أنه كنتيجة للجانب الرسمي في الكتابة التاريخية صار لدينا تاريخ للحكام ولا نملك تاريخاً للشعوب فالمؤرخون الذين انتموا إلى شرائح اجتماعية عالية المستوى منهم من نظر إلى العامة نظرة احتقار ودونية بصورة انعكست على كتاباته ذاتها، وهكذا؛ تتأكد لنا المقولة التي تذهب إلى أن "التاريخ تصنعه الشعوب وينسبه المؤرخون إلى الحكام"، وذلك على الرغم من أن تلك الشعوب أفرزت قادتها وحكامها، كما أنها دفعت الثمن غالباً في مواجهة ما حل بها من عدوان سافر من جانب قوى استعمارية أجنبية طامعة في خياراتها، وأصدق مثال دال على ذلك الشعوب الإسلامية ذاتها، التي لا نملك - في الغالب الأعم - تاريخاً في ذلك العصر بل نملك تاريخاً لحكامها أنفسهم، ولا ريب في أن المؤرخين الرسميين يتحملون جانباً بارزاً من تلك المسؤولية، ونخلص من كل ذلك إلى أن حجم "الرسمية" يطغى بجلاء على "الشعبية" في تاريخ تلك المرحلة من مراحل الصراع بين الشرق والغرب في القرون الوسطى، وقد يرد البعض بأن ألف ليلة وليلة بها بعض من أصداء تلك الحروب، غير أن ذلك محدود لا يتفق كماً وكيفاً مع تلك الأحداث الصاخبة التي أكتويت بها

² عن تلك الزاوية أنظر ما ورد بشأنها في كتابي: الحروب الصليبية من قضايا السياسة والمياه والحياه والعقيدة ط. القاهرة ٢٠٠١م.

³ عن وليم الصوري انظر:

Krey, "William of Tyre the making ofAn Historian in the middle Ages", Speculum, vol. Xvi, 1941, pp. 149-166.

Davis, "William of Tyre", in Relations between East and West in the Middle Ages, ed. Derck, Edinburgh 1971, pp. 64 - 75.

Vissey, "William of Tyre and the art of Historiography", M.S., vol. XXXV, 1973, pp. 433-455.

Crawford, "William of Tyre and the Maronites", Speculum, vol. XXX, 1955, pp. 222-228.

Edbury and Rowe, "William of Tyre and the patriarchal election of 1180", E.H.R., vol. XCLL, 1979, pp. 1-25.

شعوب المنطقة. ونفس الأمر ينطبق على شعوب الغرب الأوربي ذاتها فتغيب الدور الشعبي قضية شرقية وغربية على حد سواء ولم تكن زاوية شرقية فقط.

مع ملاحظة وجود استثناء في صورة ما يعرف بالساجا Saga وهي عبارة عن الملاحم النثرية النرويجية وهي خاصة بتاريخ النرويج في أقصى شمال غربي أوربا وقد ارتبطت ببطولة قادة النرويج في العصور الوسطى، ومن أمثلتها تلك الخاصة بالملك سيجورد Sigurd الذي قام بحملة صليبية إلى بلاد الشام خلال المرحلة من ١١٠٧ - ١١١٠م / ٥٠١ - ٥٠٤هـ^٤.

ومع ذلك، فإن الساجا تعد مصدراً تاريخياً خاصاً بتلك الدولة ولا تتعداها إلى مناطق أخرى، أما بالنسبة للدول الأخرى خاصة إنجلترا وفرنسا وألمانيا فهي تعاني في عصر الصليبيات من نفس تلك المشكلة.

ثانياً: اتجاهات المؤرخين المذهبية وأثرها على الكتابة التاريخية:

من الملاحظ؛ أن الميول المذهبية لمؤرخي تلك الأحداث أثرت تأثيراً بارزاً على كتاباتهم التاريخية، وفي هذا المجال؛ نلاحظ بجلاء أننا لا نملك تصوراً تاريخياً للدولة الفاطمية من زاوية شيعية صرفة بل من خلال وجهة النظر السنية المعادية لمؤرخين ارتبطوا بالعصرين الأيوبي والمملوكي، ونفس الأمر يمكن أن يقال بالنسبة للفرق والقوى الدينية التي وجدت في بلاد الشام في ذلك العصر سواء بالنسبة للدروز أو الإسماعيلية النزارية^٥، لقد كان عداء المؤرخين السنيين لتلك القوى شديداً ووصفهم بالتالي بأوصاف بالغة السوء، وضاعت عن عمد أو من خلال أحداث الصراع الحربي بين المسلمين والصليبيين أية كتابات تعبر عن وجهة نظرهم إلا ما ندر في صورة شذرات هنا وهناك. وأورد التقرير؛ أن تلك الآراء أوردها على الرغم من الدور السيئ الذي قامت به عناصر الإسماعيلية النزارية في اغتيال قادة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين حينذاك مثل شرف مودود وغيره من كبار القادة.

وعلى الرغم من أن لدينا قدراً من المصادر الشيعية في صورة المؤرخ الشيعي الحلبي ابن أبي طيء^٦ الذي وصلت إلينا بعض النقول من مؤلفاته في صورة ما أورده أبو

^٤ من الساجا انظر:

The Oxford reference dictionary, London 1962, p.726, Wright, the Geographical lore in the time of the Crusades, New york 1965, p.346, the Oxford English dictionary, vol. Lx, Oxford 1973, p.82, Dictionary of the Middle Ages, Newyork 1989, p.616.

وانظر هذه الدراسة: محمد مؤنس عوض، "الحملة الصليبية النرويجية الملك سيجورد ودوره في دعم الحركة الصليبية (١١٠٧ - ١١١٠م / ٥٠١ - ٥٠٤هـ)"، ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية، ط. عمان ١٩٩٩م، ص ٧٠ - ٦٠.

^٥ عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض، التظلمات الدينية الإسلامية المسيحية في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، م ١٩٨١م، ص ١٩٧ - ٣٤٣.

^٦ تقوم الباحثة شيرين شلبي عشاوي للمدرسة المساعدة بكلية البنات - جامعة عين شمس بإعداد أطروحة علمية عن المؤرخ ابن أبي طيء بأشراف المؤرخة الرائدة أ.د. سيدة إسماعيل كاشف.

شامة المقدسى (ت ١٢٦٧م / ١٢٦٧م) وابن الفرات (ت ١٤٠٥م / ١٤٠٥م)، إلا أن هذا القدر محدود.

وعلى الجانب الآخر؛ لدينا رؤية البابوية واضحة، بينما لا نملك رؤية الوالدنسيين والكتاريين الذين عارضوا المؤسسة الدينية الأوربية في ذلك العصر؛ على نحو يثبت لنا أن القضية لم تكن مقتصرة على الشرق فقط، بل أن الغرب كان له أيضاً نصيبه في تلك الزاوية تماماً مثل مشكلة الطابع الرسمي الذي تناولتها من قبل.

ولا ريب في أن الميول المذهبية لمؤرخي ذلك العصر، كان لها دورها البارز في كتاباتهم التاريخية، ومن اليسير اكتشاف المعتقد الديني والمذهبي لمؤرخ ذلك العصر دون كبير عناء من خلال تصفح ما كتب من خلال تعاطف الظاهرة الدينية حينذاك. الأمر الذي يجعل المؤرخ المحدث يبذل جهداً جهيداً من أجل البحث عن "المسكوت عنه" في المصادر التاريخية هنا وهناك لعله يجد ضالته التي يتعطش لها.

ثالثاً: التفسير النفسى لتاريخ الحروب الصليبية:

من الأمور المقررة، أن التفسير النفسى قد نجح نجاحاً كبيراً في مجالات الإبداع الأدبى، ودراسات النقد الأدبى، غير أنه في مجال الكتابات التاريخية اعتاد المؤرخون الاعتماد على تفسير الأحداث السياسية من خلال الدوافع الاقتصادية، والدينية، والاجتماعية، ومع ذلك؛ فإن التفسير النفسى لأحداث التاريخ - خاصة خلال مراحل الصدام الحضارى واندلاع الحروب الكبرى بين قوى شديدة التباين في نمط الحياة ذاتها، وكذلك في المصالح..... الخ - أمر حيوى للغاية، وبالتالي فإن تاريخ الحروب الصليبية يصعب فهمه فهماً حقيقياً - وفق تصورى الشخصى - دون إدراك الدوافع النفسية التي حركت الأفراد القيايين وكذلك جموع الحشود البشرية ذاتها.

وهناك في هذا المجال العديد من المصطلحات التي تفيدنا مثل الكارزمية - وقد أشرت إليها من قبل - ثم سيكولوجية الحشود، والسادية، والفوبيا... إلى آخر تلك المدلولات النفسية ذات الأهمية الكبيرة في أحداث ذلك العصر، ومما يذكر هنا؛ أن المؤرخين المعاصرين اعتادوا تناول أبناء عصرهم على أنهم أسوياء من زاوية الصحة النفسية، بل أن المؤرخين المحدثين تعاملوا معهم بذات التصور، وهو أمر يمثل مشكلة حقيقية، فالمنطق يدعو إلى تصور أن هناك أشخاصاً أسوياء وآخرين لم يكونوا كذلك، لقد كانت هناك شخصيات حركتها عقد نفسية مثلما يحدث في كل عصر تاريخى آخر، ودون إدراكها يصعب أن نضع أيدينا على مفاتيح تلك المرحلة الثرية من مراحل الصراع بين الشرق والغرب في القرون الوسطى.

وأود أن أقدم هنا أمثلة على المستوى الفردى، والجماعى، لتوضيح ذلك الأمر؛ فعلى المستوى الفردى؛ نجد أن الفارس الفرنسى رينودى شاتيون أوارناط الذى مكث في أسر

المسلمين قرابة عقد ونصف من الأعوام، عندما خرج من سجنه، حركته - على الأرجح - رغبة عارمة في الثأر من المسلمين، لقد كانت تلك الرغبة المتأججة في صدره أكبر من قدرته على كتمانها، وجاء وصول ذلك الرجل إلى صدارة الصفوف الأولى في قيادة الصليبيين كان بمثابة إعلان حرب حقيقية على المسلمين، وهكذا، كان إرناط عاملاً رئيسياً في حدوث الصدام الحربى الكبير في معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م الذى أدى إلى انهيار مملكة بيت المقدس الصليبية بعد أن عمرت قرابة تسعة عقود من عمر الزمان ١٠٩٩ - ١١٨٧م مع عدم إغفال تأثير الظروف التاريخية الأخرى ذاتها حينذاك بطبيعة الحال.

والمثال الآخر؛ يمكن إدراكه في المؤرخ البارز وليم الصورى، لقد تحرق شوقاً من أجل الوصول إلى منصب بطريرك بيت المقدس، غير أنه لم يصل إلى ذلك المنصب الرفيع ووجد من هم أقل كفاءة منه يصلون إليه، بل ومنهم من كانت تشوب سمعته الشخصية شوائب أخلاقية يندى لها الجبين - مثل البطريرك هرقل - ومن المفترض أن تلك الزاوية شكلت "عقدة نفسية" حقيقية لذلك المؤرخ الفذ، وأن إحساسه بذلك الواقع الشخصى المتردى، وعدم تحقيقه لطموحاته ملكت عليه فؤاده، جعله ينتقل من "الخاص" إلى "العام" فرصد الزوايا السلبية فى تاريخ الصليبيين المعاصرين له، ولذلك تحدث عن من يقوم بإنقاذ مملكة بيت المقدس الصليبية، بل توقع انهيارها من قبل حدوث ذلك على اثر حطين، وفى تقديرى، أن أزمة ذلك المؤرخ النفسية الشخصية الخاصة - على الأرجح - جعلته يدرك ما لم يدركه أقرانه من المؤرخين من عوامل الانهيار الداخلى للمملكة المذكورة بالإضافة إلى روحه النقدية ورويته العقلانية لوقائع التاريخ ذاتها.

وهكذا؛ فإن التفسير النفسى لتاريخ تلك المرحلة يقدم لنا اقتراباً مهماً لزوايا متعددة قد لا تفصح عنها المصادر التاريخية بصورة مباشرة بل علينا البحث فيما بين السطور لإدراك الأزمات النفسية وأبعادها وآثارها فى سلوك الأفراد القياديين سواء على مستوى الفعل السياسى أو الكتابة التاريخية ذاتها.

وعلى الصعيد الجماعى؛ نجد أن الغزاة الصليبيين عندما قدموا إلى المنطقة قاموا بعدد من المذابح ضد اليهود كما فى حوض الراين بألمانيا عام ١٠٩٦م وكذلك ضد المسلمين بلغت ذروتها فى ١٥ يوليو ١٠٩٩م فى صورة مذبحه بيت المقدس الشهيرة التى يقال أن عشرات الآلاف من المسلمين راحوا ضحيتها، وعند بحث دوافع الصليبيين لارتكاب تلك المذابح، لابد من الاعتراف بأن البحث فى نفسياتهم وسيكولوجية الحشود يمكن أن تفيدنا، فهناك الرغبة فى الثأر، ثم هناك التلذذ بتعذيب الآخرين أو ما عرف بالسادية Sadism، حقيقة أن المصادر التاريخية المعاصرة لا تحدثنا مباشرة عن تلك الزوايا النفسية غير أن علينا تحليل ما ورد فيها من معلومات من أجل التوصل إلى ماهية الحالة النفسية والمزاجية العامة التى حركت الصليبيين لاتخاذ موقف جمعى عدوانى تجاه المسلمين بمثل تلك الصورة

البشعة، وذلك دون إغفال الدوافع المحركة الأخرى، كالتعصب الدينى الشديد على سبيل المثال.

وقد يتساءل القارىء، وما وجه الإشكالية هنا؟ والإجابة عن هذا التساؤل تتمثل فى المؤرخين عموماً لا يفضلون ذلك الاتجاه، ولم يصل التفسير النفسى للتاريخ إلى المستوى اللائق به من الاعتراف الأكاديمى على الرغم من أهميته الكبيرة، لقد قطع التفسير النفسى شوطاً كبيراً فى مجال النقد الأدبى - كما أسلفت الذكر - ؛ غير أنه لم يزل يحبو فى مجال تفسير أحداث التاريخ ضمن سياقها الحقيقى الذى وقعت فيه.

رابعاً: تغييب دور المرأة فى عصر الحروب الصليبية:

من الملاحظ أن عصر الحروب الصليبية سواء فى الغرب الأوروبى أو فى بلاد الشام شهد ظاهرة "تعاظم تاريخ الرجل" على حساب دور المرأة، لقد أبرز المؤرخ الرجل دور الرجال عموماً فى صنع الأحداث، وتدرت الإشارات المصدرية الخاصة بالمرأة بصفة عامة، ولا نملك تعليلاً لذلك سوى الطابع المحافظ للقرون الوسطى عموماً فى الشرق والغرب، وذلك على الرغم من أهمية الدور الكبير الذى لعبته المرأة فى ذلك العصر كأم، وزوجة، وابنة، وأخت، غير أن المصادر التاريخية تتجاهل ذلك - إلا فى القليل النادر - لتظهر دور الرجل المحارب والسياسى، دون الحديث عن الخفيات الحياتية التى كان عليها، ويمكن القول - دونما مبالغة - أن عصر الحروب الصليبية شهد دوراً بارزاً للمرأة - على نحو مفترض - لم يكن ليقل عن الرجل، غير أن الأخير كان الخصم وكان الحكم فى نفس الحين، فعمل عادة على عدم إبراز دور المرأة، على نحو قدم معه صورة العصر منقوصة على نحو مؤكد.

وقد يرد البعض أن هناك أعلاماً من النساء الصليبيات والمسلمات مثل الملكة الصليبية ميلزندا أم الملك الصليبي بلدوين الثالث، واليانور زوجة الملك لويس السابع ملك فرنسا، كذلك لا نغفل دور ضيفة خاتون، وست الشام وشجر الدر وغيرهن من النساء المعاصرات. غير أن هذه أعداد قليلة من النساء البارزات على مستوى القمة، أما القاعدة الشعبية العامة، فالمرأة فيها لا ذكر لها فى المصادر التاريخية بصورة متوازنة مع ما ورد بشأن الرجل.

إن ذلك الوضع الذى يمثل وبحق "مشكلة" فى معالجة المصادر التاريخية لما اعتدنا تسميته فى عصرنا الحالى بأنها "نصف المجتمع" انتقل إلى المعالجات الحديثة. فمازال الباحثون يتجهون إلى "الرجل" كفاعل تاريخى دون التعرض إلا نادراً للمرأة، على نحو دعم "التاريخ الذكورى" لتلك الحقبة وبالتالي يمكن القول أن المرأة فى عصر الحروب الصليبية ظلمت عدة مرات، فقد ظلمت عندما غدر بها المشروع الصليبي تحت أوهام صنعتها البابوية من أجل الذهاب إلى الشرق حيث الأنهار التى تفيض لبناً وعسلاً وسارت بجوار الرجل إلى هناك، غير أن الأيام أثبتت أن الثمن الفادح دفعته المرأة حيث كانت الأرملة، والثكلى من

جسراء الصراع مع المسلمين في الشرق، وظلمت عندما تجاهلها المؤرخون المعاصرون بالصورة التي شهدت عليها كتاباتهم نفسها، وظلمت من المؤرخين المحدثين - وهم في ذلك في وضع اضطراري - عندما ساروا في نفس مسيرة المؤرخين المعاصرين الذين تعرضوا لذلك العصر بالكتابة التاريخية وكان لهم موقفهم حيال المرأة.

وقد يرد البعض على تلك العبارات السابقة بأن الأمر فيه جانب من الافتعال، وأن طابع تلك المشكلة موجود في الكتابة التاريخية عموماً قديماً، ووسيطاً، وحديثاً. والرد على ذلك أننا ينبغي أن ندرك حجم المشكلة في واقعها الصحيح، واستمرارها لا يعطيها حق الوجود دون التعرض لأبعادها بالدراسة. وبالفعل يمكن وصف المرأة في عصر الحروب الصليبية بأنها كانت الجندي المجهول وراء تاريخ الرجل خاصة المرأة المسلمة التي وقفت تدعم الجبهة الداخلية في مواجهة الغزو الصليبي الاستتبابي للمنطقة.

خامساً: الريف والمدينة والعلاقة الجدلية بينهما وأثرها على الكتابة التاريخية:

واقع الأمر؛ أن بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، على الرغم من اتساع مساحة الريف فيها على المستوى الجغرافي ومحدودية المدن فيها، إلا أن الريف كان حظه من الكتابة التاريخية الإسلامية والصليبية محدوداً بصورة تسترعى الانتباه، على نحو يكشف عن التناقض بين "المساحة الجغرافية"، و"مساحة الإشارات المصدرية التاريخية"، وعلى حين تسانثت الإشارات الخاصة بالمدن مثل دمشق، حلب، بيت المقدس، عكا، إنطاكية، طرابلس، حمص، حماه، بيروت إلى غير ذلك من المدن الشامية سواء العواصم السياسية أو الموانئ التجارية أو المدن ذات الطبيعة المقدسة نظراً لطابع الحج بها كما الحال في بيت المقدس، على الرغم من ذلك كله؛ إلا أن الريف تعرض لتهميش المصادر بصورة واضحة، وصار لدينا تساريخ للمدن أكثر من كونه تاريخاً للريف ويمثل ذلك تناقضاً واضحاً في ذلك العصر والكتابة التاريخية بشأنه.

لقد استأثرت مدن الشام الكبرى خاصة دمشق، وبيت المقدس بجانب كبير من اهتمام المؤرخين فألفت الكتب المتخصصة في فضائلها، وحتى في خططها، ودروبها، ومسالكها، وأسواقها وقياسرها على نحو يجعل المؤرخ يملك مادة مصدرية ثرية معاصرة عن تلك المدن بينما يجد الصمت يلف القطاع الريفي حينذاك - إلا القليل النادر - أرضاً وبشراً، وتعرض الأخيرون - وأعنى بهم عناصر الفلاحين - إلى التهميش بحكم الانتماء الطبقي للمؤرخين، وبحكم استئثار أهل المدن باهتمام الكتابة التاريخية حينذاك.

ولا نغفل أن الريف الشامي - خاصة في مناطق الحدود بين أملاك المسلمين والصليبيين - نكب من جراء الصدام الحربي بين الطرفين، ودفع الريف الشامي المسلم ثمناً باهظاً في العديد من الأحيان من جراء سياسات التخريب، والسلب، والنهب التي اتبعتها الغزاة

من أجل تدمير موارد المسلمين الاقتصادية وكذلك إجبار الفلاحين على ترك أراضيهم إلى مناطق أكثر أمناً ليسهل على الصليبيين الاستيلاء عليها من بعد ذلك.

وحقيقة الأمر؛ أننا نجد إشارات متناثرة عن الريف خاصة لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين - على سبيل المثال. مثلما لدى الإدريسي (ت ق ١٢م) في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وابن جبير (ت حوالي ١٢١٦م)^٧ في رحلته الشهيرة، وذات الأمر يمكن أن يقال عن بعض الإشارات عن عدد من المستعمرات التي شيدها الصليبيون في الضفة الغربية لسنهر الأردن كما في حالة البيرة (ماجنا ماهومريا) Magna Mahumeria والقببية، وكفر مالك حيث نجد عنها تلك الإشارات في عدد من المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة ومن أمثلتها مؤلفات الرحالة الأوربيين وكذلك وثائق كنيسة الضريح المقدس^٨ إلا أن تلك الإشارات لا تتفق البتة مع ما لذلك القطاع من أهمية كبرى بحكم كونه المخزون البشري والانتاجي الذي شكل الجبهة الداخلية لكل من طرفي الصراع.

سادساً: الموضوعية في الكتابة التاريخية عن عصر الصليبيات:

يعد عصر الصليبيات وبحق - عصراً معقداً في التفاعل معه على صعيد الكتابة التاريخية ومسدى ما بها من موضوعية واجبة، في ظل العداء السياسي، والديني، ونفي كل طرف للآخر، كذلك أدت السياسات التي اتبعتها الصليبيون والمذابح التي ارتكبوها بحق المسلمين خلال المرحلة من ١٠٩٨ إلى ١١١١م إلى تكون ميراث للكراهية صنعتها أساساً روح التعصب الصليبي ضد كل ما هو غير مسيحي، وانعكست روح العداء بين الطرفين على كتابات مؤرخي ذلك العصر، وعبروا عن ذلك في التراث التاريخي الذي وصل إلينا، والآن؛ وبعد مرور تسعة قرون من اندلاع آتون الحروب الصليبية، هل نجد موضوعية في كتابات كل طرف عن الآخر؟ واقع الأمر؛ أن شرط الموضوعية كانت تتنابه في العديد من الأحيان عوامل تخرجه عن مساره الطبيعي مثل العداء السافر بين الجانبين، وميراث الكراهية المتنقل من جيل لآخر، وباستثناء حالات من الأحكام الموضوعية، كما نجد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ من حيث إيراد المزايا ومظاهر النقص لدى الطرف المعادي، وامتداح ولیم

^٧ عن ذلك انظر:

الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق ديفيلا وآخرين، ط. نابولي ١٩٧٠ - ١٩٧٧م، ص ٥٦٣ ابن جبير الرحلة، ط. بيروت ب.ت، ص ٢٧٥، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٣، ص ٣٠٣.

^٨ عن مستعمرة البيرة الصليبية انظر:

Pringle, "Magna Mahumeria (al - Bira) the Archaeology of a new town in palestine", in Crusade and settlement, ed. by peter W. Edbury, Cardiff 1985, pp. 148 - 168, Abel, :Les deux Mahumeria El Bira, Elqoubeibeh" R.B., T.XXXV, 1926, pp. 272 - 283.

محمد مؤنس عوض، "أضواء على مستعمرة البيرة الصليبية Magna Mahumeria (١١١٥ - ١١٨٧م) / ٥٠٩ - ٥٨٣ هـ) مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد (١٠)، مارس ٢٠٠٢م، ص ٧ - ٨٥.

الصورى لنور الدين محمود على سبيل المثال؛ نجد أن العداء الشديد حكم مواقف المؤرخين فى ذلك العصر، ودونما شيفونية خرقاء؛ نجد أن المصادر الصليبية حملت عداءً دفيناً ضد الإسلام وأهله، ولم تتوافر لدى أوربا النظرة الموضوعية لذلك الدين وأهله إلا لدى قطاع محدود من الباحثين المحدثين، أما تراث العصور الوسطى فهو تراث قائم على نفى الآخر وعدم الاعتراف به. مما يجعل من كتابات مؤرخى تلك العصور بصفة عامة، وعصر الحروب الصليبية بصفة خاصة، نوعاً من الذاتية الصرفة - فى العديد من الأحيان - وبصورة تكشف لنا عن مآزق الكتابة الموضوعية وحتى على مستوى الكتابة الحديثة عن ذلك الصدام بين الشرق والغرب حينذاك، نجد انعكاسات الماضى حاضرة الآن، ولا نغفل زاوية مهمة، وهى أن من الصعب بل والمستحيل أحياناً أن نطلب من أهل البلاد الأصليين أن يكونوا موضوعيين فى تناول تاريخ الغزاة الذين هاجموا بلادهم، واصطبغ تاريخهم بروح التعصب ونهبوا موارد المنطقة نهباً منظماً.

نحن بالفعل أمام مشكلة المشاكل، كيف نسعى للكتابة بموضوعية عن نهب المنطقة؟ وفى تقديرى أن من الموضوعية إبراز كيف تم سلب ونهب المنطقة العربية عندما قدم إليها الغرب الأوربى تحت قناع الدين كى يقوموا بالسطو عليها.

سابعاً: المركزية الأوربية وأثرها على الكتابة التاريخية الحديثة عن عصر الحروب الصليبية: من المعروف؛ أن تاريخ الحروب الصليبية من خلال المعالجة الحديثة بدأ فى الغرب الأوربى فى أخريات القرن التاسع عشر الميلادى، وتطور على أشكال متعددة مثل نشر المصادر التاريخية وكذلك التأليف فى العديد من موضوعات تاريخ تلك الحروب، وصارت لدينا أعمال عدة مدارس مثل المدرسة الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، ثم امتد الأمر إلى وجود مدرسة أمريكية لها إسهامها فى ذلك المجال، وصار لدينا بالتالى آلاف الدراسات التاريخية فى صورة كتب، أو مقالات بعدة لغات أوربية مثل الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والأسبانية، والبرتغالية، بل والسويدية، والدنماركية ... الخ، ويكفى للتدليل على حجم التأليف فى مجال تاريخ الحروب الصليبية فى الغرب الأوربى واتساع نطاقه؛ أن المؤرخ الألمانى البارز هانز ماير Hans Mayer قد ألف كتاباً بالألمانية عنوانه: Bibliographie Zur Geschichte der kreuzzuge, Hannover 1965. أى بيبليوغرافيا على تاريخ الحروب الصليبية، ط. هانوفر ١٩٦٥م، وفى هذا الكتاب يحدد لنا المؤلف عدد (٥٣٢٣) دراسة عن الحروب الصليبية حتى العام المذكور، ويلاحظ أن الخمس وثلاثين عاماً التالية شهدت إنفجاراً معرفياً فياضاً من المؤلفات الحديثة فى المجال المذكور، وكذلك فى وسائل الاتصال لاسيما شبكة الأنترنت ويمكن متابعة جزء مهم منها فى القسم الذى خصصه ذلك المؤلف فى الجزء الأخير من موسوعة سيتون عن تاريخ الحروب الصليبية Setton, A history of the Crusades, vol. Vi, Wisconsin 1989. أما العالم

العربي؛ فقد عرف التاريخ الحديث للحروب الصليبية بعد الحرب العالمية الثانية عندما عاد بعض المؤرخين المصريين الرواد من بعثات من إنجلترا وفرنسا ليقودوا باحثين شبان آخرين في المجال المذكور، ونذكر في هذا المجال جهد الرائد البارز الراحل أ.د. محمد مصطفى زيادة الذي أشرف بدوره على أستاذين رائدين كبيرين هما أ.د. حسن حبشي، أ.د. سعيد عاشور؛ وهما من كبار مؤرخي العالم العربي في مجال الصليبيات، ولا نغفل أن العالم الراحل أ. عزيز سوريال عطيه، أشرف على العالم الراحل أ. جوزيف نسيم يوسف^٩، ويعد من أهم من ألف، وأشرف على العديد من الطلاب في جامعة الإسكندرية، ولتواصل المسيرة من بعد ذلك على أيدي مؤرخين آخرين في مصر وشقيقاتها العربيات وبصفة عامة؛ فإن عهد التأليف في الصليبيات في العالم العربي حديث إذا ما قورن بالعالم الغربي الأوربي، والأمريكي، وتعاني دراسة الصليبيات في العالم العربي من التناثر وغياب مراكز الأبحاث ويلاحظ هنا؛ أننا كباحثين عرب نعتمد في مجال الصليبيات نعتمد على جهد الأوربيين والأمريكيين التأليف، وهم ينطلقون من منطلقات دينية وسياسية تختلف تمام الاختلاف مع نظائرها لدى المؤرخين العرب والمسلمين عموماً. ومن هنا جاءت خطورة الاعتماد على كتابات المؤرخين الغربيين دون ملاحظة ما تنطوي عليه من أهداف، ومآرب، ولا نغفل أن القضية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة الاستشراق، ونظرة الغرب للشرق مع ملاحظة أن الارتباط بينهما من خلال ندبة حقيقية أمر غير وارد، ونظرة المؤرخين الغربيين لتاريخ عالمنا العربي في العديد من مراحل نظرة نطلق من منطلقات شيفونية، والقليل الذي يتعامل مع قضاياها بنوع من التوازن والاعتدال، ولاريب في أن الأمر مرتبط بمراحل طويلة من العداء بين الشرق والغرب، كان الشرق خلالها مستهدفاً، وكان الغرب فيها يقود مشروعاً للتوسع والهيمنة خدمة لمصالحه ومطامعه العليا.

ويكفي للتدليل على آثار المركزية الأوربية ما يمكن وصفه. ويحق 'بأزمة المصطلح'؛ فالملاحظ أن عصر الصدام بين الغرب والشرق - بحكم أن الغرب هو الذي بدأ الصدام أصلاً مع الشرق - احتوى على العديد من المصطلحات صنعتها تلك المركزية، ومن أمثلتها مصطلح "الحروب الصليبية"، وهو مصطلح خاطيء وشائع للأسف الشديد على الرغم من أنه لا ينطبق على الواقع في شيء وبالتالي فهو مضلل أكثر من كونه معبر عن الحقيقة، ثم مصطلح الشرق الأدنى والشرق الأوسط وهي نتاج حركة الاستعمار الأوربي الحديث التي صنفت الشرق إلى أدنى وأوسط وأقصى من خلال المركزية المشار إليها، كذلك نذكر

^٩ عن الاطروحات العلمية التي أشرف عليها الراحل أ.د. جوزيف نسيم يوسف لنظر: دليل الرسائل الأكاديمية (دكتوراه - ماجستير - دبلوم) التي أجازت بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية من ١٩٤٢ - ١٩٩٨م، ط. الإسكندرية ١٩٩٩م، ص ١٦٨ - ١٧٨.

مصطلح ريكونكوستا Reconquista أو حرب الاسترداد الإسبانية، من وجهة نظر أسبانيا بالطبع والذي يستعمله البعض من الباحثين العرب دون إدراك لخطورته.

وواقع الأمر؛ إن من المهم العمل على دراسة مثل تلك المصطلحات وخطورتها على الكتابة التاريخية في منطقتنا العربية لأنها نتاج مؤرخي وسياسي الغرب خدمة لأهدافهم ونستعملها على الرغم من التباين الشديد في رؤيتنا لتاريخنا ورؤيتهم هم، وبالتالي فالمشكلة الحقيقية ليست مشكلة مصطلح بل التعبير عن إطار فكري نظري أكبر وأشمل لتجنب أن يصبح مستهلكين لكتابات الغرب التاريخية.

وفي تصوري أنه لا سبيل للفكاك من المركزية الأوروبية إلا من خلال خلق مركزية عربية إسلامية تهدف لإبراز الهوية الدينية، والشخصية القومية، لا أن نكون تابعين للغرب على حساب تلك الهوية خاصة في الآونة الأخيرة التي ظهرت فيها ادعاءات العولمة، والفرنكفونية، وكلها تعنى إذابة الهوية الدينية واللغوية، لمصلحة قوى أوروبية وأمريكية تهدف إلى السيادة العالية بكل الصور والمستويات الثقافية - وهي أخطرها - والاقتصادية، والسياسية.

ومنطقي أن ذلك يتحقق من خلال إقامة مراكز البحوث المتخصصة^{١٠}، التي تتابع ما يصدر في الغرب الأوربي والأمريكي، وتتأوله بالبحث والدراسة والنقد، ثم إصدار المؤلفات الببليوغرافية العربية^{١١} من أجل رصد ما يصدر لا أن يكون العرب بمثابة جزر متناثرة كل يعمل دون أن يعرف ما يؤلفه غيره من الباحثين في المجال المذكور.

وأود أن ألفت نظر القارئ إلى أن المؤرخين الإسرائيليين^{١٢} لهم دور بارز في مجال تاريخ الحروب الصليبية حالياً، وعلينا أن يكون لنا دورنا ونرد على ما في مؤلفاتهم من

^{١٠} سبقت لى المطالبة بمثل تلك المراكز المتخصصة عن ذلك انظر: محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ص ١١٢. وتمت الاستجابة بالفعل من جانب القائمين على مؤتمر بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية الذي عقد في جامعة اليرموك وصدر عنه هذا الكتاب القيم: مجموعة من الباحثين، بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي لفرجي ٤٩ - ٦٩٠هـ، جامعة اليرموك ٢٠٠٠م، ص ١٧ (حيث وردت الإشارة إلى مثل تلك المراكز المتخصصة ضمن توصيات المؤتمر).

^{١١} عن جهود المؤرخين العرب في مجال الحروب الصليبية انظر: فسططين زريق، ما ساهم بالمؤرخون العرب في المائة السلة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي عن فترة الحروب الصليبية. مجلة الأبحاث - الجامعة الأمريكية بروت، لسنة (١١٢) ، جـ (٢٢ يونيو ١٩٥٩)، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية. ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٧٧ - ٢٥٤.

^{١٢} عن اسهاماتهم انظر: يوشع برار، عالم للصليبيين. ت. قاسم وخليفة، ط. القاهرة ١٩٨١م. الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس الصليبية، ت. عبد الحافظ عبد الخالق البناء، ط. القاهرة ٢٠٠١م، محمد مؤنس عوض، فصول ببليوغرافية ص ٢٠٧ - ٢٩٤ حيث تم تخصيص فصل مستقل للتعريف بأهم المؤرخين الإسرائيليين وإسهاماتهم في المجال المذكور.

إدعاء بشأن حقوق يهودية في أرض فلسطين أو المبالغة في حجم الدور اليهودي خلال أحداث الصراع بين الشرق والغرب في القرنين ١٢، ١٣م.

مجمال القول؛ أننا نواجه تحديات خطيرة وعلينا أن نقتبه إلى أهمية دراسة التاريخ عمومًا، وتاريخ صراعنا مع الغرب، خلال القرون الوسطى من أجل المحافظة على هويتنا فلاريب أن دراسة مرحلة الحروب الصليبية من شأنها تعميق الهوية، والاستفادة من تجاربنا في الاصطدام مع الغرب، وعدم الوقوع في أسره، والانبهار به، لأن تلك هي بضاعته وسيطًا، وها هي الآن بضاعته حديثًا، ولا يفهم من تلك العبارات أية خصومات معه فالتاريخ حوار الحضارات، غير أن الحوار المطلوب قائم على الندية والاعتراف بالآخر لا إغائه أو التعامل معه بدونية، لأن أمة العرب لها الفضل الحضاري على أوربا ذاتها في القرون الوسطى، وعلينا الخروج من مازق التفاخر بالماضي لنصنع ذاتنا الحالية بثقة بالنفس وإنهاء وهم التفوق الغربي الذي صنعها المستعمر في نفوسنا كي نظل نعمل في فلكه ولا نتمكن من الخروج من أسره وبالتالي نتجاوز مرحلة: التاريخ العبد: إلى مرحلة أخرى مغيرة وأعنى بها مرحلة: التاريخ الحافز" وهو أمر أساسي لأية نهضة مستقبلية مرتقبة.

ذلك عرض لملاح إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في بلاد الشام خلال

القرنين ١٢، ١٣م.

الفیکنج وَاغاراتهم على الإمبراطورية الكارولنجية

د. وفاء عبد الله مزروع

المملكة العربية السعودية

مقدمة:

يعتبر الفیکنج من العناصر الشمالية التي سكنت شبه جزيرة سكنديناوة وشبه جزيرة الدانمارك والتي اتخذت إغارتها على أوربا شكلاً كاسحاً في القرن التاسع الميلادي، ولقد انقسموا إلى ثلاثة أقسام رئيسية الدانمركيين والنرويجيين والسويديين، واتخذت إغاراتهم على أوربا شكلاً بحرياً كاسحاً أقرب إلى القرصنة منه إلى الزحف البري التي اتصفت به هجمات بقية الشعوب الجرمانية، وقد ركزوا اهتمامهم على الإمبراطورية الكارولنجية وإنجلترا. ولقد أدت إغاراتهم على الإمبراطورية إلى زعزعة أركانها وتقويض عاصمتها.

وتتناول هذه الدراسة هذا العنصر الجرمانى بالبحث والتفصيل، فبدأت بتمهيد عنهم ثم إغاراتهم على الإمبراطورية الكارولنجية، ثم تأسيس نورمانديا وانتهت بما تميزت به حضارتهم.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد.

يعتبر الفيكنج Vikings أو الشماليون Northmen هم مجموعة الشعوب التي سكنت شبه جزيرة سكنديناو Scandinavia وشبه جزيرة الدانمرك وحوض البحر البلطي من السويديين Swedens والنرويجيين Norwegans والدانين Danes، ويرجع أصلهم للعنصر الجرمانى أو التيونى الذى سكن تلك المناطق منذ أوائل القرن التاسع الميلادى.¹

ولقد أدت عزلتهم من موطنهم إلى تباين كبير بينهم وبين العناصر الجرمانية التي غزت أوربا، ذلك أن الفيكنج ظلوا براهرة مخلصين على أوضاعهم البدائية فيما يختص بنظم الحكم والبناء الاجتماعى والديانة. وأدت عزلتهم وتطرف موضعهم الجغرافى إلى عدم احتكاكهم بسكان الإمبراطورية الرومانية أو التأثير بهم حتى كان القرن التاسع عندما بدأت إغارتهم على العالم الأوروبى الجنوبى² حيث بدأت أعدادهم في هذه المناطق تزايداً كبيراً واضطرتهم الحاجة الماسة إلى البحث عن مناطق جديدة وإلى الإغارة على الممالك المتناحرة، ودفعت طبيعة بلادهم الجبلية ذات الغابات والأحراش والمستنقعات إلى أن دفعت بهم إلى ركوب البحر، فبرعوا في أمور الملاحة وصيد الأسماك ووجهوا نشاطهم إلى أعمال القرصنة التي كانت تستلزم بناء السفن التي تفوقوا بها، وتميزوا ببناء سفن صغيرة مكشوفة اتصفت بالطول وقلة العرض، وأن نهايتها مدببة، ودعمت كل من حافتيها بصف من الدروع، وتسير بالمجداف أو الشراع، وجابوا بها شواطئ أوربا من البحر البلطى إلى البحر المتوسط وأصبحوا من أعظم الشعوب البحرية بل وسادة للبحار.³

أما عن كتابتهم فقد عرفت تلك الشعوب الكتابة بالأبجدية الرونية، التي كانت تضم ستة عشر رمزاً، وكانت أحجار الشواهد مغطاة بنقوش كتابة رونية؛ أما الحضارة المادية فقد عرفت بشكل واضح في عصر الفيكنج وتأثرت بقوة بتيارات خارجية، وكانت متميزة بالبذخ والبحث عن الأثر الفنى، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ وكان أثاث الزعماء وعرباتهم وأسرتهم الخشبية منقوشة بواسطة الحفر، وأسلحتهم أقل زينة؛ وكانت التروس ومقابض السيوف وبلطات الأسلحة مزدانة بخيوط نحاسية، ولقد اهتموا بصناعة الحلى، واستفادوا من الذهب، إلا أنهم استعاضوا عنه بالفضة التي صنعوا منها حلماً وأدوات، وعنوا في تزيينهم بأسلوب الزخارف الحيوانية المعروفة منذ عدة عصور.

¹ Haskins, Ch. H., The Northmen in the European History, New York, 1959, pp. 30-31.

² Cantor, N., Medieval History, New York, 1967, p.121.

³ Stephenson, C., Mediaeval History, New York, 1943, p.201.

أما نشاطهم الاقتصادي فلقد كان متنوعاً ومتعددًا نذكر منه الصيد وتربية الحيوانات وزراعة الحبوب كالقمح والشعير، وكان الشعب يعيش مجتمعاً من قرى، ويسكن المزارع المنعزلة تحت رحمة الظروف الجغرافية وقسوة الطبيعة، ويبني منازلهم من الخشب، ويشيد المعسكرات التي يحميها بمتاريس مستديرة بالحجر والتراب، وكانت الأسوار تحيط بكل ذلك. أما الملاحة والتجارة فكانتا تولفان معاً في القرن التاسع الميلادي نشاطاً اقتصادياً وسياسياً مهماً عند شعوب الفايكنج فكان الملاحون يركبون كما ذكرنا سفناً وضيعة متطاولة ذات جؤجؤ مزين برأس غول تسير بالشرع والتجديف ويجوانبها محمية بالتراس مستديرة من الخشب وكانت تتميز بالسرعة وتغطي مساحات كبيرة من البحر. ونتيجة لذلك استطاع الفايكنج في أواخر القرن الثامن وبداية التاسع أن يغزوا مناطق كثيرة.⁴

وإذ كنا قد قسمنا الفايكنج إلى نرويجيين وسويديين ودانيين فلا يعنى ذلك وجود فوارق بينهم⁵ وإنما يقصد به الإشارة إلى جماعات الفايكنج التي سكنت الأجزاء الغربية أو الشرقية من سكنديناوة أو شبه جزيرة الدانمرك، وهنا ينبغي أن نلاحظ أثر التوجه الجغرافي في توزيع غزوات الفايكنج، فالسويديون الذين يواجهون شرق أوروبا عبروا البلطيق ووصلوا إلى شرق أوروبا والبحر الأسود، أما النرويجيون فقد اتجهوا غرباً فوصلوا إنجلترا أو إيرلندا والجزر الغربية فضلاً عن الجزر الشمالية في المحيط الأطلسي، في حين اتجه الدانيون نحو الجنوب والغرب فهددوا شواطئ الإمبراطورية الكارولنجية في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيرلندا والجزر الغربية، ويهمننا هنا المجموعة الأخيرة (الدانيون) الذين اتحدوا في مملكة واحدة في أواخر القرن الثامن الميلادي وتكونت بلادهم من ثلاثة أقسام رئيسية وهي شبه جزيرة جوتلاند Gotalnd إلى الأيدر، وثانيهما جزر زيلاند Zealand وثالثهما سكانيا Scania مع هالاند Halland وبلكنج Bickning⁶ ولقد أضاف الفايكنج إلى اسمهم مصدراً جديداً للرعب فكان خروجهم يعتبر حدثاً تنتشر عنه الشائعات إلى الآفاق البعيدة، وكان خروجهم عن طريق البحر لا يسبقه نذير، وإنما كانوا ينقضون فجأة، كما ينقض النسر فيقبضون على فريستهم ثم يعودون بها أدراجهم، ولقد أصبح الغموض يكتنفهم مضاعفاً كما كان الرعب الذي ينشرونه مضاعفاً أيضاً.

⁴ محمد الحريري، للمبارديون في التاريخ والحضارة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٧٩.

⁵ Haskins, op. cit., pp. 30-31.

Stephenson, op. cit., p 200

⁶ عاشور؛ أوروبا العصور الوسطى، ج ١، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٢١.

ولقد إنطلقت من بحر البلطيق وبحر الشمال قوارب قادرة على شق عباب البحر، كما خرج منها جيل من رجال البحر أقوى على ركوب المخاطر، فقد كان مقدراً لهذا الجنس أن يكون جنساً بحرياً رغماً عنه، ذلك أن العجز الذي ينجم عن الزراعة في أرض يعوضه حصاد البحر، وقد أكتسب أهل الشمال قوتهم بوصفهم صيادي سمك في البحار وكانوا يصلون تتبعهم لجموع السمك إلى ما وراء الفيودرات ذات المياه الهادئة، فاعتادوا على مغالبة مد البحر والتيارات البحرية الجارفة والعواصف في بحر الشمال، وحتى أنهارهم كانت تياراتها شديدة السرعة مليئة بالشلالات الخطرة، ونظراً لأنهم طبعوا على أمثال هذه المخاطر منذ نشأتهم فقد أخذوا يدرجون حتى اصطنعوا لأنفسهم نوعاً خاصاً من السفن وطريقة من طرائق الملاحة وجابوا بهذه السفن شواطئ أوروبا من البحر البلطي حتى البحر المتوسط بل قاموا برحلات بعيدة في المحيط الأطلسي.⁷

وقد تميزت إغارات الفيكنج في دورها الأول الذي شمل معظم النصف الأول من القرن التاسع، بأنها كانت إغارات تهدف إلى السلب والنهب والقرصنة وتتم في فصل الصيف وتنتهي بالعودة بالمنهوبات قبل حلول فصل الشتاء كما كانت تضم جماعات أو فرق صغيرة تعمل لحساب أحد الأمراء.⁸

أما في النصف الثاني من القرن التاسع فقد تطورت إلى حركة توسعية استيطانية كانت تتم بجماعات كبيرة أو جيوش لحساب إمبراطورية الأمراء حيث كان الفيكنج يحملون معهم نساءهم وأطفالهم يبتغون الاستقرار في البلاد التي يغزونها أو بقرب مصاب أنهارها أو في الجزر القريبة من شواطئ تلك البلاد،⁹ وكانوا يتبعونه أسلوباً واحداً تقريباً في جميع البلاد التي هاجموها مثل فرنسا وإنجلترا وإيرلندا، فكانوا يصعدون بأسطولهم في أحد الشرايين النهرية الكبيرة مثل السين واللوار والتايمز ويرسون بسفنهم في مكان منيع يتحسن أن يكون جزيرة، ثم يضربون معسكراً ويحصنونه وبعد ذلك يخطفون كل ما يجدونه من خيول ودواب في الإغارة على الأقاليم وأعمال السلب والنهب فيه، ولم تكن المعركة متكافئة بينهم خصوصاً وهم يمتازون بخفة الحركة والتكتل وكفاية السلاح وبين قوات أهل البلاد الأصليين المجندين بالتعبئة العامة ولو كانوا أكثر عدداً لأن معظمهم من الفلاحين والمزارعين

⁷ جون هامرثن، تاريخ العالم، م ١، ص ٨٥.

Stephenson, op. cit, p. 201.

⁸ Schjoth, I., Great Days of the North men, B, H, VII, pp. 35-39.

⁹ محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٢٩٩.

Haskins, op. cit., p.33.

غير المسلحين تسليحاً كافياً،^{١٠} وقد كانت إغاراتهم تنتهي في أغلب الأحيان إلى الاستقرار الدائم فقد استعمروا إيرلندا لفترة تحدد منتصف القرن التاسع وبقوا لأول مرة في شيبى عند مصب نهر التايمز في إنجلترا بعد إنتهاء فصل الشتاء ولم يعد ثمة من يجرؤ على مدافعهم، كما لم يعد ثمة ما يفعله الناس إلى أن يضيفوا في صلاتهم (اللهم آمنا من ضب رجال الشمال) كما يذكر المؤرخ هاسكتز^{١١}.

وفى ذلك الوقت تقريباً بدأوا في الاستقرار في غرب فرنسا بعد أن ظلوا يغيرون لفترة طويلة على المنطقة الواقعة بين نهر الراين واللوار، ويتميز آخر أدوار الغزو الشمالى بمقاومة أهل البلاد لهم ونجاحهم في طردهم ويبدو أن قسوتهم والمذابح الرهيبة التى أحدثوها، فضلاً عن إعتداءاتهم على الكنائس والأديرة واستباحتها ونهب ثرواتها قد أوجد شعوراً ضدهم فنجحوا منذ أواخر القرن التاسع في وضع حد لجانب كبير من عيشه.^{١٢}

إغارات الفيكنج على الامبراطورية الكارولنجية:

تعتبر إغارات الفيكنج (الدانيين) من أهم الإغارات التى قاموا بها ضد الإمبراطورية الكارولنجية، لقد كانوا أحد الأسباب الرئيسية التى زعزعت هذه الامبراطورية وأسهمت في تداعسيها، وبالرغم من قلة الأعداد التى غزت فرنسا من الدانيين إلا أنهم كانوا مصدر رعب وفوضى أينما حلوا، ولم يتمكن شارلمان وهو في أوج قوته أن يقضى عليهم، وخصوصاً أن توسعه شمالاً أدى إلى إيجاد حدود مشتركة بينه وبينهم، ولم تلبث العلاقات أن ساءت حينما دخل بعض السكسون الهاريين من شارلمان تحت حماية الدانيين، هذا في الوقت الذى لم تنقطع إغارات الدانيين على شواطئ الامبراطورية الغربية، ولقد أفزعت شارلمان تلك الإغارات فأعد أسطولاً قوياً في موانئ ناستريا لحماية شواطئ امبراطوريته من هجماتهم ومع ذلك فقد استمر جودفرد Godfred،^{١٣} زعيم الدانيين يسبب متاعب خطيرة لشارلمان في

^{١٠} سى. و. بريفت، مغامرات النورمانيين، القاهرة، دت، ص ٦٨٥.

^{١١} Haskins, op. cit, p.33.

^{١٢} Oman, Ch., The Dark Ages 476-918, London, 1962, p.408; Cam. Med His., Vol. 3, p.315.

^{١٣} يعتبر جود فريد ملك الدانيين في أوائل القرن ٩م، وتولى بعده هارولد Harold الذى دخل في صراع مع أبناء الملك المقتول، وفى ظل هذا الانقسام دخلت بعثة تبشيرية مسيحية فمهدت لانتشار المسيحية انتشاراً محدوداً ولم يلبث أبناء جود فريد أن ثاروا على الملك الجديد هارولد فهرب إلى ألمانيا واعتنق المسيحية في سنة ٨٢٦م ليحظى بمساعدة عاهل الفرنجة لويس التى ساندته في استعادة عرشه مرة أخرى، عبر أن هارولد لم يحفظ لعاهل الفرنجة معروفه فالتهمز وفاة لويس التى سنة ٨٤٠م والصراع الذى اندلع بين أبنائه وأغار على بلاد الفرنجة، ووصلت اساطيله إلى جنوب أسبانيا. ولم يلبث هارولد أن أقصى عن عرشه إذ ثار عليه زعيم آخر من أقاربه وبسمى (هاريك) واستطاع هذا الأخير أن يعتلى عرش

جنوب البحر البلطى وشواطئ فريزيا حتى حاول مفاوضاتهم والاتفاق معهم فيما بين سنتي ٨٠٤ - ٨٠٩م لدفع خطرهم وشرهم،^{١٤} وجاء في إحدى الروايات المعاصرة أن شارلمان رأى بنفسه إحدى إغارات الدانبيين على سواحل دولته وأنه أسف لذلك كثيراً والتفت إلى أتباعه قائلاً لقد تأثرت لذلك كثيراً، وإننى لأشعر بالحزن والأسف عندما أنظر إلى الأمام وأرى كم من الضرر سيلحقه أولئك.^{١٥}

ويتضح من المدونات التاريخية أن جودفرد أخذ زمام المبادرة بالهجوم على شواطئ مملكة شارلمان، إلا أن بمصرعه سنة ٨١٠م زال خطر الفيكنج عن الفرنجة، لاسيما بعد أن عقد خليفته هيمانج، وهو ابن أخته، معاهدة سلام مع شارلمان.^{١٦}

ثم حدث في عهد لويس التقي خليفة شارلمان أن استغل فرصة الخلافات والحروب الداخلية التي قامت حول تقسيم الإمبراطورية وأنزلوا قوات ضخمة على شواطئ فريزيا Fresia سنة ٨٣٥م ونصبوا مدينة أوترخن ودورشتد Dur sted أكبر موانئ الإقليم وفي العام التالي أغار الدانيون على فلاندرز وأحرقوا مدينة أنتورب Antwerp ثم عادوا سنة ٨٣٧م إلى مهاجمة والشرين Walcheren عند مصب نهر الراين حتى وصلوا إلى نموجن Nimeagen ولكنهم لم يلبثوا أن لاذوا بالفرار عندما وصل لويس التقي على رأس جيوشه، ولكن لويس حرص على مهادنتهم ومنحهم المنطقة المحيطة بدورشتد سنة ٨٣٩م للإقامة فيها ولمحاولة توطينهم واستقرارهم وكف عدوانهم ولكن كل هذا لم يؤد إلا إلى زيادة أطماعهم في أراضي الإمبراطورية.^{١٧}

وبعد وفاة لويس التقي وإيان الصراع الذي اندلع بين أبنائه حول تقسيم أملاكه خرج أول أسطول للدانبيين في نهر السين سنة ٨٤١م واستولوا على روان، ثم تقدموا في نهر اللوار ودمروا مدينة نانت Nantes سنة ٨٤٢م وقضوا فصل الشتاء في نستريا في جزيرة قرب مصب اللوار Loere.

الدانبيين سنة ٨٤٤م، انظر، Schjom, Hans, Denmark and its Sister States: Great Days of the North men, in the Book of History of Nations from the Earliest Times to the Present, vol. VII., p.3557.

^{١٤} يطلق لينهارد على هذه الشعوب أيضاً اسم الدانمركيين. انظر، لينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة/ عادل زيتون، دمشق، ١٩٨٩، ص ٩٤ - ٩٥.

Davis, K., Charlemagne, London, 1929, pp. 296.

Op. cit p.416.

15

^{١٦} قتل جود فريد بيد أحد حراسه، وبذلك انتهت حياته والحرب التي كان قد بدأها مع الفرنجة. انظر، لينهارد، سيرة شارلمان، ص ٩٥.

^{١٧} عاشور، أوروبا، ج ١، ص ٢٢٣.

ففي غرار مدينة Noirmontier أثناء قيام لويس التقي بعقد اتفاقية فردون سنة ٨٤٣م على تقسيم الامبراطورية تقسيماً يرضيهم جميعاً.^{١٨}

وفى نانت قام الدانيون بقتل البطريق أمام كنيسته، وفي غضون عامين نهبوا مدينة هامسبورج Hambourg وانسأبوا سنة ٨٤٥م بأسطول كبير على نهر السين ودمروا مدينة باريس Paris وبعد ذلك بعامين استولوا على مدينة بوردو Bordeaux أهم مدن الجنوب في فرنسا بعد أن دمروها وظلوا يحتلونها عدة سنين.^{١٩}

وهكذا فتحت لهم أنهار فرنسا الغربية السين واللوار والجارون الطريق إلى جوف الامبراطورية فأوصلهم نهر الراين إلى كولون والسوم إلى أميان وأوصلهم نهر السين إلى باريس وروان، ونهر اللوار إلى نورو أورليان، كما سلكوا أيضاً أنهار الألب والويزر Weser والميزر Meuse والشلد Scheldit والجارون ووصلوا إلى جنوب أسبانيا أي إلى الوادي الكبير.^{٢٠}

ولم تلبث أن ازدادت إغارات الدانيين عقب تقسيم الامبراطورية الكارولنجية سنة ٨٤٣م حتى أصبح خطرهم بمثابة الشغل الشاغل للإخوة الثلاثة لويس ولتر وشارل، وهكذا تقلصت الممالك الفرنجية الثلاثة نظراً لخصوماتهم، وإن كانت مملكة شارل الأصلع في أقصى الغرب هي التي أصيبت كثيراً من الضرر بسبب طول سواحلها من جهة وكثرة أنهارها من جهة أخرى فضلاً عن انشغال ملكها في نزاعات داخلية، ولهذا قام شارل الأصلع بأكثر من محاولة لأبعادهم عن مملكته ثم قام بعقد صلح معهم، مرة بدفع جزية ومرة أخرى دون جدوى.^{٢١}

أما مملكة لوثر وهي المملكة الوسطى فقد كان حظها هي الأخرى سيئاً لأن الدانيين دأبوا على الإغارة على سواحل فريزيا كل عام تقريباً حيث اتخذوا منها قواعد دائمة نفذوا منها إلى أعماق المملكة وهددوا المدن الكبرى بما فيها العاصمة ذاتها آخن Aachen واكس لاشسابل في الوقت الذي لم تجد فيه محاولات لوثر لوقف تقدمهم بمنحهم جزيرة والشرين Walcheren قرب مصب نهر الراين لضمان سكوتهم ومسالمتهم وصرفهم عن مملكته.^{٢٢}

Oman, op. cit., p.409; Orton, Outlines of Medieval History, Cambridge, 1929, pp. 149-150. 18

Oman, op. cit. 409; Orton, op. cit, pp. 149-150. 19

Haskins, op. cit., p.33; Keen, op. cit, p. ٥١٣. ص ١٢٥. 20

Cantor, op. cit., p.237. 21

Haskins, op. cit., p.33. 22

وإذا كانت مملكة لويس الجرمانى أحسن الممالك حظاً فإن السبب يرجع إلى السكسون الذين كانوا عقبة كؤود أمام تقدم الدانبيين بالإضافة إلى وعورة الطريق وعدم صلاحية الكثير منه لضربات المهاجمين وبالرغم من ذلك لم تسلم مملكته من التدمير والنهب والخراب،^{٢٣} فقد شهدت بلاده حرق مدينة هامبورج، كما أوغلوا في نهر الراين سنة ٨٥١م كما قاموا بنهب جزء كبير من سكسونيا.^{٢٤}

أما عن مملكة شارل الأصلع فلم تلبث أن ساعد النزاع القائم بين بيبين حاكم أكيثانيا (جنوب فرنسا) وعمه شارل على ازدياد نفوذ الدانبيين في حوض الجارون حتى وصلوا إلى مدينة تولوز Toulouse، وفي ذلك الوقت كان الدانيون قد عادوا إلى تهديد حوض السين من جديد فأغاروا على مدينة روان للمرة الثانية سنة ٨٤٥م حتى وصلوا في وجهتهم فتحصنوا في مرتفعات مونتمارتر Montemarter، وفي بعض الأديرة وترك شارل الأصلع باريس ليدخلها الدانيون وينهبوها. ولقد أدى إستيلاؤهم على تلك المدن إلى غناهم وكثرة أموالهم ورغبتهم في مواصلة نشاطهم وغزوهم حتى أصبحت مملكة شارل الأصلع على درجة كبيرة من الخراب والدمار وعندما تجددت هجماتهم على حوض السين ٨٥٢م قرر لوثر أن يأتي على رأس جنده لمساعدة أخيه شارل الأصلع، ولكن شارل كان قد عقد صلحاً مع زعيم الدانبيين ومنحه مالاً وسمح له بالاستقرار في منطقة قرب مصب نهر اللوار، فآثر لوثر العودة إلى بلاده.^{٢٥}

ولم تلبث أن تجددت الاشتباكات بين لويس الألماني وأخيه شارل الأصلع سنة ٨٥٤م مما أتاح الفرصة للدانبيين التوغل في مملكة شارل وأطراف مدينتي نانت Nantes وتور Tour ونهبوا المناطق المحيطة ولم تتصدى لهم سوى مدينة أورليان Orleans سنة ٨٥٤م.^{٢٦}

وبلغ من سوء أحوال الملوك وضعفهم عن التصدي للدانبيين أنهم لجئوا إلى شراء مسالمتهم بالمال وذلك حينما عقد شارل الأصلع سنة ٨٦٠م معاهدة مع رولاند Rolland أحد زعمائهم تعهد فيها بدفع مبلغ كبير من المال ليقوم الدانيون بإخلاء نستريا من الغزاة.

Oman, op. cit., p. 419.

²⁴ عاشور، أوروبا، ج١، ص ٢٢٤.

²⁵ عاشور، أوروبا، ج١، ص ٢٣٥.

Oman, op. cit., p.422.

²⁶

ولقد زاد خطر الغزاة بالنسبة للإمبراطورية الكارولنجية في النصف الثامن من القرن التاسع ولاسيما بعد وفاة أبناء لويس الثقى الثلاثة وبلغ من استهانة الغزاة بقوى الكارولنجيين أنهم عبروا فيما بين سنتي ٨٥٩ - ٨٦٢م مضيق جبل طارق وأغاروا على سواحل أفريقيا،^{٢٧} كما اندفعوا إلى البحر المتوسط شمالاً حتى جزائر البليار، وجزائر البليار Baleric Islands ثم سواحل فرنسا الجنوبية في مرسيليا Marseille فبعدها اندفعوا في نهر السرون شمالاً حتى فالنس Valence، بينما قامت جماعة منهم بنهب المدينة الإيطالية لونا Lona معتقدين أنها مدينة روما.^{٢٨}

وزيادة على سوء الأوضاع قام ملك البيت الكارولنجي لكي يحصل على الأموال التي تعهد بدفعها للدانبيين بفرض ضريبة ثقيلة على رعاياه يعف منها الكنائس والأديرة والنبلاء والتجار بل حتى فقراء الفلاحين وجاءت هذه الضريبة لتضيف جملاً ثقيلاً إلى أثقالهم في الوقت الذي عجزوا في الدفاع عن شعوبهم وأثقلوا كاهلهم.^{٢٩}

والواقع أن الفترة الواقعة بين سنتي ٨٥٥ - ٨٨٧م تعتبر من أسوأ الفترات في تاريخ ملوك الدولة الكارولنجية فبعد وفاة لوثر ملك لوثرنجيا سنة ٨٥٥م كانت نذيراً لحرب جديدة بين أبنائه وإخوته حول اقتسام مملكته، وفي هذه الظروف زاد خطر الغزاة بل ازدادوا عنفاً مما أدى إلى قيام شارل الأصغر باتخاذ أساليب دفاعية لمجابهة الدانبيين والتي تمثلت في معاهدة بيسترس Pistres سنة ٨٦٤م لكي يعدل نظام دفاعه فقام بالاعتماد على جيوش خفيفة سهلة الحركة بدلاً من الخيالة الثقيلة من جهة وعمل جسور وعقبات في مجارى الأنهار لتعوق تقدمهم.^{٣٠}

وفي الفترة ما بين سنتي ٨٧٩ - ٨٨٧م اشتدت وطأة الدانبيين على الإمبراطورية الكارولنجية فبعد وفاة لويس الألماني في سنة ٨٧٦م ثم شارل الأصغر سنة ٨٧٧م زاد انقسام الإمبراطورية بل وضعفها وعجزها عن التصدي للغزاة فاجتاحوا أودية نهر الشلدا والسوم، كما اجتاحوا فريزيا وفلاندرز وكل المنطقة الواقعة بين الراين واللوار، ولم تؤد هزيمتهم على يد ملك فرنسا لويس الثالث سنة ٨٨١م في موقعة ستسوكورت Saucourt إلى تراجعهم، رغم أنه ذبح منهم ثمانية آلاف وطردهم خارج مملكته، ولكن هذا النصر لم يكن كافياً للقضاء

Thompson, J. W., The Middle Ages, vol. I., London, 1931, p. 313.

27

28 هارمئن، الفيكنج ورحلاتهم البحرية، ص ٥٩٥.

Thompson, op. cit., Vol. I., p. 313.

29

30 عاشور، أوروبا، ص ٢٢٧.

على خطرهم فقد اضطر شارل السمين ملك ألمانيا في محاولة لصرفهم عن مملكته إلى مصالحة زعيمهم المسي جود فريد فعقد معه معاهدة السلو Elslou التي وافق فيها شارل على منح الدانبيين مبلغاً ضخماً من العملة الفضية بالإضافة على إقليم فريزيا ليكون دوقية لجود فريد، ولم يكتف بذلك بل زوجه من ابنته، وفي مقابل ذلك ينسحب جود فريد من مملكة شارل السمين، ويتعهد باعتناق المسيحية وبأن يظل تابعاً للملك شارل.³¹

ولقد استشرى الغزاة بالرغم من كل هذه الامتيازات ولم يتركوا مدينة إلا وهاجموها حتى الكنائس والأديرة ودور العبادة لم تسلم من عبثهم وبطشهم، في الوقت الذي استطاعت فيه بعض المدن أن تقاوم بأسوارها المحصنة وقلاعها الشامخة، فإن دور العبادة المسيحية لم يكن لها من حماية سوى قدسيته وحرمتها في نفوس الناس، فتعرضت على أيديهم للسلب والنهب والتدمير، وكان الرهبان ورجال الدين يقضون نحبهم في أديرتهم، ونادراً ما كانوا يتمكنون من النجاة بأنفسهم³². ولقد ضاعت واندثرت كثير من المعالم والمباني خلال تلك الغزوات البربرية، ونادراً ما بقيت كنيسة أو معلماً دينياً لتلك الفترة، ونظراً لأن دور العبادة من كنائس وأديرة كانت في ذلك الوقت مراكز رئيسية للتعليم والثقافة في كل غرب أوروبا فقد كان فقدانها وتدميرها بتلك الطريقة الوحشية فقداً لكثير من معالم الحضارة والمدنية والتقدم.³³

وبعد مغادرة الفيكنج ألمانيا وفقاً لمعاهدة السلوا اتجهوا صوب نتريا وهو أمر لم يهتم به شارل السمين، لذلك كان سنة ٨٨٢ - ٨٨٣م شتاء قاسياً مروعاً للجهات الشمالية من فرنسا إذ اجتاحت المنطقة من ريمس حتى أعيان جموع ضخمة من الغزاة وهنا لم يحاول كارلومان أن يكون له أي دور إيجابي في التصدي والوقوف في وجههم وإنما فضل أن يقتفي سياسة شارل السمين السلبية فدفع لهم مبالغ طائلة من المال لكي يتركوا بلاده وينقلوا نشاطهم إلى أوستراسيا وإنجلترا وإيرلندا³⁴. وبهذا أتيحت لشارل السمين فرصة توحيد معظم أجزاء الإمبراطورية الكارولنجية كما كانت أيام شارلمان بعد موت كارلومان ملك فرنسا، ولكنه كان

Oman, op. cit., pp. 438; Cam. Med. His., sb, Vol. III., p.322.

31

32 محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص ٣١٢، ديفز، شارلمان، ترجمة السيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٢٨٧-٢٧٩.

33

Cam. Med. His., Vol. III., p.323.

34 عاشور، أوروبا، ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

وحيداً هزياً اتسم بضعف السلطة المركزية وتحلل الرعايا من آخر الروابط التي تربطهم بالمملكة الكارولنجية.

وهكذا أثبتت مجريات الأمور فيما بعد أن الاتفاقات التي عقدها الملوك مع الدانين لا قيمة لها ولا أهمية، إذ ما لبث أن عاد الغزاة إلى تهديد ألمانيا وفرنسا، واشتدت إغاراتهم بصفة خاصة في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع فدمروا فلاندرز، وتعرض وادي الجارون الجنوبي الغربي من فرنسا لغارات أخرى خطيرة واستولى الغزاة على بوردو مرتين ونهبوا إيبيريا، كما إغاروا على بعض الموانئ المسيحية والإسلامية في الأندلس،^{٣٥} كما هددوا الأجزاء الغربية من حوض البحر المتوسط، وتسلسلوا إلى بعض المدن في وادي الرون ونهبت كل من نيم Nimes وأفينيون^{٣٦} Avignon.

وفي أواخر سنة ٨٨٥م قام الغزاة بأكبر هجوم لهم فقد خرج أربعون ألف منهم في سبعمائة سفينة متجهين إلى باريس وتولى عدد كبير من زعمائهم ولقد استطاعت مدينة باريس الصمود والوقوف في وجههم ومقاومة الحصار والهجوم عليهم بفضل ما اتسم به كونت أودو حاكمها، وأدى ذلك إلى رفع مكانة باريس ورفع قدر حكامها حتى أصبحت باريس منذ ذلك الوقت مركز الثقل في فرنسا وتنافس عاصمة الكارولنجيين، بل سيختار ملوك فرنسا من بين حكامها فيما بعد.^{٣٧}

ووصل الوضع بالامبراطور شارل السمين سنة ٨٨٦م أن يتعهد للدانين بدفع مبالغ ضخمة من المال نظير خروجهم من باريس والسماح لهم بالإقامة في برجنديا وبناء على هذا الموقف السلبي من الامبراطور عزل شارل السمين، وتم اختيار أودو حاكم باريس ليكون ملكاً على فرنسا سنة ٨٨٨م، واستطاع أودو الانتصار على الغزاة ولكنهم لم يتركوه إذ عادوا بعد قليل لمهاجمة باريس مرة أخرى وكان الهجوم الرابع لها على الرغم من أن المدينة استطاعت التصدي له إلا أن أودو تراجع بعد ذلك وعمد إلى شراء مسالمتهم بالمال فوافقوا وانسحبوا إلى بريتاني، ولكنهم ما لبثوا أن عادوا مرة أخرى وهددوا أواسط فرنسا ولكن أودو هذه المرة عزم على أن يتصدى لهم فاستطاع أن ينزل بهم هزيمة ساحقة عند مونتبيه Montpensier

³⁵ ابن عذاري، البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، باريس، ١٩٤٨، ص

٢٥٥.

Thompson, op. cit., Vol. I, p. 316.

36

Oman, op. cit., pp. 444.

37

وأن يأسر زعيمهم ثم يأمر بإعدامه سنة ٨٩٢م وينكل بهم ويأمر بقتل أعداد هائلة منهم^{٣٨} ولكن برغم هذه الانتصارات لم يستطيعوا القضاء عليهم وظلوا من القوة بحيث تمكنوا من تهديد أجزاء كثيرة من فرنسا وحوض نهر السين.

ولقد هيات الظروف في فرنسا جواً مناسباً للغزاة لاستئناف غاراتهم وخصوصاً بعد أن نشب صراع عنيف بين أودو ملك فرنسا وبين شارل البسيط وريث البيت الكارولنجي الذي استدعاه نبلاء فرنسا من منفاه في إنجلترا ليسترجع ملكه، ويقصى أودو، الذين نظروا إليه إلى أنه واحد منهم وليس من أبناء الأسرة المالكة، بالإضافة إلى ذلك أنه لم يستطع إقصاء الغزاة عن مملكته لذلك أرادوا الوقوف في وجهه لأنهم هم الذين اختاروه فبإمكانهم إقصاؤه وعودة الملك شارل البسيط لاستئناف حكمه^{٣٩}. وفي تلك الفترة بدأت فترة من الحروب الأهلية استمرت ست سنوات بين أودو الحاكم القديم وشارل البسيط الملك الجديد ولم تنته تلك المنازعات إلا بوفاة أودو سنة ٨٩٨م فاستعاد شارل البسيط حكمه على الجزء الغربي من المملكة الفرنجية واستمر في حكمه حتى سنة ٩٢٩م.^{٤٠}

ولقد أظهر شارل البسيط رغم صغر سنه قدرة كبيرة على محاربة الدانيين ولم تكن إغارتهم قد انقطعت بل على العكس انتهزوا فرصة الحروب وتوتر العلاقات بين شارل وأودو وعادوا إلى نسترية لينهبوها، ولكن الأهالي أظهروا الكثير من البطولات في مقاومتهم والتصدي لهم، بل واصررت المدن والأديرة والكنائس على التحصين وإغلاق الأبواب دونهم، ولكنهم استمروا في الحوض الأدنى لنهر السين وبرز منهم زعيم قوى يدعى رولو Rollo اتخذ من مدينة روان قرب مصب نهر السين مركزاً للإغارة منه على المناطق الغربية بين نهر إيت وحدود بريتانى، كما أخذ رولو يهاجم مدينة بابو وما حولها.^{٤١}

تأسيس نورمانديا:

أدى لقاء شارل البسيط ورولو إلى عقد اتفاقية سانت كلير Siant Clear سنة ٩١١ م حيث عقدت اتفاقية مهمة بين الطرفين سلم بمقتضاها الدانيون الإقليم الساحلى الممتد بين

³⁸ عاشور، أوروبا، ج١، ص ٢١٧.

³⁹ بوفاة لوتر سنة ٨٥٥م قسمت مملكته إلى ثلاثة أقسام صغيرة بين أبنائه، ثم كثرت الحروب بينهم وقضت عليهم بحيث لم يبق منهم من الأبناء للشرعيين سوى شارل البسيط من فرنسا وشارل السمين من ألمانيا.

Cam. Med. His., Vol. III, p.34.

40

Oman, op. cit., pp. 498-499.

41

Thompson, op. cit., Vol. I, p.318; Keen, op. cit., p.25.

السوم حتى بريتا أو في ما عرف باسم أرض النورثمن^{٤٢} (أرض الشماليين) Northmen ولم تكن هي نورثمانديا التي عرفت بعد ذلك بحدودها المعروفة، وإنما كانت تمثل المنطقة الواقعة على جانبي نهر السين أو ما عرف باسم نورمانديا، إذ أن النورمان لم يملكوا وسط نورمانديا إلا سنة ٩٢٤م، والواقع أن شارل البسيط قد قبل التنازل عن الإقليم مقابل اعتراف روللو بالتبعية له وتعهده باعتناق الديانة المسيحية، والتعهد بالدفاع عن فرنسا ضد الجماعات الشمالية الأخرى، ويبدو أن شارل كان يهدف من وراء هذه المنحة اتقاء شر الدانيين من جهة والاستفادة من دوق نورمانديا القوي في معاداة كونت باريس من جهة أخرى، فضلاً عن قطع اتصال باريس بالبحر من جهة ثالثة حسماً لأي غزو تقوم به، وما لبث الفيكنج الذين كانوا قد انتشروا في أنحاء فرنسا أن هرعوا إلى نورمانديا للانضواء تحت راية روللو وفي ظله لتبدأ صفحة جديدة في تاريخ هذا الإقليم.

وقد أثبتت الحوادث نجاح هذه التجربة التي أجراها شارل البسيط إذا عازمت معظم الجماعات المتناثرة هنا وهناك من الفيكنج ليعيشوا تحت حكم روللو من الولاية الجديدة وبذلك يكون شارل البسيط قد ضحى بجزء من بلاده لينقذ الجزء الآخر أو لينقذ بقية البلاد. والواقع أن اتفاقية سانت كلير لم تكن أكثر من اعتراف بالأمر الواقع لأن هذه المنطقة صار معظمها بأيدي الفيكنج فعلاً وبحكم هذه الاتفاقية أصبحوا يحكمون نورمانديا حكماً مستقلاً معترفاً به من الملكية الفرنسية مع إقرارهم بتبعية اسمية لملك فرنسا. ويبدو أن كلاً من شارل البسيط وروللو سعياً إلى إبرام هذه المعاهدة طلباً للراحة بعد فترة طويلة من القتال والغارات النورمانية والتصدى الفرنسي لها وذهاب الاستقرار وضياع الأمن، حتى لتذهب الروايات إلى أن خسارة الرومان في آخر معركة قبل هذه الاتفاقية بلغت سبعة آلاف رجل، ولاشك أنها على الجانب الفرنسي لا تقل عن ذلك إن لم تزد على حين توصل كبار زعماء النورمان إلى أن الحصول على إقليم غني يعد أمراً مجزياً وثنياً مناسباً ويبدو أن الإقليم المعروف امتد حول نهر السين واعتبر من أغنى وأخصب الأقاليم الفرنسية. وإذا كانت معاهدة سانت كلير قد أثارت إستياء في كثير من الأوساط الفرنسية وأستهجن المؤرخون سياسة شارل البسيط واتهموه بالجبن والاستسلام للنورمان والتفريط في أغنى أقاليم فرنسا وأخصبها ومنحه "لقرصان حقير" على حد قولهم فإنه سرعان ما تغيرت هذه الانطباعات وجرى اعتبار هذه المعاهدة عملاً أملاًه العقل وسداد الرأي وحسن التصرف

لأنها وضعت حداً للإغارات النورمانية وأعادت السلام إلى ربوع البلاد والهدوء إلى منطقة السين وأمدت فرنسا بدماء جديدة، ولاسيما وأن رولو تنصر وجرى تعميده وفقاً للكنيسة الكاثوليكية وتسمى بروبرت Robert وقرر تويته وهدايته بالمنح السخية من الأراضي للكنائس والأديرة في وطنه الجديد.

ولقد زاد من أهمية دوق نورمانديا اعتناقه المسيحية وتبعه معظم رجاله الذين أصبحوا مسيحيين، ولكن الشيء الذي يسترعى الانتباه أنهم أظهروا وازعاً دينياً عميقاً بعد ذلك حيث جعلوا من أنفسهم حماة للمسيحية واهتموا ببناء الكنائس وشغفوا ببناء المدن وتشجيع العمران وأظهروا حماسة بالغة في استصلاح الأراضي وزراعتها.

ولقد تميز هؤلاء بمرونة في اعتناق وتقبل الحضارة والعادات والأوضاع الجديدة عليهم ولم يكد يمر قرن من الزمان على عزوهم لنورمانديا حتى تأقلم النورمان وأصبحوا فرنسيين في لغتهم ونظمهم وثقافتهم وإن ظلوا محتفظين بكثير من مظاهر الحيوية والحماسة والعنف التي اتصف بها أسلافهم الأوائل.

وفى الواقع إن رولو زعيم النورمان يعد فعلاً إقطاعياً للملك الفرنسي وحمل لقب دوق، بيد أنه يتصرف بطريقة مستقلة، وظل يواصل توسيع رقعة دوقيته الأصلية فلقد كان حجم الاستيطان الأسكندنافي صغيراً ولكن سرعان ما اختلط رجال الشمال مع السكان الأصليين واتخذوا الفرنسية لغة لهم، ولكن كل ذلك لم يغير أسلوبهم في الحياة بسرعة وظلوا على مدى سبعين عاماً كانت نورمانديا ميداناً للحروب الداخلية والصراعات الدموية بين السادة الإقطاعيين النورمان، كما أن سلطة الدوقيات الأوائل كانت تقوم على أساس من قدراتهم كمحاربين، كما أن تاريخ نورمانديا قبل سنة ٩٨٠م لا يحمل أى شيء يمكن أن يكون تمهيداً للتطور الذي شهدته نورمانديا في الفترة اللاحقة.

ولكنهم لم يلبثوا أن برهنوا على أنهم الأجناس الأوروبية على الإطلاق إذ أضافوا إلى ما اتصفت به أصولهم الشمالية من صفات الشهامة والرجولة والقوة جميع ما اكتسبوه هم وأبناؤهم من الشعوب اللاتينية وثقافتها التي اختلطت بحياتهم الجديدة.

هكذا استبدلوا بالوثنية دين المسيح، وباللغة الدانية لغة الفرنسيين واستعاضوا من ذكرياتهم الشمالية الصافية تقاليد اللاتين وأسسها الواضحة، وشغفوا ببناء الكنائس والأديرة، بعدما كانوا ناهبين لها، واهتموا بإصلاح الأراضي وحرصوا على تشجيع العمران وإنشاء المدن والأخذ بنظم السكان الذين ينزلون بينهم، فلم تمض مائة عام على تملكهم لنورمانديا

حتى غدوا حماة أقوىاء للمسيحية واستطاعوا أن ييثوا في البلاد التي امتلكوها فيما بعد حضارة ومدنية لها في غرب أوروبا لما اتسمت به من التسامح والروعة وامتزاج العناصر بها.

الخاتمة:

وفى ختام هذه الدراسة عن الفيكنج نشير إلى أهم النتائج التي انتهى إليها الباحث:

- ١- تكاثر السكان بالنسبة للأراضي أدى إلى البحث عن موارد اقتصادية جديدة أدت على خروجهم من موطنهم الأصلي.
- ٢- تشكل جماعات قوية أدت إلى دفع المتعلقين بحرياتهم إلى البحث عن أراضي غنية.
- ٣- حب المغامرة والاستكشاف أدى إلى خروجهم وقيامهم بأعمال السلب والنهب.
- ٤- أدت شجاعتهم وقدرتهم وتفوقهم في البحار إلى السطو على معظم الأراضي الغنية في أسبانيا وفرنسا.
- ٥- إحتكاك النورمان بالعالم الروماني واكتشاف مواطن قوته وغناه وثرواته أدى إلى تكرار طمع هؤلاء وزيادة شرهم.
- ٦- المقاومة الضعيفة التي أبدتها الحكام الكارولنجيين أدت إلى زيادة أطماعهم واندفاعهم واستلابهم لكل تلك الثروات.
- ٧- منح شارل البسيط لزعيم النورمان روللو تلك الأراضي أدت إلى تنظيمهم وانشغالهم وتطلعهم إلى حكومة مستقلة منفردة كانت في صالح جميع الأطراف.

ثبت المصادر والمراجع:

أولا المراجع والمصادر الأجنبية:

- Cmbridge Medieval History., (Cambridge, 1924).
- Cantor, N., Medieval History, (New York, 1967).
- كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط قصة حضارة: بداية ونهاية، ترجمة/ قاسم عبده قاسم، القاهرة، ١٩٨١، جزءان.
- Davis, H., Charlemagne, (London, 1929).
- Dozy, R., Recherches sur l'histoire et literature de l'Espagne pendant le moyen âge, (Leiden, 1860).

- Haskins, Ch. H., The Normans in European History, (New York, 1959).
- Hoyr and Chodorow, Europe in the Middle Ages, (U.S.A., 1967).
- Schjom, Hans, Denmark and its Sister States: Great Days of the North men, in the Book of History of the Nations from the Earliest Times to the Present., Vols. V., VII.
- Schjoth, I., Great Days of the North men. B. H. VI. 1.
- Oman, Ch., The Dark Ages, 476 – 918. (London, 1964).
- Orton, Outlines of Medieval History, (Cambridge, 1929).
- Stephenson, C., Medieval History, (New York, 1943).
- Thompson, J. W., The Middle Ages, V. I, (London, 1931).

ثانيا المصادر والمراجع العربية والمعرية:

- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ ٥، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، باريس، ١٩٤٨م.
- اينهارد، سيرة شارلمان، ترجمة/ عادل زيتون، دمشق، ١٩٨٩.
- سعيد عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ط ١٠، القاهرة، ١٩٨٦م.
- سى. و. بريفت، مغامرات النورمنديين، الفصل المائة من كتاب تاريخ العالم لجون هامرتن، القاهرة، د.ت.
- السيد الباز العرينى، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، بيروت، ١٩٨٦م.
- ماك كالوم سكوت، الفيكنج ورحلاتهم البحرية، الفصل السادس والتسعون من كتاب تاريخ العالم لجون أ. هامرتن، القاهرة، المجلد الرابع، ط ٢
- محمد الحويرى، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، القاهرة، ١٩٨٦.
- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٤م.
- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوروبا، ط ١، دمشق، ١٩٧١م.
- هـ. ديفز، شارلمان، ترجمة السيد الباز العرينى، القاهرة ١٩٥٩م.

ب- عرض الكتب

جون ل. اسبوزيتو، التهديد الإسلامى، خرافة أم حقيقة؟ ترجمة د. قاسم

عبده قاسم، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م، ٤٢١ ص.

عرض د. حاتم الطحاوى

مصر

يكتسى هذا الكتاب أهمية بالغة، فالمؤلف هو أحد أهم الأكاديميين المتخصصين في دراسة "الحالة الإسلامية" في الغرب، ويبدو تميزه الواضح لكونه "مغرداً خارج السرب"، ويبدو صوته بعيداً عن أصوات الجوقة الغربية الزاعقة، التى أراحت نفسها، واحتلت بالصيحة القائلة "المسلمون قادمون ! المسلمون قادمون!".

بذل اسبوزيتو جهداً واضحاً في هذا الكتاب، وفي تحليل الخطاب الصادر عن جميع الحركات الإسلامية الفاعلة، وعبر المحيطين الزمنى والجغرافى للمسلمين، لكى يضع إصبعه فسي النهاية على "النقطة المظلمة" "الزاوية العتماء" في الذهنية الغربية، والتى ترفض أن تضع فارقاً بين كافة الحركات الإسلامية الحديثة، وتفضل أن تضعها جميعاً في سلة واحدة، لكى تصنع لنفسها عدواً جديداً بدلاً عن الاتحاد السوفيتى والشيوعية، ولكى تساهم من جهة أخرى في تكريس ودعم الأنظمة الإسلامية، غير الديمقراطية، تحت دعاوى الخوف من "الأصولية الإسلامية" و"الإرهاب".

ويتعامل المؤلف مع الظاهرة الإسلامية بوعى بالغ ويتمنى على المحللين وعلى دوائر صنع القرار في الغرب أن يتعاملوا معها على نفس الدرجة من الوعى، من أجل استشراف مستقبل أفضل للعلاقة بين الغرب والإسلام، ولهذا فهو يطالب بضرورة التمييز بين التحدى الدينى والأيدىولوجى من ناحية والتهديد السياسى المباشر من ناحية أخرى وحتى لا يندلج التعامل مع الإسلام على مغالطة كبرى فيحب معرفة الفارق الحقيقى بين وحدة الإسلام وتجلياته الإيجابية المتعددة في العصر الحديث. ويبنى رد الفعل للأقلية المحبطة، وبمنظرة ثاقبة، لحظ المؤلف الثنائية المجتمعية بالعالم الإسلامى، ما بين نخبة علمانية، ومجتمع مسلم ينزع لحركات التجديد الإسلامى، ويأخذ على الغرب نظرتة الإرتيابية نحو تلك الحركات ونعستها بمعادة الغرب، ويرجع جذور تلك الحركات إلى الفشل الذى أصاب المجتمعات العربية الناهضة بعد هزيمة ١٩٦٧م والتى كانت أنظمتها تهدف إلى محاكاة النموذج الأوروبى.

قدم المؤلف سياحة فكرية منذ الإسلام المبكر الذى اعتبره جامعاً للأفكار السابقة لليهودية والمسيحية، ونجح في صياغة نوع جديد من الرؤية الدينية المحكمة، الأمر الذى تسبب في إيجاد تحدى للغرب والمسيحية على المستوى اللاهوتى والثقافى، مما أدى في النهاية إلى نشوب صراعات فكرية، تحولت إلى مواجهات ميدانية على الأرض عبر حركة

الفتوح الإسلامية. والحركة الصليبية في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. ثم نجح المسلمون العثمانيون في اجتياح القسطنطينية عاصمة الأرثوذكسية الأوروبية منتصف القرن الخامس عشر ونشر الإسلام في البلقان وتهديد باقي دول أوروبا.

ويرى أن ذلك كله قد أوجد قطيعة بين الغرب والإسلام وساهم في وجود صورة مشوشة وشائنة عن الإسلام والمسلمين كما ساهمت حركة الإصلاح الديني في الغرب الحديث في ترسيخ فكرة الإسلام الشرير واستمرت هواجس الغرب نحو الإسلام باعتباره تهديداً، كاد أن يجتاح أوروبا - الغرب في معركة بواتييه (بلاط الشهداء) ٧٣٢م. ثم عند بوابات فيينا ١٦٨٣م، ولولا الهزيمة التي حاقّت بالمسلمين في المواجهتين لكانت اللغة العربية هي لغة الدراسة في جامعة أكسفورد، ويعود المؤلف إلى العصر الحديث حيث مرت العلاقات بين الإسلام والغرب في القرن العشرين عبر محورين أساسيين: حركة الاستعمار الأوربي، حركات التحرير الوطني، حيث كرس المستعمرون الأوروبيون نظرتهم للإسلام بوصفه ديناً طيباً، دون أن ينظروا إليه بوصفه نظاماً سياسياً متكاملًا، وكان ذلك من أجل تكريس نظرتهم نحو تحديث المجتمعات الإسلامية، وتشجيع حملات التبشير، بوصف المسيحية هي الديانة الأقرب إلى التقدم والنجاح، وإن الإسلام هو العكس.

وهكذا فإن المؤلف يدعو إلى عدم التسرع بإلقاء الأحكام النهائية على الإسلام، وربطه بالحركات الراديكالية فقط، والارتياح بوصفه بـ "إمبراطورية الشر" كما يطالب بأن تكون الاستجابات لما يحدث على نحو عقلاني واع بدلاً من الافتراضات المسبقة.

وفي محاولة من اسبوزيتو للحديث عن المسكوت عنه في الغرب فإنه يطالب العقلية الغربية أن تنظر إلى ما يعتمل في العقلية الإسلامية من هواجس وتوجسات إزاء الغرب ويفذ ذلك تراث طويل من العنف وسلب إرادة الشعوب عبر محطات مثل الحروب الصليبية والاستعمار الغربي الحديث فضلاً عن الاستغلال الاقتصادي والغزو الثقافي.

ويأخذ المؤلف على الذهنية الغربية ميلها للحكم على مواقف المسلمين بشكل مبسّط ومتعسف وإلى دمج أعمال الأقلية النازقة مع الأكثرية المتوازنة، وعض النظر عن التجاوزات المتمثلة التي ترتكب باسم ديانات أخرى غير الإسلام، وأيديولوجيات تصف نفسها بالحرية والديمقراطية.

يؤكد المؤلف على أن العديد من الحكومات الإسلامية قد أدركت ميل الغرب إلى رؤية الإسلام باعتباره خطراً فاستغلت عنف الجماعات الإسلامية الراديكالية، بعد أن ساوت - عن عمد - بينهما وبين الجماعات الإسلامية المعتدلة كي تستطيع أن تسيطر على كافة الحركات الإسلامية وقمعها، وبدأت وسائل الإعلام في تلك الدول في تضخيم المخاوف من راديكالية متحجرة في الداخل، سوف تتعامل مع الغرب بعدوانية وظلامية شديدة، وهو ما أدى إلى تبرير حبس المسلمين المعتدلين.

وتتبلور الفكرة الأساسية في الكتاب، لتصل، في الفصل الأخير إلى رفض المؤلف للإطروحات المنادية بصدام الحضارات، وينتقد الكتاب المفكرين الغربيين المنادين بتلك الفكرة، أمثال برنارد لويس، الذي كان أسبق من طرح هنتجتون لفكرته، ويصف المؤلف معلومات لويس بالسطحية، وأنه لم يميز بين الجماعات الإسلامية المختلفة، وكذلك بالنقص المذهل في المعلومات التي يقدمها، من أجل الوصول في النهاية إلى نتيجة شائنة هي حتمية حدوث الصدام الحضاري بين "الكتلة الإسلامية" والغرب.

كذلك ينتقد المؤلف أطروحة هنتجتون التي تضع الإسلام إلى جانب الديانات الوضعية الأخرى - في مواجهة الحضارة الغربية، ويؤكد أن التناول الالتفائي الذي ينهجه الغربيون للنشاط الإسلامي، يستبعد الأسباب التي أرتكز عليها المسلمون في رفضهم للغرب، وأن هؤلاء المحللين لا يجهدون أنفسهم أبداً في البحث عن الجذور التي تحدد مواقف الإسلاميين، بدلاً من استبعادها ببساطة، واعتبارها نتيجة للصدام بين الحضارات.

ويهاجم المؤلف المحللين الغربيين الذين يربطون جميع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي في خيط واحد، ويعتبرون أن ما يحدث في فلسطين - كشمير - أذربيجان - وكوسوفو - ولبنان هي انتفاضة إسلامية عالمية، ويرى أن اقتناع الغربيين بهذا، يؤدي بهم في النهاية إلى تخیل وحدة إسلامية غير واقعية، لأن كل منطقة وجماعة لها أسبابها الخاصة، فما يحدث من انتفاضة في فلسطين لا علاقة له بما يحدث في كشمير وكوسوفو وأذربيجان.

ويتهم اسبوزيتو المحللين الغربيين بالازدواجية عندما يرحبون برغبات شعوب شرق أوروبا نحو التحرر والاستقلال في الوقت الذي يرفضون فيه مطالب الحركات الإسلامية، ولا يستوقف عند ذلك فقط، بل يحاول أن يحل أسباب هذه الافتراضات الخاطئة ويرجعها إلى عدة عوامل أهمها أن معظم أولئك المحللين جاءوا نتيجة انحيازات علمانية فضلاً عن فهمهم البسيط والضحل للإسلام، وكذا ندرة الباحثين في الدراسات الإسلامية، واضطرارهم للتعامل مع الماضي الإسلامي، ومحدودية إمكانياتهم من حيث فهم الإسلام الصحيح، واللغة العربية، والاتصال الحقيقي مع الناشطين الإسلاميين، والحركات الإسلامية.

والنتيجة التي يخلص إليها المؤلف هي أنه يجب على الغربيين أن يدركون أن الإسلام يتميز بحيوية فائقة ودائمة، وأنه لا يجب اختزال كافة الحركات الإسلامية في كفة واحدة، ولا يمكن أن تقوم صيغة استراتيجية أو وصفة سحرية "معلبة" بالتعامل مع الظاهرة الإسلامية ككل، بل يجب التحفظ ومعرفة الحد الفاصل بين الحركات الإسلامية ذات المشروع الفكري والتجديدي، وبعض العناصر والجماعات الراديكالية التي تبنت العنف نتيجة للعديد من الأسباب الداخلية وكذلك الأسباب الخارجية التي كان الغرب هو المسئول الأول عنها بشكل أو بآخر.

يتبقى أن الترجمة الدقيقة والفائقة لأفكار المؤلف، قد توقفت أمام رؤيته لإسرائيل ودورها، فقد أخذت عليه - بحق - محاولة إيجاد مشابهة تعسفية بين مناضلين حقيقيين مثل نيلسون مانديلا وياسر عرفات، وإرهابيين على شاكله مناحم بيجن واسحق شامير وعصابة شتيرن، غير أن هذه "الزلة" للمؤلف لا تنفي عنه معرفته ودرايته الفائقة بتضاريس الحركات الإسلامية الحديثة، وكذلك نزعتة الموضوعية في التعامل مع الظاهرة الإسلامية، بل ربما يمكن القول - مع بعض التحفظ - أن المؤلف يفهم طبيعة جميع الحركات الإسلامية، وأفكارها، ربما أفضل من بعض الحكومات المسلمة، التي لم تفهم ذلك، أو التي أغفلت فهم ذلك - عن عمد - حتى تستطيع تطبيق سياساتها، وتحقيق أهدافها ومصالحها.

حدث هذا في الوقت الذي عزت فيه الحركات الإسلامية الأحيائية (المهدية - السنوسية - الوهابية وفي البنغال والهند وإندونيسيا) تخلف مجتمعاتها إلى البعد عن القيم النبيلة للإسلام، وجهود المستعمرين في تسريب أفكار غريبة لا تصب في مجرى المجتمع المسلم ورأت ضرورة العودة إلى الإسلام الصحيح، وهكذا انبثقت التصورات الإسلامية عن الغرب المسيحي عبر سياسات الاستعمار الذي هدد باقتلاع الهوية الإسلامية للشعوب المستعمرة.

ويرصد المؤلف أن الاستجابة الإسلامية لتحدي الاستعمار الغربي قد عبرت عن نفسها عبر عدة إفرازات تراوحت ما بين الرفض والانسحاب أو الأخذ بالعلمانية والتغريب أو إيجاد نوع من الحداثة الإسلامية وتمثلت النتيجة النهائية لعمليات التحديث التي جرت بعد نجاح الحركات الوطنية ضد الاستعمار في ظهور نخب جديدة في المجتمع المسلم. حيث أفرز التعايش بين المدارس الدينية التقليدية رؤيتين متوازيتين للعالم اعتمدتها أقلية نخبوية، علمانية، وأغلبية محافظة ذات توجه إسلامي، وسعى معظم الحكم في المجتمعات الإسلامية إلى إيجاد موازنة بين التراث الإسلامي والعلائق الثقافية الخاصة بالاستعمار الغربي، حيث تم فرض التحديث من أعلى بواسطة الحكومات والنخب المرتبطة بالغرب.

وقليلون هم الذين تساءلوا عن الحكمة المقبولة بأن التحديث يعنى التغريب والعلمنة المطردة للمجتمع، وبرزت إلى السطح حداثة إسلامية ترمى إلى سد الفجوة ما بين المصلحين العلمانيين، والتراثيين الإسلاميين كالأفغانى، محمد عبده، أحمد خان، محمد إقبال، ويؤكد المؤلف دائماً على الفهم الملتبس للإسلام في أذهان الغربيين، وتعمدهم استخدام مصطلحات "كالأصولية" ذات المزاعم المستمدة من البروتستانتية الأمريكية، وبالتالي وصم الإسلام بالإرهاب، ركزت آلات الإعلام الغربية على صورة المسلم الأصولي، الإرهابي المعادى لمصالح الغرب وديانته غير أنه يلحظ - في لفته بارعة - أن أنظمة الحكم في الدول المسلمة، تلقفت أيضاً هذا المصطلح، من أجل توظيفه لخدمة أغراضها، ووصم خصومها الداخليين بصفات سوداوية شريرة وذلك لكسب الصراع الداخلى في المجتمعات الإسلامية.

ولم تتوقف تلك الأنظمة المسلمة عند ذلك فقط بل نجحت في استغلال الواجهة الإسلامية التي صبغت بها، سياستها من أجل سحب البساط من تحت أقدام الحركات الإسلامية الإحيائية منها وذات الاتجاه الثوري، مثلما حدث في ليبيا والسودان ومصر.

ويرسل المؤلف بصره أيضاً نحو كتلة ثالثة بالمجتمعات الإسلامية، أدركت منذ وقت بعيد أن تطبيق الحكومات للشعارات الإسلامية ما هو إلا وسيلة للسيطرة السياسية والقبض بزمم الأمور أكثر من كونها دعوة حقيقة للإلهام والتجديد، وبدأ أفراد تلك الكتلة - التي لم يحدد المؤلف ثقلها - في المجتمعات الإسلامية يتساءلون هل ستصبح الدولة الإسلامية الجديدة أكثر فعالية من النظم العلمانية في قضايا المشاركة السياسية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فضلاً عن الأصالة الثقافية، وهل ينحصر الاختيار فقط فيما بين "حكم الفرد العلماني أم حكم الفرد الإسلامي"؟.

وانتقل بعد ذلك إلى استعراض التنظيمات الإسلامية الموجودة على الساحة، وعلى الرغم من اتساع المشهد الفسيقي للجماعات الإسلامية عبر جغرافية العالمين العربي والإسلامي، فإن المؤلف استطاع الإمساك بقلبيته، كما أستطاع استعراض كافة جماعاته المعتدلة منها والثورية في مصر ولبنان والجزائر وإيران وتركيا وموقف تلك الجماعات من الغرب، وكذا موقفها من حل المعضلة الإسلامية الداخلية في بلادها وموقفها من العلمانية ومن مستقبل المجتمعات التي تقوم بالتعبير عنها، وعلى الرغم من تورط العديد من الغربيين من مسؤولين رسميين ومفكرين ومحللين، في التحذير من خطورة الإسلام فإن اسبوزينو يرى أن الغرب أمامه طريقين لفهم ما يجري في العالم الإسلامي ومن ثم الاستجابة الإيجابية له، طريق سهل وآخر صعب، الطريق الأول الأكثر يسراً وسهولة الذي تسكبه الذهنية الغربية حتى الآن، هو أن يتم النظر للإسلام وحركات الإحياء الإسلامية بوصفها تهديداً عالمياً وأن يصبح الإسلام عدواً تاريخياً للغرب المسيحي، وهو ما يؤدي في النهاية إلى تأييد النظم العلمانية الموجودة في الدول الإسلامية بأى ثمن، وأن يغض الغرب المسيحي النظر عن قمعها لشعوبها (المسلمة)، بدلاً من المخاطرة بوجود حكومات إسلامية في الحكم.

أما الطريق الأكثر صعوبة الذي ينادى به المؤلف وربما تقوم فكرة الكتاب عليه، فهو ضرورة التحرك نحو اكتشاف مدى الضرر الذي تسببه الأنماط السهلة والإجابات الجاهزة التي أفرزتها وسائل الإعلام الأمريكية والغربية، وتعميق فهم العقل الغربي، فينادي بضرورة التمهّل في تناول الظاهرة الإسلامية وتجلياتها، الفصل بين الإسلام المثالي والحركات الراديكالية، ويذكر الغربيين أنه على الرغم من كفاءة أجهزة المخابرات الغربية ودوائر صنع القرار فإن الجميع لم يكونوا يستطيعوا التنبؤ بالانهيار السريع للاتحاد السوفيتي، وأن الإجماع على فكرة معينة، لا يعنى بالضرورة صوابها.

second world war until today, seen, for example, in the political freedom of Muslim peoples from the colonial domination of western powers, emphasis on national identity, Pan-Islamic ideal, and increase of missionary zeal. in today's world the adaptability of Islam raises many questions, such as the direction of Islamic reform and revival, the relationship between tradition and modernization, or the role of the religious leaders (*'ulamā*) for the future of Islam. Islam, as a world religion, with a global following of 1.4 billion adherents should be of interest to all those concerned with 'foreign' religions. As Yannoulatos stresses, the understanding of the world in which we live, requires a knowledge of Islam as a prerequisite for an appreciation of our theologically and historically interconnected Judaeo-Christian-Islamic heritage.

Yannoulatos' book succeeds in enabling the readers to understand and appreciate what Muslims believe and practice. His work written in a concise, lively and accessible manner gives the reader an informative view of the fundamental role Islam plays in Muslim life. As its centre is Allah, God, its monotheism dominates Islamic practice; spreading God's will is an individual and Community obligation. The author describes the origin of the religion, its formation, sources of influence, theological development, foundations of its faith, cult life, and the significance of law imposed by the *Sharī'ah*, a religion that impregnates peoples historical conscience and determines their future. Though this work is a reprint of the 1975 edition, and therefore does not contain updated references and bibliography, nevertheless it remains an important contribution to our knowledge about basic aspects of the religion of Islam. Yannoulatos uses extensive footnotes in the form of references and scientific support to the arguments developed in the text, gives the etymological meaning of Arabic terms when necessary, brings to our attention problems related to the source material for certain aspects of the Islamic history, and sheds light on contradictory issues by expressing his own interpretation. Yannoulatos' book is a comprehensive study of Islam and its dynamic throughout the ages.

the polemic it faced by the Byzantines, and the penetration of Greek thought during the 'Abbâsid period.

In chapter 3, he explains that the Muslim faith and practice are expressed in a variety of beliefs and rituals. He describes the five duties of the Muslims, *shahâda* (confession of faith), *ṣalât* (prayer), *zakât* (legal alms), *ṣawm* (fasting), *hajj* (pilgrimage), and puts emphasis on the rituals and procedures used during each practice. He also refers to other festivals and celebrations in Muslim religious life stressing that they aim at bringing unity to the Muslims exercising influence on them so as to submit to God's will. In chapter 4, he discusses main moral principles focusing on family institutions, the position of women, the theory of *jihâd* etc., and points out the values of compassion, humanity, modesty, justice, among others, emphasized by the Qur'ân and the *hadîth*. Further, he explains the significance of law (called *Shari'a*) in Islam, which defines the behaviour of men in their personal and social life. It drives from the teachings of Qur'ân, *sunna*, consensus of learned opinion (*ijma'*), and reasoning by analogy (*qiyas*).

In part three, chapter 1, Yannoulatos draws a historical map of the main events that marked the Arabic history, and maintains that Islam passed through many stages in its development: classical period (rise of the Arabs from the 7th to 13th c.), medieval period (rise of the Mongols and Turks in the mid 13th c. to 18th c.), period of decline (end 18th c. to the beginning of 20th c.), and a new rise (after the Second World War). He also refers to the development of Islam as a world civilization, and its contribution to the history of philosophy, art, architecture, astronomy, theology, medicine, mathematics and the sciences. He examines the religious divisions in Islam, and describes the sects of Khawârij, Mu'tazila, Murji'a, Aḥmadiyya. In chapter 2, he focuses on the Sunnites and Shiites, their branches, sources of influence, beliefs and differences. In chapter 3, he provides a historical summary of the development of the branch of Islamic mysticism called 'Sufism' and his representatives.

In chapter 4, Yannoulatos describes the characteristics of contemporary Islam. He examines the internal tendencies in Islam, such as the liberal modernization movement (Sayyid Aḥmad Khân, 1817—1898), reawakening of 'Islamic Orthodoxy' aimed at the 'restoration' of Islam (focuses on the 'fundamentalist' movements of Wahhâbî in Saudi Arabia, Mahdî in the Sudan, Sanûsî in Libya), radical reform (Turkish interpretation of Islam), and legislative adjustments. He stresses that the Muslim world witnessed a gradual increase of political power after the

calendar.

In chapter 3, Yannoulatos focuses on the Qur'ân, the main source of Muslim religious life, and the foundation of Islamic belief and practice. He describes its character, division (114 *suras*) dating (compilation finished in 645), stresses chronological problems related to its form, and looks at interpretative attempts. He compares the Qur'ân with the person of Christ in Christian theology as evereternal Word of God'. The Qur'ân contains the revelations received by the Prophet in Mecca and Medina, and is a treatise of prayers, summary of sacred history and basis of morality and law in Islam, and as such the first written monument of Arabic language. The Qur'ân is the main visible sign of God's presence among people in a religion that has no priests, mysteries and icons as in the Christian Church. In chapter 4, the author discusses the nature and form of the *ḥadīth* (the tradition of the acts and sayings of the Prophet), and drawing on examples, he describes its use as a source for giving solutions to problems in the Muslim Community. He argues that the Qur'ân is understood under the light of the *ḥadīth* and provides information about the *isnâds* (chains of authority) stressing the issue of the reliability of the historicity of names, accuracy, and the relationship between the participants of *isnâds*. He also lists the *ḥadīth* in categories; and describes collections of them which influenced the development of the Islamic law.

In the second part, Yannoulatos examines the Islamic creed and ethos in four chapters. In chapter 1, he gives the basic theological lines of the Qur'ân. He stresses the 'foundations of faith' i.e. its monotheism, belief in angels, prophets, the books of prophets, resurrection of the dead, last judgment, predestination of man, and draws a schematic parallelism with Christian symbols of faith. He points that the differences between Muslim and Christian teachings are the rejection of the divinity of Jesus, negation of the term 'father' attached to God, which is related to the idea of being the son of God and the teaching of Holy Trinity, negation of the crucification, and resurrection of Christ. Some of the similarities are the special place Virgin Mary (*Maryam*) has in the Qur'ân and is, in fact the only woman mentioned by name, the respect towards the person of Jesus and his work, and the Holy Spirit. In chapter 2, the author summarises the historical background of the rise of theology (*kalâm* 'speech') and philosophy in Islam (3rd c. A.H.). He argues that the main reasons for the rise of *kalâm* were the theological and political differences of various groups in the Muslim Community, the need for spiritual defense against

' Αναστασίου Γιαννουλάτου, Αρχιεπισκόπου Τιράνων και
' πάσης Αλβανίας, Ισλάμ. Θρησκευολογική επισκόπησις,
(Islam. A General Survey), 1st edition 1975, (Athens, 2001). 339
pages.....by Maria Vaiou

The lack of studies on Islam by Greek scholars makes Yannoulatos' book an interesting one. Yannoulatos examines the role of religion in Islam in three parts. He starts his introduction with the meaning of the term Islam,¹ and stresses the importance of knowing about it. He examines the nature and phases of the knowledge and investigation of Islam by non-Muslims, and looks at the existing literature on Islam. He begins the first part examining the roots of Islam in four chapters. In chapter 1, he describes the background of the development of Islam, the pre-Islamic Arabic religion —its polytheistic structure, the *Allāh* monotheistic concept, cult aspects, morals — and the Christian and Jewish influences in the form of religious streams which were incorporated in Islam.

In chapter 2, Yannoulatos describes the emergence of Islam, focusing on the early years of the Prophet (570—622 A.D.). He continues with the historiographical problems related to the study of the early Islam, the Life of the Prophet, and the Qur'ân. Yannoulatos points out that the Prophet's migration (*Hijra*) to Medina in 622 A.D. was the turning point for the formation of the religion of Islam. The Prophet Muhammad called people to the one true God returning to the faith of Abraham (*millat Ibrahim*) and did not bring a message from a new God. In this way, though he put aside the names of Jesus and Moses invoked by the two other Abrahamic religions Judaism and Christianity, he provided a point of common approval and unquestionable authority. In addition he put the basis of the Muslim Community bonded by a common religious faith, and drew attention to traditional Arabic principles to which he gave new theological interpretation. This is reflected in the direction (*qibla*) for prayer to Mecca instead of Jerusalem. A series of rules followed which cemented the national Arabic character of the religious movement of Muhammad. The importance of the Prophet's migration is reflected in its adoption as the beginning of the Islamic

¹ By the term Islam, Yannoulatos means the religious experience defined as 'submission to God' or 'acceptance of God's guidance'.

B. Book Reviews



Fig. 10

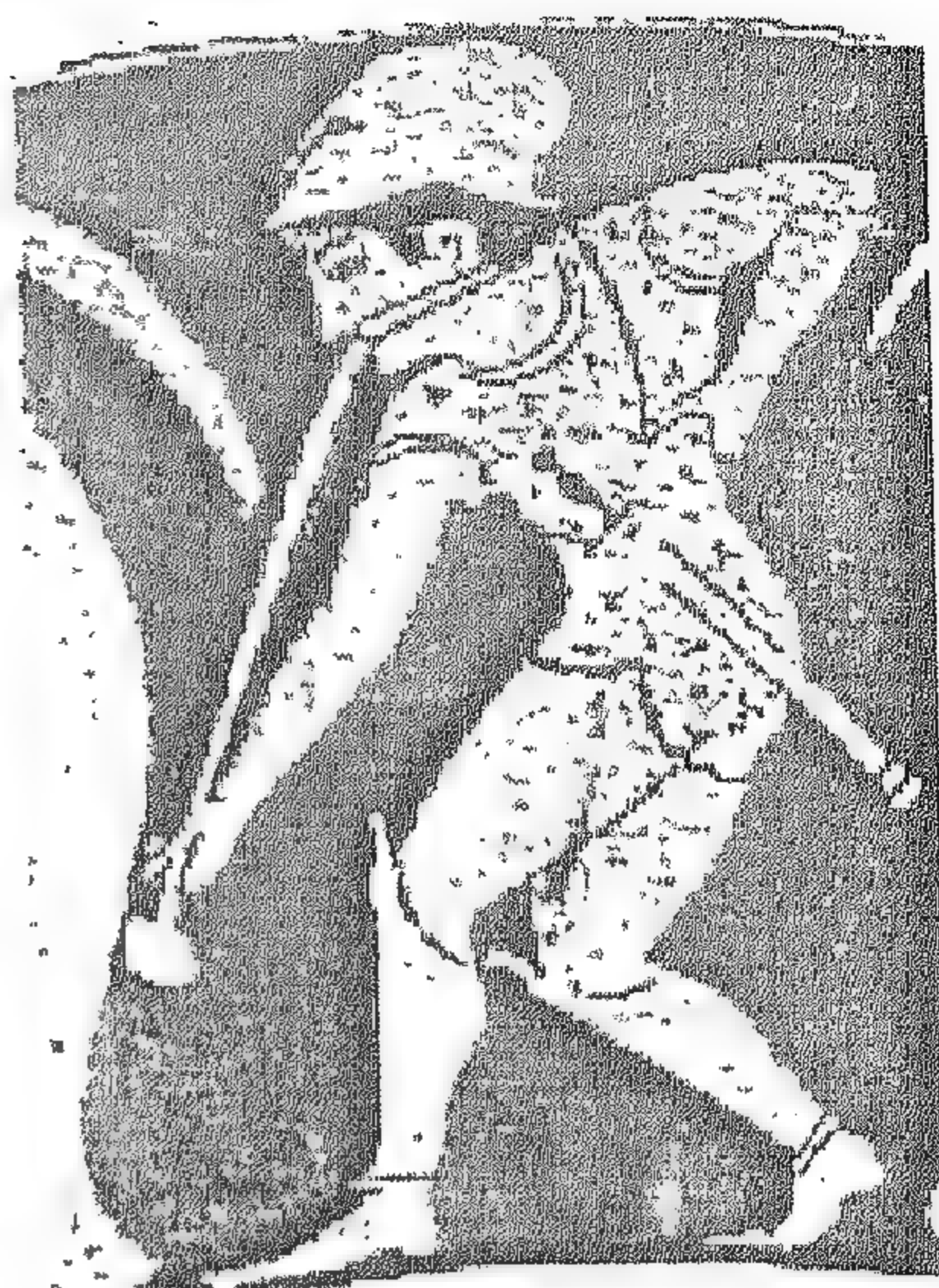


Fig. 11



Fig. 12

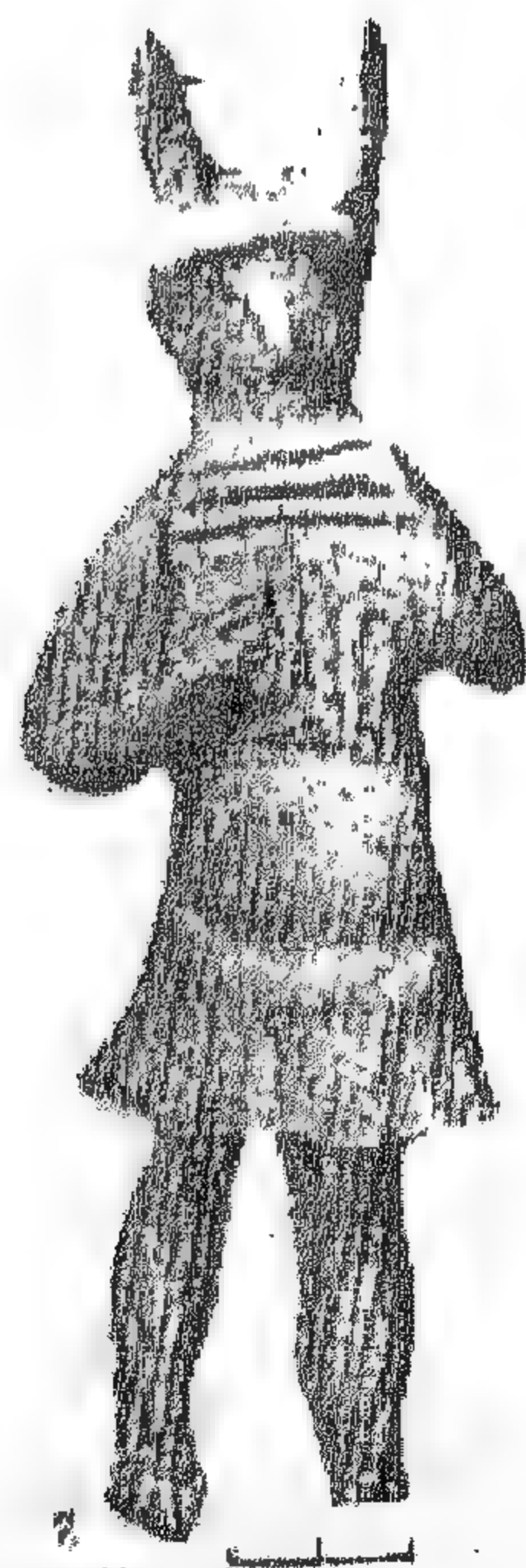


Fig. 13



Fig. 7



Fig. 8



Fig. 9



Fig. 3

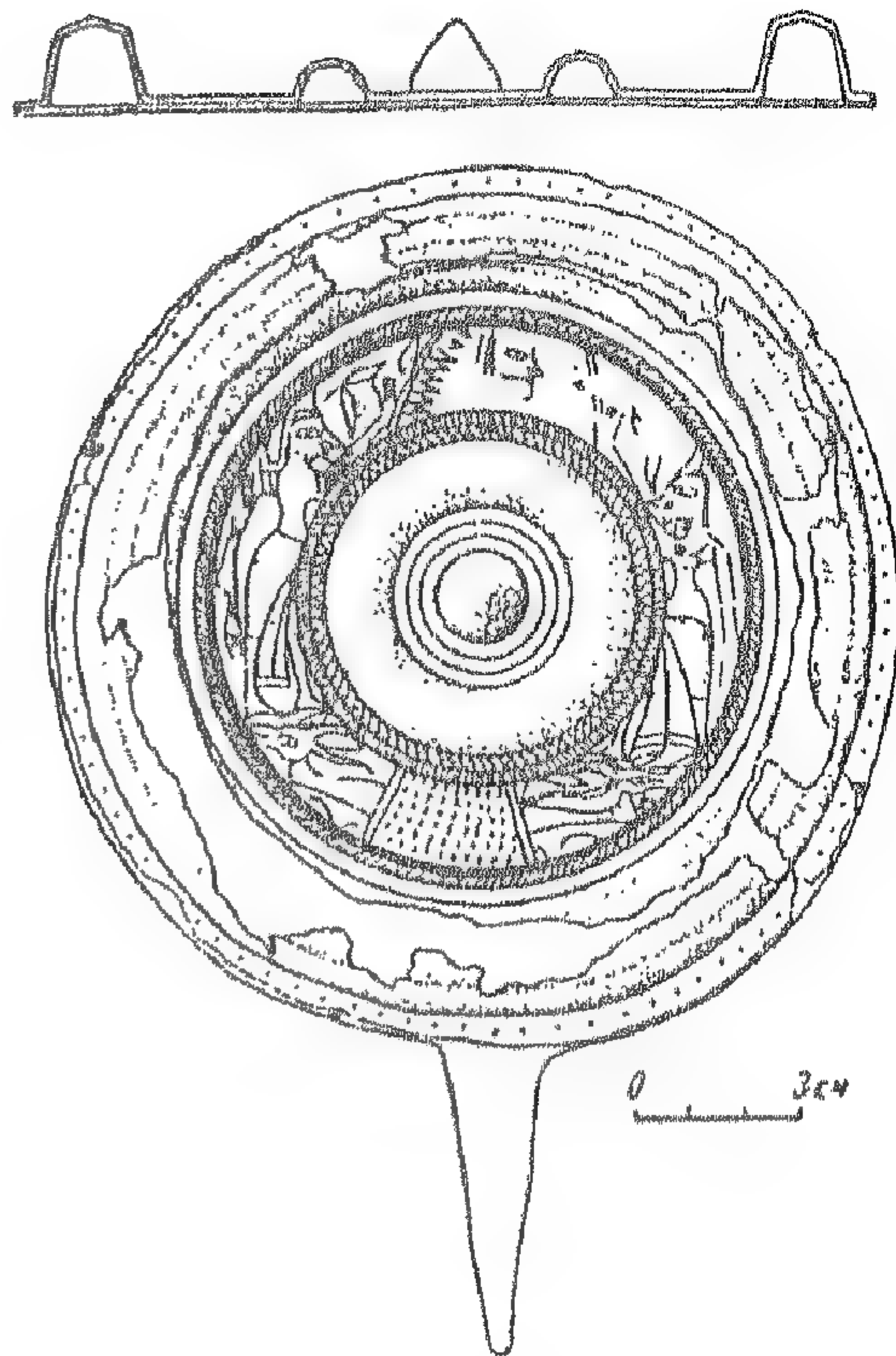


Fig. 4

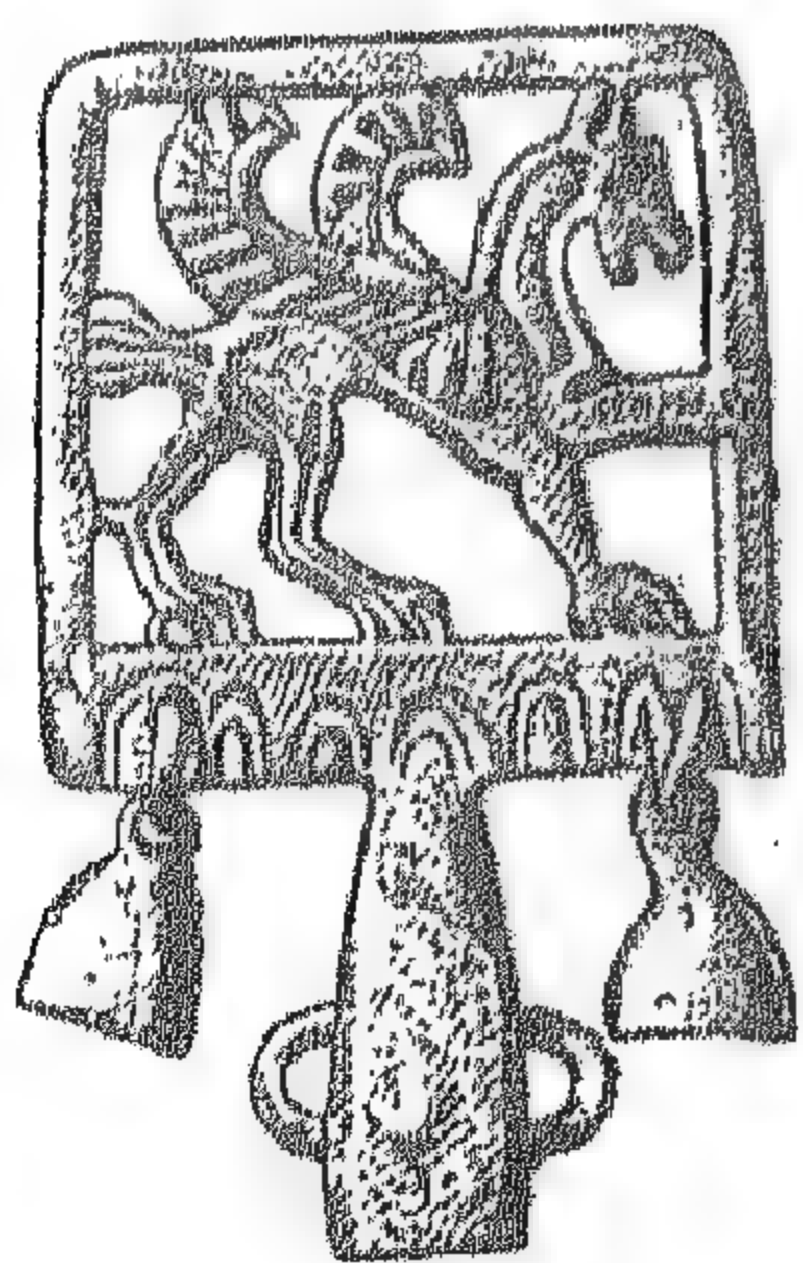


Fig. 5

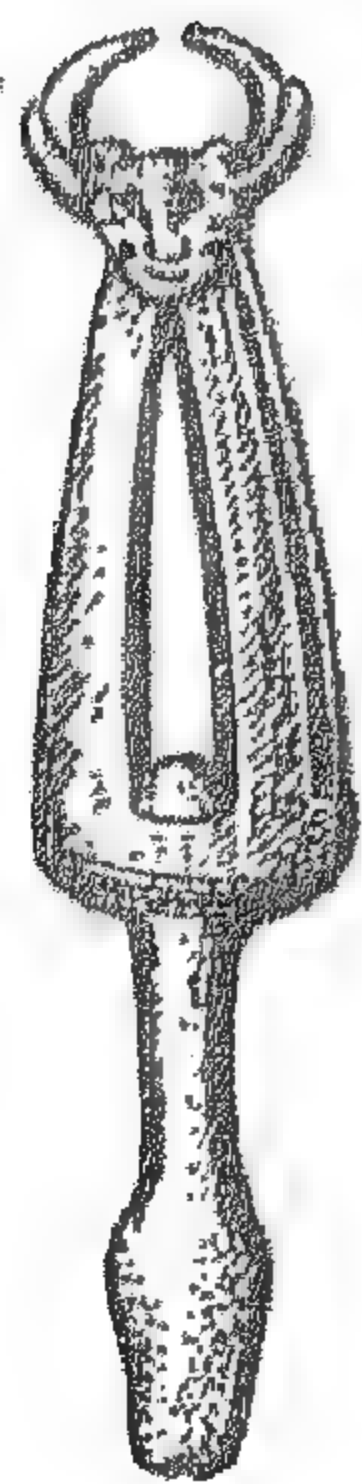


Fig. 6



Figures

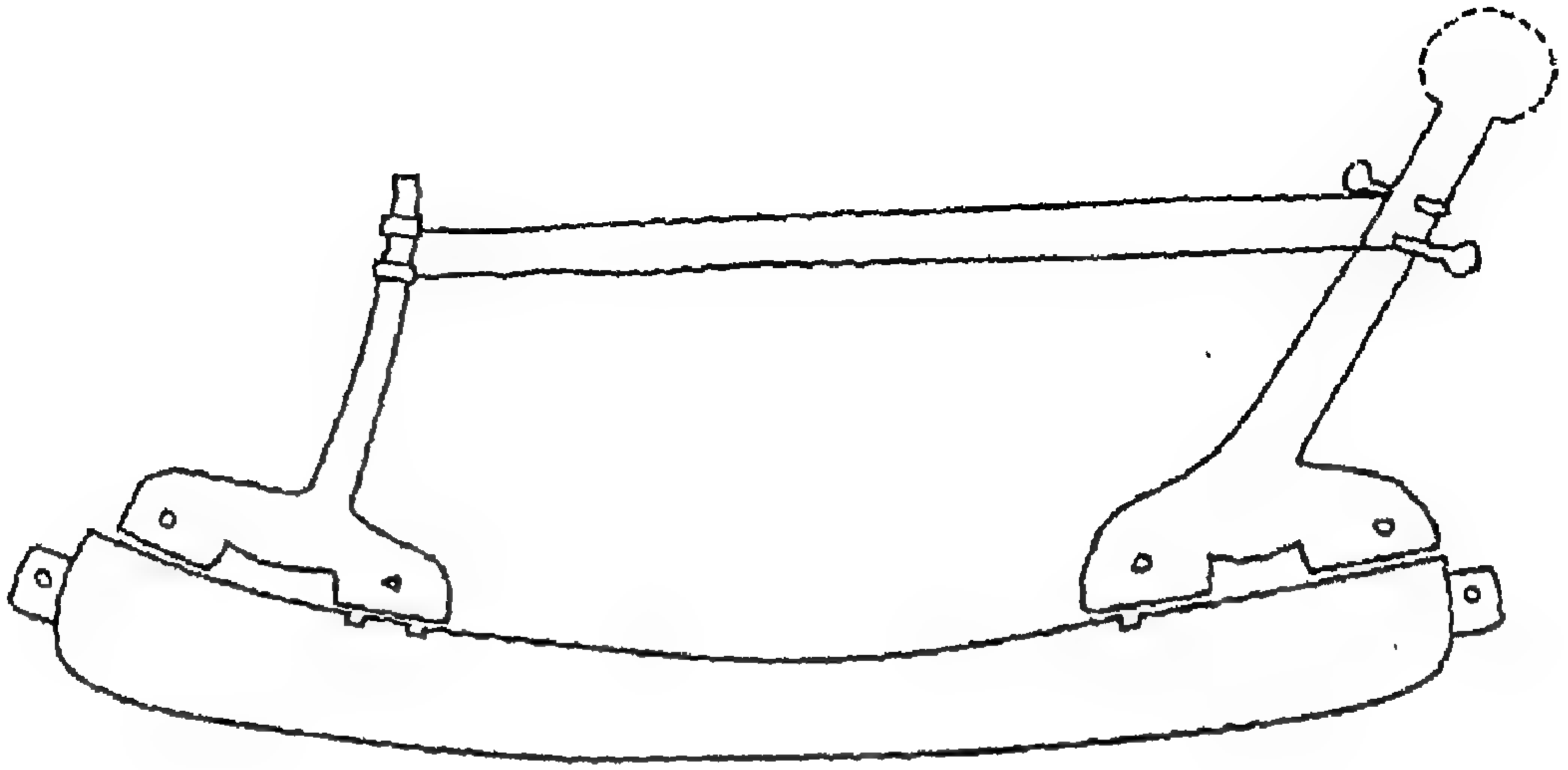


Fig.1



Fig. 2

- 27.D.Paquette, L' instrument de Musique dans la céramique de la Grèce Antique. Etudes d'Organologie (Paris 1984)25-26
- 28.D.Paquette, L' instrument de Musique dans la céramique de la Grèce Antique. Etudes d'Organologie (Paris 1984)74 -75

- 4.E.E.Fialko, 'Iskusstvo narodov Skifii' Velikaia Skifiia(Kiev-Zaporozhie 2002)127-139
- 5.V.N.Basilov, 'Skifskaia arfa' Sovetskaia etnografiia 4(1991)140-154
6. T.M. Kuznetsova, 'Vostochniie muzikalniie zerkala' Peterburgskii arkheologicheskii vestnik 7(St Peterburg 2000) 82-87
- 7.V.V.Latishev, Izvestiia drevnikh pisatelei o Skifii I Kavkaze (St Peterburg 1992-1993) 147
8. S.I.Rudenko, Kultura naseleniia Tsentralnogo Altaia v skifskoie vremia(Moscow-Leningrad 1960)62-63
- 9.K.F.Smirnov, Sarmati na Ileke (Moscow 1975)142-143
- 10.V.N.Basilov, 'Skifskaia arfa' Sovetskaia etnografiia 4(1991)140-154
- 11.S.S.Bessonova,D.S.Raevski, 'Zolota plastinka iz Sakhnivki' Arkheologiiia 21 (Kiev 1977)30-50
- 12.V.N.Basilov, 'Skifskaia arfa' Sovetskaia etnografiia 4(1991) 150-152
- 13.T.N.Visotskaia, Neapol – stolitsa gosudarstva pozdnikh skifov (Kiev 1979)183
14. T.M. Kuznetsova, 'Vostochniie muzikalniie zerkala' Peterburgskii arkheologicheskii vestnik 7(St Peterburg 2000) 82-87
- 15.K.F.Smirnov, Sarmati na Ileke (Moscow 1975)142-143
- 16.A.I.Meliukova, Krasnokutskii kurgan (Moscow 1981)50-53, fig.14
- 17.E.V.Chernenko, S.S.Bessonova, Yu.V. Boltrik, S.P.Polin, S.A.Skorii, Bokii N.M., Grebennikov Yu.S., Skifskie pogrebalnie pamiatniki stepei Severnogo Prichernomoria(Kiev 1986)221,264
- 18.L.K. Galanina, Skifskiie drevnosti Podneprovia .Ermitazhnaia kollektsiia N.E.Brandenburga. SAI.D1-33 (Moscow 1977) 41-42, Pl.21.
- 19.E.V.Chernenko, S.S.Bessonova, Yu.V. Boltrik, S.P.Polin, S.A.Skorii, Bokii N.M., Grebennikov Yu.S., Skifskie pogrebalnie pamiatniki stepei Severnogo Prichernomoria(Kiev 1986)216,217,222,238,270,279
- 20.V.Tatarkevich, Antichnaia estetika (Moscow 1977)17
- 21.E.I.Solomonik, Noviie epigraficheskiie pakiatniki Khersonesa. Lapidarniie nadpisi(Kiev 1973) 99,103
- 22.E.B.Petrova, Antichnaia Feodosiia (Simferopol 2000)156
- 23.Kobilina, M.M. 'Teatr, aktery, muzikalniie instrumenti', Antichniie gosudarstva Severnogo Prichernomoria (Moscow:Nauka1983)219
- 24.V.Tatarkevich, Antichnaia estetika (Moscow 1977) 19
25. S.Gazarian, V mire muzikalnikh instrumentov (Moscow 1989) 49
- 26.Kobilina, M.M. 'Teatr, aktery, muzikalniie instrumenti', Antichniie gosudarstva Severnogo Prichernomoria (Moscow:Nauka1983) pl.CXIX,8

Figures:

- Fig. 1. Instrument à archet du type du violon trouvé dans le deuxième kourgane « Pazyrykski » à Altaï (V s. av. J.-C.)
- Fig. 2 : Un Scythe jouant de l'instrument à cordes du type de la cithare - image sur la planchette d'or d'une coiffure trouvée dans le kourgane "Sakhnovski" (IV s. av. J.-C.). Kiev. Musée des objets précieux historiques.
- Fig. 3 : Un homme jouant de la lyre. Caveau №9 (II-III ss.) de la nécropole de Néapolis de Scythie – capitale des Scythes tardifs.
- Fig. 4 : Une glace-crécelle musicale trouvée dans le sépulcre sarmate « Metchetsaïski » (kourgane 8, enterrement 5). D'après K.F. Smirnov
- Fig. 5 : Les bouts des bâtons rituels scythes:
a) kourgane « Alexandropolski »
b) kourgane « Starchaïa mogouila »
- Fig. 6 : Aulos-alto. Fragment du cratère du musée de Khersonèse (№ KP – 2877/08)
- Fig. 7 : Aulos-baryton. Cratère avec l'image d'une scène théâtrale. Musée historique de Kiev.
- Fig. 8 : Aulos-soprano. Péliké du musée de Yalta, KP – 502. Ici il y a encore une image qui représente une lyre à 5 cordes à l'intérieur.
- Fig. 9 : Lyre sur une pyxis de musée de Yalta (KP – 496).
- Fig. 10: Image d'un tympanon sur une péliké du musée républicain de Crimée (KP – 1094).
- Fig. 11. Salpinx. Coupe, FR, Vatican n°498, ARV²
- Fig. 12: Harpe ou trigonon sur la statuette de terre cuite de Panticapée.
- Fig. 13: Syrinx sur une terre cuite de Panticapée.

Notes

- 1.M. Maas, Stringed instruments of ancient Greece (Bethany Connecticut : Brevis Press 1989)
- 2.D.Paquette, L' instrument de Musique dans la céramique de la Grèce Antique. Etudes d'Organologie(Paris, 1984)
- 3.Kobilina, M.M. 'Teatr, aktery, musikalniie instrumenti', Antichniie gosudarstva Severnogo Prichernomoria (Moscow:Nauka1983)219,Pl. CXIX

pendues . La musique accompagnait les rites, on jouait de l'instrument à cordes, et , probablement , une sacrificatrice qui donnait le rythme à l'aide d'une glace musicale ou d'une crecelle. Le départ d'une armée était accompagné de divers bruits musicaux. Les pommes des cannes qui ornaient les bâtons de rite, faisaient de bruit. Un aristocrate scythe au cheval représentait un phénomène non seulement majestueux et redoutable , mais aussi et musical grace aux sonnettes et les autres pendentifs sur le harnachement. Les flèches des Scythes sifflaient au vol. La musique accompagnait et les festins, et la vie quobidienne, et la loisir.

Pour faire notre notion de la culture musicale des peuples indigènes plus détaillée, il faut réunir toutes sortes des sources – et les renseignements des auteurs antiques, et les trouvailles archéologiques - les débris des instruments de musique et les images des scènes avec les instruments de musique sur les vases, sur les terres cuites, sur les monuments trouvés dans cette région .

La création d'un tel corps – notre tâche immédiate. Nous espérons que notre travail soit utile aux critiques d'art, aux musicologues et au milieu large des amateurs de l'Antiquité .

* communication aimable de V. Ougentsev

voisine de celle de notre violon alto et sonnait dans un registre médium aigu. La trompette est normalement faite en bronze, mais il existait aussi des trompettes de fer. La salpinx paraît avoir été relativement légère car l'instrumentiste la tient d'une seule main. Au ses faibles possibilités musicales et le caractère perçant de sa sonorité, la trompette est essentiellement un instrument d'alerte ou de signalisation. Dans la vie militaire, elle donne le signal de l'attaque ou de la retraite. Au théâtre, elle sert à obtenir le silence. Sur les vases, elle apparaît entre les mains des Amazones ou de Niké. Un épisode très intéressant de l'histoire de Théodosie antique est lié avec cet instrument. Le général Tinnikh à l'aide de la salpinx a libéré cette ville du siège [Poliaen. Strategemata. V, 23].

L'instrument de signaux plus primitif était fait de coquille du mollusque de mer – un tel exemplaire est trouvé pendant les fouilles à Kalos- Limène (colonie de Khérsonèse de Tauride à la Crimée de sud-ouest) **.

L'instrument était trouvé dans les couches de la destruction liées avec la dernier siège de la ville par les Scythes, entouré des artefacts témoignant que c'était un outillage d'un navire de guerre tiré sur la côte. Nous pouvons voir une image d'une harpe ou d'un trigonon sur les statuettes de terre cuite de Panticapée (d.12). Une syrinx - l'instrument préféré de Pan - est représenté sur les terres cuites de Panticapée (id.13).

Donc les sources antiques, les trouvailles archéologiques et les images sur les vases prouvent que les habitants des villes antiques du littoral septentrional de la Mer Noire utilisaient à la vie quotidienne, à l'activité professionnelle, pendant les rites religieux utilisaient les instruments à cordes. On connaît la lyre, la cithare, la harpe ou le trigonon. Parmi les instruments à vent on connaît la flûte, la syrinx et la trompette-salpinx. L'instrument à percussion le plus répandu est tympanon.

Sans aucun doute qu'ils étaient faits dans les ateliers d'artisan au littoral septentrional de la Mer Noire, et leurs sons réjouaient l'oreille des mélomanes de cette région dont il y avait beaucoup (selon les auteurs antiques).

Les Scythes et les Sarmates préféraient les instruments à cordes faits des matériaux de fortune de bois, de peau, des tendons des animaux. Les oreilles des hochets étaient importés et fabriqués à la région. Les ornements, les vêtements féminins de fête abondaient en pendeloques faisant du bruit qui pouvaient accompagner à une danse. Le harnachement produisait aussi des sons mélodieux grâce aux sonnettes

Les cordes étaient en nombre variable – de 5 à 9. Au bas de la carapace il y avait des trous pour les cordes qui se roulaient sur la traverse. Une lyre à 5 cordes est représentée sur une péliké du musée de Yalta № 502 (fig. 8). Sur ce dessin elle est représentée de l'intérieur, sur une pyxis de même musée №496 (fig. 9) – de l'extérieur de l'instrument. Eros qui tient la lyre à la main gauche sur ce dessin, tend le plectre à la main droite à une femme. Eros, dieu de l'amour, est souvent représenté avec une lyre à la main quand il observait les préparatifs de noces (comme sur cette pyxis). Mais le dessin sur la péliké représente Eros avec une lyre et une des Muses.

La cithare, instrument d'Apollon et des virtuoses de concours, le plus perfectionné et sans doute le plus complet de la Grèce classique. La résonance considérable due à une caisse de grande dimension, à la forte tension des cordes, peut-être à des lames vibrantes, favorisait son emploi « public ». La tessiture devait se situer au niveau du violoncelle actuel, ce qui lui confère un ambitus de baryton, favorable à l'accompagnement des voix virilis. La lyre et la cithare étaient très populaires chez les habitants du littoral septentrional de la Mer Noire (fig. 10). Nous en avons un témoignage concluant de Poliaenus (II s.). Il raconte d'une action de reconnaissance de Philippe de Macédoine Memnon qui recourait à l'aide du citharède Aristonic à une reconnaissance. Ce fragment atteste un grand intérêt des habitants des villes de Bosphore à une célébrité de passage, leur amour de la musique (Poliaen. Strategemata. V, 44).

Un des instruments à percussion les plus répandus que nous pouvons voir sur les vases des musées de Crimée est le tympanon. Il est constitué d'une peau tendue sur un cercle de bois dont le diamètre peut être varié de 30 cm – à 80-90 cm. On peut le voir sur les plusieurs images sur les vases (fig. 10) – parfois il a la taille d'un bouclier et il couvre tout le haut du corps humain, parfois il a la taille d'une petite assiette. Le tympanon est utilisé essentiellement pendant les danses et cérémonies orgiastiques, les rites de Dionysos. On venait avec lui aux tombeaux des parents et on chantait à mi-voix. Il accompagnait les mystères, on voit souvent les figures des mystos aux bondeaux avec les tympanons à la main.

Les Grecs ont connu la trompette – salpinx sous la forme la plus simple : tube droit terminé d'un côté par un pavillon, de l'autre - par une embouchure (fig. 11). La salpinx pouvait mesurer de 60 cm à 120 cm, elle n'avait jamais de perforations²⁸. La salpinx possédait un pavillon de forme variée : en boule, en bulbe, en cône. La salpinx avait une tessiture

les vases des VI^e et V^e siècles, les tuyaux apparaissent en teinte claire. Il est logique de penser que le bois, facile à travailler, propre à fournir une bonne réponse acoustique, était couramment utilisé. Le roseau, le sureau, le lotus, le buis étaient les essences d'arbres dont les facteurs d'instruments se servaient pour tourner les tubes, avec une préférence probable pour le buis. Le cerisier, prunier et l'érable ont aussi de bonnes qualités pour la perce des tubes. Le métal ou l'ivoire plus coûteux, l'os plus difficile à façonner, ont sans doute été des matériaux plus rarement utilisés (un fragment d'un aulos d'ivoire est fouillé à Panticapée)²⁶.

La taille des tuyaux varie d'un vase à l'autre. Ces différences attestent l'existence d'une véritable famille d'aulos, répondant aux cinq tessiture de la voix humaine. En calculant les dimensions approximatives des instruments d'après la taille des personnages sur les vases, on peut établir la classification²⁷ suivante :

- a) soprano (de 20 à 30 cm)
- b) alto (de 40 à 50 cm)
- c) ténor (de 50 à 80)
- в) baryton (de 80 à 1 m)
- c) basse (1 m et plus)

Selon les trouvailles archéologiques, la taille moyenne se situe autour de 40 cm, sur les vases nous voyons plus souvent l'alto, le ténor et la baryton (fragment d'un cratère du musée de Khersonèse № 2877/09)(fig. 6), un cratère du musée historique de Kiev avec l'image d'une scène théâtrale (fig. 7), une péliké du musée de Jalta (№ 502)(fig. 8). Sur de nombreux vases, les tuyaux sont dessinés égaux : ainsi l'aulète pouvait, de ses doigts posés à plat, boucher en même hauteur, sur les deux tubes placés en parallèle. A ce cas on faisait l'effet de la stéréophonie. Si on bouchait les trous situés à l'hauteur différent, on produisait l'intervalle. Nous ne voyons presque pas des aulos à tubes inégaux sur les vases – par exemple un basse – baryton, etc.

L'instrument à cordes le plus courant était la lyre. A la différence de la cithare lourde, dont il fallait tenir verticalement et celui qui joue de la cithare devait être debout, la lyre plus légère permettait à la pencher pendant le jeu, danser avec elle sans arrêter à jouer la mélodie. On tirait le son à l'aide d'un plectre – une lame forte de fer ou d'os. Dans la plupart des cas, la main droite tient le plectre, les doigts de la main gauche bloquaient certaines cordes pour émettre des sons différents. Primordialement, c'était la carapace d'écaille qui servait du résonateur. Elle était couverte de cuir. Les bras (à l'origine cornes de bovidés ou d'ovides) et la traverse tenaient et tendaient les cordes.

masques comiques et tragiques de terre cuite, dont la plupart est faite dans cette région. Sauf les représentations, aux théâtres y avaient lieu les concours de musique et littéraires, par excellence, à l'époque hellénistique. A Khérsonèse s'est conservée l'inscription du catalogue des concours de musique. Les maîtres existaient aussi – les musiciens professionnels²¹. Le musicien et poète de Bosphore Isyll (à la première moitié du III s. av. J.-C.) participait aux concours de musique à Délphe²². A Mirmécée on a trouvé une épitaphe du flûtiste Pasaphilicatos (IV s. av. J.-C.)²³. Au cours des fouilles on a trouvé beaucoup d'artéfacts qui prouvent une large diffusion de différents instruments de musique dans la vie quotidienne des habitants – on a fouillé les fragments de la flûte, de la ryre, les terres cuites avec les images de la syrinx, de l'harpe, de la cithare, du tympanon. La plus grande partie de l'information nous donnent les images sur les vases couverts de peinture fouillés dans les cités du littoral septentrionales de la Mer Noire. Elles nous représentent les goûts d'art de la population indigène. L'abondance des images des scènes avec des musiciens étonne – ce sont des danses avec accompagnement musical, des scènes de théâtre, des festins, des loisirs. Un tel choix des sujets de la peinture s'avère par des documents antiques sur l'amour des Grecs à la musique, au chant et aux danses.

Les instruments de musique des Grecs étaient simples, leur son n'était pas fort, ils ne permettaient pas de montrer la maestria, on les utilisait pour accompagner au chant et à la danse. On connaît les instruments à cordes suivants : la lyre, la cithare, la harpe ; les instruments à vent : la flûte, la syrinx, la salpinx, le kèras ; on utilisait les instruments à percussion (le tympanon, les crotales) pendant la danse pour donner le rythme. D'ordinaire le rythme prédominait sur la mélodie dans la musique grecque. Dionysos de Halicarnasse écrivait que les mélodies charmaient l'oreille et le rythme l'excitait²⁴.

L'instrument à vent le plus courant est l'aulos-chalumeau hellénique nous rencontrons le plus souvent sur nos vases. L'aulos simple est constitué par un tube de perce cylindrique ou conique, muni d'un embout où se fixe l'anche et de deux ou trois éléments mobiles en forme d'olive²⁵. Un pavillon le complète parfois. L'instrument le plus courant est l'aulos double (diaulos), composé d'un double chalumeau dont les tuyaux, distincts et complémentaires, sont sonnés simultanément, les anches enfoncées complètement dans la bouche, et chaque main agissant sur l'un d'eux. C'est par les mouvements des tubes dans l'espace qu'on obtenait les ressources sonores que procure notre système de clefs. Sur

« Pazyrykski » et dans le 5^{ème} kourgane « Rogozinski », et 1 - à l'Oural, dans le 8^{ème} kourgane « Metchetsaïski »(fig.4)¹⁴. Une telle glace représentait un disque rond composé de deux moitiés liées avec une queue. Une moitié était absolument lisse et servait de glase, une autre moitié avait une convexité et elle était remplie de petites gouttes d'étain qui rendaient de beaux sons mélodiques à l'ébranlement. Ces glaces sont trouvées dans les sépulcres des femmes. Les femmes enterrées étaient danseuses et musiciennes. Ce fait est prouvé par ce que une enterrée dans ce 8^{ème} kourgane « Méchétsaïski » avait aussi un instrument du type de la dombra¹⁵. Il faut noter la popularité des crécelles, des hochets, des clochettes qui rendaient un bruit rythmique musicale. Les Scythes aimaient faire une promenade « avec une clochette », aux decorations de fête des chevaux scythes on trouve des parures du cou avec des clochettes de cuivre et des pendeloques¹⁶. On trouve des clochettes et dans les sepulcres¹⁷. Ce sont des apotropées qui chassaient des esprits malins. Sur les bouts des bâtons rituels suspendait aussi des clochettes, en dedans on mettait une bille de fer(fig. 5)¹⁸. On peut supposer l'existence des crécelles fabriquées de l'astragals, des vertébrés des animaux – on les trouve à l'abondance aux cités et dans les tombeaux des Scythes¹⁹.

La musique jouait un grand rôle dans la vie des Grecs anciens ils pensaient que la musique, la poésie et la danse exprimaient les sentiments de l'homme à l'aide des sons, des gestes et des mots. Elles servaient à adoucir et à calmer les sentiments, à purifier le coeur (catharsys). La musique s'est séparée de cette chorée(cette triade)- selon T.Zelinski – et s'est appropriée sa fonction dominante de l'art expressif – servir à exprimer les sentiments²⁰. Avec cela, elle conservait la liason avec la culte et la religion: on chantait le péan à l'honneur d'Apollon, le dithyrambe – à l'honneur de Dionysos, les prosodies – pendant les processions. La musique était une partie des mystères, on l'estimait comme le don des Dieux, on l'attribuait des caractéristiques particulières, une force magique, lui était naturel de charmer, d'enlever la latitude de l'homme et des animaux. Les sectes orphiques pensaient que la musique pouvait libérer l'esprit du corps pour un certain temps.

La culture musicale des villes-colonies grecques du littoral septentrional de la Mer Noire était très élevée. A Khérsonèse, on a fouillé le théâtre antique unique sur le littoral Nord-Pontique(mais les sources annoncent qu'il y avait encore des théâtres dans les autres villes de cette région).Aux théâtres on mettait en scène des tragédies et des comédies ce que attestent les inscriptions et les images des acteurs et les

trouvailles archéologiques permettent de voir ce problème autrement. Les Scythes avaient ses propres instruments à cordes primitifs déjà à l'époque archaïque et à l'époque classique. Le plus ancien date VI s. av. J.-C.

Il est trouvé à l'Oural, dans un sépulcre du deuxième kourgane « Bachadarski ». C'est « une harpe scythe » - un instrument à cordes pincées, sa caisse était faite d'un morceau de bois, la membrane de cuir était collée au bois. Le support des cordes était mis à un trou spécial sur la caisse⁸. Dans le sépulcre de femme riche du 8^{ème} kourgane « Metchetsaïski »⁹ on a trouvé l'instrument du type de la dombra. Dans le deuxième kourgane « Pazyrykski »¹⁰ à Altaï, daté V s. av. J.-C. on a trouvé encore un instrument à cordes dont la reconstruction proposée à B. N. Basilov permet de voir le plus ancien instrument à archet du type du violon (fig.1). Son corps était fait d'un morceau de bois - il représente un billot vide rétréci au milieu, elle se fermait par une membrane fixée par des clous, au milieu était une table d'harmonie - une petite planchette à un dessin ciselé. Les deux cordes étaient fixées sur le support des cordes et sur un manche. A l'aide de l'archet on tirait des sons. Cet instrument appartenait à un homme et le jeu avait une signification rituelle. Un scythe jouant de l'instrument du type de la cithare (fig.2) est représenté sur une planchette d'or d'une coiffure du kourgane « Sakhnovski » (IV s. av. J.-C.). Les savants soulignent d'habitude le caractère rituel de cette scène¹¹. Ce qu'il y a de particulier c'est que l'action de culte est accompagnée du jeu de l'instrument de musique. Probablement, la femme tient à la main une glace-crécelle musicale qui donne le rythme à l'oeuvre interprétée. Principalement, c'étaient les Scythes - homme qui jouaient des instruments à cordes. Ainsi, "l'arrière violon" du deuxième kourgane « Pazyrykski » mentionné si-dessus est trouvé dans le sépulcre d'homme. « La harpe » mentionnée si-dessus est trouvée dans le sépulcre de couple de l'homme (du roi) et de la femme (de la concubine). Selon V. N. Basilov, cette coutume de l'appel au dieu à l'aide du jeu de l'instrument à cordes était le privilège du roi-sacrificateur et cette tradition est conservée jusqu'à présent dans cette région chez les Kazakhs ce n'étaient que les chamans qui jouaient d'un instrument de musique pareil - « kobyz »¹². Plus tard, les Scythes utilisaient la lyre grecque pour ce but. Dans la crypte des Scythes № 9 (II-III ss.) de la nécropole de Neapolis de Scythie - capitale des Scythes, est représenté un homme jouant d'une lyre (fig.3)¹³. Dans les tombeaux scythes et sarmates on a trouvé des glaces-crécelles musicales, 2 - à Altaï dans le 2^{ème} kourgane

Les écrivains grecs notent, à l'unanimité, l'indifférence des Scythes à la musique, leur goût peu développé. Hérodote qui a donné la description en détail de la vie quotidienne des Scythes, notait qu'ils évitaient des emprunts des coutumes étrangères. A titre d'exemple, il raconte l'histoire de la mort du sage scythe réputé Anacharsys (Herodt, IV, 76-80).

Une telle négation du culte des dieux étrangers et l'attitude négative envers les instruments de musique grecs était assez ferme chez les Scythes. Domitius Callictratus, au I^{er} siècle av. J.-C. revient à l'image du sage scythe – il met dans sa bouche une malédiction à la flûte (Domit. Callicr. Epist., 6).

Plutarque (v.50 - v.125) dans ses « Oeuvres morales » cite des sentences des rois et des généraux, et y compris, du roi scythe Atéi qui a dit qu'il préfèrait l'hennissement du cheval au jeu du flûtiste Isméni (Plutarch. Moralia, At).

L'auteur des scholies de « L'Analytique tardive » d'Aristote⁷ mentionne de nouveau le sage scythe Anacharsys qui expliquait l'absence des flûtistes chez les Scytes par l'absence de la vigne et de l'ivrognerie (probablement, les Scythes comme et les Grecs, pensaient que le jeu de la flûte était lié étroitement avec la consommation du vin pendant les festins - symposiums collectifs et d'autres rites grecs liés avec Dionysos).

Il en résulte que les Scythes n'avaient pas absolument de musique, de chant, de jeu des instruments de musique. Est-ce possible ? Plutarque dans les « Vies parallèles », à la biographie de Démétrios I^{er} Poliorcète mentionne d'une coutume scythe étrange de pincer les cordes des arcs pendant les festins (Plutarch. Vitae, XIX). La corde d'arc tendue donne le son vibrant agréable - c'est un prototype de tous les instruments à cordes. Quant au chant, nous n'avons qu'une mention chez Aristote. Dans ses « Problèmes » en s'efforçant de trouver l'origine du mot grec « νόμοι » il mentionne une coutume d'une des tribus scythes de chanter les textes des lois (Aristot. XIX, 28).

Julius Polydeucus, grammairien et sophiste du II^e s. écrit qu'un instrument de musique à 5 cordes était inventé par les Scythes. Il était lié par 2 courrois de cuir d'oeuvre, en qualité de plectre on utilisait les sabots de chèvre. Il disait encore que les Scythes utilisaient les os des milans et des aigles en qualité des flûtes (Ὀνομαστικόν, IV. 60,76).

L'analyse des sources antiques nous persuade que selon les Grecs, l'art de musique était développé faiblement chez les Scythes et des autres barbares du littoral septentrional de la Mer Noire. Mais les

La musique dans la vie des barbares et des Grecs qui habitaient le littoral septentrional de la Mer Noire

**L. Vdovichenko,
N. Khlebko, Ukraine**

La culture musicale des Grecs et les barbares qui habitaient le littoral septentrional de la Mer Noire dans l'antiquité est encore peu étudiée. De plusieurs recherches archéologiques ont donné beaucoup de trouvailles, mais elles n'étaient pas interprétées comme il fallait. Notre travail vise à reconstituer quelques traits de la culture musicale des habitants de cette région, en nous appuyant sur les auteurs antiques et sur les trouvailles archéologiques. Nos tâches concrètes ont abouti à révéler les traits caractéristiques et les particularités de la culture musicale des Hellènes - d'un côté, et des barbares (des Scythes et des Sarmates) d'un autre côté, et à déterminer les instruments de musique des habitants de cette partie de l'oecumène antique dans la vie quotidienne, dans les rites des religions, au théâtre.

Les recherches assez circonstanciées consacrées à la culture musicale de l'Antiquité, aux instruments antiques de musique sont faites par les savants américains et français. Marta Maas dans son oeuvre "Stringed Instruments of Ancient Greece"¹ a examiné l'origine des instruments à cordes, la technologie de leur fabrication, les mythes et les cultes dont ces instruments sont liés de l'avis des anciens. Daniel Paquette² caractérise un autre aspect - l'utilisation des instruments de musique dans des différents domaines de la vie de la société antique. Sûrement, c'est le matériel dont l'auteur travaille - les vases couverts de peintures représentent les images des plusieurs scènes avec des instruments de musique.

A regret, il n'existe pas de recherches détaillées au sujet de la culture musicale des colonies grecques du littoral septentrional de la Mer Noire. On peut trouver des renseignements laconiques dans un petit chapitre consacré à la culture des villes antiques dans l'édition en plusieurs volumes « L'archéologie de l'URSS de la haute antiquité au Moyen Age »³. E.E. Fialko a recueilli de certains renseignements sur la culture musicale des Scythes dans la partie « L'Art des peuples de Scythie la Grande »⁴. V. M. Basilov⁵ et T. M. Kouznetsova⁶ examinaient aussi les instruments de musique des Scythes.

II- The lost works

- *Al-Risāla Al-Murḍiyya fī Ṣinā'at Al-Djundiyya.*¹¹⁰
- *Fann al-Ḥarb.*¹¹¹
- *Rīsālat al-Taḥqīq fī Ṣūr'at al-Tafwiq.*¹¹²
- *Aqqṣā al-Amad fī al-Rad 'Ala Monker Ser al-'Adad.*¹¹³
- *Kitāb al-Kashf wal-Baiyān.*¹¹⁴
- *'Eqd al-Slūk Fīmā Yalzam Djalīs al-Mlūk.*¹¹⁵
- *Al-Ta'ābī al-Qamariyya.*¹¹⁶
- *Al-Dorru al-Thamīn fī Aḥwāl al-Motaqadmīn.*¹¹⁷

¹¹⁰ *Al-Adilla*, p. 103; *Uns al-Malā*, pp.15-16.

¹¹¹ Maher, S., *Al-Baḥriya fī Miṣr al-Islāmiya*, Cairo, 1967, p. 7. (in Arabic)

¹¹² *Al-Tadbīrāt*, p. 56.

¹¹³ *Al-Adilla*, p. 105; *Uns al-Malā*, p.15.

¹¹⁴ *Al-Adilla*, pp. 104, 222; *Uns al-Malā*, p.16.

¹¹⁵ *Al-Tadbīrāt*, p. 10; *Uns al-Malā*, p.16; *Al-Adilla*, p. 103.

¹¹⁶ The editor of *Al-Adilla*, p. 104, mentions only this work.

¹¹⁷ The editor of *Al-Adilla*, p. 105, mentions only this work.

2. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2839, which is written in the author's hand.

- *Kitāb Uns al-Malā bi-Wahsh al-Falā*.¹⁰⁴ There are two copies only of this work as follows:

1. One is preserved in the Egyptian National Library no. 12 *Şena'a Arabī*.
2. One is preserved in the *bibliothèque nationale* of Paris no. 2832.¹⁰⁵

- *Kitāb al-Ḥiyal fī al-Ḥurūb wa Fath al-Mudun wa Ḥifz al-Durūb*¹⁰⁶
[Book of Deceits of Wars and Conquest of Towns and Defense of Passes]. There are many copies of this MS. as follows:

1. Two copies in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2875 and 3187.¹⁰⁷
2. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Ass'ad Efendī*' at Istanbul no. 1884.
3. One is preserved in the Library of the Museum of '*Top Kapu Serai*' at Istanbul no. 3469/7418A.¹⁰⁸
4. One is preserved in the Library of the University of Leiden no. OR. NR. 499.
5. One is preserved in '*al-Khizāna al-'Ammā*' at Rabat, Morocco, collection of al-Gallawy no. 43G.
6. One in '*al-Khizāna al-Malakiyyā*' at Rabat, no. 2850.

- *Al-Manhal al-'Adhb l-Wurūd Ahl al-Ḥarb*¹⁰⁹. There is only one copy of this work in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2839.

¹⁰⁴ Ed. by M. E. Şalhiya, infra, note no.5.

¹⁰⁵ Ed. and French trans. by Florian Pharaon, Paris, 1880.

¹⁰⁶ Ed. by N. M. 'Abdel-'Āzīz, Cairo, 2000.

¹⁰⁷ M. Khaṭāb mentions that their numbers are 3086 and 3087. Cf. *Al-Adilla*, p. 102.

¹⁰⁸ There is a photocopy of this one in the Institute of Arabic Manuscripts at Cairo no. 19 *Frusiyya*.

¹⁰⁹ This work is mentioned in *Al-Adilla*, pp. 199, 214; *Al-Tadbīrāt*, p. 22.

3. Two are in the Egyptian National Library nos. 25749, 27997.¹⁰¹

- *Al-Tadbīrāt al-Sultāniyya fī Siyāsāt al-Ṣinā'a al-Ḥarbiyya* [Sultans' arrangements in the policy of war's construction]. There are many copies of this work as follows:¹⁰²

1. One is preserved in the Egyptian National Library no. 1147B.
2. One is preserved in the Egyptian Military Museum no. 379.
3. One is preserved in the Library of 'al-Baladiyya' at Alexandria no. 76.
4. One is preserved in the British Museum Library no. P. 6019-Or.3734.
5. One is preserved in the Oriental Institute at Leningrad no. 213.
6. One is preserved in the Library of the University of Leningrad no. 762.
7. One is preserved in the Library of the Institute of Asian & African Peoples at Petersburg no. 726C.
8. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2856.
9. One is preserved in the National Library of Tunisia no. 3254.

- *Al-Adilla al-Rasmiyya fī al-Ta'ābī al-Ḥarbiyya*.¹⁰³ [The Official Evidences in the Arrangements of the Soldiers]. There are two copies of this work as follows:

1. One is preserved in the Library of al-Solimaniyya, '*Khizānet Hagia Sophia*' at Istanbul no. 2875. A photocopy in the Institute of Arabic Manuscripts at Cairo no. 1 *Frūsiyya*, of this copy.

¹⁰¹ 'Abdel-Dā'im, the editor of this work, says that this is the only copy of this MS. from which there are many photocopies. *Al-Aḥkām*, p. 15. In fact, there are four different copies of it in the Egyptian National Library itself. Its microfilm's number in the library is 57.

¹⁰² There is no microfilm to these copies. So, it is not easy to deal with it.

¹⁰² A photocopy of the copy of British Museum no. P. 6019-Or.3734 is preserved in the Central Library of Cairo University no. 26337. Another photocopy of the copy of the Egyptian National Library no. 1147B is preserved in the Library of the Scientific Council of Iraq no. 646. This copy has been published by S. M. al-Gamīlī in *Al-Mawrid Magazine* of Iraq, vol. 12, 4(1983), pp. 319-378.

¹⁰³ Ed. by M. S. Khaṭāb, *infra*. note no. 6.

Leo's work. Then, these *al-Rūm* Mamluks told Ibn Manglī with the importance of the military treatise of Leo the Wise and translated it or some selected chapters directly into Arabic. Thus, Ibn Manglī became able to read it well by their assistance and concept its military importance.⁹⁸ I think that the last assumption is acceptable, because *al-Rūm* Mamluks were known well the Byzantine military treatise of the beginning of the 10th century, the *Tactica*, more than the other races of the Mamluks.

Appendix

A list of Ibn Manglī's works

There are many works of Ibn Manglī from which we have some treatises but the other are lost. This list contains two categories, the first shows the remaining works but the other shows the lost works.

I- The remaining works

- *Al-Aḥkām al-Mulūkiyya wal-ḍawābeṭ al-Nāmūsiyya fī fann al-Qitāl fī al-Baḥr* ⁹⁹ [The Royal Orders and Divine arrangements in the art of naval warfare]. There are many copies of this work as follow:
 1. One is preserved in the Egyptian National Library no.14790 '*Fenōn Ḥarbiyya*'.
 2. One is preserved in the Egyptian National Library no. 23 '*Frūsiyya / al-Khizāna al-Taimoriyya*'.¹⁰⁰

⁹⁸Dr. I. Pahlitzsch provided me also with another hypothesis that the most probable way for Ibn Manglī to learn Greek was from the Melkites in Egypt. There has been Greek clerics (the patriarch, bishops and priests) and monks in Egypt. I couldn't accept his opinion because of the Mamluks were a separated order in the Egyptian society. They had keep their independent character and didn't mix with any race of the Egyptians. At the same time they didn't allow to the Egyptians to serve in the Mamluk army as soldiers. Cf. Sa'īd 'Ashor, *The Mamluk Era in Egypt and Syria*, Cairo, 1965, p. 310 (in Arabic); Ibrahiēm Sa'īd, *The Army in the time of Mamluk Sultans*, p. 17. On the other hand, the Melkites were a closed minority and Muhammad Ibn Manglī, as a Moslem, had has no necessity to contact with them to study the Greek.

¹⁰⁰Ed. by M. 'Abdel-Dā'im, infra note no. 7. There are two photocopies of the copy of the Egyptian National Library no.23 *Frūsiyya / Taimour* are preserved in the Library of the Faculty of Arts, University of Alexandria and in the Library of the Egyptian Military Museum.

Manglī was the first writer who has used Byzantine, military texts translated into Arabic. Moreover, it should be remembered that Ibn Manglī was fond of collecting the books in any language, either in Arabic, Persian, Greek, or Indian.⁹²

Lastly, he says also that in the *Tactica* of Leo the wise there are wonderful laws to know how to fight the Moslems, and he will explain this book afterwards. These words refer clearly to the chapter eighteen, which was interested in the neighbors of Byzantium, especially the Arabs.⁹³ Leo when he wrote this chapter about the foreign nations, he had the Arabs in his mind and the way they could be confronted. He says explicitly that he gave all these details about war tactics because of the Moslems.⁹⁴ This matter is confirmed by Ibn Manglī himself, when he says that Leo the Wise had written his *Tactica* to inform his soldiers how to fight the Moslems.⁹⁵

Any way, may be Ibn Manglī had a complete copy or an epitome of the *Tactica*⁹⁶ in Greek and he has read it in its original language not in Arabic, either by him self or by the assistance of someone.

So, the questionable point is: Did Ibn Manglī know the Ancient Greek? Or who did help him to read it? We have no evidences to answer on these questions, but I assume that he learned the Greek from the Mamluks who came from *Bilād al-Rūm*,⁹⁷ i.e. Byzantium, especially who were under his commandment and well known his fondness of collecting the books in any language, either in Arabic, Persian, Greek, or Indian. Probably, they gave him a copy of

⁹²Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 18.

⁹³Leo VI, *Tactica*, Cols. 946-988.

⁹⁴Kolias, *The Taktika*, p. 130.

⁹⁵Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p. 20.

⁹⁶It should be noted that there is an epitome to the *Tactica* of Leo the Wise, which is called *L' extrait tactique tiré de Léon le sage*, ed. et trad. par A. Dain, Paris, 1942.

⁹⁷Al-Maqrīzī mentions that the Mamluks were brought from *Bilād Uzbic*, *Bilād Tūrīz*, *Bilād al-Rūm* and Baghdad. Some Mamluk Sultans such as al-Malik al-Nāṣir Muḥammad Ibn Qalāwūn, paid much money to the slaves' merchants to bring Mamluks from these countries. See Maqrīzī, *Al-kiṭāṭ*, II, p. 214. Cf also Ibrahiēm Sa'īd, *The Army in the time of Mamluk Sultans*, p. 62. Maqrīzī adds that there was a market in Cairo called *Souk al-Suofīn* in which the merchants sold their Mamluks of *al-Turk* and *al-Rūm*. See Maqrīzī, *Al-kiṭāṭ*, I, p. 374.

on board.⁸⁴ In the Greek text of Leo the Wise it is stated first that a hand-picked force of fighting men must be embarked and then that the admiral's ship must be bigger and faster.⁸⁵

Ibn Manglī explained also the meaning of the name of Leo the Wise, which is a name to the lion in Greek.⁸⁶ In another place he referred to a sort of the Byzantine ships which was called *Dromon*.⁸⁷ He called this ship in Arabic pronunciation *Adromons*⁸⁸ or *Adromon*.⁸⁹ He stated that is a Greek word and means *al-Mashaya*, i.e. the voyager, which was the suitable ship for the fleet's admiral.⁹⁰

Besides the textual indications and evidences, which show that Ibn Manglī has read the *Tactica* of Leo the wise; he said that he would explain this book to the soldiers afterwards.⁹¹ So, it is probable that the copy of the *Tactica*, which was used by Ibn Manglī, was not in Arabic, and may be in Greek. Then, he would explain it for his soldiers. I think that if the *Tactica* was translated into Arabic, it must have been famous in the Moslem world at that time or at least during the hard struggle between Moslems and Byzantines, i.e. the Ummayyad and 'Abbasid periods. On the other hand, this is the first time in which the *Tactica* was mentioned in the Arabic writings. Any way, Ibn

⁸⁴Ibn -Mankali, *Al-Ahkām*, p. 122.

⁸⁵*Naumachica*, p. 27; Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 85.

⁸⁶Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 15.

⁸⁷For this kind of ships see, Al-Nakhīlī, D., *Al-Sufun al-Islāmiyya 'alā Hurūf al-Mo'djam*, Alexandria, 1974, pp. 46-48. (in Arabic)

⁸⁸Ibn Manklī, *Al-Ahkām*, p. 20.

⁸⁹Ibn Manklī, *Al-Ahkām*, p. 122. Ibn Manglī uses the term *adromon* in its arabized form for the average "ship in line". He didn't identify it with the Moslem type of ships known as *shalandī* or *shinī*. Ahrweiler points out that in the 9th and 10th centuries there was no deference between the warships called "δρόμων" and "χελόνδιον", and that these terms were indiscriminately used in Byzantine texts. Ahrweiler, H., *Byzance et la mer*, Paris, 1966, p. 415; Christides, *Naval warfare*, p. 140. Christides believes that the Arabic terms *shalandī* or *shinī* were likewise synonyms in Arabic texts by the 10th century and roughly corresponded to the regular type of the Byzantine *Dromon*. When the Arabic sources refer to average Byzantine warfare, they usually call them *shalandī* or *shinī*. See, Christides, *Naval warfare*, pp. 140-141.

⁹⁰Ibn Manklī, *Al-Ahkām*, p. 20.

⁹¹Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 37.

the following nations the Franks, Byzantines, Turks, Arabs and Kurds.⁷⁵

The *Tactica*, in chapter fourteen,⁷⁶ and *al-Adilla*, in chapter sixteen,⁷⁷ speak of the ambushes and their importance before and during the battle. The *Tactica* also, in chapter fifteen,⁷⁸ and *al-Adilla*, in chapter nineteen,⁷⁹ speak of the siege of fortresses. Finally, there is a closed common tie between the *Tactica* and *al-Adilla* in the naval warfare. Leo the Wise called his chapter Περὶ ναυμαχίας,⁸⁰ i.e. on the naval warfare, but Ibn Manglī called his chapter *Nukat fī Qitāl al-Bahr*,⁸¹ i.e. subjects on the naval warfare.

According to this comparison between the contents of Leo's *Tactica* and the contents of Ibn Manglī's *al-Adilla* it is clear that the latter was influenced by Leo the wise. This may aid us to confirm that Ibn Manglī has read the *Tactica* carefully, either in Greek or in Arabic.⁸²

There are some indications in the works of Ibn Manglī, which aid us to declare that he had somewhat knowledge of the Ancient Greek, and he has read the *Tactica* in Greek not in Arabic, either by him self or by the assistance of someone.

Ibn Manglī always uses Greek terms in his writings, for instance he states that the tubes of the Greek fire, *al-anabīb*, which were situated in the front and the back of the ships, were called in Greek σίφων, in Arabic pronunciation *Sifoniya*.⁸³

In another case the Arabic translation found in Ibn Manglī states that the warship must be bigger and faster and then adds that the admiral must be in a warship which has an elite squad of fighting men

⁷⁵Pp. 189-195.

⁷⁶Cols. 863-870.

⁷⁷Pp. 199-200.

⁷⁸Cols. 886-907.

⁷⁹Pp. 216-234.

⁸⁰Col. 989-1013. see also, *Naumachica*, pp. 19-33.

⁸¹Pp. 241-256.

⁸²We have not a complete and modern translation to the *Tactica* up to now, which is full of difficult, military terms.

⁸³Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p. 124; *Al-Adilla*, pp. 241-242.

somewhat knowledge of the ancient Greek. But this conclusion needs to be substantiated evidences.

It will be obvious that there was a pure Byzantine influence on the method of Ibn Manglī in his writing of *al-Adilla*, if we compare between the contents of *al-Adilla* and those of the *Tactica*.

Leo VI begins his *Tactica* with a general introduction to show his aim from the writing that book,⁶² and so Ibn Manglī does in *al-Adilla*.⁶³ Chapters two of the *Tactica*⁶⁴ and *al-Adilla*⁶⁵ speak of the Leader's advantages and qualities. Chapter three of the *Tactica* speaks of the military advice,⁶⁶ which corresponds, to chapter five in *al-Adilla*.⁶⁷ Chapters five and six of the *Tactica* speak of the arms and military equipment,⁶⁸ and the same subject is found in chapter eight of *al-Adilla*.⁶⁹ Chapter eight of the *Tactica* speaks of military punishments⁷⁰ and so chapter four of *al-Adilla*.⁷¹ In some chapters of the *Tactica* Leo the Wise speaks separately of the military arrangements of the troops,⁷² but Ibn Manglī speaks continuously of this subject in many chapters.⁷³

In chapter eighteen of the *Tactica*, Leo the Wise presents a general view on the art of war of Byzantium's neighbors such as Turks, Bulgars, Scythians and Arabs.⁷⁴ On the other hand, Ibn Manglī followed the same method of Leo the Wise when he speaks in the twelfth chapter of *al-Adilla* on the same subject, whereas he mentions

⁶²Leo VI, *Tactica*, Cols. 671-679.

⁶³Ibn Manglī, *Al-Adilla*, pp. 139-146.

⁶⁴Cols. 682-694.

⁶⁵Pp. 149-150.

⁶⁶Cols. 693-698.

⁶⁷Pp. 155-157.

⁶⁸Cols. 718-734.

⁶⁹Pp. 171-175.

⁷⁰Cols. 763-767.

⁷¹Pp. 153-154.

⁷²Cols. 755-761; 807-842; 982-986.

⁷³Pp. 176-188; 196-198; 202-203.

⁷⁴Cols. 946-988.

من المقاديف والحبال والقلوع والغرى والصواري، وفاضل من العود المنجور والمشاق والزيت السائل واليابس...".

Translation: " You must have the type of ship known as *adromonos*, *dromonos* in Greek.... In every ship you should have whatever is necessary for it and even double the number of articles needed, such as oars [and/or steering oars], ropes, coils, sails, rods [supporting the sail], masts.[And let them have] some extra curved wood, and also oakum, dry and liquid tar..."⁵⁷

There are the same words in the *Tactica* of Leo the wise:⁵⁸

"Κατασκευασθῆναι δὲ καὶ δρόμωνα καταρκούτας πρὸς ναυμαχίαν... Ἐχέτωσαν δὲ καὶ πάντα πρὸς ἐξαρτισμὸν δρόμωνος ἀπαραλείπτᾱ καὶ διπλᾱ, οἷον αὐχένας, κώπας, σκαρμούς, σχοινία, κάρυα, καὶ τὰ ἄρμενα δὲ αὐτῶν καὶ κεφαλάρια καὶ κατάρτια καὶ ὅποσα ἄλλη ἢ ἄλλη ἢ ναυτικὴ τέχνη πρὸς χρείαν ἀπαιτεῖ. Ἐχέτω δὲ καὶ ἐκ περισσοῦ ξύλα τινὰ ἐγκοίλια καὶ σανίδας καὶ στυππία καὶ πίσσαν καὶ ὑγρόπισσον..."

Translation: " You must construct *dromons* suitable for sea-battle... They [the ships] should have whatever is necessary to probably equip a *dromon*, without any shortages and even with double the number of what is needed, as for example: steering oars, oars, toggles, ropes, coils, their sails, architraves, masts, and whatever else naval craft requires. And let them also have extra round wood planks, and oakum and tar and liquid tar..."⁵⁹

There are also many indications to the *Tactica* of Leo the Wise in the Ibn Manglī's works *Al-Aḥkām*⁶⁰ and *Al-Adilla*. V. Christides studied some of the passages of Leo the Wise's *Tactica*, which are interested in the naval warfare and used by Ibn Manglī in his works.⁶¹

If we examine the above-mentioned passages that Ibn Manglī used the *Tactica*, we may conclude of course that he fully understood its passages and the military technical terms, and may be he had a

⁵⁷Christides, *Naval warfare*, p. 140.

⁵⁸*Naumachica*, ed. A. Dain, Paris, 1943, p. 19 § 3, p.20 § 5.

⁵⁹Christides, *Naval warfare*, p. 140.

⁶⁰Pp., 3, 20-22, 122-125.

⁶¹Cf. Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, pp. 85-96; idem, *Naval warfare*, pp. 137-148.

used an important passage, which is similar to the other of Ibn Manglī completely, whereas he said:⁵² “Τακτική ἐστὶν ἐπιστήμη πολεμικῶν κινήσεων.”

Translation: “Warfare is the science of battles’ movement.”
Ibn Manglī says also:⁵³

” تحرك المقاتلة على قسمين، قسم يتعلق بكيفية القتال على الخيل وقسم يتعلق بكيفية القتال على الأقدام ”

Translation: “Soldiers’ march is on two divisions, one fights on horse and other fights on foot...”. The same words are mentioned in the *Tactica* as follow:⁵⁴

“Τοῦ δὲ μαχίμου μέρους, ἡγουν πολεμικοῦ στρατοῦ, τὸ μὲν ἐστὶ πεζικὸν τὸ δὲ καβαλλαρικόν. Καὶ τὸ μὲν ἰδίως πεζικὸν τὸ ἐπὶ γῆς ἱστάμενον, τὸ δὲ καβαλλαρικὸν τὸ ἐπὶ τῶν ἵππων ὀχοῦμενον. ”

Translation: “ The fighters are divided into footmen and horsemen. The footmen who remain on land, the horsemen who mount the horses.”

Frankly, Ibn Manglī mentioned that Leo the Wise said: ⁵⁵

”وأما ما يكون عليه المقاتلة وقت الحرب فيكونون أربعة مقاتل جميعاً، أو ستة عشر. والستة عشر في العدد هو زوج الزوج. قال ذلك لاوون الملك اليوناني في كتابه الذي سماه مراتب الحروب، وهو كتاب جيد ينبغي للجنود أن يطالعوه، فإن فيه قانون غريب في ترتيب القتال.”

Translation: “ During the war, the arrangement of the soldiers is four by four or sixteenth. In numbers, the sixteenth is double of doublet In his book, which is called *marātib al-Hurūb* (τακτικὰ πολεμίων = *Tactica*), Leo, the Greek king, said those words. It is a good book, it should be read by the soldiers, in which there is a strange law in war arrangement.”

Ibn Manglī in *al-Aḥkām* says:⁵⁶ “ ينبغي أن يكون صفة مراكبك التي تسمى ادرومنس ، ادرومنس باليونانية ،... ويكون في كل مركب من العدد التي يحتاج إليها عدد مضاعفة

⁵²*Tactica*, Col. 680.

⁵³*Al-Tadbīrāt*, p. 37.

⁵⁴*Tactica*, Col. 680.

⁵⁵Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 15.

⁵⁶Ibn Manglī, *Al-Aḥkām*, pp. 20-21.

الذى سماه مراتب الحروب رأيت [هـ] كتاباً نفيساً صالح مطالعته للجند، ولمن يتغنى الجهاد في مرضاة الله تعالى ؛ وفيه ضوابط عجيبة تختص بقتال المسلمين. وقصدُ الداعي أن يشرحه إن شاء الله تعالى، هذا إن بقي من العمر بقية".

Translation: " When I read the book of the Greek Leo, which he called *marātib al-Hurūb* (τακτικὰ πολεμίων = *Tactica*) and I think that is a useful book to the soldiers and to those who want to fight for God's satisfaction. There are wonderful laws to know how to fight Moslems.⁴⁹ God willing, Ibn Manglī will explain this book afterwards..."

Thus, he confirmed that he has read the *Tactica* of Leo the Wise. But he didn't mention that if he has read it in Greek or in Arabic? And if he had a copy in Greek did he read it by himself or by the assistance of someone?

The textual evidences:

According to Leo the Wise Ibn Manglī mentions that :⁵⁰
 "صناعة الحرب هي المعرفة بكيفية تحرك المحاربة ، وتهيأ لها... ولنرجع إلى شرح كلام لاون الملك في قوله صناعة الحرب هي المعرفة بكيفية تحرك المقاتلة..."

Translation: " Warfare is to know how to move the fighters, and to be ready for it...we will return to explain the king Leo's words who says warfare is to know how to move the fighters..."

This meaning is found in the *Tactica* of Leo the Wise who says:
 " "Ὡςπερ γὰρ οὐκ ἔστιν ὀλκάδι πελάγη διαπορυμεύεσθαι κυπερνητικῆς ἐπιστήμης χωρὶς, οὕτως οὐδὲ πολεμίους καταγωνίζεσθαι τάξεως καὶ στρατηγίας ἐκτὸς..."⁵¹

Translation: " As we couldn't navigate a ship without leadership's science, we couldn't also begin the wars and end it without knowledge of strategy and leadership's sciences..." Leo also

⁴⁸Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 37.

⁴⁹T. Kolias believes that the *Tactica* of Leo the Wise was actually written as a war treaty almost exclusively against the Arabs (Moslems). Kolias, T., "The Taktika of Leo the Wise and the Arabs", *Graeco-Arabica*, 3(1984), p. 130.

⁵⁰Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 37,40.

⁵¹Leo VI, *Tactica*, ed. J. P. Migne, *PG*, tome 107 (Turnholti, 1978), Col. 677.

the books in any language, either in Arabic, Persian, Greek or Indian". He added that "it is the best friend for man".⁴³

Thus, Ibn Manglī depended on a lot of countless Arabic writings, some of which reached us, but the other is lost. We can trace these writings but it may be difficult to study it, passage by passage in the works of Ibn Manglī. As a historian he says frankly that this or that author says... in another place he says that his father says... and sometimes he speaks depending on his own experience, i.e. he was honest in his writings.

Now, according to this concluded biography of Ibn Manglī it is obviously that he was born, educated and lived as a one of *awlād an-nās*.⁴⁴ So, because of the similarity of his life with the other of *awlād an-nās* we can declare that he was born in Egypt from a Mamluk (Turkish) father and was surnamed Muhammad, as a Moslem name.

Ibn Manglī and Leo the Wise

Ibn Manglī in three of his works, *al-Aḥkām*, *al-Tadbīrāt* and *al-Adilla*, has quoted some passages from the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise, which is written in Greek. So, the questionable point is: Did Ibn Manglī know Greek? Or did he have a simplified Arabic version of the *Tactica*?

Ibn Manglī in his work *al-Aḥkām*⁴⁵ uses the Arabic word "*waqafu*", which Christides is thinking that it actually means to pay special attention, to devote particularly to something.⁴⁶ In Arabic Lexica the Arabic verb "*waqafa*" means, "the human has read..." or "saw..."⁴⁷ In other place Ibn Manglī says:⁴⁸ "لمسا طالعت كتاب لاون اليوناني"

⁴³Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.18.

⁴⁴ *Awlād an-nās* means the sons of the Mamluk Sultans and the Mamluks' sons who were born in Egypt not had been bought by the money like their fathers. Some times the historians called them Egyptians. For more details see Ibn Taghrī Bardī, *Al-Njūm al-Zāhira fī Mlūk Miṣr wal-Qāhira*, Vol. 10, Cairo, N.D., pp. 309-310. Cf Ibrahiēm Hassan Sa'īd, *The Army in the time of Mamluk Sultans*, Unpublished MA. thesis, Cairo University, 1975, pp. 105-109.(in Arabic)

⁴⁵p.3; Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 84. 'Abdel-Dā'im has mistaken when he read this word as "*waqa'tu*" (actually meaning that he found that book).

⁴⁶Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 84.

⁴⁷*Al-Mu'djam al-Wadjīz*, Cairo, 1990, pp. 678-679.

Translation: "The science of letters' secret is one of Sulṭān's arrangements, which was used by the ancient kings and never announced it even to their close friends. This science is one of the secrets, which has to be hidden. In war time, the Sulṭān advances, God give him the victory, and after he says 'In the name of Allah', draws by his lance these letters: ا ب ج د . هـ و ز . ح ط ی . ك ل م ن . س ع ف ص
 ق ر . ت ث خ ذ . ض ظ غ ..."

Probably, he has took this science from the works of *al-Shayikh* abūl-'Abbās al-Būnī, who was mentioned many times in Ibn Manglī's works.³⁶ Al-Būnī had many books in the science of letters' secrets and its properties. He was a Moroccan scholar, who lived and died at Cairo in 622 AH. / 1225 AD.³⁷ Thus, if we assumed that he was studied in one of Cairo's schools, then he had to use its libraries beside the other public libraries of Mamluk Cairo. From these libraries he used many of the Arabic sources such as the important book of al-Māwardī's *al-Aḥkām al-Sulṭāniyya*, which he has used many times in his writings.³⁸ He also used the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise, from which he has quoted many passages³⁹ and was effectual on his method in the writing of *Al-Adilla*.⁴⁰ He has benefited also from Aristotle, who is mentioned many times.⁴¹ This assumption will explain the wide knowledge of Ibn Manglī of many sciences.

These libraries may be stimulated Ibn Manglī's love of knowledge and urged him to collect the books and to have a private library. This fact is shown in the words of Ibn Manglī in his work *Al-Tadbīrāt al-Sulṭāniyya*.⁴² He addressed his soldiers what about the importance of the books in the following words "you have to purchase

³⁶Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.8; *Al-Adilla*, pp. 92, 202.

³⁷Ibn Manglī, *Al-Adilla*, pp. 92.

³⁸Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.48; *Al-Adilla*, p. 169.

³⁹Ibn Manglī, *Al-Aḥkām*, p.3; *Al-Tadbīrāt*, p.37. V. Christides and N. Serikoff studied some of these passages.

⁴⁰Ibn Manglī, *Al-Aḥkām*, p.3-4, 20, 122-124; *Al-Tadbīrāt*, pp. 15,37. Cf. Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, pp. 85-96.

⁴¹Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 15-16.

⁴²pp. 18-19.

Hakīm, al-Wāsīl...,²⁸ Ibn Manglī often refers in some of his works to *Madhab al-Imām abū-Ḥanīfa al-Nu'mān* and to *Madhab al-Imām Mālik*.²⁹ So, I believe that he had to study in one of the Mamluk schools, in which there were the four doctrines of Islam, and he has chosen either *Madhab al-Imām abū-Ḥanīfa al-Nu'mān* or *Madhab al-Imām Mālik*.

Moreover, Ibn Manglī refers frankly to his teacher, who was 96 years old.³⁰ He never mentions his teacher's name but we can say that he was his military trainer,³¹ who educated him the art of Mamluk war. He says about him: "I have seen the teacher (*al-Ustādh*), may God be pleased him, has took a belt to carry the sword...I have never seen any one of the soldiers or people more interested in the construction of the soldiery than him. He had 96 years and killed great numbers of Tartars in every battle, a company of the Franks and mountain's rebels. He fought all the battles of al-Malik al-Zāhir and the other kings. He died at the time of al-Malik al-Nāṣir Muḥammad Ibn Qalāwūn,"³² 684-741 AH. /1285-1341 AD. Ibn Manglī was sad very much for the death of his teacher.³³

Ibn Manglī was fond of the science of letters and numbers³⁴ on which he described the arrangement of the armies. For instance, he says:³⁵ "من التدبيرات السلطانية علم سر الحروف فإن علم ذلك من جملة مهمات التدبيرات السلطانية. فمن ذلك مما جربه الملوك قديماً وكانوا يضمنون به على خواصهم. وهو من الأسرار التي يتعين كتمها. إذا كان وقت الحرب فليقدم السلطان نصره الله ويخط برمح بعد التسمية هذه الحروف ا ب ج د . هـ و ز . ح ط ي . ك ل م ن . س ع ف ص . ق ر . ت ث خ ذ . ض ظ غ... الخ."

²⁸Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 25. Cf. pp. 24, 37. (الشيخ إفاضل الحكيم الواصل...)

²⁹Ibn Manklī, *Al-Adilla*, pp. 168-169, 170.

³⁰Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 26; *Al-Adilla*, p. 251.

³¹M. Khaṭāb believes that his name is *Ḥassan al-Rammah*, who was famous at that time and had many of military treatises. See, *Al-Adilla*, p. 251, n. 105.

³²Ibn Manklī, *Al-Adilla*, pp. 251-253.

³³Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p.253.

³⁴Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p.92; Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 3-5.

³⁵Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, pp. 3-4.

to *al-Madhāhib al-Arba'a*, i.e. the four Islamic juristic schools.²¹ So, the internal courtyard of the school was divided into four parts, one for every doctrine's teaching. The school had *Khazā'in al-Kutub*, the libraries, which had a librarian to organize and repair its books. There were many teachers, demonstrators and students in every school.²²

In these schools the students studied the Qur'ān, with its seven readings, *al-Ḥadīth*, *al-Tafsīr*, the Arab poetry, literature and the other intellectual sciences.²³ It might be noted that these are most of the sciences on which Ibn Manglī depended, in his writings. It is probable that the majority of the students couldn't obtain these sciences outside the school or at least without study in *al-Kuttāb*.²⁴

Ibn Manglī also in his writings has mentioned this term "*al-'Ulama'*...",²⁵ i.e. the scholars, and of course he wants to refer to the teachers, who educated him. His description of some of these scholars shows that he has known their scientific dignity, the value of their writings and probably he has known some of them personally. For instance, he refers to 'Abd al-Mon'im al-Djiliānī, one of his authorities, saying: "*Al-Imām, al-Ḥabr, al-'Allāma...*",²⁶ to Ibn 'Abd al-Salām, another authority, saying: "*al-Shayikh, al-Imām, al-Ḥabr, al-'Allāma, Shayikh Mashāyikh al-Islām...*",²⁷ and to Muḥammad Ibn Zakarīyā, one of his other sources, saying: "*al-Shayikh, al-Fāḍil, al-*

²¹These four doctrines are the doctrine of *al-Imām abū-Ḥanīfa al-Nu'mān*, of *al-Imām al-Shāfi'ī*, of *al-Imām Mālik*, and of *al-Imām Aḥmad Ibn -Ḥanbal*, which are for *al-Sunna*. See, Mez, A., *Die Renaissance des Islam*, Arab trans. M. A. Abū-Raidah, Cairo, 1995, pp. 293-296.

²²'Abd al-Rāziq, A., *The Islamic Civilization in the Middle Ages: the Intellectual Sciences*, vol. II, Cairo, 1997, pp. 37-38.(in Arabic)

²³See 'Abd al-Rāziq, *The Islamic Civilization*, II, pp. 38-39. For the Mamluk schools in Egypt, see Ibn Shāhīn al-Zāhirī, *Kitāb Zubdat Kashf al-Mamalīk wa Baiyān al-Turuq wal-Masālik*, ed. P. Ravaisse, Paris, 1894. Reprinted in Cairo, 1988, pp. 30-32.

²⁴*Al-Kuttāb* was a general place in which the boys and girls had took their primary education, especially the holy Qur'ān and other religious subjects. It was distributed in all the Islamic countries either in the East or the West. See, 'Abd al-Rāziq, *The Islamic Civilization*, II, pp. 21-25.

²⁵Ibn Mankali, *Al-Adilla*, p. 204.

²⁶Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 21.

²⁷Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p. 22.

(الإمام الحبر العلامة...)

(الشيخ الإمام الحبر العلامة شيخ مشايخ الإسلام...)

just says that his father had fought in *Bilād Uzbik*.¹⁶ We couldn't declare now that if Ibn Manglī was born in Egypt from a Turkish father and then he was surnamed Muḥammad or he had been brought to Egypt as a Mamluk.¹⁷

Now let us discuss the following question, which is dealing with his education: From where did Ibn Manglī take his sources and information? I think that we must try to trace his sources.

Unfortunately, neither Ṣalḥiya, who simply reports that Ibn Manglī was well educated, nor Serikoff tried to find a background about the life of Ibn Manglī and his education. They also didn't any effort to explain the actual sources of Ibn Manglī's numerous passages on geography and history. As far as we know that he was being thoroughly acquainted with the Qur'ān, the relevant religious literature and Arabic poetry, Ibn Manglī had a vast knowledge in other fields as well. For instance, there are detailed references in his works about North Africa and Cyprus. He must have been acquainted with the work of Ibn Ḥawqal, al-Maqqdisī, and other Arab geographers who are mentioned explicitly.¹⁸

Although there is no clear information on the life of Ibn Manglī, before he has undertaken his rank *Naqīb al-Djāish* in the Mamluk army at Alexandria, or his education, we can draw a somewhat view of it through some of his works.

It seems that he has taken his primary education in Egypt, as we will try to conclude. Muḥammad Ibn Manglī in his works has depended on the religious sciences such as the Qur'ān, *al-Ḥadīth*, *al-Tafsīr*, the Arab poetry, literature, military manuals, oral or written accounts, science of letters and numbers, his own military experience or of his father and etc...¹⁹ Then, where did Ibn Manglī obtain or learn these sciences?

To answer on this question we have to know the status of the Mamluk education in Egypt at that time. Mamluks were interested especially in the construction of *al-Madāris*, the schools, which were countless as Ibn Baṭṭūṭa said.²⁰ Most of these schools were dedicated

¹⁶Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p. 205.

¹⁷Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p. 3.

¹⁸Ibn Manklī, *Al-Aḥkām*, p.122; Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p. 84.

¹⁹Ibn Manklī, *Al-Adilla*, p. 90.

²⁰Ibn Baṭṭūṭa, *Rihlat Ibn Baṭṭūṭa*, Paris, 1969, p. 70.

Serikoff also called him Ibn Mankalī.⁹ Finally, Viré and Zoppoth called him Ibn Manglī.¹⁰ The copier or the writer of Ibn Manglī's *Al-Tadbīrāt al-Sulṭāniyya fī Siyāsāt al-Šinā'a al-Ḥarbiyya* has written two forms of this name, Muḥammad Ibn Manglī (محمد بن منجلي)¹¹ and Muḥammad Ibn Mankalī al-Dā'ī (محمد بن منكلي الداعي).¹² So, Serikoff, Viré and Zoppoth used the two forms of the name without modification. In fact, the last two forms of the name are one. In the first form the copier or the writer has written the name as the Mamluks or the Egyptians pronounced it at that time; but in the second form he has written the name as in Turkish form. So, he put clearly three points under the Arabic letter ك = k to show the Turkish form of the name and in this case the Turkish letter گ will be pronounced in Turkish ج = g, in Mamluk Cairo, such as گ in the Persian.¹³ On the other hand, we have not forgotten that the father of Ibn Manglī, as Ṣalhiya said, was born in *Bilād al-Turk*,¹⁴ i.e. *Bilād Uzbik*.¹⁵ According to the Turkish name Ibn Manglī, 'Abdel-Dā'im, the editor of *al-Aḥkām*, believes that Muḥammad Ibn Manglī was a descendant of a Turkish origin and his father was a soldier in *Bilād Uzbik*, whereas Ibn Manglī

⁹Serikoff, N., "Leo VI Arabus? A Fragment of Arabic Translation from the "Tactica" by Leo VI the Wise (886-912) in the Mamluk Military Manual of Ibn Mankalī (d.1382), *Macedonian Studies*, 9 (1992), 57-61.

¹⁰Viré, N., "Ibn Manglī", *Et*², Suppl., 392; Zoppoth, G., "Muhammad Ibn Māngli, Ein ägyptischer Offizier und Schriftsteller des 14.Jhs.", *WZKM*, 3(1957), pp.288-299.

¹¹Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.7.

¹²Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt*, p.10.

¹³Thanks for Prof. M. A. Harīdī, Prof. of Turkish, who explained to me the deference between the two forms of the name.

¹⁴Ibn Mankalī, *Uns al-Malā*, p.8.

¹⁵*Bilād Uzbik* means the lands, which were situated on the north of Pontos and Caspian seas and the Volga. The king of *Bilād Uzbik*, Muhammed Uzbik, has died in 741 AH./1340 AD. 'Abdel-Dā'im, *Al-Aḥkām*, p.3, n.5. It is probable that *Bilād Uzbik* was *Bilād al-Kipchāk*, the main lands of the Turks and the Mamluks of that time. See Ahmed 'Abd al-Rāziq, *The Egyptian Army in the Mamluk Era*, Cairo, N.D., p. 13.(in Arabic) It is now the Republic of Uzbikstan. *Khafāb*, *Al-Adilla*, p. 205, n. 18.

Sultān al-Ashraf Sha'bān 764-778 AH. / 1362-1376 AD. He had also a wide knowledge in many aspects such as chivalry (*al-Furūsiyya*), hunting and literature.

First, we have several pronunciations of the name of our author, Ibn Manglī. So, what is the correct pronunciation of this name? Secondly, unfortunately, the editors of some of his works never presented a good view on his education. Then, from where did Ibn Manglī take his information? Thirdly, Ibn Manglī says that he depended on the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise, which is written in Greek. So, the questionable point did Ibn Manglī know the Ancient Greek? Or did he use an simplified Arabic copy of the *Tactica*? These are the main questions of my modest paper.

V. Christides has called this author Ibn al-Manqlī or Ibn al-Manglī⁴ and declares that there are many variations which appear in the translation of this name such as Munkālī, Menkelī, Mangālī. He supposed also that the name Mankālī or Manqālī or Mangālī originated from Möngli.⁵ Most of the Arab historians called him Ibn Manklī such as M. Salhiya,⁶ M. S. Khaṭāb⁷ and A. 'Abdel-Dā'im.⁸

Naumachica", *Graeco-Arabica*, 3(1984), p. 139. For *Niqābat al-Djaish*, al-Maqrīzī says, " This rank was one of the great ranks in the Turkish State. Its owner is one of the inferior chamberlains. He adorns the soldiers in their festivals and the magistrates walk with him. When Sultan or one of his deputies or the chief of the chamberlains ask a prince or a soldier he will be their messenger and he has to bring him. If some one of them will be appointed as a prince or a soldier, *Naqīb al-Djaish* was "appointed on him". In the Sultan's festivals he was the leader of the Sultan's bodyguards in his travel or walking. Today, this rank is declined and its owner became one of *al-Noqaba'* who frighten the people and take their money by force..." see, *Al-Mawā'iz wal-I'tibār fī Dhikr al-Khiṭaṭ wal-Aṭhār*, Cairo, N.D., vol. II, p. 223.

⁴Christides, V., "Ibn al-Manqlī (Manglī) and Leo VI: New Evidence on Arabo-Byzantine Ship Construction and Naval Warfare", *ΕΤΕΦΑΝΟΣ, BSL*, 56(1995), p. 83.

⁵Christides, *Ibn al-Manqlī and Leo VI*, p.83, n.5.

⁶Ibn Manklī, *Kitāb Uns al-Malā bi-Wahsh al-Falā*, ed. M. Salhiya, Amman, 1993.

⁷Ibn Manklī, *Al-Adilla al-Rasmiyya fī al-Ta'ābī al-Ḥarbiyya*, ed. M. S. Khaṭāb Baghdad, 1988.

⁸Ibn Manklī, *Al-Aḥkām al-Mulūkiyya wal-dawābeṭ al-Nāmūsiyya fī fann al-Qitāl fī al-Baḥr*, ed. A. 'Abdel-Dā'im, Unpublished doctoral dissertation, Cairo University Library, R. N°.1332.

Ibn Manglī between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences[#]

Ṭarek M. Moḥammad
'Ain Shams University-Egypt

Muḥammad Ibn Manglī¹ is one of the important writers in the late Mamluk period, who has written about the art of war in the Eastern Mediterranean. He has many historical works, nearly fourteen works, from which there is an important and valuable treatise, *al-Aḥkām al-Mulūkiyya wal-ḍawābeṭ al-Nāmūsiyya fī fann al-Qitāl fī al-Baḥr* [The Royal Orders and Divine arrangements in the Art of Naval warfare].²

We can say that this is the sole and complete work, which speaks on the art of naval warfare in the Middle Ages, especially in the Eastern Mediterranean. On the European side, especially in Byzantium, we have some chapters speak of the naval warfare in different works, such as the chapter of "*Peri Naumachia*" in the *Tactica* of the Byzantine emperor Leo the Wise (886-912 A.D.). However, there is not a complete Byzantine work such as Ibn Manglī's *al-Aḥkām al-Mulūkiyya*.

Ibn Manglī has had a good military experience, which was shown in his historical works. He was an officer in the Mamluk army at Alexandria, *Naqīb al-Djaish*,³ during the reign of the Mamluk

[#]This piece was delivered at *The Ninth International Conference on the Greek, Oriental and African studies*, which was held in Greece, Chios-Oinousses, 5th – 9th July 2000. I'd like to thank warmly Prof. V. Christides for his kind invitation and Dr. M. Zemouli for providing me with many valuable remarks. My warm thanks also Dr. J. Pahlitzsch, Free University of Berlin, for his useful remarks and comments. I am indebted to Prof. E. 'Ebied who reviewed the English version of this article. I'd like also to thank Prof. M. Ḥegāzī and Dr. Y. Lev for their valuable remarks.

¹There are no clear indications to the life of Ibn Manglī to say that what is the correct date of his birth or death.

²I'll reedit this treatise in collaboration with Prof. V. Christides, with an English translation and commentary.

³Ibn Manglī, *Al-Tadbīrāt al-Sultāniyya fī Slyāsāt al-Ṣinā'a al-Ḥarbiyya*, MS. British Museum P. 6019-Or. 3734, p. 8; Christides, V., "Naval warfare in the Eastern Mediterranean (6th – 14th centuries). An Arabic Translation of Leo's VI

إلى قوات المناقضة المتعالية على معرفة الله تعالى × فصّ ويقصف الربّ أرز لبنان
× ويدق ذلك كالعجل اللبانيّ شرح يشير بلبنان إلى أورشلام وبالعجل إلى الوحيش³⁴
فصّ والحبيب كابن ذات القرن × الواحدة شرح الحبيب هو المؤمن والمؤمن لا ينقهر
× وقوله كابن ذات القرن الواحد أي أنّه يؤمن بإلاه واحد فصّ صوت الربّ يقطع
لهيب النار × شرح جماعة الرسل قبلوا نعمة الروح القدس في صورته ناريّة × فصّ
صوت الربّ بالقفر شرح يشير بالقفر إلى الأمم الخالية من الإيمان بالله تعالى ×
شرح ويرجف الربّ بديّة قادم × شرح معنى يرجف أي يظهر وتفسير قادم أي
قدسه × فصّ صوت الربّ يكمل أيائل شرح يشير بالأيائل إلى الرسل × فصّ يكشف
الغابات شرح يشير بالغابات إلى هياكل الأصنام التي لا ثمر لها البتّة × فصّ وفي
هيكله الكلّ يقول تمجيدا والربّ في الغمر يسكن شرح أي أنّ الله أزال الكفر بالطوفان
فصّ ويجلس الربّ ملكا إلى الأبد × والربّ يؤيد شعبه بالقوّة والرب يبارك على
شعبه بالسلم .

³⁴ MS reads الخزيب, which is a bad reading; I suppose that the good reading is which I am giving in the above edited text; cf. J. P. Monferrer-Sala, "Algunas precisiones en torno a la supuesta 'primera fuente' de la acepci3n hari = rinoceronte (unicornio)", *Qurtuba*, 4 (1999), p. 208.

receives the grace of the Holy Spirit he appearance of fire]. The voice of the Lord in the desert [commentary: 'In the desert' refers to the laymen who are full of faith in Holy God]. The Lord shakes the desert of Cadesh [commentary: the sense of 'shape' is 'shows' and the explanation of Cadesh is 'his holiness']. The voice of the Lord makes the deer perfect [commentary: 'the deer' refers to the Apostles] and fades the forests [commentary: with the 'forests', he refers to the temple of the idols that bear no fruits]. In his temple, everybody praises him. The Lord dwells over the waters [commentary: it means that God caused the impious to perish in the Deluge, the Lord sits as a King forever. The Lord will make his people strong, and the Lord will bless his people with peace.

4.2. Edition of the Psalm 28 (fol. 41^r-42^v)

المزمور الثامن العشرون لداود وهو أربعة وعشرين حرفا × على خروج القبة يريد به اليوم الثامن من عيد المظال × قربوا للرب يا أبناء الله × ³³ شرح أبناء الرب هم الرسل × فص قداموا للرب أبناء الكباش شرح أبناء الكباش هم المؤمنين من الأمم التي هي كالبهائم فص قربوا للرب المجد والكرامة شرح الفاعل الخير المستقيم الاعتقاد في الثالوث القدوس هو الذي يقرب الله تعالى تمجيدا × والذي يقرب كرامة هو الذي يرحم الضعيف ويعطيه بلا حزن ولا مشقة بل كأنه يقرض الله سبحانه × فص قربوا للرب تمجيدا لاسمه شرح يشير إلى صوت الأب عند اعتماد الابن الأذلي في الأردن فص إله المجد ارعد شرح إنما قال ارعد لأجل أن هذا الصوت انبث في العالم بتوسط الإنجيل × فص والرب على كثرة المياه × صوت الرب بقوة × شرح يشير بقوله صوت الرب بقوة إلى نعمة الروح المائلة للرسل قوة × فص وصوت الرب يعظمه الرب البهاء × صوت الرب يحطم شجر الأرض × شرح يشير بالأرز

³³ Margin: أبناء الرب

4. Appendixes

4.1. Translation

Translation of Psalm 28 of David, in 24 stichos.
At the exit of the Temple on the day 8th day of the huts, ¹Give to God, oh sons of God! [commentary: 'the sons of God' are the Apostles]. Give to God, sons of the Lamb [commentary: 'the sons of the Lamb' are the lay believers, who are like the beasts]. Give to God the glory and the honour [commentary: who acts in righteousness the dogma of the Holy Trinity he glorifies Holy God, and who honours is he who has pity on the weak and does not suffer from sadness and compassion, but rather he acts as praising God]. ²Give God the glory of his name, worship God in the dwelling of his holiness! ³The voice of the Lord over the waters [commentary: it refers to the voice of the Father in the baptism of his eternal Son in river Jordan], the God of the glory thunders [commentary: he said 'thunders' because that voice spreads through the whole world with the Gospel. The Lord is over the many waters. The voice of the Lord with strength [commentary: the expression 'the voice of the Lord with strength' refers to the grace of the Holy Spirit fills the Apostles with strength], the voice of the Lord in his highest majesty. The voice of the Lord destroys the cedars [commentary: 'the cedars' refer to the opposite forces that rise against the knowledge of the Holy God. The Lord breaks Lebanon cedars, making them quake like a Lebanon bullock [commentary: with 'Lebanon' he refers to Jerusalem and with 'bullock' to a young bull]. To the beloved like the rhinoceros' cub [commentary: 'the beloved' is the believer, since the believer does not yield. The expression 'like the rhinoceros' cub' is referred to he who believes in One God]. The voice of God cuts the fire flame [commentary: the assembly of apostles

We must bear in mind that the translations were done by bilingual persons, which was a direct influence on the characteristics of the resulting translation, with all the subsequent problems of lexical loans of semantic and syntactic contaminations, and no less importantly, the linguistic transpositions and cultural leaps in the void.

It seems obvious then that the study of certain "techniques" of translation as used in the various texts handed down to us, we can assess –taking into account the concurrent self-imposing limits- the work done by a translator, while evaluating the methodology employed in the process. It could also be of use for assessing the translating accuracy or inadequacy achieved by the translator and the state of the language that he makes avail of so as to translate the source text.

The exegetic task carried out by 'Abd Allāh b. al-Ḥaḍl, as we can see in the sample we edit below, is of great merit. There the resource to analogy is helpful to present christological and moralizing dogmas of the orthodox church in its Melkite variant, and at the same time he imitates the analogical tradition of the patristic commentaries which he uses as a sort of *catenae*.

We attempt to give testimony of the value and relevance of this version with the edition of a brief instance, as a kind of sample, of Psalm 28 following the version of the LXX (29 of the Masoretic Hebrew text and of the *Vulgate*) together with its commentary³².

The complete heading that introduces the Psalm stands out, where there appears the disposition of the phrases in 24 stychos (*arba'a wa-'ishrīn ḥarf*³³) and the psalmody of the same in his exact place within the cycle of Jews holy days (*'alā ḥarīj al-qubba yurīdu bi-hi l-yawm al-thāmin min 'īd al-Maḡāl*) at the end of the 'Festivity of Huts' (TMxod...ou sknhj).

³² On this issue M. Harl, "Y-a-t-il une influence du 'grec biblique' sur la langue spirituelle des chrétiens? Exemples tirés du Psaume 118 et de ses commentateurs d'Origène à Théodoret", in *La Bible et les Pères. Colloque de Strasbourg 1969*, Paris, 1971, pp. 243-262. Cf. the sample which has been studied by J.P. Monferrer-Sala, "Traducción y exégesis de un texto melquita árabe surpalestinense: Jn 6,1-15 en el *Codex Arabicus Sinaiticus* 72 (año 284 H./ 897 J.C.)", in V. López Folgado (ed.), *Sensus de sensu. Estudio filológico de traducción*, Córdoba, 2002, pp. 153-173.

this Sinaitic manuscript should help also to promote the study of Biblical exegesis generated and developed among the Christian Arabs, a topic not approached yet in the wide panorama of studies in Arabic literature created by the Christians.

At a paleographic level, the copy in question has been done using paper as the material and it belongs to the 13th century, consisting of 257 sheets of size 168x130 ms³⁰. The sheet 1r-v is written in Syriac (scrip sert) and the case fluctuates between 11 and 13 lines. The graph type used is evolved oriental nashī (with a lowering link slant tendency), that reflects the calligraphic characteristics frequent in Christian Arabic handwriters where the interferences of "Middle Arabic" creep into it in a tendency towards classicism pursued by the translator.

3. Some notes on translation and exegesis from Psalm 28

Any approach to the study of old versions of the Bible demands our attention on the fact that we are before materials of translation, which encourages a special view in the study procedures³¹. This is so because when these translations were done no theoretical epistemology that would serve as conceptual support of the translational practice. Except for sporadic cases the translators had not lexicons or grammars at their disposal, so they had to lean on their sole linguistic knowledge, which they acquired with their experience in the languages in question.

To this we may add that the source language represented a state of language and a register that as a rule dated back to several centuries. This entailed, of course, a series of thorny problems that the translator had to sort out, although the end product was not always the best to be expected, and this conditioned it for the future generations. To the various dilemmas of philological nature posed for translators other can be added that stem from the exegesis conducted by some circles of doctrine.

³⁰ Vid. A. S. Atiya, *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai*, p. 4 (number 65) and M. Kamil, *Catalogue of all Manuscripts in the Monastery of St Catharine on Mount Sinai*, p. 12 (number 50).

³¹ Relevant considerations on translation in antiquity can be found in S.P. Brock, "Aspects of translation technique in antiquity" in S. P. Brock, *Syriac on late Antiquity*, London, 1984, III, pp. 69-87.

commentary, the achievement of his early activities²², that made a great impression in the Syriac literature²³), and has an enormous importance for being widely used in the Melkite Gospel and Epistle Books²⁴.

Moreover, it was important for the recurrent revisions that were to be still done among the various Melkite communities spread out through the Middle East up to the 18th century (1735), like that by 'Abd Allāh Zāahir in Dayr al-Shuwayr²⁵, as well as for the great number of manuscripts available of this version²⁶ and no less for the profit the Orthodox, the Catholics and the Protestants alike have taken out of it²⁷.

In the editions referred to by Graf and Nasrallah (none of them done with critical views), the Sinaitic copy was not used, so it would be convenient to offer (in collation with the rest of the copies) an edition of this version²⁸, as it is one of the three oldest, just after the British Library copy, dated in 1239²⁹. The edition of

Biblische, XXXVII (1928), pp. 340-366 and L. Van Rompay, *Théodore de Mopsueste. Fragments syriaques du Commentaire des Psaumes (Psaume 118 et Psaumes 138-148)*. 2 vol., Leuven, 1982.

²² Vid. R.P. Voste, "La chronologie de l'activité littéraire de Theodore de Mompueste", *Revue Biblique*, XXXIV (1925), pp. 58 and 60.

²³ Vid. A. Baumstark, *Die christlichen Literaturen des Orients*. 2 vols., Leipzig, 1911, I, p. 67

²⁴ Vid. G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, I, pp. 187-190. A good synthesis of the liturgy as used by the melkite Patriarchat of Jerusalem, both from Antiochia and the Sinai since mid 10th cent until 14th century, is the one proposed by Msgr. J. Nasrallah, «La liturgie des Patriarchats melchites de 969 à 1300», *Oriens Christianus*, 71 (1987), pp. 156-181. For the Byzantine rite in Arab, vid. *Kitāb al-alāt li-sti'māl al-mu'minīn zuwī l-taqs al-bizantī*. Ed. by Msgr. N. Edelbi, al-Dhawq (Lebanon): Dayr al-Malak Mikhail, 1962.

²⁵ Vid. G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 116 and J. Nasrallah, *Histoire du Mouvement littéraire dans l'église melquite*, III/I, pp. 217-218

²⁶ Vid. G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 118-120

²⁷ Vid. G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, pp. 117-118 and J. Nasrallah, *Histoire du Mouvement littéraire dans l'église melquite*, III/I, pp. 217-218.

²⁸ This is a task we plan to undertake in the near future

²⁹ Vid. G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 118. On the manuscripts of the translation of Psalms by 'Abd Allāh b. al-Faḍl, vid. G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, I, pp. 116-119

But of all his prolific work his translation-commentary of the Book of Psalms, done from an original Greek (*al-nusḥa l-yūnāniyya allatī staḥrajnā min-hā hadhihi l-tafāsīr*), was one of the works with the most important liturgical purpose done by the author. As it is explicit in the introduction, the author himself assesses his work as an exegetical work (the copy *Vaticano Arabo 145* and that from Leipzig central Library, *ar. 297*, are annotations to the book of the Psalms¹⁹) with the plural *tafasir*, commentaries. With this term he identifies both tasks, that of the translation and that of commentary, done eventually from several Greek texts that ‘Abd Allāh b. al-Faḍl identifies in detail with the Greek revisions of the Jews Theodosius, Aquila and Simmacus (the three preserved partially thanks to Origen’s *Hexaplas*)²⁰, Theodoretus and other famous Saint Fathers. From them he translates all the glosses, correcting even the text where the Antiochian thinks advisable, as he states: *Thāwudhūtiyūs wa-Akīlās wa-Simmāḥus wa-Thawudhūrītus wa-gayri-him min al-Abā’ al-ajillā’l-Qiddīsīn qad tarjmnā min-hā mā htamalat-hu ḥawāshī hadhihi l-nusḥa [...]* (fol. 3r).

‘Abd Allāh b. al-Faḍl did his Arabic version from the text of the LXX, that was the only review used in the Melquite church, and was prefaced by an introduction to the Psalms and an interlineal commentary. Such commentary work is inserted, in turn, within a long interpretive tradition of the Book of Psalms in Christian Orient (where, among other, the great Theodorus of Mompuestia²¹ was outstanding (died in 428) with an early

¹⁹ Vid. G. Graf, *Geschichte der christliche arabischen Literatur*, I, p. 59

²⁰ Cf. D. Barthelemy, *Les Devanciers d’Aquila*, Leiden, 1963 and J.R. Busto Saiz, *La traducción de Simaco en el libro de los Salmos*, Madrid, 1985, pp. 293-310. About the *Hexapla*, vid. for example: H. J. Venetz, *Die Quinta des Psalteriums. Ein Beitrag zur Septuaginta- und Hexaplaforschung*, Hildesheim, 1974; A. Schenker, *Hexaplarische Psalmenbruchstücke. Die hexaplarischen Psalmenfragmente der Handschriften Vaticanus graecus 752 und Canonicianus graecus 62*, Freiburg-G. ttingen, 1975, and A. Schenker, *Psalmen in der Hexapla. Erste kritische und vollständige Ausgabe der hexaplarischen Fragmente auf dem Rande der Handschrift Ottobonianus graecus 398 zu den Ps 24-32*, Città del Vaticano, 1982. Cf. also C. E. Cox, “The translations of Aquila, Symmachus and Theodotion in the margins of Armenian manuscripts”, in C. Burchard (ed.), *Armenia and the Bible*, Atlanta, 1993, pp. 35-45.

²¹ Vid. R. Devreesse, “Le commentaire de Theodore de Mompueste”, *Revue*

In effect, the settlement carried out by the Arabic Islamic troops along the 7th century made Arabic a new *lingua franca*¹⁵ that soon became a oral and written means of communication of the human groups that inhabited the occupied territories and in especial, those of the Melkite communities. Among the latter, the Scripture work done was especially fertile in the monasteries, as for example in the Mār Sābā, Mār Ḥarītōn and Mār Kātīrīna. This encouraged the Christian writers to gradually substitute the respective languages for Arabic¹⁶.

In this line and with a view to remedy the faithful's lack of knowledge of the Greek language¹⁷, the intense pastoral work developed by 'Abd Allāh b. al-Faḍl with them, in order to provide them with the necessary procedures to take part in the liturgical rites, was helpful to do Arabic versions of those books that were frequent in liturgy: Gospel books, Epistles and Psalter.

Nonetheless, those versions were not only translations of the original Greek text into Arabic but also added further commentaries as used in the homilies¹⁸. Among other exegetic purposes, 'Abd Allāh b. al-Faḍl had the intention by means of those commentaries that the faithful got in contact with the Fathers of the Church. He insisted especially on the moral content of St. John Chrisostom through the heritage of Capadocians.

¹⁵ Vid. J. Blau's article for this concept, "A Melkite Arabic *lingua franca* from the second half of the first Millenium", *Bulletin of School of Oriental and African Studies*, LVII (1994), pp. 14-16. For the "Middle Arabic" as used in the works by the christians, vid. J. Blau, *A Grammar of Christian Arabic. Based mainly on South-Palestinian texts from the first millenium*. 3 vols., Louvain, 1966-67.

¹⁶ Vid. the studies done by S.H. Griffith on the fist samples of "christian Arabic" in Arabic, like "The Gospel in Arabic: an enquiry into its appearance in the first Abbasid century", *Oriens Christianus*, 69 (1985), pp. 131-132 and S.H. Griffith, "The monks of Palestine and the growth of Christian literature in arabic", *Muslim World*, LXXVIII (1988), pp. 1-28; also J. Nasrallah, "Duex versions melquites partielles de la Bible du IXe et du Xe siecles", in *Oriens Christianus*, 64 (1980), pp. 203-210

¹⁷ For the various languages used in the different areas of Christian population, vid. J. Nasrallah, "La liturgie des Patriarcats melquites de 969 a 1300", *Oriens Christianus*, 71 (1987), pp. 163-165

¹⁸ Vid. L. Greenspoon, "Theodotion's Version", *The Anchor Bible Dictionary*, 6 (1992), p. 447-448

commentary to the 151 psalms¹⁰ and is the work of the deacon (shammās) ‘Abd Allāh b. al-Faḍl al-Anṭākī.

The varied talents of the Melkite Antiochian ‘Abd Allāh b. al-Faḍl¹¹ are well known, a famous translator and encyclopaedist of reputed rigour who was honoured with the name of *shayḥ* and the *laqab* of Abū l-Faḥ. Born in Antiochia¹² into a well known family at the beginning of the 11th century, he died at the end of that century, having achieved the grade of deacon, as the name *shammās* he bore seems to indicate, as the name of bishop (*muṭrān*) he was given in some writings seems to be due to an ancestor, most probably his grand-father.

Among Antiochian ‘Abd Allāh b. al-Faḍl’s wide work on Scriptures, he allegedly wrote the translation of St. Basilus’s *Hexameron*. He is a central piece to the updating of Antiochian Patriarchate in the context of the cultural upsurge undergone by Christendom with Arabic¹³ as the new official language; he also seems to have written a *Bahjat al-mu’min*, a *Sharḥ al-amāna l-mustaqīma*, a *Kitāb al-manfa’a*, and also some himnographies of liturgical books and a series of 87 homilies taken from the St. John Chrisostoms’s works (*Fam al-Dhahab*), and besides some commentaries to various biblical books: to Genesis (*Tafsīr al-Takwīn / Tafsīr al-sifr al-awwal min al-Tawrāy al-musammā Sifr al-Ḥalīqa* o *Tafsīr sittat ayyām al-Ḥalīqa*) to St. Matthews’s Gospel (*Tafsīr Bishārat Injīl Mattā l-Rasūl*), to St. John’s Gospel (*Tafsīr Injīl Yuhannā l-Bashīr*) or the commentary of St. John Chrisostomos on the “Epistle of the Hebrews” (*Sharḥ Risālat al-Qiddīs Bawlus ilā l-‘Ibrāniyyīn*) among many other¹⁴.

¹⁰ In fact, the “supplementary” psalm presented by the LXX, but absent from the Hebrew text and the Latin *Vulgata*

¹¹ About this author and his extensive work, vid. G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur II*, pp. 52-54

¹² About Antiochia, vid. D.S. Wallace-Hadrill, *Christian Antioch: A Study of early christian Thought in the East*, Cambridge 1982.

¹³ Vid. in this connexion, the work by D. Gutas, *Greek Thought, Arabic Culture. The Graeco-Arabic Translation Movement in Bagdad and Early ‘Abbasid Society’ (2nd-4th-8th-10th-centuries)*, London-New York, 1998

¹⁴ Vid. the work by J. Nasrallah, *Histoire du mouvement littéraire dans l’église melchite du Ve au XXe siècle. Contribution a l’étude de la littérature arabe chrétienne*, Louvain-Paris, 1983, III/I, pp. 191-229

but the need is felt to put forward a series of basic and overall conclusions through a concrete example, the analysis of Psalm 28 (after the order offered by those in LXX). This contribution, besides, attempts to be an integral part of a more ambitious and necessary endeavour in order to step forward in the biblical texts in Arabic: more specifically, the critical edition of a complete Arabic biblical text, making use of all possible manuscripts available. In this way, we can have at hand a critical text useful for working with greater scientific rigour.

At the same time we will contribute to the study of the general biblical text, providing variants and textual traditions that are likely to be unknown, if not lost, and casting a new light in the field of the Arabic versions of the Biblical text, still scarce and badly known⁹.

2. The translation-commentary of the Psalms into Arabic by 'Abd Allāh b. al-Faḍl

Among the great number of Arab manuscripts that are kept in the Monastery of Mār Kātirīna, in Mount Sinai, there is an Arabic version of the Book of Psalms that also contains a

1876; also *Psalterium, Hebraeum, Graecum, arabicum & Chaldaeum, cum tribus latinis interpretationibus & glosis*, Genua: Petrus Paulus Porrus, in aedibus Nicolai Justiniani, 1516, about the same, vid J. P. Monferrer Sala, "Dos impresos italianos del s. XVI de la BPC. Una aeditio princeps bilingue arabe-latina de los Evangelios y un octaplum del Salterio", *Alfinge*, 13 (2001), pp. 83-96.

⁹ Vid. For instance, M. Schreiner, «Beiträge zur Geschichte der Bibel in der arabischen Literatur», in: G. A. Kohut (ed.), *Semitic Studies in Memory of Rev. Dr. Alexander Kohut*, Berlin, 1897, pp. 495-513; P. Kahle, *Die arabischen Bibelübersetzungen*, Leipzig, 1904; M. L. Margolis, *The Story of Bible Translations*, Jerusalem, 1970 (=Philadelphia, 1917), pp. 48, 53-55, 63; B. J. Roberts, *The Old Testament Text and Versions. The Hebrew Text in Transmission and The History of the Ancient Versions*, Cardiff, 1951, pp. 266-269; P. Kahle, *The Cairo Geniza*, Oxford, 1959², espec. Pp. 191-304; S. Khalil, «Old Testament, Arabic versions of», in: A. Suryal Atiya (ed.), *Coptic Encyclopedia*, VI, pp. 1827-1836; B. M. Metzger, *The Early Versions of the New Testament. Their Origin, Transmission and Limitations*, Oxford, 1977, pp. 257-268. Vid. also J. Assfalg, «Bibelübersetzungen», en: R. H. Bautier-R. Auty (Eds.), *Lexikon des Mittelalters*, Munich-Zurich, 1983, II, col. 95.

The only relevant overall work we can consult is the great work by Graf⁴ and still this is being updated under the supervision of Samir Khalil⁵, as there are some lacunae, and lack of information about the manuscripts, the error in the identification, classification and analysis of many samples, this said with no disregard for the great achievements of the work⁶.

It seems obvious that there is still a hard and lengthy work ahead, that the materials and places to go into are manifold, and the nature of documents is varied. In addition, the recuperation of the material already edited or presented as pre-edited state, no matter how valuable it is, must be collected, analysed and taken some profit out of it, if the chance is offered.

In this line, and according with the above mentioned, we attempt in this paper to announce an important unpublished manuscript: it is the Arabic version of the book of "Book of Psalms" translated from an Antiochean Greek 'Abd Allāh b. al-Faḍl (11th cent)⁷. Such manuscript has especial relevance because of the important exegetic material it contains and transmits. This MS, still unpublished, prove outstandingly relevant, especially because we do not have a critical edition of the Book of Psalms.

This work is not just the base for a future edition of this manuscript which contains the translation of the Book of Psalms⁸,

⁴ G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*. 5 vols., Modena, 1996 (=Ciudad del Vaticano, 1944-47).

⁵ Vid. S. Khalil, "La tradition arabe chrétienne. État de la question, problèmes et besoins", in Samir Khalil (ed.), *Actes du Premier Congrès International d'Études Arabes Chrétiennes (Goslar, septembre 1980)*, Rome, 1982, pp. 19-120.

⁶ The internal document we are working with, together with the classification of the material of the first two volumes for the experts has been done by Samir Khalil Samir, "Vers une «Encyclopédie de la littérature arabe des chrétiens»", Samir Khalil Samir (ed.), *Actes du 5^e Congrès International d'Études Arabes Chrétiennes (Lund, août 1996)*, in *Parole de l'Orient*, 24 (1999), pp. 45-59. Cf. J. P. Monferrer-Sala, "Sobre literatura Árabe cristiana y propuesta de trabajo", *Ilu*, 4 (1999), pp. 136-137.

⁷ Cf. J.P. Monferrer-Sala, "En torno a dos manuscritos bíblicos árabes inéditos", *Philologia Hispalensis* [= C.M^a Thomas & P. Cano (eds.), *Homenaje a la Profesora Eugenia Gálvez Vázquez*], XIV/2 (2000), pp. 334-338.

⁸ Vid. for instance, among the published material: *Liber Psalterium Davidis Regis et prophetarum. Ex arabico idiomate in latinum translatus*, Roma: Typographia Sauariana, 1614 and P. de Lagarde, *Psalterium job Proverbia arabice*, Gottingen,

From Greek into Arabic: some notes about translation and exegesis in a 13th cent. Christian Arabic work

Juan Pedro MONFERRER SALA
University of Córdoba, Spain

1. Introduction

Much has been debated, among others by Samir Khalil, concerning the need for cataloguing and giving an account for the collection of Christian Arabic manuscripts in the different Libraries¹, alongside with the urgency in publishing such material.

Added to the scarcity of inventories of this specifically Christian collection (one rare exception, still incomplete, being that of the Monastery of St. Catherine, in Mount Sinai²) and the lack of scientific rigor of many of the existing catalogues from the 19th century and even the 20th century, the scornful treatment of Christian works, remarkable cases excepted, is to be emphasized in the two well-known important repertoires³.

¹ A list of existing catalogues can be seen in A.J.W. Huisman, *Les manuscrits arabes dans le monde. Une bibliographie de catalogues*, Leiden, 1967.

² The best updated catalogues in this *laura* are those of Aziz Suryal Atiya, *The Arabic Manuscripts of Mount Sinai*, Baltimore, 1955 y Kamil Murad, *Catalogue of all Manuscripts in the Monastery of St Catharine on Mount Sinai*, Wiesbaden, 1970. See also the unpublished manuscripts catalogued by I. E. Mēlmarēs, *Katalogos tōn neōn arabikōn kheirographōn tēs hieras monēs Hagias Aikaterinēs tou Orous Sina*, Athens, 1985. A concordance of the Sinaitic and Cirenaiic manuscript is found in Samir Khalil, *Tables de concordance des manuscrits arabes-chrétiens du Calre et du Sinai*, El Cairo, 1986. For the Syriac collection of this monastery we can consult the classical *Studia Sinaitica No. I: Catalogue of the Syriac MSS in the Convent of S. Catharine on Mount Sinai*. Compiled by Agnes Smith Lewis, Londres, 1894; *Anecdota Oxoniensia: Biblical and Patristic Relics of the Palestinian Literature from MSS in de Bodleian Library and in the Library of Saint Catherine on Mount Sinai*, Edited by G. H. Gwilliam, F. Crawford Burkitt, and John F. Stenning, Oxford, 1896. The illuminated manuscripts have been analysed by K. Weitzmann, *Illustrated manuscripts at St. Catherine's monastery on Mount Sinai*, Collegeville, Minnessota, 1973.

³ C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen Litteratur*. 2 vol., Leiden, 1943 and 1949; *GAL. Supplementbände*. 3 vol., Leiden, 1933, 1938 and 1942; F. Sezgin, *Geschichte des arabischen Schifftums*. 10 vol., Leiden, 1967-, in due curse of edition.

That is not to say that Byzantium was not interested in the Black Sea and in the peoples inhabiting this region, or that they were not careful to monitor the changes that went on there. Indeed, in so far as one can talk about key themes in the foreign policy of the Byzantine Empire in this period, it is clear that the thrust was very explicitly and consistently geared at containing the Bulgaria of Symeon and of managing and controlling the emergence of Rus'. It is no coincidence, however, and certainly worth stressing, that both of these were dealt with and handled without Pecheneg help or assistance, and rather in spite of the nomads, rather than because of them.

However, my purpose here has been simply to flag up the dangers of reading too much into a text drawn from a wide range of disparate sources, with varying motivations and which ask more questions than it solves. Instead, the intention has been to offer a counter-argument to the long accepted hypothesis, essentially lifted *verbatim* from the *De Administrando Imperio*, that Byzantium sought and was able to maintain a favourable balance of power above the Black Sea in the 9th and 10th Centuries by a sustained policy of divide and rule, or by basing a strategy on an unreliable, though truly terrifying, nomadic tribe.

Kiev after a long journey, carrying many possessions with him, vulnerable at the rapids : in short, too good an opportunity to miss.

Here then it is worth looking to the 11th Century for some instructive insights into steppe diplomacy, and which reveals why such policies (as far as they existed at all) were so problematic and illusory. Faced with increasing threat of the Pechenegs in the Balkans and even as far as the environs of the capital in the 1080s, the Emperor Alexios I Komnenos finally went for an all-out battle with the nomads in 1091 by a hill named Lebounion in southern Thrace, calling in support from as far away as Rome and Flanders. He also appears to have sought an alliance with the Cumans (or Qipchaqs), another nomadic tribe from the steppe region. In the best case scenario, the Cumans proved to be utterly unreliable, only appearing at the very last moment to take on the Pechenegs. Even then, as one source makes clear, the Emperor had to exercise extreme caution when dealing with them in the aftermath of victory.²⁸ At worst, though, alliance with the Cumans proved of marginal long-term value, as they simply replaced the Pechenegs as the thorn in the Byzantine side : whereas it had been the Pechenegs who repeatedly invaded the Balkans in the 1080s, thirty years later it was the Cumans who were causing the problems.²⁹

Unreliability of course was the key, and this really drives any serious hypothesis as to whether the Byzantines were truly prepared to rest their strategy on getting the Pechenegs to do their dirty work for them. And even here it is the *De Administrando* itself that poses the question : as we learn from the text, on at least one occasion, one of the tribes on the steppe had simply refused to do what it was asked by the Byzantines.³⁰ In other words, Byzantium's neighbours in the Black Sea region, like those elsewhere, could not be relied on when needed.

Perhaps then the first twelve chapters of the text do tell us more about Byzantium and about how the Byzantines saw themselves in the middle of the 10th Century, at a time of political and geographic expansion, a time of economic upswing, and at a time where they saw themselves as masters of their own destiny.

²⁸ P. Diaconu, *Les Pétchénergues au Bas-Danube* (Bucharest, 1970), 25-32; Anna Komnene, *Alexiade*, ed. B. Leib, 3 vols. (Paris, 1937-45), Bk VIII, ch. iv-vi, vol. 2, 136-46.

²⁹ P. Diaconu, *Les Coumans au Bas-Danube aux XI^e et XII^e siècles*, (Bucharest, 1978), 37-42.

³⁰ *DAI*, ch. viii, 56.

they went through with their part of the deal ? Suspicions here point instead to a hypothesis that not only was the concept of steppe diplomacy as laid out in the *De Administrando* one of wishful (or fanciful) thinking, but so too was the list of goods that were 'paid' to the nomads : might not even this be a *topos*, designed to show off the simplicity of the Pechenegs against the sophistication of 10th Century Byzantium ? It is hard to see how this was not the case, in fact, given Constantine VII's early protestations about the greed of Byzantium's neighbours – for if this amounted to little more than a few pieces of fabric then it is hard to see why or how the Emperor could really complain.²⁴

Certainly, a policy that might conceivably be referred to as steppe diplomacy, but which in fact amounts to little more than standard frontier policy, did exist – as is clear from the case of Byzantium's ill-fated attempt to ally with and use the Magyars against Symeon and Bulgaria at the end of the 9th Century (where significantly it was a Bulgar alliance with the Pechenegs that proved decisive).²⁵ However, apart from this (often quoted) instance, we are hard pushed to find other occasions where Pechenegs (or others) were successfully activated against each other or against Byzantium's enemies.

In 941, of course, when Igor of Kiev managed to attack Constantinople itself, the Pechenegs and the Pecheneg deterrence are conspicuous by their absence at precisely a time when we would have expected them to have been in evidence.²⁶ Other cases where Pecheneg involvement, or even non-involvement, are few and far between. And even when we can see the nomads at work with the murder of Sviatoslav of Kiev at the start of the 970s, one wonders just how much this had to do with Byzantium. For while Sviatoslav's murder suited Byzantium, we are surely not to believe that his assassination did not also benefit the Pechenegs as well.²⁷ And indeed, there is perhaps an even more basic way to see the murder here, not as part of some Byzantine or Pecheneg master plan, rather as a case of a wealthy man of status, well-known to the nomads, tired and defeated, returning to

²⁴ *DAI*, Prooimion, 44.

²⁵ Whittow, *Orthodox Byzantium*, 287.

²⁶ See Shepard and Franklin, *Emergence*, 114-6.

²⁷ *Russian Primary Chronicle*, Eng. tr. S. Cross and O. Sherbowitz-Wetzor (Cambridge, Mass., 1953), 90.

prevention of attacks on Byzantium and Constantinople by the Rus', Bulgars and Magyars.

Moreover, the temptation to see the Pechenegs as a valve that could be used against these other peoples and turned on and off at will must surely be resisted in the strongest terms as being too simplistic by half. For taken as a whole, the first chapters of the *De Administrando* suggest not only that the Pechenegs were the rock and basis of Byzantine policy in this region; they were also the rock and basis of the policy of all those in this region, to the extent that the Rus' were not only reliant on their neighbours for cattle, sheep and horses, but were unable to leave their homes unless they entertained good relations with the Pechenegs.²² In this way, it is not so much a question of Byzantium controlling the steppe with a considered and careful policy of steppe diplomacy or of a strategy of divide and rule, rather a recognition of that the Pechenegs exercised *de facto* control of the area to the north of the Black Sea from the Danube to the Dniepr and beyond.

This in itself should make us wonder how real and effective any Byzantine steppe policy may have been – or even if there was really one at all. For the impression of a Byzantium pulling strings rather precludes both what the text tells us about Pecheneg ascendancy on the steppe, and also about their own motivations and interests in dominating their neighbours. So, for example, chapter nine at first glance provides a template for how to attack the Rus' and keep them in check by activating trusty imperial allies as required by Constantinople. But surely here it is important to question whether the petty goods mentioned by the text ("purple cloth, ribbons, woven cloth, gold brocade, pepper, scarlet (also Parthian) leather, and other commodities which they might require") would really have bought large-scale Pecheneg support.²³

Certainly, given the very nature of tribal structure in general, and particularly that along the lines set out in chapter thirty seven of the text, it is worth asking whether buying off was actually a realistic and even a feasible thing to do : it is hard to believe that all tribal leaders would have been paid on each occasion, simply for logistic reasons. And even if they had, is it truly reasonable to think that they would always and invariably have followed instructions, in short that

²² *DAI*, ch. ii, 50.

²³ *DAI*, ch. vi, 52.

many of the chapters here are very short; and there is the nagging suspicion that what we are being told is rather simplistic and pat.

Indeed, the question that arises here is whether this part of the text perhaps tells us more about Byzantium and the Byzantines, and about the way that they saw themselves, than it does about Byzantine relations with the Pechenegs, or about steppe diplomacy as a whole. Are these chapters not more interesting as a primer for us to understand the Byzantine view of the self – able to choose who to ally with; able to have a role in, and influence, long-distance politics; able to manipulate and control a region far from Constantinople and on the periphery (if not beyond) of the Empire?

And the fact that we already have one eyebrow raised makes it easier to assess what Constantine VII tells us in this section at least of the *De Administrando* dispassionately. Already suspicious about the very concept of steppe diplomacy, close examination of the text reveal further places where what we are told jars. For example, at the outset, the author explicitly states that he will explain how to deal with the Empire's neighbours by force of arms and making war (*"polemeisasthai"*).¹⁸ However, nothing could be further from what he in fact advocates in the opening twelve chapters, where he instead (repeatedly) advises the use of anything but force – in the form of diplomatic missions, gifts, words and friendships.¹⁹

To this may be added the insistence articulated in the Prooimion that all non-Byzantines have ravenous appetites and insatiable tempers, and that they constantly demand gifts.²⁰ Yet instead of explaining how to counter such demands, the advice set out in these chapters is rather different, and appears to turn on the principle of meeting demand and satisfying greedy appetites, advising payment, or rather presentation, of gifts that were proportionate to a people (*"ethnos"*) as important as the Pechenegs.²¹

And a further point that might be worth making here is to ask just how ambitious the Byzantine programme was on the steppe and what its real target was, for, reading between the lines here suggests that the primary thrust of imperial policy was that employment of and payments to the Pechenegs were really directed at and motivated by

¹⁸ *DAI*, Prooimion, 44.

¹⁹ E.g. *DAI*, ch. i, 48; ch. iv, 50; ch. v, 52; ch. vi, 52; ch. vii, 54

²⁰ *DAI*, Prooimion, 44.

²¹ *DAI*, ch. i, 48.

Emperor of the Romans to be minded to keep the peace with the nation of the Pechenegs.” And in order to ensure that this would be the case, the Emperor was encouraged to conclude conventions with the Pechenegs on a regular basis (“*sunthekas*”); to make friendships (“*spondas*”) with them; to send them an envoy every year, presumably to ensure continued support; and to give them gifts regularly – although it is not entirely clear what these would have been.¹⁴

The following chapters go on to explain why it was that the Pechenegs were so dominant and why it was that Byzantium would do well to keep them happy. As the text tells us, all the nomads’ neighbours, including the Rus’, the Bulgars and the Magyars, had learnt from painful experience that it was not a good idea to be on the receiving end of Pecheneg aggression.¹⁵ It is worth noting that it is unlikely that the stress on Pecheneg aggression is an authorial creation, designed to play up the qualities of a key Byzantine ally. Certainly, there do appear to be fundamental differences in the way that the Pechenegs were reacting to the world around them – in particular retaining a fully nomadic lifestyle rather than becoming increasingly sedentary (unlike the Magyars at the start of the 10th Century, for example), and also resisting, or at least displaying no discernable interest in, Christianity, unlike so many of their neighbours. Moreover, the fact that other sources talk of the exceptional cruelty and barbarity of these nomads provides at least some confirmation of the fact that the Pechenegs really do appear to have been more dangerous than those around them.¹⁶

Nonetheless, the *De Administrando*’s insistence on Pecheneg dominance of the steppe and on the need for the Byzantines to treat them as the Empire’s primary allies in the region – and as the basis for military and diplomatic policy above the Black Sea – is not without its problems. In the first place, the language used in these chapters is very simple; there are no details of any note in this part of the text, with the obvious exception of chapter nine which provides a very lengthy account indeed about the route taken by the Rus’ on their way to the Black Sea, highlighting precisely where ambushes could be laid;¹⁷

¹⁴ *DAI*, ch. i, 48.

¹⁵ *DAI*, chs. ii-v, 48-52.

¹⁶ J. Shepard, ‘The Russian steppe frontier’, *Arkheion Pontou* 35 (1979), 218-37; S. Franklin and J. Shepard, *The Emergence of Rus’* (London, 1996), 176-9.

¹⁷ *DAI*, ch. ix, 56-62.

the Emperor), and how all could be dealt with.¹¹ It is perhaps not surprising, given the language used at the start of the text – coupled with the ostensibly comprehensive survey of all of Byzantium's neighbours – that many scholars have seen the text as a blueprint for imperial foreign policy.¹² Some have even gone further, arguing that the *De Administrando* was a highly sensitive top-secret document that would have been enormously detrimental if it fell into non-Byzantine hands, – without considering whether in fact people like the Pechenegs could read Greek or whether the nomads could even read at all.¹³

Certainly, the first section of the text – the first twelve chapters – which are concerned with the area to the north of Constantinople and specifically to the north of the Black Sea are not hard to understand : the clear and explicit intention is for the author to explain how (and why) the Byzantines should control the steppe zone and how it should use the peoples populating it to its own advantage.

These chapters leave little doubt that the overriding concern, and indeed the basis, for Byzantine (foreign) policy in this region was the Pechenegs themselves. It was with the help of these nomads that the Empire would be able to maintain a balance of power that it was happy with and that would be favourable in the long run. Although the author does not explain why he was (and that Byzantium should be) interested in this region in the first place, it does not take much for us to read between the lines and realise that the focus on the Pechenegs had come about as a response to three specific phenomena not just on the steppes themselves but in neighbouring areas.

First, of course, the reliance on the Pechenegs was at least partly prompted by the shifting power on the steppes in the mid and late 9th Centuries, away from the Khazars and the Magyars and very much in favour of the Pechenegs, who proved themselves the dominant force in the reign of Constantine's father, Leo VI. In addition to the collapse of Khazar power were two further potential and indeed very real threats to Byzantium proper – which came in the form of the Bulgars and the Rus'. The logic here, therefore, is that there is more to the *De Administrando*'s focus on the Pechenegs and on the author's strenuous advice that "it is always greatly to the advantage of the

¹¹ *DAI*, Prooimion, 44ff.

¹² E.g. J. Bury, 'The treatise *De administrando imperio*', *Byzantinische Zeitschrift* 15, 517-77; Stephenson, *Frontier*, 25ff.

¹³ Jenkins, *De Administrando*, 13.

like steppe diplomacy, where we are essentially reliant on this single source.

The concept and principles of steppe diplomacy as set out clearly in the first twelve chapters of the *De Administrando* – namely the manipulation of a balance of power favourable to Byzantine interests, the playing off of one against another, based on a simple policy of divide and rule – certainly strike a chord with the modern historian, and particularly with the Byzantinist familiar with the image of Byzantium as consistently projected and re-enforced from within as innately and inherently superior, able through power of reason and sheer intelligence to out-manoeuvre its enemies and rivals.⁹

The impression this had on others was not always favourable to say the least, with the fact that we can detect this in the first place going some way to confirming the view of Byzantium's self-promotion at the expense of others. It is striking, for example, that so many of the historians of the Crusades – at least those of the first four Crusades (1096-1204) – have similar reactions to Byzantium in general and to individual Emperors in particular. The various and many accounts share a common literary characterisation – which of course serves to echo contemporary political responses – of Byzantium as duplicitous and untrustworthy, always on the lookout to play off one against another, whether Crusader against Crusader, or Muslim against Crusader. And in this respect, it is important to note that it was not only outsiders who were aware of this and, for that matter, critical of it : John the Oxite, Patriarch of Antioch at the end of the 11th Century, was explicit in his attack on Constantine X Doukas, where the Emperor's readiness to setting Byzantium's neighbours against each other was roundly condemned for being not only immoral but fundamentally un-Christian.¹⁰

The impression of Byzantium's readiness and indeed keenness to base foreign policy on this basis is firmly enforced by the *De Administrando*, which presents itself as a utilitarian primer for Constantine's son, Romanos II. According to the Prooimion (or Preface) therefore, the purpose of the text was "in the first instance to set out what each nation (*ethnos*) has power to benefit the Romans," going on to explain how some could harm the Empire (and therefore

⁹ *DAI*, chs. i-xiii, 48-76.

¹⁰ P. Gautier, 'Diatribes de Jean l'Oxite contre Alexis I^{er} Comnène', *Revue des Etudes Byzantines* 28 (1970), 41.

from the town of Kherson in the Crimea.⁴ Nonetheless, the *De Administrando* allows a clear view into a sustained Byzantine interest in the steppe to the north of the Black Sea.

In chapter 37, for example, we learn about the circumstances and (by inference) the date of a large-scale movement of Pecheneg tribesmen from an original location somewhere between the rivers Atil and Geich westwards to the Dniepr;⁵ we learn about Pecheneg tribal structure and about the manner in which the Pechenegs divided territory between constituent members of the tribe.⁶ We learn the names given to these territories by the Pechenegs themselves, and we also have recorded the names of several Pecheneg leaders at the time of composition of this section of the text.⁷ And we learn that one element of the Pechenegs had been incorporated within the Uzes' tribal structure at some point earlier in the 9th Century and that this element had retained a distinct ethnic, as well as visual, identity in spite of this.⁸

Of course, what this chapter does not tell us is why such information was recorded in the first place. Moreover, it prompts further important questions which are no easier to answer – such as why such records were kept in Byzantium; what else was kept; how long records were kept for; how often they were updated; and where they were kept and who by – presumably Constantinople and perhaps by the logothete of the drome – though here again, the very disparate character of the information contained within the text hardly points towards a comprehensive, uniform library.

In this respect then, the primary conclusion to reach, and the obvious starting point for any survey of the *De Administrando Imperio* is to treat the text with caution, and to use it judiciously. The temptation with this source is to see it as a Holy Grail for Byzantine attitudes to its neighbours in a period where precious little is known about this topic generally, and particularly for a more specific subject

⁴ R. Jenkins and F. Dvornik, *De Administrando Imperio – Commentary* (London, 1962); J. Howard-Johnston, 'Re-examination of the evidence of the arrival of Rus', in eds. M. Kazanski, A. Nersessian, C. Zuckerman, *Les centres proto-urbains russes entre Scandinavie, Byzance et Orient* (Paris, 2000).

⁵ *DAI*, ch. xxxvii, 166. Also see M. Whittow, *The making of Orthodox Byzantium 600-1025* (London, 1996), 230-33.

⁶ *DAI*, ch. xxxvii, 166-70.

⁷ *DAI*, ch. xxxvii, 166.

⁸ *DAI*, ch. xxxvii, 169.

some significance that, with the notable exception of Bryennios, none of those writing narrative accounts at this time appear to have had any substantial and substantive experience of affairs outside the city walls.

In this context, therefore, it should be stressed that it is not only Byzantium's relations with its neighbours that so often draws a blank in such sources. There is also precious little, if anything at all, about the Byzantine interior – about Thessaloniki, for example, or about the other major towns of the Empire. Indeed, analysis of Byzantine activity – and even issues so basic as simply assessing and establishing an imperial presence – in areas such as the north-western Balkans and by the Danube have to be pieced together from numismatic and sigillographic sources (with the resultant gaps and problems that these can pose) in the absence of comment in the narrative histories.²

However, information gathering clearly was happening in the Black Sea region in the 9th and 10th Centuries, and this goes some way to allowing us to understand that we should be careful not simply to rely too heavily on what the principal historians for this period tell us. Nowhere is such information gathering clearer than in a text that has come to be known as the *De Administrando Imperio*, a source compiled during the reign of Constantine VII Porphyrogenitos, ostensibly by the Emperor himself, setting out a raft of information about Byzantium's neighbours, taking in the peoples to the north of Constantinople, the Arabs (*Sarakenoi*), as well as looking at Spain, Italy, the Adriatic and the Caucasus.³ The text is not without its problems, and it poses many questions – not least that of the date of composition or compilation – and also those that stem from an analysis that reveals that the text is made up of a very wide range of sources, such as drawing on at least one Magyar source, on a re-touched account about the Croats and Serbs that is contemporary not with Constantine VII in the mid-10th Century, but with the Emperor Heraklios at the start of the 7th, and on a chronicle otherwise unknown

² P. Stephenson, *Byzantium's Balkan Frontier* (Cambridge, 2000); P. Doimi de Frankopan, 'The numismatic evidence for the Danube region 971-1092', *BMGS* vol. 21 (1997), 30-9; id., 'The workings of the Byzantine provincial administration in the 10th-12th Centuries : the example of Preslav', *Byz.* 71 (2001), 73-97.

³ Constantine VII, *De Administrando Imperio*, ed. G. Moravcsik and R. Jenkins (Washington, D.C, 1967).

**Some notes on Byzantine foreign policy in the 9th-11th Centuries :
was there really such a thing as steppe diplomacy ?**

**Peter Frankopan
Oxford University, England**

In many respects, there are contrasting and competing views at play when we look at Byzantium's relations with its neighbours – whether in the Black Sea region or elsewhere for that matter. On the one hand, it is possible to compile a picture of Byzantine interest in its neighbours, of the Byzantines gathering information about those on its periphery, of a sensitivity and alertness to shifts in power beyond the Empire's frontiers, and of a state able and actively seeking to respond to such changes as necessary.

This contrasts sharply with the other – and in many ways the more dominant – picture which can be drawn from the historiography of the middle Byzantine period, with its relentless accent on *Romanitas* and on the superiority of Byzantium and its culture over those around it – to the point, indeed, where chroniclers fail even to record very substantial changes to the Empire's frontiers. So, for example, while we are certainly not lacking source material for third quarter of the 11th Century – with narrative accounts of Michael Psellos, Michael Attaleiates, John Skylitzes, Nikephoros Bryennios covering this period in considerable detail – it is striking to note that none of these historians discusses the growth of Norman power in southern Italy or the consequent collapse of Byzantine authority there; indeed, only one of these authors even mentions the fall of Bari in 1071 which brought to an end centuries of Byzantine power in Italy.¹

Of course, the two competing views need not be considered as being contradictory, and one could certainly make the case that the lack of interest shown by Byzantine historians to their neighbours – whether Norman, Turk, Russian or Turk – says a good deal more about who was writing in Byzantium in the 10th and 11th Centuries than it necessarily does about anything else. And one might well add here, while the fact that the historians of this period (and to the list we should add the Logothete, George the Monk and the continuator of Theophanes) were essentially based in Constantinople cannot alone explain the disinterest in the Empire's neighbours, then it is surely of

¹ George Kedrenos, *Compendium Historiarum*, ed. I. Bekker (Bonn, 1838), 720-4.

A. Papers

Contributors*

- 'Abdul – 'Aziz Ramadan, , Assistant Lecturer of Medieval History, Ain shams university, Egypt.
- Frankopan, P., Lecturer of Byzantine History, Oxford University, England.
- Hatem El-Tahawy, Lecturer of Medieval History, Zagazig university, Egypt.
- Mahasen M. Al-Wakkad, Lecturer of Islamic History, Ain Shams University, Egypt.
- Mohammed Mo'ness 'Awad, Assistant Prof. of Islamic History, Ain shams university, Egypt.
- Monferrer Sala, J. P., Professor of Semitics Studies, Cordoba University, Spain.
- Ra'fat 'Abdul – Hamid, , Prof. of Medieval History, Ain shams university, Egypt.
- Tarek M. Mohammed, , Associate Prof. of Byzantine History, Ain shams university, Egypt.
- Vaiou, M., Lecturer of Byzantine History, Oxford University, England.
- Vdovichenko, I., Associate Prof. of Byzantine Archeology, Taurida National University, Ukraine.
- Wafa' Abdullah Mazrou', Lecturer of Medieval History, Saudi Arabia Kingdom.
- Zeinab 'Abdel – Magid, , Lecturer of Medieval History, Zagazig university, Egypt.

* These names are arranged alphabetically.

Contents

I. The Arabic Part

A. Articles

-Contributors.....	ز
-Preface.....	أ-ط
-Mohamed Mo'nes 'Awad, Ali El-Ghamarawi: one of the pioneer Egyptian historians of the Middle ages 1926-1993.....	1-9
-Raa'fat Abdul Hamid, History between the oral narrative and the historical document.....	11-20
-Zeinab Abdul Magid, Oxford university in the middle ages.....	21-75
-Abdul aziz Ramadan, An introduction to the web sites of the Byzantine studies.....	77-105
-Mahasen El Wakkad, Al Hedjaba in the Mamluk sultans' period 648-923 AH./1250-1517 AD.....	107-266
-Mohamed Mo'nes 'Awad, Highlights on the problem of crusades' study in the 12 th – 13 th centuries.....	267-279
-Wafaa' Mazrou', The Vikings and their attacks on the Carolingian Empire.....	281-306

B: Book Reviews

-J. Esposito, The Islamic Threat: Myth or Realty, Oxford, 1999....by Hatem El Tahawi.....	309-313
---	---------

II. Non Arabic Part

A: Papers

- Contributors.....	VII
- Frankopan, P., Some notes on Byzantine foreign policy in the 9 th – 11 th centuries: was there really such a thing as steppe diplomacy?.....	1-11
- Monferrer Sala, J. P., From Greek into Arabic; some notes about translation and exegesis in a 13 th cent. Christian Arabic work.....	13-24
- Mohammad, T. M., Ibn Manglī between the Arab and Byzantine worlds: New Evidences.....	25-43
- Vdovichenko, I., La musique dans la vie des barbares et des Grecs qui habitaient le littoral septentrional de la mer noire.....	45-60

B: Book Reviews

' Αναστασίου Γιαννουλάτου, Αρχιεπισκόπου Τυράνων και πάσης Αλβανίας, Ισλάμ. Θρησκευολογική επισκόπησης, (Islam. A General Survey), 1 st edition 1975, (Athens, 2001). 339 pages.....by Maria Vaiou	63-66
---	-------

Journal of Medieval and Islamic History

Issued by: Seminar of Medieval and Islamic History

Ain Shams University

Abbasiya, Cairo, Egypt. Postal code 11566

- An Annual Review Interested in Medieval History, specially Byzantine and Islamic History.
- Editor-in-chief: Prof. Ishak 'Ebied
- Chairman: Prof. Mahmoud Isma'il
- Vice-Chairman: Dr. Tarek M. Muhammad
- Members: Prof. Ahmad Ramadan
Prof. 'Alyia Al-Ganzouri
Prof. Fathy Abou Saief
- Secretary: Mr. 'Abdul Aziz Ramadan
- We accept all the papers and book reviews in Arabic, English, French, Italian and German.
- Books for review should be sent in one copy only.
- Orders may be addressed directly to the board of the Seminar on the above-mentioned address.
- All papers should be written by the computer as follow: Text's size is 12,5 x 19,5 cm.
Text's fonts are 12 New Times Roman and 13 Simplified Arabic for the Arabic papers.
Footnote's font is 10; Main title's font is 12 Bold.
- Correspondences: Vice-Chairman: Dr. Tarek Mansour Muhammad, on the following address: Department of History, Faculty of Arts, Ain Shams University, Abbasiya, Cairo, Egypt. Postal code 11566. Fax. 00202 - 6851432. E. mail: amrtar_eg@yahoo.co.uk or tm_jmih@hotmail.com
- The board of the *JMIH* invites you to share with us in the fourth volume, which will be issued during the academic year 2004.

Journal of Medieval and Islamic History

An Annual Review Interested in Byzantine, Medieval
and Islamic History

(JMIH)

Volume III
2003

Issued by:
Seminar of Medieval and Islamic History
Ain Shams University

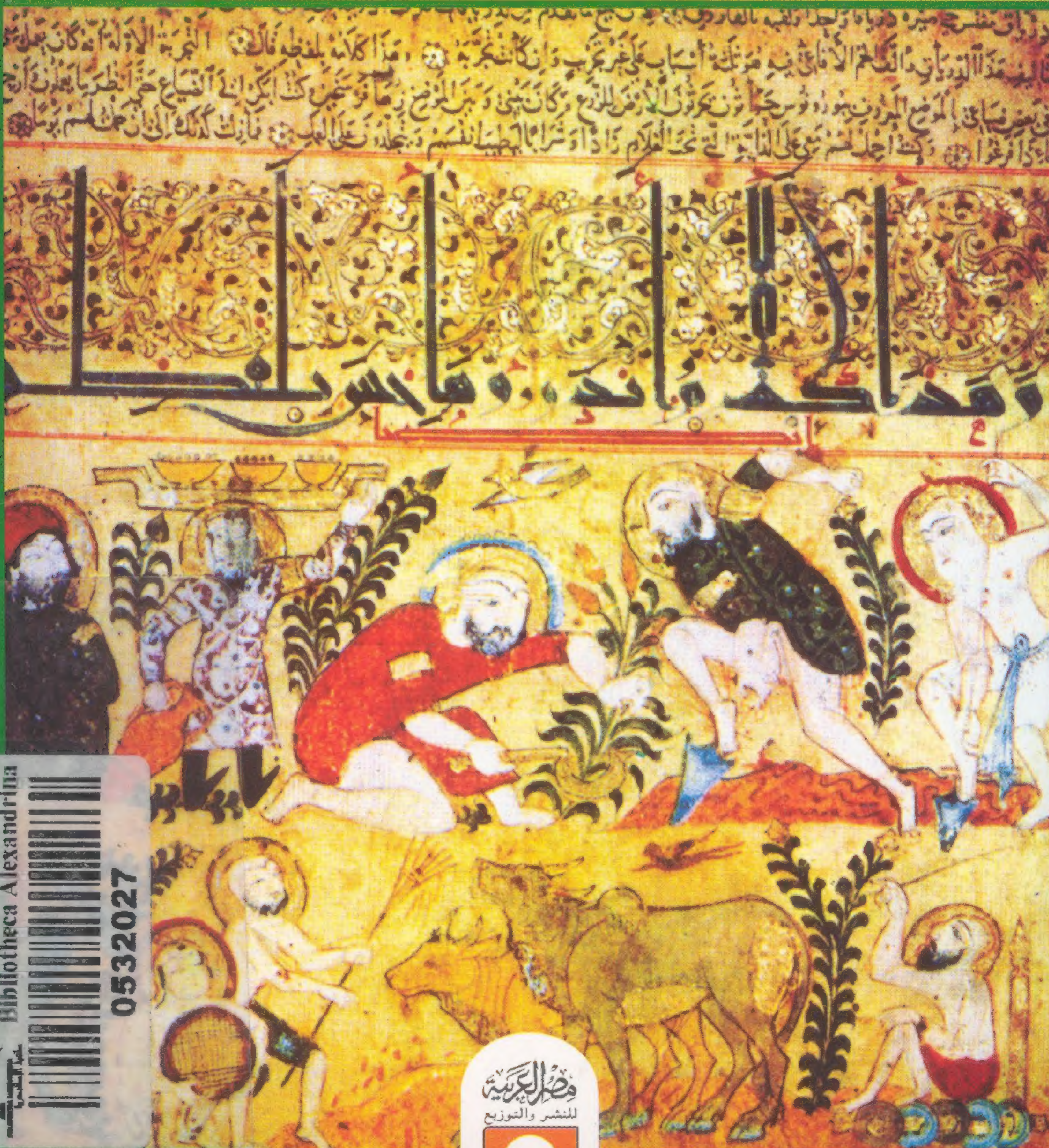
Special Issue in Honor of Prof. Ali El-Ghamarawi

Journal of Medieval and Islamic History (JMIH)

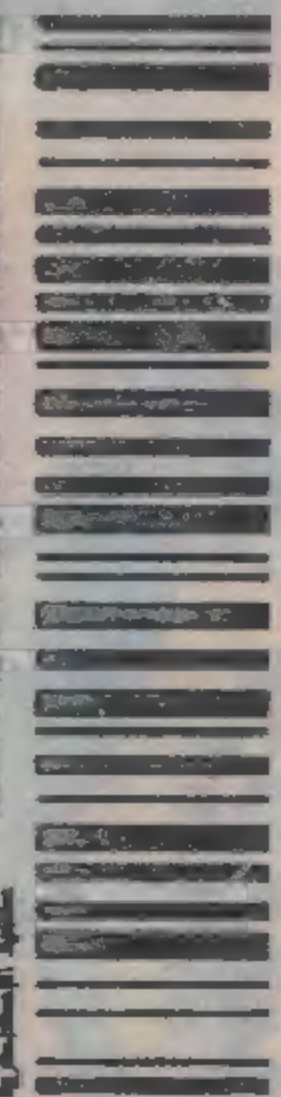
Volume 3 / 2003

An Annual Review of Medieval, Byzantine and Islamic Studies.

Issued by : Seminar of Medieval and Islamic History, Ain Shams University



Bibliotheca Alexandrina



0532027

مركز البحوث
للنشر والتوزيع

